

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- قسنطينة -

قسم العقيدة ومقارنة الأديان
تخصص: عقيدة

كلية أصول الدين
الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:



الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د الطور الثالث
تخصص: عقيدة

إشراف الأستاذ الدكتور:
- اسعيد عليوان

إعداد الطالبة:
- حورية محجوب

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
01	أحسن برامة	رئيساً	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيساً
02	اسعيد عليوان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفاً ومقرراً
03	ياسين بريك	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مناقشاً
04	عصام عبد الحفيظ	عضوا	جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02	مناقشاً
05	اليزيد بوعرعوري	عضوا	جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02	مناقشاً
06	الدواوي قرواز	عضوا	جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02	مناقشاً

السنة الجامعية: 1444-1445هـ / 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القادر للعطوم الإسلامية

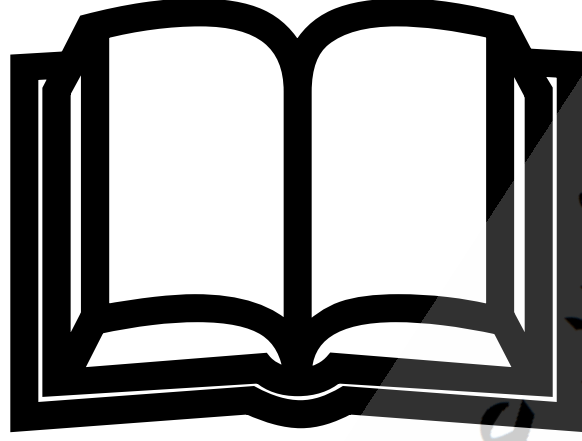
قال تعالى:

جأ ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب

سورة يونس الآية 62

نحن جبل وصل إذا حركت آخره

يهتز أوله غوثاً للمبتهل



شكر وتقدير

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

الحمد لله على نعمه، والشكر له على توفيقه وامتنانه.

الحمد لله الذي أثار لنا دروب العلم، والمعرفة، وأعاننا على العمل، ووفقنا إلى إنجازهِ، وعملاً بقول

الحبيب صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

أسمى عبارات الشكر والتقدير، وأرقى معاني الامتنان، إلى أستاذنا الفاضل، المشرف على العمل، الذي

تفضل بالإشراف، والتوجيه، فلم يبخل علينا بتوجيهاته، ونصائحه القيّمة؛ التي كانت عوناً لنا، في إتمام

العمل، خالص لله.

لقد منا بحقّ الموفّقى *** ولم تبخل عنا بأيّ حـرف

ونحن نشهد لك حقاً *** وكل من درس معنا في الصفِّ
فلم ترنا يوماً ولم تضجر *** منّا حتى لم تقل أفٍ
فمهما فعلنا يا أستاذنا *** حقك لمن نُوفِّ
فتقبل منّا عظيم تهيئة *** وأسمى معان العز والشرف
فلك منا خالص الدعاء *** من أعمق القلب المتلهف
ونسأل الله أن يزيدك من فضله *** ويسكنك أعلى مراتب الجنان والعرف
إلى الحلو بن الحلو *** أستاذي اسعيد علوان

وأخص بالشكر، والتقدير، مشيخة الزاوية القاسمية بالهامل عميد المسجد الأعظم؛ الشيخ محمد المأمون القاسمي، وكل أساتذتنا في جامعة الأمير عبد القادر؛ للعلوم الإسلامية، كل باسمه، ومقامه، وعلى الخصوص أساتذتي في قسم العقيدة، ومقارنة أديان، وأستاذي درام الشيخ، ودون أن أنسى شيوخ الطريقة الرحمانية، عبر كامل التراب الوطني، خاصةً شيخي وأبي الروحي الذي لازمني طوال البحث بالتوجيه، وفتح لي مكتبته الشيخ الفقير إلى الله الأستاذ عبد القادر شعبية، والشيخ عبد الحق مرزم، والأستاذ أحمد معلم القرآن، بزاوية طولقة ...، وكل من تمنى لنا الخير من قريب أو بعيد.

إهداء

أجمل ما يجود به المرء؛ هو أعلى ما لديه والأجمل يهدي الغالي للأغلى

أهدي هذا العمل كصدقة جارية، لروح أمي الطاهرة "صافية زرار" إلى كل من قرأ منه واستفاد؛ الدعاء لها بالرحمة والمغفرة.

إلى من أحمل اسمه بكل فخر واعتزاز، إلى من زرع الأزهار في طريقي، واقتلع كل الأشواك، إلى روح الروح؛ أبي الغالي، مصدر الحب، والعطف "عبد الرزاق محبوب".

وإلى رياحين حياتي، إخوتي، وأخواتي، ونسيمها، أخي المدلل "زهو الدين"

وإلى بلسم حياتي؛ صديقاتي، ورفيقات الدرب، أخواتي؛ اللاتي لم تلدهن أمي "مريم يخلف، خولة، سارة طيي، سارة قادري، وبسمة" وأخص بالذكر المستشارة "العمرية لعقاب" بواد سوف.

تحية إجلال، وتكريم، إلى كل مشايخي في الطريقة الرحمانية وأخص بالذكر مشيخة زاوية القاسمية الشيخ
"محمد المأمون القاسمي" عميد المسجد الأعظم بالجزائر.

الشيوخ الأفاضل: عبد القادر شعيبية، عبد الحق مزرم، عبد القادر عثمان، عبد الكريم الأدراري، عبد العزيز
الخليفي (المغرب).

ولا أنسى كل من مدّ يد العون لنا من قريب أو بعيد.

مختصرات

تحقيق: تح

تعريب: تع

تعليق: تعل

دون طبعة: د ط

سنة النشر: س ن

مجلد: مج

جزء: ج

ضبط: ض

تقديم: تق

تقرير: تقر

تاريخ

مقدمة

جامعة الأميرة
عبد القادر للعالم الإسلامي

مقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً، عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عنه الغافلون، والصلاة والسلام على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد.

لكل أمة أجدادها وأنفاسها، التي تسعى للحرص عليها، وعدم الاستهانة بشأنها، لذا وجب صونها وتنميتها، والحفاظ عليها من الإتلاف والتبديد، لأنها بمثابة المعالم الشاخصة لمسيرتها، ومنهجها، ومستواها؛ فهي الإطار المميز لها عن غيرها من الأمم الأخرى.

والطرق الصوفية السنية المعتدلة، جزء مهم من هذه الأجداد، والمفاخر الشاخصة المشكّلة لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، خاصة بعد مساهمتها في الحفاظ على الموروث المادي، والثقافي أثناء فترة الاحتلال الغاشم وبعد ترسيخ مبدئها التربوي، والتعليمي والاجتماعي، وسط أبناء المجتمع الجزائري.

والطريقة الرحمانية، إحدى هذه المفاخر الجزائرية، التي سخرت زواياها للدفاع عن الدين الإسلامي الذي استهدفته حملات التنصير والتبشير، والدفاع عن اللغة العربية والقرآن الكريم، والحرص على مقومات الشعب الجزائري، فزواياها عبارة عن منارات دينية، تعليمية، تربوية روحية، وثقافية، ومؤسسات اجتماعية بامتياز، قامت برسالة عظيمة ذات بعد اجتماعي كبير، رغم محدودية إمكاناتها، وصلاحياتها، وبساطة مناهجها، ساهمت في المحافظة على تماسك المجتمع الجزائري، وعاداته وتقاليده.

❖ أهمية الموضوع:

إنّ للبحث في مجال الطرق الصوفية عامة، والطريقة الرحمانية خاصة أهمية بالغة تتمثل في:

- الاطلاع على تاريخ التصوف الجزائري، وأصالته، ودوره في خدمة المجتمع الجزائري، من خلال التربية والتعليم وإصلاح المجتمع.
- معرفة حقيقة الطرق الصوفية الجزائرية، ومحاولة إنصافها، من خلال تقديم صورة صحيحة عن واقعها.
- إزالة الغبار عن التراث الفكري الصوفي الطرقي عامة، والجزائري خاصة، وعن فضائه المغمور بين طبقات التاريخ ومحاولة استرجاع مكانته، والتعريف به، وإخراجه في قالب جديد حيوي، وفعل يخدم الأمة دون المساس بجوهرها.
- الوقوف على الأدوار التي تقوم بها الطريقة، بمختلف مؤسساتها التربوية، والتعليمية والاجتماعية، والثقافية، وسط المجتمع الجزائري، وكيف ساهمت في الحفاظ على وحدته وتماسكه الاجتماعي.

إشكالية البحث:

تعتبر البحوث والدراسات المنجزة في الحقل الصوفي الطرقي جزءاً لا يتجزأ من دراسة المجتمع الجزائري فهي تمثل إحدى الظواهر الاجتماعية؛ التي أولها الباحثون بالاهتمام، بمختلف تخصصاتهم واتجاهاتهم. لذا وقع اختيارنا على الطريقة الرحمانية كحقل للبحث، وعينة متميزة قابلة للدراسة والتحليل، وتفسير بعض ظواهرها، وبيان دورها الاجتماعي عبر العصور.

لذا جاءت دراستنا موسومة بـ: "الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر". وللإجابة على إشكالات تبادى لنا من خلال اطلاعنا على مجموعة من الدراسات حاولنا أن نسلط الضوء على مجموعة من الأدوار الاجتماعية للطريقة في الجزائر، لتطرح بذلك إشكالية الدور الاجتماعي بإمكانيته من عدمه؟ وحدوده، والفاعلون فيه؟ وكيف ساهمت هذه الطريقة الرحمانية في لمّ شتات المجتمع الجزائري؟ وجعله أكثر تماسكاً رغم ما مرت به من فترات متقلبة في تاريخها الحديث والمعاصر؟ وكيف ساهمت في استقطاب مريدين وأتباع داخل وخارج الوطن؟ وكيف استطاعت أن تغير من نظرة المجتمع الجزائري للطريقة الصوفية مما شابها من تشويه خلال فترة الاستعمار وإعطائها صورة فاعلة ومؤثرة بعيداً عن الصورة النمطية للطريقة؟

❖ أسباب اختيار الموضوع:

لقد تعددت، وتنوعت أسباب اختيارنا لموضوعنا الموسوم بـ: "الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر"، بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

❖ الأسباب الذاتية:

- ميولنا لمثل هذه البحوث الاجتماعية العقديّة.

❖ الأسباب الموضوعية:

- البحث عن المصادر الخاصة لتراثنا، وخاصة الموروث الشفوي، والمصادر العربية التاريخية، والتخلّي عن الأحكام المسبقة في المصادر الغربية؛ في التحليل والمناقشة والدرس؛ فالبداية تكون بالانطلاق من قيمنا الخاصة ومكتسباتنا، ونظرتنا لحقائق الأشياء، فمهما بذل الأجنبي لن يوفي الموضوع حقه؛ فالتجربة الصوفية لا بد من معاشة وذوق، ولا يمكن فك أغوار التصوف وخباياه، والقدرة على شرح وتبسيط العلاقة الموجودة بين الشيخ والمريد، وإخوانه، ولا يمكن فهم المحبة والاحترام؛ إلا من عاش التجربة الصوفية، ذوقاً وعرفاناً، وزاحم مجالس الطلبة وخدم شيخه بكل تفان، وإتقان، وعاش وسط الزاوية.

- التعرف على مجهودات شيوخ التصوف عامة، ورجال الطريقة الرحمانية خاصة في خدمة المجتمع الجزائري.
أهداف الدراسة:

إنّ الأهداف التي كانت حافزاً ودافعا للبحث عن الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر كثيرة لا يمكن تحقيقها دفعة واحدة، إلاّ أنني سعت، ولا زلت إلى تحقيقها؛ من خلال هذا البحث، وعلى المدى البعيد بحول الله تعالى، والتي تمثلت في:

- محاولة تصحيح المفاهيم، وإعطاء الصورة الحقيقية للطرق الصوفية السنيّة.
- إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من الدراسات؛ التي تجمع بين مختلف العلوم وتمثل الصورة الحقيقية لتكامل العلوم، فهي تجمع بين علم الاجتماع الديني، والعقيدة، والتصوف والتراث، علم النفس والتربية، والتي تبرز جهود وإسهامات مشايخ التصوف والزوايا، وفعاليتهم في خدمة المجتمع الجزائري، والمحافظة على مرجعيته وتماسكه وإصلاحه.

- بيان المنهج التربوي، والتعليمي، والاجتماعي للطريقة الرحمانية، والاستفادة منه، وإدراجه ضمن المناهج المعاصرة.

- العودة إلى التراث، والتعامل معه بإيجابية، والتصالح معه تعزيزا لانتمائنا العربي الإسلامي.
- تعميم الفائدة، وفتح المجال أمام الباحثين، والطلبة لفك أغوار الطريقة، والمسكوت عنه فيها، وبيان حقيقتها وأدوارها في المجتمع، وإخضاع التجربة الصوفية إلى المناهج العلمية.

❖ المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع العربية بالدرجة الأولى، وبعض المصادر الشفوية؛ التي تعد جانبا مهما في استقاء المادة العلمية، المتمثلة في اللقاءات، والزيارات. ومن بين أهم المصادر المعتمدة نذكر:
المخطوطات: تتمثل بالدرجة الأولى في مؤلفات الشيخ المؤسس، ورسائله، وبعض مؤلفات الشيوخ في الطريقة مثل: قوت قولي، رسائل الأزهرى، شرح على الريفراوي، المنح الربانية، المنظومة الرحمانية لـ: باش تارزي وغيرها. إضافة لكتب التاريخ منها:

- تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

- تاريخ الجزائر العام للجيلالي.

- تاريخ أعلام التصوف في الجزائر لعبد المنعم الحسيني القاسمي.

- زوايا العلم والقرآن لمحمد نسيب... وغيرها كثير.

أما بالنسبة للمادة العلمية المتواجدة في المصادر، والمراجع فهي متوفرة؛ إلى حد ما يُخدم الجانب النظري للموضوع، كمًّا، ونوعاً، إلاّ أنّها متشابكة ومتداخلة فيما بينها؛ خاصة في ثنايا كتب التاريخ، والتّصوف، والملاحظ أنّها مكرّرة في كل الكتب تقريباً، فهي مركّزة على الجانب النظري؛ تاريخ الطّريقة ونشأتها، وكرامات الشّيخ أكثر من الأدوار الأخرى، علماً أنّنا لم نجد دراسة أفردت للجانب الاجتماعي في الطّريقة الرحمانية، بل ما وجدناه كان ضمناً، أو مُشاراً لبعض جوانبه فقط، لذا خصّصناه بالدراسة والبحث.

❖ الدراسات السابقة:

إنّ للدراسات السابقة أهمية بالغة في أي بحث، إذ من خلاله يعرف الباحث موضوعه؛ هل دُرِس من قبل أم لا؟ كما تُمكن الباحث من معرفة الجانب الذي عُولج في بحثه، وماهي الإضافة، أو الجديد في دراسته، من خلال معرفة المناهج المعتمدة، ويبراه الباحث مناسب لدراسته، لذا فالدراسات السابقة عبارة عن مصادر إلهام لا غنى عنها بالنسبة للباحث، أو الباحثة، حقيقة فإنّ أي بحث هو: امتداد للبحوث التي سبقت، وتصحيح للمسار العلمي السابق، لذا لا بد أن نُعرِّج على أهم الدراسات التي سبقت بحثنا، ووقعت بين أيدينا، نذكر منها:

1- الدراسة الأولى:

عنوانها الدور الاجتماعي والتربوي لزواية الهامل في المجتمع الريفي، للباحث طيب جاب الله، وهي عبارة عن رسالة ماجستير في علم الاجتماع، لجامعة الجزائر2، بوزريعة.
فقد كانت إشكالية بحثه تتمثل في: إلى أي مدى ما زالت زاوية الهامل محافظة على دورها الاجتماعي والتربوي الذي كانت تلعبه في المجتمع الريفي سابقاً، رغم بروز مستجدات وتغيرات على بنية المجتمع الجزائري؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية المطروحة، تناول المنهج الوصفي، مستعملاً تقنية الملاحظة، والمقابلة، أمّا عينة البحث؛ فكانت زاوية الهامل في فترة 1862م، 2007م، فختتم بحثه بجملة من النتائج منها:
- أن الدور الاجتماعي، والتربوي لزواية الهامل؛ قد ساهم بوضوح في استمرارها لمدة قرن ونصف، من الزمن إلى يومنا هذا، كما أنّ دورها يتقلص، ويزيد، حسب الظروف المحيطة بها؛ فهي تُؤثر وتتأثر، ورغم ذلك فقد كان عهد المؤسس هو عصر الإشعاع العلمي.

2- الدراسة الثانية:

الطريقة الرحمانية جذور وأصول: للدكتور عبد المنعم الحسيني القاسمي، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، طبع في كتاب عن دار الخليل لسنة 2013م على شكل كتاب. تناول المؤلف فيه جذور الطريقة، والجانب التاريخي لها؛ من زوايا وشيوخ ومؤلفات.

3- الدراسة الثالثة:

الطريقة الرحمانية والاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1962م: للباحث محمود بوكسيبة، وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، في التاريخ؛ الحديث والمعاصر لسنة 2013-2014م، بجامعة المسيلة اعتمد فيها على المنهج التاريخي، حيث تناول فيها موقف الطريقة الرحمانية، بمختلف زواياها من السياسة الفرنسية، والثورة التحريرية.

تعتبر هذه الدراسات أهم ما كتب في الطريقة الرحمانية بصفة عامة، وهذا لا يمنع من وجود بعض المقالات، والدراسات التي تناولت جوانب مختلفة من الطريقة الرحمانية خاصة الجانب التاريخي لها.

ما يمكننا إضافته في دراستنا المعنونة بـ: "الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر" هو أننا نوثق للدور الاجتماعي، وإفراجه للبحث الذي قامت به الطريقة بمختلف زواياها ورجالها، عبر مسارها التاريخي الكرونولوجي، وسعت من خلال تعاليمها وأورادها لتطبيقه على أرض الواقع خدمة للمجتمع، وذلك للتطرق لكيفية بناء الفرد المسلم الصالح والأسرة ثم إعطائنا مجتمع متماسك موحد متضامن، ومتكافل تربطه أواصر المحبة والأخوة، ودين واحد ومرجعية واحدة، وذلك بالتركيز على البناء التربوي، والتعليمي، البنية الاجتماعية وخاصة الأسرة مثل: المرأة، وإحياء عادات، وتقاليده المجتمع الجزائري، والدعوة لترسيخها.

فكل المصادر تتحدث عن الاجتماعي الجانب التاريخي للطريقة، وتغفل عن بقية الأدوار الأخرى، ذات الأهمية البالغة، وعن اهتمام الطريقة بالجانب الاجتماعي من خلال الاهتمام بالمرأة (من خلال تعليمها، زواجها ولايتها...)، والانفتاح على الجمعيات الخيرية في الشق الميداني للطريقة؛ فالطريقة لها جزء نظري؛ يتمثل في تعاليمها، وأخذ الورد، وجانب تطبيقي عملي؛ يتمثل في التطبيق الفعلي، لهذه التعاليم على أرض الواقع سلوكاً وأفعالاً ومواقفاً، تسعى من ورائها لبناء فرد فعال في المجتمع والدعوة للحفاظ على تماسكه وترابطه.

❖ صعوبات البحث:

إنّ أي باحث؛ في الحقل الصوفي المؤسّساتي تعترضها جملة من الصّعوبات؛ التي غالباً ما تكون عائقاً في البحث وتؤثّر عن جودته؛ والتي نوجزها في:

- صعوبة التنقل لبعض الزوايا، الخاصة الواقعة في مناطق ريفية وجبلية وصحراوية.

- عدم حصولنا على بعض المصادر والمراجع، والتي تعتبر ركيزة البحث منها: المخطوطات، والرسائل المخطوطة الخاصة بالمشايخ المتعلقة بمسائل الصلح والفتوى، وكذا الأرشيف الفرنسي المتعلق بالزوايا خاصة الرحمانية منها، التي كان لها حضور فعال في المجتمع الجزائري.
- قلة وانعدام الوثائق في الزوايا فيما يتعلق الأمر بتصوير ومحاكاة ليوم كامل بالزاوية سواء من جانب علمي، أو تربوي، أو دور اجتماعي، فهي خلية معقدة التركيب، والنسيج متداخلة، لا يمكن فك أسرارها إلا بالمعايشة والملازمة لها. وهذا ما صعبَ عنا مهمة البحث أحيانا.
- تضارب الروايات الشفوية في بعض الأحيان مع الواقع المعاش.
- الغموض والسكوت المحيط ببعض الجزئيات مثل الأوقاف، وإحصاء نشاط الطريقة اجتماعياً، وغيرها من الأمور المسكوت عنها.
- ورغم هذه الصعوبات، وأخرى صحيحة لازمنا خلال بحثنا، إلا أننا حاولنا أن نوفي البحث حقه، وإخراجه للنور وذلك فضل من الله يؤتية من يشاء.

❖ منهج البحث:

للإجابة عن الإشكال المطروح، ومن أجل الوصول إلى حقيقة الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر، تطلب منا الأمر وصف تقرير المعطيات التاريخية، وتحليل الوقائع، والمقاربة بين المواقف، والأدوار المنوطة بها، وعليه اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي في استعراض تعاليم، ومبادئ الطريقة، أصولها، وجذورها، وهو المنهج الذي تقتضيه الأحداث والأدوار، وإبراز إسهاماتها الاجتماعية في الجزائر، فكان المنهج الغالب على دراستنا هو المنهج التاريخي الوصفي ويتخلله المنهج التحليلي؛ الذي نستطيع من خلاله تتبع جزئيات البحث كما عملنا على جمع الشهادات من بعض أعيان الطريقة؛ وعلى رأسهم مشيخة زاوية الهامل لقرها المكاني، وزاوية طولقة بيسكرة وبعض الزيارات الميدانية لبقية الزوايا، وإجراء لقاءات مع شيوخها وطلبتها، من أجل استقاء المعلومة ومعرفة الدور الاجتماعي للطريقة عن قرب بكل حيثياته. ومعايشة بعض الأعياد، والمناسبات بها.

❖ خطة البحث:

للإجابة عن الإشكالية سالفة الذكر؛ اعتمدت في دراستي على خطة محكمة، ومقسمة تقسيماً منهجياً لخمس فصول، وكل فصل يحتوي على أربعة إلى خمسة مباحث، وهي كالآتي:

الفصل الأول المعنون بـ: محمد بن عبد الرحمن الأزهرري، وطريقته، واندرج تحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: تناولنا فيه ظروف عصر المؤسس محمد بن عبد الرحمن الأزهري، أما المبحث الثاني: فيه ذكر لحياته، وفي المبحث الثالث سرد لآثار محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وجاء المبحث الرابع متحدثاً عن الطريقة الرحمانية جذورها ومقاصدها، ومصادر تمويلها، وجهادها.

وثيناً بالفصل الثاني: خريطة الطريقة الرحمانية في الجزائر، حيث تناولنا في المبحث الأول منه: عوامل انتشار الزوايا الرحمانية في الجزائر، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: الزوايا الرحمانية في منطقة القبائل، وفي المبحث الثالث حديث عن: الزوايا الرحمانية بقسنطينة والشرق الجزائري، بالمقابل تناولنا في المبحث الرابع: الزوايا الرحمانية في منطقة الأوراس، ليأتي المبحث الخامس معنوناً بـ: الزوايا الرحمانية بالجنوب الجزائري، ليعقبه المبحث السادس: الزوايا الرحمانية بنواحي الجلفة ووسط القطر الجزائري، ليختم بالمبحث السابع: الزوايا الرحمانية في الغرب الجزائري.

تلاه الفصل الثالث: الدور التربوي الروحي للطريقة الرحمانية في الجزائر، ففي مبحثه الأول كلام عن: مفهوم التربية الروحية، وفي المبحث الثاني: الأركان التهديبية في الطريقة الرحمانية، أما المبحث الثالث فكان حول: الأصول التربوية في الطريقة الرحمانية، ليردف بمبحث رابع: الذكر في الطريقة الرحمانية، حقيقته، آدابه، صورته، وكيفياته، ليختم بمبحث خامس: التربية الروحية بالذكر وآثارها في الطريقة الرحمانية.

أما الفصل الرابع فوسم بـ: الدور التعليمي للطريقة الرحمانية في الجزائر، حيث تناولنا في المبحث الأول: تأسيس المنظومة التعليمية للطريقة الرحمانية في الجزائر، وفي المبحث الثاني كلام عن: نظام المنظومة التعليمية البيداغوجي وخصائصه، أما المبحث دار حول: الشهادات والإجازات، والمبحث الرابع منه كان عبارة عن: نماذج للطلبة والخريجين.

لتختم الأطروحة بالفصل الخامس الذي عنون بـ: الطريقة الرحمانية في خدمة المجتمع الجزائري، حيث تناولنا في المبحث الأول: مظاهر التكافل الاجتماعي في الطريقة الرحمانية، وفي المبحث الثاني تناولنا: العلاقات الأسرية في الطريقة الرحمانية، أما المبحث الثالث فكان حول: حل النزاعات وفك الخصومات والشفاعات، ليختم بالمبحث الرابع: محاربة الآفات الاجتماعية والدعوة للحفاظ على العادات وتقاليد المجتمع الجزائري.

وخاتمة تحتوي على استنتاج، ونتائج الدراسة وتوصيات.

وفي الأخير لا أدعي في بحثي هذا الكمال، ولا سبق في البحث حول الطريقة الرحمانية ودورها الاجتماعي، كما لا أدعي أبداً الإحاطة به من كل الجوانب، وإنما لامسنا الحقيقة أو اقتربنا قليلاً منها، وفتحنا

الباب أمام الباحثين الجادّين، لتناول هذه البحوث الجزئية التي تُنصف الزوايا، وتعطي الصورة الحقيقية لها، من خلال بيان دورها، وإعطائها المكانة التي تستحق؛ تشريفاً، أو وضعاً.
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

مؤسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن الأزهري عصره

وحياته

المبحث الأول: ظروف عصر المؤسس محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

المبحث الثاني: حياة محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

المبحث الثالث: آثار محمد بن عبد الرحمن الأزهري وأقوال العلماء فيه.

المبحث الرابع: الطريقة الرحمانية؛ جذورها ومقاصدها، ومصادر تمويلها، جهادها

تمهيد.

يرمي الفصل الأول، للتعريف بالشخصية المؤسس؛ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بداية من ظروف عصره، التي ترعرع في كنفها، وساعدت على صقل شخصيته، بأنبل الخصال، لتثمر حياته بأجود الثمار، والآثار.

فكان من الأولى الإهتمام بشخصية المؤسس للطريقة الرحمانية في الجزائر، محمد بن عبد الرحمن الأزهري، من كل جانب، حتى تتمكن من فهم طريقته، وتعاليمه الروحية، ومواقفه الاجتماعية، فكان الفصل الأول يحتوي على أربعة مباحث كالاتي:

المبحث الأول: ظروف عصر المؤسس؛ محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

المبحث الثاني: حياة محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

المبحث الثالث: آثار محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

المبحث الرابع: الطريقة الرحمانية؛ جذورها، ومقاصدها، ومصادر تمويلها، جهادها.

المبحث الأول: ظروف عصر المؤسس محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

لكل عصر مميزاته الخاصة، وظروفه الفريدة، ومما لا شك فيه، أن تلك الظروف هي التي تكون دافعة، ومكوّنة لشخصيات بارزة، يكون لها الأثر البالغ، والدور الفعّال، في تغيير وإصلاح تلك الأوضاع؛ التي تساهم بفاعلية، في طبع تلك الشخصية، وتحديد صفاتها ومواقفها.

المطلب الأول: الظروف السياسية.

عاش مؤسس الطريقة الرحمانية؛ محمد بن عبد الرحمن الأزهري رحمه الله، في ظل الحكم العثماني بالجزائر، وتحديدًا عصر الدّايات، الذي اتّصف بطول مدة الحكم؛ حوالي 160 سنة (1671م- 1830م/1082ه-1246ه)، حيث قام هذا الأخير - عصر الدّايات - على أنقاض حكم الأغاوات الذي لم يدم طويلاً (12 سنة).¹

¹ - ناصر الدين سعدوني، النظام المالي للجزائر في العهد العثماني، ط1، سنة 1986م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص137.

وقد تميز عهد الدّايّات بعودة النفوذ، والسلطة إلى رجال البحرية "الرّياس"؛ حيث كان الدّايّ يتنخب من بين أعضاء الديوان، بالمقابل يكتفي السلطان العثماني، بإصدار مرسوم لتثبيت هذا الاختيار فكان الدّايّ يعقد المعاهدات باسم الجزائر، ويبعث القناصل للدول الكبرى، ويعلن الحرب، ويستعمل العملة الخاصة بالجزائر.

لقد تمتعت الجزائر في ظل الحكم العثماني بحريّة سياسية، فكانت جيشاً قوياً، وميزانية مستقلة، عن خزينة الدولة.¹ حيث ركزت في جمع خزينتها، على موارد الغزوات، التي كان يشنّها الرّياس على العدو.

وبالرغم من أنّ النظام الجديد؛ "نظام الدّايّات"، كان ينص على انتخاب الدّايّ، من طرف الديوان، إلا أنّه تطور حكم الدّايّات، وأصبح حكماً مطلقاً، وصار اجتماع الديوان أمراً شكلياً، فالدّايّ هو الذي يختار وزرائه؛ الذي يتركّب منهم مجلس الدولة، وفي مقدمتهم:

- الخزانجي: الذي يتكلف بتسيير الخزينة العمومية.

- آغا الصبايحية: وهو القائد العام للقوات البحرية.

- وكيل الحرج: وهو وزير البحرية.

- وكذا بيت المالجي: المكلف ببيت المال، إضافة إلى خوجة الخيل يتلقى الهدايا، والعطايا وخراج وزكاة، ... وغيرهم من الوزراء الذين يُعينهم الدّايّ، من أجل مساعدته في القيام بمهامه. كما يتولى الدّايّ الفصل في الخلافات، والنوازل، في مجلس يعقده صباح كل يوم، ما عدا يوم الراحة، ويوم العيد.²

ولعل أهم فترة في حكم الدّايّات، كانت في حكم الدّايّ محمد عثمان باشا؛ الذي حكم الجزائر من سنة 1766م إلى 1791م، فقد كان عادلاً، عالماً بقوانين الملك، ملتزماً بأحكام الشريعة، محباً للجهاد، زاهداً، عارفاً، عابداً. وقعت في عهده حروب كثيرة، انتصر في جميعها، وتبرع بكل ماله

¹ - ناصر الدين سعدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ (العهد العثماني)، ط1، 1984، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص16، 15.

² - مبارك بن محمد الهلالي الميلّي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص184، 183.

للخزينة،¹ من أجل تخصيصه للجهاد، كما إهتم بالجانب العمراني، وبناء الحصون، والأبراج للجهاد وقد تمكن الرئيس الحاج محمد قبطان في عهده أن يأسر 24000 أسيرا نصرانيا.²

إن ما ميّز السياسة الجزائرية في العهد العثماني، خاصة حكم الدّايّات هو: القوة والحنكة؛ حيث جعلت سياسة الدّايّات من الجزائر دولة عظمى لم تبلغها من قبل، فهيمنت على القوة الصليبية، لمدة ثلاث قرون متوالية، مما جعلها تخضع للجزائر، وتدفع الضرائب، وتبرم معها الإتفاقيات، والمعاهدات التي كانت تُذيلُ باسم: "الجزائر المجاهدة، الجزائر المحروسة، الجزائر القاهرة".³

وقد أضاف الأستاذ اسعيد علوان، أن بروز الجزائر كقوة هائلة في العالم، لا يمكن وصفه وتفسيره، إلا في إطار إستراتيجية العالم الإسلامي، لمجاهة الزحف الصليبي الغربي وإيقافه.⁴

نشأة الدولة الجزائرية كقوة معادية لوقف تقدم الإستعمار الصليبي الإسباني، والبرتغالي الذي استفحل، إضافة إلى توحيد أمريكا اللاتينية، وأوروبا، رغم اختلاف مشاربها، ومذاهبها، في حملة ضد الجزائر، على أساس صليبي محض، لتجد الجزائر نفسها أمام أمرين، لا ثالث لهما:

1- رد غارات أوروبا، وغزوها، وتحطيم شوكتها، وفرض الضرائب عليها.

2- الاستسلام، والخضوع لها، وكسر شوكة المسلمين.

إلا أن دولة عظمى بعظمة الجزائر اختارت الأمر الأول؛ وقوّت عضدّها بطول ساحلها البحري وقوة أسطولها، للدفاع عن الضعفاء، والمسلمين، ومواجهة الأساطيل الصليبية، وقراصنتها، وردّ العدوان الإسباني؛ الذي أتانا من البحر، وحماية مسلمي الأندلس.⁵ لقد شكلت البحرية الجزائرية بأسطولها

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م سيرته حروبه أعماله نظامه الدولة والحياة العامة في عهده، ط1، 1986م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص80.

² - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص97.

³ - مولود نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيمنتها العالمية قبل 1830م، دط، الجزائر، ص 42-46-47.

⁴ - اسعيد علوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في العقيدة) غ م، إشراف الأستاذ عبد الرحمن عمر الماحي، والأستاذ محمد زرمان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، سنة 2000، ج1، ص13.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2007، دار البصائر لنشر والتوزيع الجزائر، ج1، ص198، 197.

وقرأصتتها خطراً، على التحالف الصليبي لسنين، ولعل أهم حدث سياسي في هذه المرحلة هو: استرجاع مدينة وهران، من أيدي الإسبان؛ بعد احتلال دام قرابة 206 سنة.¹

والمرأة هي الأخرى؛ كان لها حظها الأوفر من السياسة، فرغم أنها لم تشترك في السياسة العامة للبلاد، ولم تكن عضوة في الديوان، ولا موظفة سامية في إدارات الدولة، ولكنها كانت من وراء العديد من القرارات السياسية الحاسمة؛ من خلال التأثير على أزواجهن، في اتخاذ مواقف معينة، مثال ذلك: تأثير زوجة بابا حسن باشا عليه في إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، عند ضرب هؤلاء لمدينة الجزائر 1688م، كما كانت زوج حسن باشا وراء مقتل صالح باي كذلك.² إضافة إلى الزواج السياسي بين زعماء الترك، وزعماء الجزائريين، من أصحاب النفوذ، والسلطان؛ فقد تزوج عروج من زوج سليم التومي، ومصطفى بوشلاغم، كان متزوجاً من عدة نساء، صاهر بمن شيوخ النواحي الغربية، وقوادها وتزوج أحمد القلي باي قسنطينة، من عائلة بوعكاز، والحاج أحمد- باي قسنطينة- تزوج من عائلة المقراني، وغيرها.³

هذه هي المكانة العظمى التي بلغتها الجزائر؛ في الفترة العثمانية، وهذا راجع بالدرجة الأولى للعلاقة المتينة بين العثمانيين، والسكان الأصليين، وأن ما بلغته الجزائر، من قوة وتطور، وأمن، في عهد الدايات، جعل الأمير عبد القادر يشيد به، ويعتبر نفسه مجدداً له⁴، كما أشاد ابن باديس بعهد الدايات واعتبرهم النموذج المثالي للجهاد، والإخلاص⁵، فالعلاقة بين العثمانيين والجزائريين، علاقة حب وتلاحم⁶، وليست كراهية، وتصادم، مثل الاستعمار الفرنسي الغاشم؛ الذي جاء لنهب، وسلب الثروات، فعلاقتنا بالعثمانيين: علاقة حضارية، رغم النقائص، والسلبات، للحكم العثماني بالجزائر.

2- الوجود العثماني: لقد أثر العثمانيون في الحياة الاجتماعية للجزائر، من خلال ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي، ومن بين مظاهر التأثير ما نلمسه في المأكّل، والمشرب، والملابس، والألقاب، الصنائع

¹ - أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 206.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 163.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 163.

⁴ - مولود قاسم، المرجع سابق، ج 2، ص 325.

⁵ - عبد الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، قسنطينة، 1937م، ع 13، ج 7، ص 319-321.

⁶ - اسعيد علوان، المرجع السابق، ج 1، ص 16.

والتقاليد، ناهيك كونهم أدخلوا المذهب الحنفي للجزائر، وجاؤوا بالطرق الصوفية، ومن جهة أخرى أثرهم في العمارة، والمساجد، والأضرحة، كما أنهم أنشأوا الأحباس، التي تخدم جميع الأغراض الاجتماعية، والعلمية وأشهرها: سُبُل الخيرات.¹

أمّا عن حالة اليهود، فقد كانت قويّة النفوذ، عاشت في أهم المدن، خاصة عواصم الأقاليم واشتغلوا بأهم الصنائع الثمينة، والدقيقة، كالخياطة، والذهب، والفضة. إضافة إلى الصرافة، والتجارة والعطارة، علاوة على ذلك اختارهم للعملة الرسمية، وتوغلهم في خزينة الدولة، كما اهتموا بالترجمة وبهذا تمكنوا من الاطلاع على أسرار الدولة، ورغم أنهم عاشوا كأهل ذمة، لهم حدودهم الدّينية والسياسية، إلا أنهم من الناحية الاجتماعية، والاقتصادية، كانوا يلعبون دوراً هاماً في المجتمع الجزائري.²

ورغم هذه العوامل الدخيلة عن المجتمع، إلا أنّ المجتمع الجزائري، ظل متمسكاً بقيمه العربية الإسلامية، فقط وصل بفضل الروابط الموحدة دينياً، وسياسياً، وخلقياً، ولغوياً، إلى مرحلة المجتمع الواعي، المتناسك والمتجاوب.³

المطلب الثاني: الظروف الاجتماعية.

طبيعيٌّ أن تؤثر الأوضاع السياسية، لأي بلد كان إيجاباً، أو سلباً، على المجتمع من الكثافة السكانية بالمدن، والقرى، إضافة إلى جملة من الأخلاق السائدة، والعادات، والتقاليد، التي تميز هذا المجتمع، عن غيره من المجتمعات، هذا ما يساعدنا، في رسم الخريطة الاجتماعية الثقافية لمجتمع ما.

فعلاوة على الأوضاع السياسية السالفة الذكر، هناك عدة عوامل خارجية، ساهمت في الأوضاع الاجتماعية، والثقافية للجزائر في تلك الحقبة الزمنية، والتي ذكرها أبو القاسم سعدالله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي والمتمثلة في:

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 149.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 152.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 153.

1- هجرة الأندلسيون: وذلك بسبب ما حلّ بهم من إستعمار، فاستوطنوا الجزائر؛ خاصة المدن الساحلية مثل: شرشال، بجاية، الجزائر، عنابة... إلخ، وأصبحوا يشكلون جزء هاماً من سكانها، وأثروا في مناحي الحياة الاجتماعية؛ من خلال نشر مختلف أنماط حضارتهم كالعمارة، والصناعة، والزراعة والتعليم، والطب، والموسيقى، والتصوف فالأندلس رغم الضعف السياسي؛ إلا أنّها المرحلة الراقية، في تطور الحضارة العربية الإسلامية.

فالأندلسيون في بادئ الأمر، واجهوا مشاكل اجتماعية حمة أهمها: الفقر؛ الذي خصصت له الدولة أحباساً، تعرف بـ "أوقاف الأندلس"، وهكذا أصبح الأندلسيون، يشكلون عنصراً بارزاً ومؤثراً في سكان الجزائر، بمركتهم التجارية، وعلمهم، وصناعتهم، ومهارتهم بالبحر.¹

ورغم الحب، والتلاحم بين الجزائريين والعثمانيين، الذي أنتج دولة قويّة؛ إلا أنّ هذه الدولة بدأ يدب إليها الضعف، ويأكلها المرض السياسي، وذلك راجع إلى عدة أسباب أهمها: طبيعة التجنيد في الجيش الجزائري، فالدولة الجزائرية لم يكن يجند فيها إلاّ الملتزمون بالدين وتعاليمه، ولكن الظروف حالت دون ذلك، بعد شدة الصراعات، والغزو، والهجوم الصليبي، وكثرة الصراعات الداخلية والخارجية، وفتح الباب على مصراعيه للتجنيد، سواء اليهود، أو اليونانيون.² هذا ما نتج عنه تسلط الجنود، على الأهالي، إضافة إلى تحكمهم في النظام السياسي؛ فألغوا نظام الشورى في تعيين الداي، وكثر الاغتيال، والقتل للحكام، وسرقة الأموال، ونتيجة لحكم الجيش بالسياسة، صار منصب الداي يباع ويشترى بالمال، وإعطاء المنصب، لأشخاص بلا مروعة، ولا كفاءة.³ فكثرت الفتن، والمؤامرات السياسية، مما نتج عنه؛ عدم الاستقرار السياسي، والاستبداد، كما لا ننسى تغلغل اليهود، وسيطرتهم على التجارة، والأعمال، من خلال تحقيق أرباح خيالية، مكنتهم تدريجياً من التغلغل في مراكز اتخاذ القرار، ومراقبتها، واستغلالها لمصالحهم، وتواطئهم مع الطبقة الحاكمة، ناهيك عن التراكم السريع للأموال، فالرأس المالي التجاري؛ لعائلة بوشناق، وبكري، اليهوديتين حولهما إلى قوة ضغط سياسية خارجية، وداخلية، حطمت الحكم السياسي من خلال توواطئهم مع فرنسا.⁴

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، (ت ج ث)، ج1، ص148.

² - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص78.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ت ج ث، ج1، ص149.

⁴ - حمدان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ج1، ص150، 199.

إنّ الفساد السياسي قد بلغ منتهاه، في أواخر العهد العثماني، هو ما كرس للاستعمار الفرنسي ورغم هذا الانحطاط، إلاّ أنه لا يمكن التجاهل، أو التغافل، عن الدور الرائد والإيجابي؛ الذي جعل من الجزائر دولة قوية؛ تقف وراء المدّ الصليبي، والتنصير، وحفظ أراضي المسلمين من الإستعمار، وجعل من تكتل، وتحالف الدول الأوروبية، ضرورة حتمية تحت راية واحدة: " التبشير بقيادة البابا " لمواجهة الجزائر القويّة.

أهل الصحراء والبادية: هم أبناء الصحراء؛ سواء بني ميزاب. إضافة إلى هؤلاء هناك الزوج الذين كانوا يعملون أجراء عند الدولة، كما لا ننسى أسرى المسيحيين.¹

رغم التنوع في الفئات الاجتماعية للمجتمع الجزائري؛ إلاّ أنّها كانت تشكل وحدة متماسكة في عادات، وتقاليد، واعتناق الإسلام، وتعاليمه، وقد زادها قوة، وتلاحم بين أبنائها "العدوّ المشترك".

القيم الخلقية السائدة في المجتمع:

إنّ التنوع السكاني لم يمنع أن يكون المجتمع الجزائري مجتمعا محافظا على تعاليم الإسلام وملتزماً بالقيم، والأخلاق الحميدة، وعلى عمومهم، فإنّهم شجعان اجتماعيون، وأوفياء العهود وكرماء وبسطاء في حياتهم، ونظيفون في منازلهم، وصناع، وتجار، وإذا وضعوا ثقتهم في شخص فللأبد.

كذلك إذا خُدعوا فإنّهم سيحذرون للأبد.

إنّ معظم مبيعاتهم تتم دون عقد، ودون شهادة وبكل أمانة، يتخذون التزاماتهم، وما يُميز الجزائريين صراحتهم، وصدقهم، لا يعرفون الحقد، والبغضاء فهم كرماء في أعمالهم، يحترمون الجيران وكأئهم أقرباء.

يوجد لدى الجزائريين من المحاسن ما يجلب الانتباه، إنهم أوفياء، لا يعرفون سرقة ولا خيانة ولا قتل ولا أي نوع من أنواع الجريمة... وعلى العموم هم رجال شرف.²

عادات وتقاليد المجتمع الجزائري:

إنّ ما ميز أهل الريف، هي عادات تحكّمها، وتوجهها الطُرقية في أغلب الأحيان، بالمقابل نجد أهل المدن موحدة، وتتأثر بما كان يجري في الأندلس، أو في حواضر المشرق الإسلامي؛ فمثلا عاداتهم في ليلة

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، (ت ج ث)، ج1، ص156.

² - حمدان خوجة، المصدر السابق، ج1، ص63،64،65.

المولد النبوي الشريف؛ يقومون بإيقاد الشموع، وإنشاء التواشيح، والتزيّن، والتطيّب، وغيرها، إضافة إلى عادات قد شاعت بين كل الجزائريين نذكر منها: حفلات الخطبة، والزواج، والختان، وتوديع واستقبال الحجاج واستقبال المنتصرين الرياس، والعائدين بالغنائم، وغيرها من العادات، التي ما تزال لليوم.¹

الصحة: إنّ المجتمع الجزائري كان يعتمد على الطرق البدائية، وعلى طب الأعشاب والأدعية والأحجية وبصاق الأولياء، فلم يكن هناك مستشفيات، ولا مصحات خاصة بهم، في حين نجد البايات والباشوات لهم أطباء خاصين أجانب، يختارونهم من الأسرى الأوروبيين، أو يستجلبونهم بالأموال.²

مكانة المرأة: وبما أنّ المرأة ركيزة المجتمع فالاعتناء بها أولى بمكان؛ سواء كانت حضرية أو ريفية؛ فقد كان لها الدور البارز، والفعال في جميع الميادين؛ فالمرأة الريفية كانت تشترك مع الرجل في الحرث والسقي، والحصاد، وتربية الماشية، ناهيك عن النسيج، والاعتناء بتربية الأبناء، وشؤون البيت، من تنظيم، وترتيب، ونظافة وطبخ... إلخ كما أنّها تشترك في الحروب مثل علجية بنت بو عكاز.³

ورغم هذه المكانة المرموقة للمرأة، إلا أنّها بالمقابل كانت⁴ مسلوقة الحقوق في بعض الأماكن مثل: حق الميراث، وكانت تعامل معاملة العبيد؛ خاصة من طرف بعض الدجالين، وهذا راجع للجهل، ولنظام العشيرة والقبلية؛ الذي يرفض فيه الرجل نقل ميراث أبنائه، إلى عشيرة أجنبي.⁵

النظام القضائي: يتميز القضاء في الجزائر العثمانية؛ بثنائية الهياكل، والأحكام القضائية، فالقضاء حسب المذهب الذي ينتمي إليه الشخص؛ فالأتراك كانوا أحناف، لذا يخضعون للمذهب الحنفي، وإن تعلق الأمر بالطوائف الأخرى؛ من السكان فهي تخضع للحكم القاضي المالكي⁶. في حين يتفرد القضاء في القرى والمداشر، والأرياف، ويتزعمه شيوخ الزوايا، ورؤساء الأعيان، والمرابطين.⁷ كما نشير إلى وجود

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، (ت ج ث)، ج 1، ص 159.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، (ت ج ث)، ج 1، ص 167.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، (ت ج ث)، ج 1، ص 163، 162.

⁴ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ج 1، ص 74.

⁵ - اسعيد علوان، المرجع السابق، ج 1، ص 33.

⁶ - ناصر الدين سعدوني، المصدر السابق، الجزائر في التاريخ، ج 4، ص 22.

⁷ - ناصر الدين سعدوني، المصدر السابق، ج 4، ص 23.

محاكم خاصة بالأسرى، والمسيحيين، وأخرى خاصة باليهود، ففي حالة وجود خصومات يقوم الدّاي بالفصل فيها، وفي الضفة الأخرى انفراد المؤسسة العسكرية بقضائها، ومحكمتها الخاصة.¹

المطلب الثالث: الظروف الإقتصادية.

يقوم النشاط الاقتصادي يقوم على الزراعة، والصناعة، والتجارة، إضافة إلى غنائم البحر والإتاوات التي تدفعها الدول الغربية؛ مقابل المرور عبر البحر المتوسط.²

الزراعة: تميز هذا القطاع بنوعين من الملكية؛ الملكية الخاصة، والملكية الدولة، والأراضي المشاعة التابعة للقبيلة، والأراضي الموات، وأراضي الوقف، حيث أصبحت بعض التقارير تغطي ثلاث أرباع الأراضي الصالحة للزراعة، أمّا الإنتاج الفلاحي، والمحصول الزراعي فقد كان متنوع ومثمر، فأصبحت المدن الساحلية مثل: دلس، شرشال، تنس، القليعة، وعنابة، وهران، تلمسان، أرزيو... تشتهر بإنتاجها الوفير من الخضر والفواكه، والزراعات الصناعية؛ كالقطن والكتان، إضافة للثروة النباتية مثل: شجر التين والكرز، والمشمش والزيتون، ناهيك عن تنوع الثروة الحيوانية من إبل، وغنم، وبقر.³

الصناعة: تميز النشاط الصناعي للجزائر؛ بالتركيز على أغلب المهن، والحرف التقليدية، والتنظيم مثل: صناعة الخزف، الصباغة، البناء، البحارة... إلخ. فكان لكل مهنة، أو حرفة شارع، أو سوق تختص به وتنسب إليه مثال ذلك: سوق الحديد، سوق الخشبة، سوق الغزل، سوق الحرايرية، سوق اللوح، سوق الفخارين، سوق العطارين... إلخ. ناهيك عن صناعة السفن الحربية، وصنع البنادق، والأجهزة الحربية مثل: القنابل، والمدافع.⁴

التجارة: تقوم التجارة على تنوع المحاصيل الزراعية، والصناعية، وعلى غنائم البحر، وعائداته مثل: المرجان، والصيد... فقد تركز النشاط التجاري، على المدن الكبرى، إضافة إلى بعض الواحات الصحراوية، التي مثلت همزة وصل بين الأسواق الداخلية، والخارجية سواء مع السودان، والجنوب أو الشمال.⁵

¹ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ج1، ص72.

² - سعدوني، المصدر السابق، النظام المالي، ص49.

³ - سعدوني، المصدر السابق، الجزائر في التاريخ، ص53.

⁴ - سعدوني، المصدر السابق، الجزائر في التاريخ، ج1، ص59،60.

⁵ - سعدوني، المصدر السابق، ص66. (حمدان خوجة: المرأة، ص105،104).

وما ميز التجارة هو سيطرة الأندلسيين عليها؛ خاصة تجارة المرجان، والصيد، وتجارة الذهب والفضة، والقمح، سيطر عليها اليهود من خلال عائليتي بوشناق وبكري؛ والتي احتكرت تجارة القمح حيث كانت السبب الرئيسي في الاستعمار الفرنسي للجزائر.¹

ولعل ما يمكن قوله كحوصلة للاقتصاد الجزائري في العهد العثماني؛ أنه عرف ازدهار، وتطور ملحوظ، وذلك لعدة أسباب منها: تنوع الزراعة، والثروة الحيوانية، إضافة إلى الصناعات، والحرف وازدهار سوق التجارة الداخلية، والخارجية، وهذا راجع لتشجيع الحكام للتبادل التجاري، رغم هذا التطور؛ إلا أنه عرف تقهقر في بداية القرن 18، نظراً للتحويلات السياسية² والاضغوطات الأجنبية اليهودية، حيث حطم التجار اليهود الإنتاج الزراعي والحرفي الجزائري باحتكارهم السوق، وفرضهم على المنتجات الوطنية أسعار احتكارية منخفضة، لم تكن تعطي حتى نفقات وتكاليف³ إنتاجها، مما أدى إلى إفلاس الفلاحين والحرفيين، وبالتالي إفلاس البلاد، رغم إمكاناتها الطبيعية والبشرية خصوصاً بعد ضعف الأسطول الجزائري، فظهرت بوادر الكساد الاقتصادي العام.⁴

المطلب الرابع: الظروف الثقافية.

لقد سبق لنا الحديث عن الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ورأينا أن المرحلة الأخيرة من العهد العثماني كانت مرحلة تدهور، وانحطاط على جميع الأصعدة هذا ما أثر سلباً على الثقافة ومؤسستها، مما أدى إلى انتشار نوع من الخمول والركود خاصة مع تزامن انتشار الطرق الصوفية، وما ارتبط بها من سحر وشعوذة، وجمود للفكر.

ورغم هذا الجو السائد آنذاك، إلا أنه لا يمنع من وجود حياة ثقافية معينة وظهر عدد من العلماء، والكتاب، والمؤسسات الثقافية؛ من مدارس، وزوايا، ومساجد، ومكتبات، معظمها كان يهدف التعليم والتربية، ولكن أهم مؤسسة كانت تغذي هذه المؤسسات الثقافية بمختلف مشاربها، وتوجهاتها هي مؤسسة الوقف، إضافة إلى مساعدة المحسنين، والدولة.

¹ - سعدوني، المصدر السابق، ج1، ص62، 61.

² - سعدوني، المصدر السابق، ج1، ص83، 82.

³ - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، محمد عثمان باشا، ص105.

⁴ - يهود الجزائر سيطرتهم على القمح وتصديره لفرنسا ورفض هذه الأخيرة تسديد ديونها للجزائر (أنظر حمدان خوجة، المرأة، ص158-160).

المساجد: لقد أولى الجزائريون المساجد عناية خاصة؛ وأهمية بالغة وذلك للدور الذي تقوم به من: عبادة، وتعليم، وفتوى، وما يلاحظ على المدن الجزائرية أن معظمها يحتوي على مسجد يسمى: "الجامع الكبير"؛ وحسب الإحصائيات فإن مدينة الجزائر لوحدها كانت تعد حوالي 100 مسجد. ومن أهم ملحقات المساجد؛ "الكتاتيب القرآنية"، وتمثل أهم ملحقات المسجد، ودورها تحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وتعليمهم الكتابة، وبعض مبادئ العلوم، والفنون.

1- المكتبات: كانت تابعة في معظمها للجامع الكبير، وهي موقوفة على العلماء، والمتعلمين وتحتوي على مجموع العلوم، والفنون، التي ظهرت في ذلك العصر من طب، رياضيات، فلك، دين... إلخ.¹ وهذا إن دل على شيء؛ إنما يدل على ارتباط الثقافة بالمسجد؛ والتي كانت من أولى مهامه.²

2- الزوايا: لعل ما ميز الفترة العثمانية في الجزائر هو انتشار الطرق الصوفية، فعددها كان موازيا تقريبا للمساجد، فهذه الجزائر العاصمة تعج بالزوايا، والأضرحة، والقباب المقامة على الأولياء والصالحين نذكر منها: "زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي"، "زاوية عبد القادر الجيلالي" "زاوية سيدي محمد الشريف" "زاوية سيدي بن عبد الله الجزائري".

ويظهر دور الزوايا خصوصا في التعليم، فهي بمثابة معاهد التعليم لشبان، وتنوير العامة حيث اشتملت الزاوية على مسجد، وقبة الشيخ، المرابط، ومبيتا للطلبة الداخلين، ومساكن للغرباء والفقراء،³ فبالإضافة إلى وظيفتها التعليمية الروحية الدينية، فقد زاد أهميتها احتواؤها على مكتبات معتبرة، جعلها تلعب دورا بارزا في الحياة الثقافية، لاسيما وأنها تحتوي على النظام الداخلي، مما يجعل الطالب يمكنه بما مدة طويلة للتعلم وحفظ القرآن، كما يدرس بها العلوم المختلفة مثل: الفقه، والتفسير، الحديث، فقد كانت تمثل مرحلة أعلى في طلب العلم، تقبل خريجي الكتاتيب مما جعلها شبيهة بالمراكز الثقافية النشطة التي تؤهل الطالب للانتحاق بالقرويين، أو الزيتونة، أو الأزهر، ثم يعودوا للجزائر ليعتلقوا المناصب العليا فيها.⁴

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج 1، ص 254.

² - ناصر الدين سعدوني، المهدي بو عبدلي، ص 169.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 1، ص 266.

⁴ - عبد الملك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، ع 8، ص 221.

إلا هذا لم يمنع من وجود الجانب السلبي للطريقة في الجزائر، فقد جمدت الفكر، وجعلت المجتمع يعيش تحت سلطة غيبية قاهرة، والولاء المطلق للشيخ، إضافة لممارسات التي تقام بالزوايا، وعلى الأضرحة من سحر، وشعوذة.

نتيجة: إن الحديث حول الظروف سواء السياسية، أو الاجتماعية الثقافية، أو الاقتصادية هو محاولة إعطاء صورة للجو الذي ولد فيه الشيخ الأزهري، وكيف أثر في حياته، ونشأته، وتعليمه، وحياته الروحية ومواقفه؛ فالإنسان بن بيئته يعيش في إطار مجتمع يثمر، ويتأثر به فهو اجتماعي بطبعه، إضافة إلى أن هذه الظروف هي التي مهدت لنشأة الطريقة الرحمانية وانتشارها، فقد وجدت هذه الأخيرة الأرضية الخصبة روحياً في عهد الدولة العثمانية بالجزائر لاهتمامها بالتصوف، والتعليم، هذا ما جعلها تتغلغل وسط المجتمع الجزائري.

ففي ظل هذه الظروف السالفة الذكر ولد محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ثرى هل استطاع أن يتخلص من مآسي عصره؟ ويعيد للعقل إعتباره، ويعمل على النهوض بأمته، ويعيد وعيها بذاتها؟

المبحث الثاني: حياة محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

تزخر الساحة العلمية الثقافية، والدينية الروحية بالجزائر بالعديد من الأسماء والقامات الفذة التي ساهمت في بناء المرجعية الدينية، وتثبيتها، وأثرت في مختلف شرائح المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة والنواحي، وشخص محمد بن عبد الرحمن الأزهري نموذجاً لذلك.

المطلب الأول: اسمه وكنيته

هو محمد بن عبد الرحمن، بن أحمد، بن أبي القاسم، بن يوسف، بن علي، بن إبراهيم، بن عبد الرحمن بن محمد، بن الحسن، بن طلحة، بن جعفر، بن محمد العسكري، بن عيسى الرضى، بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق، بن محمد الناطق، بن عبد الله، بن حمزة بن إدريس، بن إدريس، بن عبد الله بن محمد، بن الحسن، بن فاطمة، بنت رسول الله ¹ p، الملقب بالأزهري، مجاورة لجامع الأزهر تبركاً

¹ - المؤلف مجهول، سلسلة مشايخ ومخادم الطريقة الرحمانية الخلوانية وأعلامها، تحقيق جمال بن سليمان فنود، دط، ص5.

في مصر، الزواوي إقليما، القحطولي قبيلة، الإسماعيلي عرشاً، الباعليوي زاوية، وقرية¹، نقلا عن لوح معلق بمحراب ضريحه بالحامة قرب الجزائر.²

المطلب الثاني: مولده ونشأته

1- مولده:

ولد محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ما بين (1126هـ-1133هـ) الموافق لـ: (1715م-1720م)³، إلا أن هناك من قال أنه ولد سنة 1123هـ⁴، في حين قدره البعض الآخر بـ (1127هـ-1142هـ)⁵، ويبقى تاريخ ميلاده غير متفق عليه، بين المؤرخين، وذلك لندرة المصادر، التي تناولت حياته، تكاد كلها تنقل عن بعضها البعض، بالمقابل نجد الكتب التي تناولت حياته أمثال مصطفى باش تارزي، وغيره تظل مخطوطات، وملكيات خاصة يصعب الوصول إليها.

ويبقى المرجح في سنة ميلاده بين مختلف الكتابات ما بين سنتي 1126هـ-1133هـ في قرية بوعلاوة، بآت إسماعيل، في فروجة بقشطولة؛ على بعد خمسة عشر كلم من شرق ذراع الميزان بجبال جرجرة.⁶

2- نشأته:

نشأ محمد بن عبد الرحمن الأزهري في أحضان التقوى، برعاية والديه رحمة الله عليهما، فكان والده من الشيوخ العلم والمعرفة ببلاد زواوة.

نشأ وترعرع الأزهري، في وسط مشهود له، بالعلم، والمعرفة، فحضارة زواوة كانت مقصودة العلماء للإتقان، والبراعة، والفقهاء، درس بزواوية بن اعراب، وهي الزاوية التي زاول فيها الأزهري تعليمه الابتدائي، وتعلم على يد صاحبها؛ حسين بن اعراب.¹

¹ نص لإجازة لعبد الرحمن باش تارزي، في صفحتين بزواوية الهامل.

² أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد روؤف القاسمي الحسني، موقع النشر 1991، ج2، ص298.

³ يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، د ط، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص299.

⁴ محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح، علي عمر، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ص316.

⁵ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج1، ص506.

⁶ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص299.

المطلب الثالث: حياته العلمية

تبدأ حياة الإنسان العلميّة من أولى خطواته في التعليم، وتدرج بالسفر، ومزاخمة العلماء، وحلقات الذكر، وطلب العلم، لتنتهي، أو تستقر في أعلى مقامات المعرفة، والرسوخ بين ملكوت الرحمن.

1- تعليمه: لقد تربّى محمد بن عبد الرحمن، في جوّ عائلي متدين، ومحافظ على تعاليم الإسلام، واللغة العربية، حفظ القرآن الكريم، وزاول دراسته في المرحلة الابتدائية، على يد الشيخ الحسين بن اعراب بآيت إيراثن، ببلاد زواوة.

رحلاته: بعد أن أنهى محمد بن عبد الرحمن الأزهري، تعليمه، على علماء الجزائر توجه إلى المشرق لإكمال دراسته وتفقهه في علوم الدين، فأدى فريضة الحج وهو صغير السن حوالي سنة 1152هـ، ثم عاد أدراجه إلى مصر؛ للدراسة في الأزهر الشريف، برواق المغاربة، واستقر بالقاهرة مدة قدرها العلماء بثلاثين سنة، ومنهم من قال ربع قرن²، اعتكف فيها على الدراسة، والتعليم، والتدريس، فقال: "قدمت إلى مصر... وشرعت في قراءة جميع الفنون، في الجامع الأزهر"³، لقد تدرج في تحصيل مختلف العلوم والفنون، على أيدي علماء وشيوخ أكفأ؛ فزاحمهم في حلقاتهم العلمية بساحات الأزهر الشريف؛ ومن بين هؤلاء الأفراد الأجلاء الذين تربّى، وتكون الأزهري على أيديهم نذكر: الشيخ أحمد بن محمد العدوي المعروف بـ"الدردير"، علي بن أحمد الصعيدي، الشيخ العمروسي، الشيخ محمد بن عبد الله التلمساني: "المنور"...، ولما تفقه، وألمّ بعلوم الفقه، والأصول؛ توجه لبحث عن شيخ في التربية والسلوك، فوجد ضالته، عند أول لقاء بالشيخ محمد بن سالم الحفناوي الخلوئي⁴، الذي بلغت شهرته الآفاق، فقد جمع بين العلم والطريق.

¹ - محمد بن عبد الرحمن الأزهري القحطولي الجرجري، شرح قوت قولي شرح على **الريفأوي**، تح وتع، ماجدة القاسمي الحسيني، ط2015، دار الخليل القاسي لنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، ص7.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ت ج ث، ج1، ص507.

³ - عبد المنعم القاسمي، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، ط2013، دار الخليل لنشر والتوزيع، وزارة الثقافة الجزائرية، ص309، أنظر ل محمد بن ع الرحمن، رسائل الأزهري مخطوط، ص3 انظر مكتبة الأستاذ محفوظ.

⁴ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الحروسية، دط، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص299.

لما رأى الشيخ الحفناوي تلميذه الأزهرى متمكناً من العلم، والسلوك؛ ومقتدراً على التربية والتوجيه، ولمس فيه الصلاح، للدعوة إلى الله، عهد إليه بالسفر، إلى ربوع العالم المختلفة؛ لنشر كلمة الحق، والصدع بها، ونشر تعاليم الطريقة الخلوتية، بعدما أدخله فيها وأجازها بها.

2- رحلته إلى السودان:

بأمر من شيخه الحفناوي انتقل إلى "دار فور"، لنشر الأوراد، والأذكار، للطريقة الخلوتية، حيث كلفه بالدعوة في بلاد السودان، والهند.

ليؤكد الجعدي في المناقب، أنه المدة التي قضاها الأزهرى في دارفور. كانت إقامته في دار فور زاخرة بالأعمال، حيث عمّر زوايا كثيرة في برّ العبيد، وعلم الناس، أمور دينهم، وبهذا فإن إقامته بالسودان، تُوجت بالأعمال الخيرية.

- الهند: توجه هذه المرة إلى الهند، هي الأخرى ليُعلم الإخوان، وينشر طريقة شيخه الخلوتية، البكرية فنجح في مهمته، وحصل على مبالغ مالية، ساعدته بعد عودته إلى القاهرة.¹ لم تنتهي مهمة محمد بن عبد الرحمن الأزهرى في الهند، بل ما زال يَصُولُ ويجول في البلاد العربية، فبعد عودته من الهند، توجه مرة أخرى للمغرب.

- رحلته للمغرب: فيما ترويه الروايات، ويؤكد الشيخ الجعدي في مناقبه عن إقامة الأزهرى بالمغرب وبفاس لنشر تعاليم الخلوتية؛ وكان ذلك لتطبيق مشروع شيخه الحفناوي، الذي يبدو أنه يسعى إلى نشر الطريقة الخلوتية، في كامل التراب المغربي، كمشروع متكامل يقول: "...ثم أمره شيخه أن يذهب إلى بلاد المغرب، ليعطي أوراد الطريقة الخلوتية البكرية، وينشرها كما نشرها في بلاد السودان، حتى وصل لفاس² فلم يجد من يأخذ عنه، فقام بفاس زمنا طويلا، وهو مقيم بحرم مولاي إدريس الأصغر، ثم جعل راتباً لكل من يذكر الله في الحلقة . وما خرج من فاس حتى صار أغلب أهلها كلهم تلامذة له وجعل زاويته محروسة بفاس".³

¹ - يذهب أبو القاسم سعد الله إلى نفي سفره للهند وتكذيب ما جاء به كولا باي وأنه لا يوجد رواية لذلك، (ت ج ث، الهامش ج4، ص507).

² - الشيخ الجعدي، المصدر السابق، مناقب الأزهرى، ورقة 3.

³ - الشيخ الجعدي، المصدر السابق، مناقب الأزهرى، ورقة 3.

بعد أن أمّى محمد بن عبد الرحمن الأزهري، مهمته التي طُلبت منه، وأدى الأمانة وهي: الدعوة والتعليم، ونشر الطريقة الخلوتية، طلب منه شيخه الحفناوي، الرجوع إلى مصر، أين التحق به أخوه الأكبر مُحَمَّد (بضم الميم)، على أمل أن يستقر معه، لكن الشيخ الحفناوي، رأى في عودتهما للجزائر خير، لنشر العلم، وتربية الخلق، بعد أن أذن للأزهري بإعطاء الورد، والإذن بالخلوة، وألبسه الخرقة فعاد محمد بن عبد الرحمن، القشطلوي للجزائر حوالي 1183هـ (1770م).¹

الملاحظ على رحلاته العلميّة، أنّه بعد إكمال دراسته، وتعليمه الأول، وحفظه للكتاب الله وأخذ العلوم عن القامات العلمية الجزائرية، توجه للبحث، عن المعرفة الروحية، والإمام بمختلف العلوم والفنون متجهًا نحو الشرق، فبدأ بالأزهر الشريف، من خلال مزاحمة علمائه في مجالسهم، إلى أن قادته المقادير، إلى حلقة أستاذه بن سالم الحفناوي؛ الذي أخذ عنه تعاليم الطريقة الخلوتية، وأمره بالدعوة وتعليم الناس، أمور دينهم في كل من السودان، الهند، المغرب.

عودته للجزائر وتأسيس زاويته بآيت إسماعيل:

ورغم اختلاف العلماء، حول المدة التي قضاها بعيداً عن الجزائر، إذ يرى البعض أنّها دامت عشرين سنة؛ وهذا ما أكدّه تلميذه عبد الرحمن باش تارزي بقوله: "جَالٌ في الأوطان نحو عشرين سنة وتقرب بهذا الشأن، توفيقاً له من الملك المنان".²

بالمقابل يؤكد صاحب دائرة المعارف على أنّ المدة تزيد بعشر سنوات؛ أي ما يقابل ثلاثين سنة³، والبعض الآخر يرى أنّ مدة إقامته خارج الجزائر؛ دامت ربع قرن،⁴ ورغم الاختلاف حول مدة إقامته خارج الجزائر؛ إلا أنّها كانت مثمرة سواء في تكوينه وشخصيته، سواء في عمله ونشاطه الدعوي ونشر تعاليم الطريقة الخلوتية.

ومما جاء في رسالة محمد بن أبي القاسم الهاملي: "... بالتواتر المنقول عن محمد بن عبد الرحمن الأزهري حاكياً عن شيخه محمد بن سالم الحفناوي بمصر، كما أذنه بإرشاد الخلق، وسرحه إلى بلاده

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، أعلام الجزائر المحروسة، ج2، ص300.

² - عبد الرحمن باش تارزي، رسالة مخطوطة في الدفاع عن الطريقة الرحمانية من وثائق زاوية الهاملي.

³ - أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مج10، ص80. (مادة رحمانية).

⁴ - أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، المرجع السابق، ج4، ص507.

بعد رجوعه من برّ العبيد، فأذنه أن يبني زاوية ببلاد زاووة قرب الجزائر، فقال له سيدي عبد الرحمن رضي الله عنه "يا سيدي أنت أذنتني أن أرشد الخلق، وأجعل زاوية ببلاد زاووة وتعلم سيدي أن أولياء الله تعالى في مغربنا مثل النجوم، فكيف يصح ويسهل لي الإرشاد؟! فقال له الشيخ سيدي محمد بن سالم الحفناوي إن كان الأولياء في بلاد مغربكم كالنجوم في السماء فتضيئ أنت عليهم مثل القمر ليلة استكمالها"¹.

فكان تأسيسه الأول لزاويته بقرب آيت إسماعيل؛ والتي لعبت دوراً بارزاً في نشر العلم، والطريقة الرحمانية، وشرع في الوعظ، والإرشاد، مما جعل طلبة الزوايا المجاورة يرحلون إليه، ويتهافتون على حلقاته، وسرعان ما أصبحت قرية آيت إسماعيل، قبلة لطلاب العلم، والطريقة، وذاع صيته بين كل الشيوخ، حتى وصلت للجزائر، وضواحيها، والصحراء.

لزم محمد بن عبد الرحمن الأزهري بلدته، ومثله مدة 16 سنة، وهو يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، فبعد أن أتم الدعوة في عشيرته الأقربين، خرج ليصدع بكلمة الحق، بالقطر الجزائري، وذلك بعد أن كوّن قاعدة صلبة، وصار له أتباعاً ومريدين، من مختلف المدن؛ حتى وصل صيته مدن طرابلس، وتونس، ولعل قوله في إحدى رسائله إلى أهل البلدة والجزائر: "... من حين قدمت من المشرق إلى الآن ومدته ستة عشرة سنة وأنا لم أفارق بيتي خاصة، والآن أودنت في الطواف على البلدان حيث جُمع لي الأئس بين الخالق والمخلوق"².

❖ شيوخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري:

أخذ محمد بن عبد الرحمن، عن ثلثة من الرجال؛ الذين اعتلوا مقامات المعرفة، فأسند ركبته لعلماء الجزائر؛ لنهل منهم مختلف العلوم، والفنون، ليسافر مزاحماً علماء المشارق في حلقاتهم ومجالس ذكرهم، ويجلس مجاورة للأزهر الشريف باحثاً عن ذاته. ومن بين الذين كان لهم الفضل في تكوين شخصيته نذكر:

– الشيخ الحسين بن اعراب الزواوي: فقيه، ومدرس، وعالم، صوفي جزائري، من مواليد القرن الثاني عشر الهجري الموافق لـ 18م، أخذ العلم بمسقط رأسه تيزي راشد، رحل ليكمل مسيرة، طلب

¹ – رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، من وثائق المكتبة القاسمية بزواوية الهامل.

² – رسائل الأزهري مخطوط بالمكتبة القاسمية.

العلم بمصر. أسس الشيخ زاويته بتيزي راشد، تعرف أيضا بزاوية حسين بن اعراب، كان لها دور بارز في بعث الحركة الفقهية، والصوفية في المنطقة، والمناطق المجاورة، أخذ عنه الأزهري الفقه حيث يصفه بأنه "صاحب عدتي"¹ وهو الذي وجهه إلى مصر ليغترف من علمائها.

- الشيخ الصعيدي العدوي: علي بن أحمد، بن مكرم الله العدوي (1112هـ-1189هـ/1700م-1775م)، المالكي، الأزهري، الشهير بالصعيدي أحد الأئمة، اشتغل بالعلم منذ الصغر، ولشيخ الصعيدي العدوي، مؤلفات عديدة دالة على فضله، ورسوخ قدمه في العلم، والفقه، منها: حاشية على بن تركي، حاشية على شرح الزرقاني على العزبة، وكان قبل ظهوره المالكية، لا تعرف الحواشي، على شروح كتبهم الفقهية، فهو أول من خدم تلك الكتب بما، وله شرح على خطبته، كتاب إمداد الفاتح على نور الإيضاح، في مذهب الحنفية.² إن سعتة العلمية هذه، وتمكنه من الفقه، جعلت الأزهري يأخذ عنه الفقه.

- الشيخ الدردير: أحمد بن محمد، بن أحمد، بن أبي حامد العدوي، أبو البركات المصري الأزهري الفقيه المالكي، الشهير — الدردير، ولد سنة 1127هـ، وتوفي عام 1201هـ³، ومسقط رأسه بني عدي، حفظ القرآن، وحبب إليه طلب العلم، فورد الجامع الأزهر، وحضر دروس العلماء. فأخذ الحديث على كل من الشيخ أحمد الصبَّاغ، وشمس الدين الحفني، وبه تخرج في طريق القوم، وتفقه على الشيخ علي الصعيدي، ولازمه في جلِّ درسه؛ حتى تلقن الذكر، وطريق الخلوتية، من الشيخ الحفني، أفتى في حياة شيوخه، مع كمال العبادة، والزهد، والفقه، والديانة، وحضر ببعض دروس الشيخين: "الملوي والجوهري" وغيرها، ولكن جل إنتسابه، واعتماده على الشيخين الصعيدي والحفني.⁴ لقد كان سليم الباطن، مهذب النفس، كريم الأخلاق، عُيِّنَ بعد وفاة شيخه، علي الصعيدي شيخاً على المالكية ومفتياً، وناظراً على وقف الصعايدة، وشيخاً على طائفة الرواق، بل شيخاً على أهل مصر بأسرها، إنه كان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق، ولا يأخذ في الله لومة لائم، وله في

¹ - عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، 2005، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، المسيلة، الجزائر، ص142.

² - الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص477.

³ - إسماعيل بن محمد أمين بن سليم الياباني البغدادي، هدية العارفين، ط1951، وكالة المعارف إسطنبول، ج1، ص181.

⁴ - الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص32.

السعي على الخير يد بيضاء.¹ لزم الفراش، وتوفي في سادس من شهر ربيع الأول توفي 1201هـ، وصلى عليه بالأزهر بمشهد عظيم حافل ودفن بزاويته.²

وكان الشرف لمؤسس الطريقة الرحمانية، ع الرحمن الأزهري، أنه لازمه في دروس الشيخ الصعيدي فكلاهما كان طلاب في حلقة، وكما أنه حضر دروسه، وأجازه في الفقه.

- الشيخ العمروسي: الشيخ الصالح علي بن خضر، بن أحمد العمروسي، المالكي فقيه متكلم، توفي الشيخ سنة 1173هـ³ / 1760م⁴. وقد كان إنساناً حسناً، متجمعاً عن الناس، مقبلاً على شأنه، له مؤلفات عديدة دالة على فضله، وسعة علمه منها: حاشية على إتحاف المريد، شرح جوهرة التوحيد شرح مختصر، خليل في فروع الفقه المالكي مجلدين⁵.

- الشيخ الجدّاوي: هو حسن بن غالب الجدّاوي، ولد سنة 1128هـ الموافق لـ 1715م، توفي سنة 1202هـ الموافق لـ 1796م، مالكي، أزهري مصري، محدث، وأصولي خطيب، ولد بالجدية وبها نشأ وتربى. من آثار الشيخ: شرح منظومة له في الفرائض، قاعدة جليلة، شرح اليعقوبية في مصطلح الحديث، وديوان خطب.⁷ قال الأزهري عن إجازته: "ثم الثامنة كتبها لي الشيخ حسن بن غالب الجدّاوي المالكي".⁸

- الشيخ المنور التلمساني: (ت 1173هـ/1760م). هو محمد بن عبد الله، بن أيوب أبو عبد الله التلمساني المعروف بـ: "المنور"، فقيه مالكي، محدث، أديب، رحالة، صوفي.⁹ قال عنه الحافظ الزبيدي في ترجمته: "العالم الفاقد الأشباه، البارع في الفنون، تحصل على مجموعة من الإجازات من مشايخه؛ حيث تضمنت إجازة العامة من أبي العباس أحمد بن مبارك، اللمفي، ومحمد المناوي، محمد بن عبد الرحمن، بن

¹ - الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص ص33،32.

² - الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص34.

³ - الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص301.

⁴ - رضا بن محمد الدمشقي، المصدر السابق، ج7، ص86.

⁵ - إسماعيل البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص768.

⁶ - عمر بن رضا الدمشقي، معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج3، ص 268. / الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص210،209.

⁷ - الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص210،209.

⁸ - محمد بن عبد الرحمن الأزهري، شرح على الريفاوي، مخطوط بالمكتبة القاسمية زاوية الهامل، ص65.

⁹ - عمر بن رضا الدمشقي، المصدر السابق، ج10، ص202.

زكري... إلخ. تولى التدريس بالجامع الأزهر، وأخذ عنه الأزهري، توفي العالم الجزائري التلمساني في 12 شوال 1173هـ/1760م بمصر بعد رجوعه من الحج.¹

بعد رحلته العلمية، وتحصيله العلم الظاهر، وجمعه بين مختلف العلوم، والفنون، تفرغ لعلم الباطن حيث ذهب لبحث عن شيخ يأخذ عنه، لتسوقه المقادير، ولطائف الرحمن إلى أن التقى بالشيخ الحفناوي، يقول الشيخ عبد الرحمن باش تارزي، عن شيخه "... في علم الباطن، لم يأخذ إلا عن الحفناوي؛ وهو الذي ألبسه الخرقة فيه فقط".² لذا فالشيخ الحفناوي هو شيخه الوحيد في الطريق.

- الشيخ محمد بن سالم الحفني: محمد بن سالم، الحفني شمس الدين، فقيه شافعي خلوتي محدث، نحوي بياني ورياضي. ولد بحفنا، وإليها ينسب، ولد سنة 1101هـ، وتوفي سنة 1181هـ، هو أحد شيوخ الأزهر الشريف، كما تولى التدريس فيه.³ تتلمذ على كبار الشيوخ، وحفظ عنهم المتون، وأخذ الإجازات والعلم عن علماء عصره، واجتهد، ولازم دروسهم حتى تمهر، وقرأ، ودرس، وأفاد في ضياء أشياخه وأجازوه بالإفتاء، والتدريس. فقرأ الكتب الدقيقة، وجمع الجوامع، والمنهج، ومختصر السعدوني وابن مالك، والسلم والجوهري، وغيرها من كتب الفقه، والمنطق، الأصول، والحديث، والكلام، وعمره 22 سنة.

لقد كان الشيخ الحفني، على قدر عظيم من العلم، ومكارم الأخلاق، التي بلغ بها منازل العارفين، فشاع ذكره في أقطار الأرض، وأقبل عليه الوافدون، طويلاً، وعرضاً؛ ومن بين الذين أسندوا ركبتهم لركبته الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية؛ فقد كان شيخه في الطريق، وعلم الباطن، وقد جاء في إجازته له ما يأتي: "قد أجزت الحسب النسب سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي، بأوراد وطريقتنا، طريق السادات، الخلوتية، وأن يجيزها من طلبها منه، وكتبه محمد بن سالم الحفناوي، الشافعي غفر الله، له ولوالديه، وللمسلمين في غرة صفر الخير من شهر سنة 1168هـ".⁴

¹ - الكتاني، فهرس الفهارس، تحقيق حسان عباس، دط، ج2، ص571، 570.

² - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية أصول وآثار، ص333.

³ - البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص337. / الزركلي، الأعلام، ج6، ص135. / عمر رضا الدمشقي، معجم المؤلفين، ج10، ص16.

⁴ - الحفناوي، المصدر السابق، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ص470.

تُوِّجَت رحلته العلمية الحافلة بالمحطات والرّحال؛ التي انطلقت بدايتها من جبال زاوارة من حلقة ذكر الشيخ: الحسين بن اعراب الزواوي، لتنتهي به الرحلة في مجالس الشيخ الحفناوي، حيث أسند ركبته لركبته، وزاحم كبار العلماء في حلقاته؛ فأجازته بالسند في الطريقة الخلوتية، وألبسه الخرقة، وأذن له بالعودة إلى وطنه، ونشر العلم، وإعطاء تعاليم الطريق والأمر بالخلوة.

نعم توجت رحلته بالجمع بين علم الظاهر، والباطن بين مختلف العلوم، والفنون فقد تشربت نفسه، وروحه الطاهرة من علوم العلماء الجزائريين، والمشاركة، وتدرج في مسالك الطريق، والعبادة حتى وصل لأعلى المقامات الروحية المعرفية، وفاضت روحه على العلماء فكان بمثابة القمر بين النجوم في الفضل، والعلم.

- وفاته: بعد أن أكمل مشروعه الدّعوي خارج الجزائر؛ والذي دام أكثر من ربع قرن، وداخلها، لمدة تفوق لعشرين عام، ونشر طريقته الرحمانية، وذاع صيته في الأرجاء، فاضت روح محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وصعدت لمجاورة خالقها سنة 1208هـ: (1783م/1794م)، بقريته المباركة، بعلمه ونفحاته قرية "آيت إسماعيل"¹، ويبقى ما يميز وفاته رحمه الله؛ هي حادثة نقل جثمانه الطاهرة، من جرجرة إلى الحامة، بنوع من التبجيل، والقداسة؛ فما روي عن الحادثة ما جاء به عبد الرحمن الجيلالي في كتابه: "...وفي ذاته ليلة ذهب نفر - أربعة من أجباء الشيخ ومريديه إلى قبره خفية، وحملوه معهم إلى العاصمة فدفنوه حيث ضريحه المشهور به الآن بضاحية الحامة. ومن بين الذين عملوا على نقله سيدي محمد الكبير في وقته، وإلحاج موسى بن شائب الذراع البوز قزاوي"² بالمقابل نجد الأستاذ حمدان خوجة يرى عكس ذلك في المرأة، حيث يؤكد أن الأزهري، دفن بالحامة أولاً حيث ضريحه المعروف، ثم وقع نقله ليلاً من قبل جماعة من مريديه وأهله إلى جبل جرجرة.³ وبعد هذه الحادثة سمي ببوقبرين، الأول في جرجرة، والثاني في الجزائر.

إلا أنّ الحادثة لا تحتكم للعقل، ولا يمكن تصديقها عقلاً، فكيف لميت أن يتواجد في مكانين مختلفين في آن واحد، إنّ التسليم بهذا القول هو من باب التناسخ بالأرواح، وتنقلها، فقداسته في نفوس المريدين

¹ - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص51.

² - الجيلالي، المرجع نفسه، ج4، ص51.

³ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص58.

جعلتهم يؤمنون بكل ما يقال حوله؛ من باب التكريم، والتبجيل له، ركوناً منهم للكرامة، وهذا من باب إهمال العقل وتدجين الفكر.

نتيجة: يجدر بنا التنويه على أن الإنسان ابن بيئته، يعيش في إطار عملية تأثر، وتأثير؛ فهو اجتماعي بطبعه، وبهذا فإن محمد بن عبد الرحمن الأزهري ولد في ظروف سياسية واجتماعية، وثقافية... كانت بمثابة الأرض الخصبة لميلاد طريقته، وتعاليمها التي جاء بها، وعرفت فيما بعد بالرحمانية نسبة له.

فميلاده (1126هـ/1715م) وسط أسرة علمية، متديّنة، وتدرجه في مجالس العلم والذكر عند كبار العلماء، لينتهي به المطاف عند شيخه الروحي الشيخ الحفناوي؛ الذي أخذ عنه الطريق والعهد، وألبسه الخرقة، وأمره بالدعوة في الأوطان، وبعد آدائه فريضة الحج ومهمته في الدعوة، أمره بالعودة للوطن، لتعليم الخلق.

توفي رحمه الله سنة (1133هـ/1720م) مخلفاً، ورائه إرثاً علمياً روحياً، وزاد معرفي هائل، تمثل في العديد من المؤلفات، والمئات من الطلبة، هذا ما جعله عالم رباني تجيّد به القرائح والألسن بعلمه ورسوخه في العبادة.

المبحث الثالث: آثار الشيخ الأزهري وأقوال العلماء فيه.

حين نتبع حياة العلماء وأولياء الله الصالحين، نجد أن كل أنفاسهم، وخطواتهم هي أثر إيجابي ينير لنا طريق الحياة، فمجالسهم، ومؤلفاتهم، وطلبتهم كلها آثار يقتدى بها؛ فهي بمثابة ركائز، ومنارات روحية يهتدى بها؛ حين يفتقد البدر ليلة الظلماء.

المطلب الأول: مؤلفاته.

لقد تعددت، مؤلفات محمد بن عبد الرحمن الأزهري، بين مختلف العلوم، والفنون خاصة الدينية سواء كانت في الفقه، أو علم التصوف؛ فقد ورد في رسالة النفحات الربانية في مناقب الرجال الخلوتية ذكر لأهم مؤلفات الأزهري، وأشهرها منها: ما تعلق بالطريق وأدابه، والتعريف بأصولها وأركانها والشرح لقوانينها، وقواعدها، تتخللها أدعية، ونصائح عامة، وفوائد، ورفائق صوفية¹. وقد أشار الحفناوي لذلك من خلال قوله: "...وللأزهري رسائل كثيرة في تعليم الخلق، وإرشادهم إلى طريق الخير، اعتنى بجمعها أكابر رجال طريقته، ولو طبعت لكانت مجلداً كبير الحجم كثير العلم"². وعليه يمكن القول أن جُلَّ كتاباته مرتبطة بالتصوف دون غيره من العلوم، والفنون.

أولاً: آثاره في الفقه.

- شرح لامية الرِّقَّاق: هي لامية شهيرة للشيخ علي بن قاسم بن محمد التحسِّي الفاسي الرِّقَّاق (ت 912هـ-1506م)³ في أحكام القضاء. قال عنه: أنه ألفه بإذن شيخه الحفناوي فيكون بذلك من أوائل ما كتب، توجد نسخة منه بمكتبة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي الحسني؛ يحتوي على أربعون ورقة نسخ 1305هـ، كما شرحه أيضا الشيخ محمد التاودي بن سورة المغربي (ت 1209هـ-1795م)⁴.

ثانياً: آثاره في التصوف.

لقد كثر تأليفه في الرسائل الخاصة، والمكتوبات؛ التي كان يرسلها إلى أتباعه، وتلاميذه من أجل تعليمهم مبادئ الطريق، وأصولها وأركانها، والسلوك، وقوانين الذكر، والخلوة، والرفائق الصوفية.

¹ - الأزهري، المصدر السابق، قوت قولي علي الريفاوي، ص9.

² - الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص460.

³ - الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص320.

⁴ - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، ص335.

❖ رسالة فتح الباب وختم الكتاب: ألفها في آداب الخلوة، وشروطها، وكيفية دخولها ونتائجها وآثارها الذوقية، والخلقية، والعرفانية.

❖ طي الأنفاس والأسماء السبع: (طيّ النفوس، من تكلم لها، جال بحر ملكوت القدوس).

❖ دفتر الدفاتر: هي عبارة عن مجموعة الرسائل التي كان يبعثها إلى أتباعه، ومريديه في كفيات الذكر، والخلوة، ونتائجها، ومراحل السلوك، وآداب الطريق، تزيد عن واحد وسبعين (71 صفحة).¹ توجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة طولقة ببسكرة.²

❖ شرح علي الريفاوي: وهو شرح لكتاب عنوانه: "قوت قولي"، مؤلفه هو: الشيخ علي الريفاوي الأزهرى.

❖ كتاب زلزلة النفوس: وكان لا يفارقه لعزته عليه حسب الشيخ بن عزوز.³

❖ رسالة خلوة السرداب: وهي عبارة عن مرآة التي رآها في دارفور بالسودان.

ولشيخ الأزهرى رسائل حول دوام طبقات الأولياء، وأصنافهم ورسائل أخرى كتبها لمريديه عبر الوطن مثل: الجزائر، البلدة، قسنطينة، تونس ... كلها كانت في التربية الروحية، ومدارج السلوك.⁴

المطلب الثاني: أعلام الطريقة الرحمانية (تلاميذ الشيخ الأزهرى).

بعد عودة محمد بن عبد الرحمن الجرجري الأزهرى لأرض الوطن - الجزائر - وتولي التوجيه والإرشاد، والتربية، واعتمد على الدعوة، ونشر تعاليم طريقته وسط أبناء الجزائر، وطلبتة الذين جاءوه من كل حدب وصوب، وتذكر المراجع، والمصادر التي ترجمت له أن تلاميذه لا يحصون عدداً وأنه تخرج على يديه الكثير من الشيوخ السالكين؛ والذين تولوا بدورهم التربية، ونشر تعاليم طريقته فيما بعد، وقد جاء في كتاب الحفناوي ما يؤكد هذا من خلال قوله: "... ولم يترك ولداً من صلبه إنما أولاده مشايخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوتية، وكلهم أباً عن جد أقطاب كبار أكرمهم الله بما يدل على علو

¹ - الأزهرى، قوت قولي، المصدر السابق، ص9.

² - محمد فؤاد القاسمي، فهرست المخطوطات المكتبية القاسمية، ط2000، دار الخليل القاسمي، ص191، 192.

³ - عبد المنعم الحسيني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية أصول وآثار، ص337. / عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص73.

⁴ - عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص73.

مراتبهم".¹ وينقل لنا الأستاذ عبد المنعم الحسني، عما جاء به الأزهرى في دفاتره، أن تلاميذه بلغوا عدد 580 تلميذ، عشرهم بلغ درجة التربية، والذوق قائلاً: "عشر تلاميذي كلهم مربيون ذائقون ثابتون، وهم ثمانية وخمسون، وبقيت تسعة أعشار".² كما يضيف قائلاً حول مناطق تواجد انتشار تلاميذه بقوله: "كل بني موسى أكثر فتحاً، ومجاهدة، وأهل الجزائر أكثر من بني موسى وكل الحضريين من كل بلاد أكثر فتحاً، وذوقاً من بدويها"³، وهي نفسها المناطق، التي إنتشرت فيها الطريقة الرحمانية وشهدت عدد كبير من المريدين، ورغم كثرة تلاميذه الذين يمثلون أعلام الطريقة، إلا أننا اعتمدنا على ما ورد في المصادر، والمراجع حول ما ذكر؛ فلم نخصهم جميعاً بل اكتفينا بذكر البعض فقط.

بل سنكتفي بالترجمة لأشهر تلاميذه، أو من يزال ذكره لليوم، الناس هذا موجوداً بين مؤلفاته أو بشهرة زاويته، أو وقع بين أيدينا دوره في نشر الطريقة، وإلا فإن عدد الأعلام كثر، عسير الإحصاء كما أنه حفاظاً على حجم البحث، وعلى أن لا يخرج على نطاقه ويصبح تاريخي بحث، نلتزم بذكر أمثلة فقط. نعتمد في ترجمتهم الترتيب الأبجدي:

- 1- أحمد بن عياض.
- 2- البشير الويسي.
- 3- حمودة المقايسي.
- 4- السعيد بن أبي داود.
- 5- الصالح العيساوي الرحموني.
- 6- عبد الرحمن بن أحمد باش تارزي.
- 7- علي بن عيسى المغربي.

وقد تم اختيارنا لهؤلاء، لأنهم وردوا في رسائله المخطوطة النادرة حتى يقول فيها: "...أقرب فتحاً سيدي أحمد بن عياض، من الصادقين الأكابر من تلاميذي، وسيدي محمد بن أبي القاسم

¹ - الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص460.

² - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية أصول وآثار، ص349.

³ - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص349.

التاجدوي، وهو أعجب من الأول، الذي هو سيدي أحمد بن عياض، ولا يصله لملازمته، الصدق والقوانين، وسيدي محمد المنور...¹.

1- أحمد بن عياض: يعد من أقدم تلاميذه بالجزائر، كان أكبر سنًا عن شيخه الأزهري، ومكانة عند قومه، إلا أنه أثر اتباع محمد بن عبد الرحمن، وكان ذلك بأمر من شيخه الحفناوي.

2- الشيخ البشير الويسي: هو الولي الصالح البشير بن عبد الله، بن عبد الرحمن السعدي، الويسي الزواوي.²

3- حمودة المقياسي: هو الولي حمودة بن محمد المقياسي نسبة إلى حرفة صناعة "المقياس" وهي الأساور³ لأنه كان يشتغل بها. ولد بمدينة الجزائر، وأخذ العلم بها ثم توجه إلى المشرق، ومن أجازته من الجزائريين الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري منشئ الطريقة الرحمانية.⁴

4- الشيخ السعيد بن أبي داود: (1176-1246هـ/1762-1830م) هو الشيخ سليمان، بن أبي داود بن موسى، بن عبد الله، ولد حوالي 1176هـ، بزواوية أجداده "أقلميم" نشأ يتيماً فقيراً، أخذ الفقه على الشيخ الحسن بن اعراب، تولاه الشيخ الأزهري، وعلمه تعاليم الرحمانية. ومن جهة أخرى عرف ببروزه في الفقه، عُرف بقرض الشعر وله مدائح نبوية باللغة البربرية.⁵

زاول التعليم بزواوية آيت إسماعيل ما يقارب خمسين عاماً (50 سنة)، تخرج على يديه العديد من الطلبة؛ حوالي 600 طالب، وبهذا فقد ترك بصمة بارزة في زواوية أجداده حتى عرفت فيما بعد باسمه: "زواوية السعيد بن داود"، حيث ظل محافظاً على طريقة شيخه الحسن بن اعراب في تدريس الفقه.⁶

5- الشيخ العيساوي الرحموني: (1152هـ-1242هـ) (1739م-1826م) هو محمد الصالح، بن سليمان بن محمد، بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني، نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العيش في بلد أمشدالة، يعد أول مدرس بزواوية آيت إسماعيل؛ بعد أن قرأ وأجيز في الزيتونة بتونس، نفع الخلق

¹ - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية أصول وآثار، ص 350 نقلاً عن دفاتر الأزهري مخطوط بزواوية الهامل ص 11.

² - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص 355، 354، 353.

³ - عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، تاريخ الجزائر العام، ج 4، ص 94.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 2، ص 37.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 3، ص 193.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3، ص 193.

بالعلوم، إلى أن توفي سنة 1248هـ، عن عمر 90 سنة. ودفن داخل الروضة الرحمانية، قرب محمد بن عبد الرحمن.¹

يعد الشيخ الصالح العيساوي الرحموني من أبرز العلماء؛ الذين ساهموا في إعطاء زاوية محمد بن عبد الرحمن الأزهري القيمة العلمية، والروحية؛ سواء بتأليفه، أو طلبته الذين خلفهم وكانوا منارات علمية.

6- الشيخ عبد الرحمن أحمد باش تارزي: (1222هـ/1807م)، الحاج عبد الرحمن، بن أحمد بن حمودة، بن مامش باش تارزي الجزائري،² أخذ العلم عن كبار علماء بلده بقسنطينة، وسافر لتونس ليجلس لحلقات العلم؛ بجامع الزيتونة، حتى تمكن من العلوم الشرعية، والأدبية، قرر السفر لأخذ التربية الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري إمام الطريقة الرحمانية الخلوتية.

وذلك كان بعد لقاءه مع الشيخ الحفناوي، حين عودته من الحج، والذي طلب منه أخذ العهد وسند الطريقة الخلوتية، فأرسله إلى تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بالجزائري³ يقول عن نفسه: "... ولما وقع بي ما وقع، وكرهت الأهل، والمال، والأولاد وجميع الأغيار، وهمت بالسياحة إلى القفار؛ قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن أنك قد بلغت مقام الهيمنان* . ولا بد لك من الخلوة زمان فأدخلني خلوة بالجليل أياماً".⁴

للشيخ مؤلفات عدة منها: "عمدة المرید في بيان الطريقة" و"غنية المرید في شرح كلمة التوحيد" لقد ساهم الشيخ رحمه الله، بنشر الطريقة الرحمانية، عن طريق عدة وسائل أهمها:

¹ - الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص531.

² - المصدر نفسه، ج2، ص205.

³ - مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، تح عبد المنعم الحسني، دار الخليل القاسمي، ط1، 2016، ص39.

* الهيمنان، هو الذهاب في أودية النية يشغل عن تذكر ما يلتفت إليه وحقيقته انطلاق النفس في سحيتها عند التخلص من قيود التلفت وفكك العقل من تصور الاوهام المكتسبة وغاية طرد يأخذ النفس بلذة عن الاستئناس بكل مألوف، فإذا فاق بتوفيق محبوبه من هذا الهيمنان تمكن من الشهود واستقامته واستقراره. أنظر، محمد الوفا بحر الصفا، المقامات السنّية لسادة الصوفية، تع محمد إبراهيم محمد سالم، دط، ص19.

⁴ - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، الطريق الرحمانية أصول وآثار، ص462.

1- مؤلفاته: لقد خلف الشيخ العديد من المؤلفات والأشعار¹.

2- نشر الطريقة عن طريق الأتباع والمريدين.

3- زاويته: حيث كانت تستقطب التلاميذ من كل حذب وصبوب.

ولعل الشيء الذي يحسب عليه هو: أنه أول واحد أرسى دعائم الطريقة الرحمانية وضبط قواعدها في المنظومة؛ التي تعتبر بمثابة الدستور، أو القانون الأساسي: "المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوئية"، فلا يمكن أن يستغني عنها المريد، فقد نظم أركان الطريق، وقواعده وشروطه، وأدب الطريق؛ بأسلوب سهل يقرب للأذهان المعنى في نظم شعري بسيط جداً، والتي لاقت قبولا ورواجاً بين الأتباع، والمريدين وحتى الباحثين لليوم.

كما عرف بدفاعه الشديد والشرس عن شيخه، وعن الطريقة الرحمانية، وحاول تقريب بين علماء الظاهر، والباطن، خاصة أنه تميز بقوة الأسلوب، ووضوح الفكرة، وقوة الحجّة، كما مكّنه علمه بالفقه، والإحاطة به من ذلك.

لقد أعطى للطريقة الرحمانية مكانة مرموقة، ويُعدّ المجدد، أو المؤسس الثاني لها في الشرق، وذلك للدفع الذي دفعه بها في الانتشار، وتأسيس قواعدها من خلال مؤلفاته.

7- الشيخ الحاج علي بن عيسى المغربي: (1252هـ/1836م) يعد الحاج علي بن عيسى المغربي خليفة محمد عبد الرحمن الأزهري في حياته؛ على رأس الطريقة الرحمانية، بزواية بآيت إسماعيل، حسب المصادر التي وقعت بين أيدينا كلها، تتحدث عن أصله، أنه من المغرب الأقصى، وأنه من طلبة الشيخ بزوايته بالحامة، وقد قام بشؤون الطلبة المريدين في حياة الشيخ؛ فهو من المقربين له.

عرفت الطريقة الرحمانية انتشارا واسعا في حياته، وقد طال عهده بالزاوية؛ حيث بقيت موحدة في حياته، أخذ عنه السلوك العديد من الطلبة أمثال الشيخ محمد أمزيان بن الحداد؛ والذي لازمه لسنوات².

نكتفي بهذا القدر، من ذكر طلبة محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ومريديه، وإنه لا يسعنا المجلدات في ذكر، وتعداد مريديه، وطلبته الذين فاق عددهم 800 طالبا، والتزموا بنشر تعاليمه

¹ - عبد الرحمن باشا تارزي، شهد الكلام من قصائد الولي الإمام عبد الرحمن باش تارزي، جمع الزاوية الرحمانية عائلة باش تارزي الشيخ الحاج محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي جزاه الله خيرا، ط1، 2002، الكتاب مطبوع وهو هدية الشيخ الحاج الشريف لي حين زيارته لمقر الزاوية 2017/03/10.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج4، ص140.

وطريقته، في كل الأنحاء سواء في المدينة أو الريف، كما يمكننا أن نشير إلى أن طلبته، كانوا من كبار العلماء، والفقهاء، وهذا دليل واضح على صدق الرجل، وصدق تعاليمه، حيث التف حولها كبار وجهابذة العلماء منذ البدايات، وذلك لجمعها بين الحياة الروحية والعلمية، والعملية.

وبهذا فإن طلبته هؤلاء شكلوا اللبنة الأساسية، والقاعدة للطريقة الرحمانية، والحصن الحصين لها إذ نجد أن هذه الطبقة من التلاميذ هي من واصلت المسيرة بعده؛ من خلال نشر تعاليم الطريقة، والدفاع عنها هذا ما لمسناه واقعا في زواياهم التي أقاموها، والمؤلفات التي جادت بها قريحتهم، تبيانا، ودفاعاً عن أصول الطريق، وأنها نابعة من القرآن، والسنة ولا تخالفهم، فكانوا همزة وصل، وربط بين الزاوية الأم "بآيت إسماعيل" وباقي الزوايا؛ جنوب، شرق، غرب، شمال، فبفضل جهودهم المتواصلة، والمتكاثفة سمحوا بنشر الطريقة على نطاق واسع، عبر كامل التراب الوطني؛ وحتى لدول المجاورة، محافظة على تعاليمها.

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه.

نظرا للمكانة التي حظي بها محمد بن عبد الرحمن الأزهري وبلغها؛ أضحى بذلك محل تقدير وإجلال الكثير من العلماء، والمؤرخين، والأدباء، لما توفر له من العلم، والتزكية، ومن بين هؤلاء الذين جادوا به وبعلمه؛ فضيلة الشيخ محفوظ الشريف الحسيني الدلسي* في قصيدة من سبع وثلاثين بيت (37 بيت). يقول في مطلعها:

ثق بالمجيد الواحد المتعالي*** رب الورى ذي الطول الإجلال.

أحيا عروس الدين حتى أينعت*** بالذكر في الأبيكار والأوصال¹

ولقد احتوت القصيدة على ذكر خصاله وعلومه ورفع قدمه بين قومه وعلوها.

كما أن الشعر الشعبي، وباللسان الأمازيغي كان له الحظ في مدح الشيخ وذكر خصاله.

سيدي محمد بوقبرين*** ألولي بيضان فسّين

* محفوظ الشريف الحسيني الدلسي، ولد بتونس، درس بجامع الزيتونة الأعظم عشرون سنة له عدة رسائل منها رسالة في الحساب وأخرى بالتصوف ورسالة في أحوال الفعل المضارع وأغلبها في مدح سيدنا محمد ص p، له تفان في حب الطريقة الرحمانية ورجائها، أخذ عهد الطريقة على يد الشيخ علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف بعمالة تونس، ومن مشايخه المالكي، المكي بن عزوز... إلخ، (الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ج2، ص319،320).

¹ - الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص317،318.

يوان أثنان ذي الحامة***¹ وايغن ذاق ذوراز بحصين¹

إضافة إلى هذا كله، فقد أشار إليه الأمير عبد القادر في مذكراته، عندما تحدث عن سلسلة المشايخ؛ الذين أخذ العلوم المختلف عنهم؛ وكان الذكر ذكر تكريم، وتشريف له، كونه أخذ عن هؤلاء الأفاضل؛ إذ يقول في مذكراته: "... فقد أخذ جملة العلوم التي حصلها، أو جلّها عن جملة الفاسيين كالعلامة أبي حفص عمر الغالي، والمسناوي، وأبي علي الحسن بن رحال، وهم عن علامة وقته مالك زمام العلوم العقلية و النقلية، أبي علي الحسن بن مسعود البوسي، المعلوم سند اتصاله بشيخه الإمام بن ناصر، والمذكور قبل ولده، وهو السيد أحمد بن محمد، شاركه في الأخذ عن والده المذكور، له طريقان وانفراد هو بالأخذ عن العالم الأعراف النحوي، اللغوي السيد العربي بن قيزان، وهذا أخذ من الشيخ السالك المسلك في طريق القوم الجامع الشيخ محمد بن عبد الرحمن صاحب جرجرة وهو أخذ عن الحفني..."². وذكره هذه السلسلة من مشايخه انتسابه للأزهري هو افتخاراً، واعتزازاً، كونه شيخه في العلم والطريق.

نتيجة: بعد عودة محمد بن عبد الرحمن الأزهري، والعمل بنصيحة شيخه الحفناوي بالدعوة والتعليم في الجزائر، ترك بصمات روحية فيها؛ حيث عمل على نشر تعاليم الطريقة الخلواتية؛ التي سميت باسمه فيما بعد الرحمانية- فألف الكثير من المؤلفات خاصة في مجال التصوف، لتقريب الفهوم لطلبته، ناهيك عن العدد الهائل من الطلبة؛ الذين حضرو مجالسه العلمية، وأجازهم؛ وحملوا لواء نشر الطريقة الرحمانية؛ في ربوع الوطن، وإعطاء العهد والتلقين.

المبحث الرابع: الطريقة الرحمانية جذورها ومقاصدها

المطلب الأول: الطريقة الرحمانية مفهومها، مراتبها، هيكلتها، وإحصاء حولها.

¹ - زين الدين قاسمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل في عهد العثماني بداية الاحتلال الفرنسي، دار الأمل، الجزائر، ط1، سنة 2009م، ص142.

² - الأمير عبد القادر، مذكرات، تح محمد الصغير بناني، محفوظ السماتي وأخرون، شركة دار الأمة، ط2، 1995م، ص51.

- مفهومها: تعد الطريقة هي المنهج، أو السيرة، أو المذهب المتبع؛ وهي عند الصوفية "عبارة عن مراسم الحق تعالى. وأحكامه التكليفية المشروعة؛ التي لا رخصة فيها".¹ قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة 06].

يرى العز بن عبد السلام أنّ الصراط هو: الطريق؛ والطريق هو الموصل إلى المقاصد، والخيرات فذكر الصراط يشعرنا لما يدل عليه من حصول المقاصد، والخيرات.²

وتطلق الطريقة: "على مجموعة أفراد من الصوفية، ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويجوبون حياة جماعية في الزوايا، والرباطات، يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس الذكر، والعلم بالانتظام، وقد اختلفت أسماء الطرق باختلاف أسماء مؤسسيها".³

والطريقة الرحمانية إحدى هذه الطرق الصوفية، نسبة إلى محمد بن عبد الرحمن الأزهري، من قبيلة آيت إسماعيل بجرجرة، تعلم بالأزهر بمصر، وأخذ الطريقة الخلوتية، عن الشيخ محمد بن سالم الحفني، ونشرها في المغرب العربي، فنسبت إليه، توفي سنة 1208هـ/1794م. وتسمى في صحراء الجزائر، والجريد التونسي؛ بـ"العزوية"، نسبة إلى الشيخ محمد بن أحمد، بن يوسف بن عزوز البرجي، المتوفي سنة 1233هـ/1818م،⁴ وتسمى في مصر؛ بالبكرية نسبة إلى أبي المواهب؛ قطب الدين مصطفى، بن كمال الدين البكري الصديقي، المتوفي سنة 1162هـ/1749م.⁵ وهو شيخ شمس الدين محمد بن سالم بن أحمد الحفني (الحفناوي)، المتوفي سنة 1181هـ/1767م، الذي كان الأزهري، وتنسب إليه في بعض المناطق، ويدعوها بـ "الحفنية".⁶

¹ - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحض، مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1983، ص141.

² - لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الفوائد في مشكل القرآن، دار الشروق جدة لنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1967، ص55،56.

³ - محمد أحمد درنيقة، التصوف الإسلامي، الطريقة النقشبندية وأعلامها (دكتوراه دولة في الفلسفة)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ص6.

⁴ - جمال بن سليمان قنفود، سلسلة مشايخ ومقاديم الخلوتية الرحمانية وأعلامها، دط، ص10.

⁵ - محي الدين العطي، طبقات الخلوتية الكبرى، تق محمد زكي إبراهيم، مكتبة الجندي، القاهرة، ص101،102.

⁶ - محمد فؤاد بن الخليل القاسمي الحسيني، ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية من الكتاب والسنة، تق محمد مأمون مصطفى القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي، ص9.

وهي طلب الترقى، إلى التحلي، بأوصاف الكمال، والتخلص من قبيح الأفعال؛ في قولهم: "الطريقة أن يسعى الإنسان، في تخليص نفسه، من رق الهوى، وتزكيتها بالتخلية، عن أوصافها الذميمة والتخليه بأوصافها الحميدة.

تقوم الطريقة الرحمانية، كما صرح مصطفى القاسمي على الدعوة إلى اعتناق مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتدعوا مرديها، إلى العمل على نشر الخير، الفضيلة، والتدريس العلوم الشرعية وتربية الأبناء على الأخلاق الحميدة، والمحافظة على التقاليد، والعادات الآباء، والأجداد، وغرس الإيمان في قلوب الناس، وتعليم الناس أمور دينهم وواجباتهم تجاه الله، والرّسول ρ ، والناس أجمعين.¹

فمن خلال تتبع مصادرها الأولى نجدها تدعو إلى الصفاء، والنقاء، والعودة لمنابع الإسلام الأولى، وبهذا تكون قد جمعت بين التربية الروحية؛ القائمة على قواعد الشرعية الصحيحة، بالكتاب والسنة، والترعة الجهادية؛ والتي تمثلت في المقاومة للاحتلال الفرنسي والمساهمة في بناء المجتمع الجزائري. وبهذا تعتبر الطريقة الرحمانية، أحد المعالم الرئيسية البارزة، وظاهرة دينية، روحية اجتماعية، وسياسية، هامة في تاريخ الجزائر الحديث، والمعاصر، فهي أحد الأجداد، والنفائس؛ التي تحرص الأمة الجزائرية، على الاحتفاظ بها، والحرص عنها، وعدم الاستهانة بها، بل ترى سلامتها، وعافيتها في صونها وتنميتها. وعلتها وسقمها، في إتلافها، وتبديدها؛ لأنها بمثابة المعلم، أو المؤشرات الشاخصة لمسيرتها، ومنهجها ومستواها،² ليقوم بعدها طلبته بنشرها على مختلف ربوع الوطن.

تهدف الطريقة الرحمانية: إلى الجمع بين المنهجين، المعروفين في الفكر الإسلامي هما:

1- منهج العلماء الذين يرون ضرورة التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية.

2- منهج الصوفية الذين يرون ضرورة التمسك بالتجربة الذوقية.³

وبهذا تكون الطريقة الرحمانية مدرسة متميزة، في غرس القيم الإسلامية؛ القائمة على الكتاب والسنة، بلا إفراط، ولا تفريط، ولا استخفاف، ولا تعسف، أو شطط.⁴

¹ - مصطفى القاسمي، محاضرة عن طريقة الرحمانية ألقيت بمناسبة الإحتفال بذكرى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري زاوية الحامة، الجزائر العاصمة 1937م (مخطوطة بالمكتبة القاسمية).

² - لقاء مع الشيخ محمد المأمون القاسمي، في سنة 2018 على هامش ملتقى أعلام المسيلة في متحف بوسعادة.

³ - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، ص340.

⁴ - عبد الرحمن مصطفى، كلمة تنسيقية زوايا ولاية تيزي وزوا، في 10 مارس 2015، ص2.

فهي تعتبر أوسع الطرق الصوفية، إنتشاراً في الجزائر خلال القرن 19م، فإذا رجعنا إلى الإحصائيات، حول عدد الأتباع، والمريدين، نجده قد بلغ سنة 1851 حوالي 225299 مريداً، من بين 718691 خونياً، ينتمون إلى الطريق الصوفي، وهذا في مقاطعة الجزائر فقط. وهو ما يعادل نسبة 32%¹، كما أنّ إحصاء 1882م، يثبت من خلاله ديون كوبولاني؛ أنّ عدد الإخوان الرحمانيين، قد بلغ 96.161 من الرجال فقط، أمّا المقدمون فهم 754، وعدد الزوايا 220 زاوية².

وخلاصة القول فإنّ الطريقة الرحمانية؛ قد جمعت بين العلم، والتصوف، والجهد فعلى حدّ تعبير إدوارد دونوقو، في كتابه الإخوان "طريقة بن عبد الرحمن هي حقيقة الطريقة الصوفية الجزائرية خالصة"³.

هيكله الطريقة الرحمانية (تنظيم الطريقة الرحمانية):

لكل هيئة، أو مؤسسة هيكل، أو نظام خاص بها، يميّزها عن غيرها من المؤسسات، وضرورية احتوائها، على تنظيم معين، يساعدها على القيام بالدور المنوط بها، وتأديته على أكمل وجه، فإنّ للطريقة الرحمانية كذلك هيكل، ونظام خاص بها:

- الشيخ: وهو محور الطريقة، والمركز، يختاره المقدمون بالانتخاب، يؤدي دور المرشد العام، والقائد الروحي، قولاً، وفعلاً، وهو الذي يكن له المريدون الطاعة، والاحترام، فالشيخ⁴ بمثابة الأب الروحي للمريدين، فهو الملهم، والمرشد لهم، في طريقهم نحو الله.
- المقدم: وهو الشخص الذي يتم تعيينه من طرف الشيخ، وهو المكلف بأعمال الزاوية وإستقبال الضيوف وتوجيههم، وهو الذي ينوب عن الشيخ في بعض المهام، والوظائف لحظة غيابه.

¹ - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص340.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج4، ص178.

³ - دو نوقو إدوارد، الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، تر و تح كمال فيلاي، ط2003م، دار الهدى عين مليلة الجزائر، ص72.

⁴ - الشيخ الحداد، التقييد المحل لتعقيد في التصوف، تح وتع، عمار طالي، فريد زيداني، إبراهيم علي، البصائر لنشر والتوزيع، دط، ص37.

- المريد: أمّا بخصوص المريد فهو محور العملية التربوية في الطريقة، وهو الذي يقوم على أساس الطريقة فلولاها لما وجدت الطرق الصوفية، وهو الذي يسعى في الطريق إلى الله من خلال العلوّ في ركب الصالحين، والأولياء الزاهدين.

- الإخوان: وهم طبقة من المنتسبين لطريقة ما، والمحبيّن للصالحين، والشيوخ، والمتعاطفين معهم ونجدهم كثيرون لزيارات الزوايا، والشيخ، وخدمتهم له هو طلبته.¹

فلا يمكن أن نقول أن هناك طريقة معينة، إنَّ خلّت من إحدى العناصر السالفة الذكر، كما أنّها لا بد من توفر أذكار، وأوراد معينة، خاصة بأهل الطريقة، لتكون هناك رابطة روحية تربطهم فيما بينهم.²

إحصاء حول الطريقة الرحمانية: لقد إهتم العديد من الباحثين، بإحصاء أتباع الطريقة الرحمانية، واتفقوا على أنّها احتلت المرتبة الأولى وطنياً، من حيث عدد الأتباع، أو الزوايا، أو الشيوخ، والمقدمين، وتعتبر بذلك أوسع الطرق الصوفية، انتشاراً، وتوسعا في الجزائر في القرن 19م، هذا ما أورده أبو القاسم سعد الله، في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، نقلا عن مختلف الباحثين، والدارسين لطرق الصوفية من الغرب فحسب إحصاء لويس رين لسنة 1884م؛ بلغ عدد أتباع الرحمانية حوالي 96161 خونيا، في حين بلغ عدد أتباع كل الطرق الصوفية 169.000 خوني، وعدد زوايا الرحمانية بلغ 220 زاوية، من إجمالي 355 زاوية عبر الوطن، بالمقابل بلغ عدد الأتباع سنة 1897م حسب إحصاء دييون وكوبولاكي حوالي 160.000 من الإجمالي 295189 خوني، أي ما يقارب 50%.³

أما ما جاء في دائرة المعارف، حول إحصاء الطريقة الرحمانية في الجزائر؛ فهي أكثر الطرق اتباعاً، فهي تتفرع إلى فروع عدة، ويمتد نفوذها إلى كل أقطار الوطن، وزواياها الكبرى منفصلة، عن بعضها البعض، وهذه الزوايا هي: شاطودان بالقرب من سطيف، وتضم 40 ألف عضو، وقسنطينة وتضم حوالي 10 آلاف عضو، والهامل قرب بوسعادة وتضم حوالي 43 ألف عضو، وأقبوا تضم 09 آلاف عضو.⁴

¹ - عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، ص340.

² - لقاء مع الشيخ محمد المأمون القاسمي مشيخة الزوايا الرحمانية بزوايا الهامل 2019/01/02 على الساعة 11:10 بمقر الزاوية.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج4، ص291، 290.

⁴ - دائرة المعارف الإسلامية، مادة الجزائر، ج10، ص90.

وبخصوص ما أورده الجنرال أندري سنة 1955 حول إحصاء أتباع الرحمانية فقد اعتبر منطقة القبائل؛ هي مركز للرحمانية، والزوايا (المقدمين، فبجاية فقط تضم 28 زاوية، ولأتباع فاق الآلاف).¹ ورغم التفاوت في إحصاء الأتباع الرحمانية بين الباحثين، ومن منطقة لأخرى، إلا أنه يمكن التوافق؛ حول أن الطريقة الرحمانية في فترة ما، كانت تمثل غالبية السكان، خاصة منطقة القبائل الكبرى حسب خريطة الزوايا الرحمانية، نجد منطقة القبائل تحتل المرتبة الأولى، من حيث عدد الزوايا، والأتباع إضافة إلى منطقة الجنوب الشرقي، وقسنطينة.

المطلب الثاني: أخذ العهد في الطريقة الخلوئية الرحمانية.

مفهوم: هو حفظ الشيء، ومراعاته حالاً بعد حال²، وهو عند أهله: "أخذ السائر إلى الله العهد على نفسه، عن شيخه، للالتزام لطاعة الله، والتوبة، والتقرب إلى الله عز وجل، بأنواع القربات"³، وترك المرغوبات، والمألوفات، وبهذا يكون الدخول الفعلي، والعمل للطريقة.

فالهدف من العهد هو الانتقال بالمريد من حياة الغفلة، وارتباط بين الشيخ، والمريد، وتحكيم من المريد لشيخه، لمصالح دينه، ودنياه، يرشده، ويهديه، ويبصره بآفات النفوس، وفساد الأعمال، ومداخل العدو.⁴

كيفية العهد: هو أن يضع الشيخ يده اليمنى، في يد المريد اليمنى، بعد طهارة كل منهما، وليتهدأ، لقبول مايلقيه إليه، من شروط في الطريق، ويتوجه إلى الله تعالى، ويسأله القبول لهما، ويتوسل إليه في ذلك بمحمد ρ ، لأنه الواسطة بينه، وبين خلقه، وتكون يده اليمنى على يد المريد، بأن يضع راحته على راحته، ويقبض إبهامه بأصابعه، ويتعوذ، ويسمّل، ثم يقول: ((الحمد لله رب العالمين، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم، وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويقول المريد، بعده مثلما قال، ثم يقول اللهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك، وأنبيائك، ورسلك وأوليائك، أنني قد قبلته شيخنا، في الله، ومرشداً وداعياً إليه، ثم يقول الشيخ اللهم إني أشهدك، وأشهد

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص292، 291.

² - الجرجاني، المصدر السابق، ص159.

³ - مصطفى باش تارزي، المصدر السابق، ص465.

⁴ - محمد باز، موقع الأمان، 2017/11/8، 9:51، زمن الدخول: 2020/03/28، 12:57.

ثلاث مرات، وأنت مغمض عينيك ثلاثاً، وأنا أسمع منك، ثم سيتأذن الشيخ، ويطلب المدد،* من أهل السلسلة¹، والمدد لا يكون، إلا من الله.

فالمريد يبائع شيخه ويعاهده عند الدخول في الطريق على تحقيق التوبة، والتزام الترقب إلى الله تعالى، بالذكر الذي يلقيه له شيخه، فمن نكث فإنما نكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فسيؤتيه أجراً عظيماً بلا ريب.

ملاحظة: ما تم ذكره بخصوص تلقين الرجال، وأما تلقين النساء فعلى كيفية مبايعة النبي ﷺ، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "لم يصافح رسول الله ﷺ امرأة قط، وإنما كان يُبايعهن بالكلام"² وقد روي "أن النبي بايع النساء وعلى يده ثوب، وقيل أنه غمس يده في إناء في ماء، وأمرهم بغمس أيديهن فيه، فكانت هذه البيعة"³.

ومنه تكون صورة تلقين النساء الأجنبية؛ أن يضع الماء في إناء، ويضع يده اليمنى فيه، ثم يتعوذ، ويسلم، ويستغفر الله تعالى، ويذكر كلمة التوحيد ثلاثاً، ثم يرفع يده من ذلك الماء، ويقول لمن: لتضع كل واحدة منكن يدها في هذا الماء، وتتعوذ، وتبسم، وتستغفر الله تعالى، وإن تعددنا قلن تُبنا لله ولرسوله، اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي مرة ثم يغضضن أبصارهن ويقلن: لا إله إلا الله ثلاثاً، ثم يرفعن أيديهن من ذلك الماء، وإن كانت واحدة قالت: تبت لله ولرسوله، اللهم اغفر لي... إلخ. ثم بعد ذلك تأتي بالأدعية الماثورة كما ذكر الشيخ رحمه الله.⁴

آداب التلقين: بعد أخذ العهد، والتلقين لابد من آداب للتلقين؛ التي لا يجوز تركها أو إهمالها، ويقصد بالأدعية تلك المروية، والثابتة عن أرباب الطريق. وكيفية ذلك: "أن يرفع الشيخ والمريد أيديهما، على الهيئة المشروعة، في رفع اليدين للدعاء، ويقول الشيخ اللهم تب علينا، وأعتنا، واحفظنا، وافتح لنا باب

* المدد، "المدد لا يكون إلا لله وطالب المدد منم شيخ حي إنما يريد به طلب العلم أو الإرشاد أو الدعاء وإن طلب المدد من شيخ متوفي فهو يطلب من روجه التي يعتقد أنها تحيا برزخياً في مقام القرب من الحق" (محمد الأزهري: قوت قولي، تحقيق ماجدة، ص31).

¹ - محمد الأزهري، قوت قولي، تحقيق ماجدة القاسمي، ص31،30.

² - تخريج الحديث، حديث لم يصافح النبي عليه السلام قط، أخرجه البخاري بلفظ "والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام" كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشتركة، رقم 4983، ومسلم كتاب الإمارة باب كيفية مبايعة النساء، رقم 4941.

³ - مصطفى الباش تارزي، المنظومة الرحمانية، في بيان المنظومة الرحمانية، المصدر نفسه، دار كنوز الحكمة، ط1، 2004، ص77.

⁴ - مصطفى الباش تارزي، المصدر نفسه، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، ص77.

كل خير، كما فتحته لأبيائك، وأوليائك، اللهم اقبلنا، وتقبل منا، وانفعنا وانفع بنا، واهدنا، واهد بنا وارشدنا، وارشد بنا، وأصلحنا، وأصلح بنا، اللهم أرنا الحق حقا، وألهمنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم أقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، ولا تقطعنا عنك، ولا تشغلنا بغيرك، يا أرحم الراحمين". والمريد يؤمن، ويختم الدعاء بقوله: اللهم إنا نسألك توبة الصديقين، وإخلاص الموقنين...".

كما يرفع يديهما، ويقول الشيخ: "اللهم صل على روح سيدنا محمد، في الأرواح وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور، وعلى موقفه في المواقف، وعلى مشهده في المشاهد، وعلى ذكره إذا ذكر، صلاة منا على نبينا، اللهم أبلغه منا السلام كلما ذكر السلام، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم صل على سيدنا محمد ما لا نهاية لها، كما لا نهاية لك، ومدد كماله ثلاثا اللهم صل الله على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله ثلاثا، اللهم أجعلنا بالصلاة عليه من الفائزين وعلى حوضه من الواردين الشارين، ونسبته، وطاعته من العاملين، ولا تحل بيننا، وبينه يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

ويكون هذا الدعاء بعد الوصية.

الوصية: بعد العهد، والتلقين، يقدم الشيخ للمريد، جملة من الوصايا، والنصائح، وهي من الشروط العملية، في الطريقة الرحمانية، على المرید الالتزام بها، والعمل بمقتضاها، وذلك بعد أن يدعوا له، وقبل أن يقوم من بين يديه، وهذه الوصية تكون نتيجة العهد؛ الذي بينهما فيقول له: اسمع على هذه الوصية العجيبة، وصيتي إليك، واعمل بما كما ألزمت نفسك عهد الله، وميثاقه أن نتقي الله في سائر أحوالك وتخلص في جميع أعمالك، ولا تلتفت لنظر الخلق إليك، بل غب عنهم، بنظر الله إليك، واطلعه على سر، وعلى نيتك، وعليك باتباع الكتاب، والسنة، فإنهما الطريق الموصول إلى الله تعالى، واعمل متجرداً عن حظوظ نفسك في الدنيا، والآخرة، ولا تعمل لملاحظة الكرامات، ولا خوفاً من عقاب الله ولا خوفاً من عقابه، ولا طمعاً في ثوابه، بل تقصد رضى الله عنك، ومحبه إليك، والقيام بحقوق العبودية والثواب، وعليك بالإحسان للخلق، بالتوقير للكبير، والرحمة للصغير، وعليك بالزهد في الدنيا إلا ما ستر العورة، أو أوى الجثة، وسد الجوعة، فإن زدت على ذلك، فإياك والغرور، وعليك بالورع، في ما فيه شبهة، وعليك بكف الأذى، وإن أذيت، وعليك بالعبور فإنه رأس العبادة، وعليك بالرضا على الله في الله، في وكل شيء، ورد عليك فيه. وعليك بمجالسة من يدلك على الله؛ بقوله، وفعله، وعليك بفك

لسانك، عما لا يعينك، وعليك بالثقة بالله، على كل حال وفي كل حال، والتوكل عليه، والشكر له وعليك بذكر الموت، فإنه أساس الزهد، وإياك والمخاصمة، والمجادلة، وإن كنت محقاً، وحب الشهرة بالخير، والميل إلى المدح.

والترزم الأدب مع كل مخلوق، ولا تياس من رحمة الله، وفرجه، وإن ضاقت عليك الأمور، وتكون في الدنيا كأنك غريب، وعابر سبيل.

سلسلة السند: (سلسلة الطريق): وهو عبارة عن إثبات بين شيخه الصوفي، والمشرب الذي ينتمي إليه وميله، وذوقه، واتجاهه، وصارت بعد تكوين الطريق الصوفية شجرة تبين نسبة كل منها، وتحدد أسلاف صاحب الطريقة، والظاهر أنها متأخرة، لم تحظ باهتمام الصوفية إلا بعد ضعف الهمم، واحتاج الأمر إلى سند يجلب إهتمام المريدين، يوصل سلسلة مرشديهم بعدة وسائط إلى الرسول ρ أصحاب الحديث فقد كان السلف يأخذ السند وليس الخرقه فيها بينهم لحسن ظن بسلفهم على غير المحدثين¹، فصوفية اليوم يرون أن ذكر سلسلة السند يتجاوز الشكليات بل له علاقة بالهدف التربوي والغاية التهذيبية لما فيه من إثمار وإعمار للقلوب بإجماعها وتبركا وليقف عليها المرید الذي لم يرها.²

وسند السلسلة هو أن الله لقن جبريل عليه السلام، وهو لقن النبي عليه السلام وهو لقن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، وهو لقن ابنه الحسن والحسين والحسن البصري وكميل بن رايا والحسن البصري لقن حبيبا العجمي وهو لقن داوود الطائي، وهو لقن معروف بن فيروز الكرخي، وهو لقن السري السقطي، وهو لقن الجنيد، بن محمد سيد الطائفة البغدادية، وهو لقن مشاد الدينوري، وهو لقن محمد الدينوري، وهو لقن محمد البكري، وهو لقن القاضي، وهو بقن عمر البكري، وهو لقن أبي النجيب السموردي، وهو لقن قطب الدين الأبهري، وهو لقن ركن الدين محمد النجاشي، وهو لقن شهاب الدين الشيرازي، وهو لقن سيدي جمال الدين التبرزي، وهو لقن إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو لقن محمد الخلوئي، وهو لقن عمر الخلوئي، وهو لقن محمد أمبرام الخلوئي، وهو لقن الحاج عز الدين وهو لقن صدر الدين الجياني، وهو لقن سيدي يحيى الباكوي، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشيرواني ويقال له الأنجائي، وهو لقن حلبي سلطان القدس، أي الشهير بجما الخلوئي، وهو لقن خير الدين

¹ - الشعراني، الأنوار القدسية، المصدر السابق، ص35.

² - محمد بن عبد الرحمن الأزهري، قوت قولي، تحقيق ماجدة القاسمي، المرجع السابق، ص43.

التوقادي، وهو لقن الشيخ شعبان القسطموني، وهو لقن محي الدين القيطموني. وهو لقن سيدي عمر الفؤادي، وهو لقن وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي؛ المدفون بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي بديار الشام، وهو لقن وأرشد الشيخ علي أفاندي قار باشا، وهو لقن وأرشد الشيخ مصطفى أفندي الأدنوي وهو لقن وأرشد الشيخ عيد اللطيف الخلوئي الحلبي وهو لقن وأرشد شيخنا العلامة قطب الوجود السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي، وهو لقن وأرشد الشيخ الحفناوي نفع الله به، وهو لقن وأرشد محمد بن عبد الرحمن الأزهرى.

المطلب الثالث: أورد الطريقة الرحمانية.

مفهوم الورد:

الورد هو مجموعة من الأدعية، والأذكار التي يلتزم بها المرید خلال اليوم منذ طلوع الفجر وتنقسم الأوراد إلى:

الأوراد العامة: تمثل الأوراد العامة في الطريقة الرحمانية في:

أ- الالتزام الكامل بأحكام الشريعة ظاهراً وباطناً¹ وترويض النفسي على دوام الزيادة من النوافل الشرعية صلاة صوماً وتلاوة القرآن والأذكار النبوية المأثورة وكثيرة العبارات والأعمال والأخلاق المفضلة.

ب- الالتزام بالذكر كل يوم صباح ومساءً:

يقول الذكر الآية 19 من سورة محمد: چ □ □ □ □ چ، مرة واحدة ثم يذكر لا إله إلا الله 300 مرة على الأقل صباحاً ومساءً من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس.

- ومن عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة يأتي بالصلاة على النبي ρ مستفتحاً بقوله تعالى: چچ

چ چ چ چ چ چ چ چ چ الأحزاب/56 مروة واحدة، ثم يشرع في الرواية المأثورة؛

¹ - عبد الباقي مفتاح، نظرات حول الطريقة الرحمانية الخلوئية، ط1، 2016، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص290.

هـ- وقد نجد إختلاف بسيط في صيغة الورد إختلافاً يسيراً، حسب اختيار شيوخ الزوايا الرحمانية فبعضها يضاف قصيدة (بهجة الشائقين)؛ للشيخ مصطفى بن عزوز، وفي بعضها تضاف قصيدة الأسماء الحسنى؛ لشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، والبعض الآخر يضاف حزب الفلاح لشيخ عبد الحفيظ الحنفي، أو يضيف أحد أحزاب الشيخ مصطفى البكري، إلى غير ذلك من الإضافات؛ التي لا تغير صلب الورد الأساسي بل تبرز تنوع الطريقة الرحمانية، وراثتها الروحي، وكمثال ذلك نذكر الورد المعتمد في الزاوية الرحمانية بالهامل، يذكر بعد صلاة الفجر "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث" (40 مرة) ثم سبحان الله وبجملته سبحان الله العظيم أستغفر الله (100 مرة).

ثم الصلاة الكاملة وهي: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وآله صلاة أهل السماوات والأرض عليه وأجر يا رب لطفك الحنفي في أموري (3 مرات) ثم اللهم رب جبرئيل، وميكائيل وإسرافيل، وعزرائيل، ومحمد صلى الله عليه وسلم أجزني من النار (3 مرات). وبعد معقبات صلاة الفجر يذكر: لا إله إلا الله (300 مرة)؛ المئة الأولى بالمد، والثانية بالتوسط والثالثة بالقصر.

وبعد العصر كذلك: لا إله إلا الله ثلاث مئة مرة (300).¹

وبعد صلاة العصر، يوم الخميس تترك الهيللة، وينتقل إلى الصلاة على النبي ρ بصيغة اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (300 مرة).

وبعد صلاة الجمعة بهذه الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم 80 مرة، ثم المعقبات، ثم (لا إله إلا الله)، كما هي العادة.

وبعد معقبات، لك صلاة يصلي على النبي صل الله عليه وسلم (10 مرات) بالصيغة الآتية اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم.²

2- الأوراد الخاصة: وأمّا أذكار السلوك في التربية الرحمانية، فلا تكون إلا بإشراف، وتلقين الشيخ المري، المأذون إذنا كاملاً في تربية، وتكون في خلوات يقطع فيها المرید سبعة مراحل، عبر عروج النفسي منهم الأمانة، ثم اللوامة، ثم المطمئنة، ثم الراضية، ثم المرضية، ثم الملهمة، ثم الكاملة، وذلك بالتجرد لذكر

¹ - لقاء مع محمد مأمون مصطفى القاسمي الحسني: 2019/01/02 على الساعة 17:00. بمقر الزاوية الهامل.

² - يوسف عبد شيش، المرجع السابق، ص 151، 152.

الأسماء الحسني؛ تعلقاً، وتخلقاً، وتحققاً، نرى أن كل شيوخ الطريقة الرحمانية، وخاصة الذين اهتموا بالمنظومة الرحمانية قد يسروا، وفصلوا في هذا الباب ما يتعلق بها؛ من مشاهدة روحية، وأذواق عرفانية.¹ كانت هذه المختارات من أورد الطريقة الرحمانية لشيوخ زواياها وأبرزها مأخوذة عن الشيخ محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني شيخ زاوية الهامل؛ الشيخ سيدي بن محمد بن علي بن النعيم بن عطية؛ مؤسس زاويته المعمورة بالغشية قرب الجلفة؛ الذي أخذه عن شيخه سيدي عبد القادر طاهري، عن شيخه عطية بن غي القول، عن شيخه محمد بن أبي القاسم، عن شيخه المختار الجلاّلي عن شيخه علي بن عمر، عن شيخه بن عزوز البرجي عن شيخه باش تارزي، عن شيخه محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وبهذا يكون سند الورد من مؤسس الطريقة الرحمانية بسلسلة متواصلة.

المطلب الرابع: مصادر التمويل في الطريقة الرحمانية.

تتوزع أملاك الطريقة الرحمانية، حسب خريطة انتشار زواياها، وتتغير حسب كل زاوية، فكل واحدة لها مداخل، ومصادر تمويل خاصة، تعتمد عليها جلب الأموال، من أجل ضمان استقلاليتها في القرار، واستمراريتها، فالمال هو سيد القرار، فاستقلالية المال تعني استقلالية القرار، والتوجه، والمواقف والسيادة، وهذا ما عمل عليه شيوخ الطريقة الرحمانية على رأس كل نسق صوفي (زاوية). وكما هو معلوم منذ القدم؛ أنه من الصعب على الباحثين، إعطاء إحصائيات دقيقة ومفصلة حول مصادر التمويل للطريقة معينة، أو زاوية معينة، ورغم ذلك فاجتهاد الباحثون يختلف من واحد إلى آخر، ومع هذا التنوع، والإختلاف، والغموض، المحيط بمصادر المال في الطريقة الرحمانية، من حين لآخر إلا أننا نحمل تلك المصادر في نوعين أساسيين:

أ- مصادر تمويل ثابتة: تمثل في الملكية الخاصة لشيخ العائلة، يضمن بقائها، وتعاقبها بين الأجيال، وهي في غنى عن البحث عن مصادر مالية خارجية. ومن المصادر الثابتة كذلك؛ التي تعتمد على الطريقة في

¹ - ع الرحمن نعاس، مختصر الأذكار ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية، جمع وتح علي نعاس بن عبد الله، ط1، 2015، مطبعة رويحي، الأغواط، الجزائر، ص21.

جلب الأموال هي: الاعتماد على الأوقاف¹ والحبوس، حيث استفادت منه كل الزوايا الطريقة الرحمانية وبمختلف صيغة، وأنواعه، سواء كان الوقف الخيري، أو الذري.²

إضافة إلى الأراضي، وغابات النخيل، والزيتون، لا يسعنا أن ننسى بعض الدكاكين والمحلات التي يذهب ربحها إلى بعض الزوايا.³ أما بخصوص المصدر الثاني فهو:

الموارد غير الثابتة: وهي التي لا يمكن للباحث إحصائها لتنوعها، واختلافها من مكان إلى آخر، ومن زمان لآخر، وتختلف حسب كل زاوية، لكننا نذكرها بإجمال، رغم تعددها، وتنوعها، وهي متمثلة في: المساعدات؛ التي يقدمها المحسنون من الأثرياء، وغيرهم من أموال نقدية، ومواد غذائية، وأفرشة في المناسبات، وأضاحي.

حق الزيارات: وهي مجموع الصدقات، والهبات، والتبرعات، والهدايا، التي يعطيها أتباع الزاوية ومريديها أثناء توجههم للزيارة والتبرع، وتقدم نقداً، أو عيناً، في شكل حبوب، تمر، زيوت مواشي... أموال، وقد تكون هذه الزيارات جماعية، وهي منظمة، أو موسمية، يحددها شيوخ، حسب مواقيت المحاصيل، وأوقات الزكاة ومواسم الحج، والأفراح.⁴

إضافة إلى أن هناك مناسبات أخرى تجمع فيها الأموال، والصدقات، هي الوعدة وختان الأطفال، وميلاد الأولاد.

ونظراً للأمن، والاستقرار، الذي توفره الزوايا في المنطقة، والهبة الروحية لشيوعها، وسط السكان، والأعراش، والقبائل، والجمتمع، فقد كان طبيعياً أن تستفيد من مداخيل جانبية اعترافاً من التجار، الذين أمنت لهم الطرق، وتجارهم، وكذا الحجيج عامة، بأهمية المشيخة بالمنطقة.

¹ - الوقف لفتح الواو سكون القاف (وَقْف)؛ مصدر وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه، وجمع أوقاف ووقوف، (ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص360) ودليلهم قوله عليه السلام: «إذا مات ابن آدم، إنقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط في الوقف، رقم 2586، ج2، ص982.

² - الوقف الخيري، ويقصد به الواقف الصرف على أوجه البرّ سواء كان ذلك على أشخاص أو جهات كالمساجد وزوايا ومستشفيات وجمعيات، أما الوقف الذري أو الأهلي: وهو أن يوقف الواقف في بداية الأمر على نفسه أو أحد أفراد عائلته بغية عمل خيري، وذلك للحفاظ على إستمرارية الخير والوقف على مرّ السنين.

³ - أمقران عسلي، المرجع السابق، ص78.

⁴ - محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، ط1988م، دار الفكر الجزائر، ص23.

ومن أمثلة المناسبات التي تجمع فيها الأموال، والمساعدات للزاوية هي: الحضرة الصوفية التي تعقد مرة أو أكثر في السنة، والتي يحضرها الشيخ بنفسه، في أغلب الأحيان، أو بأمر أحد المقدمين، بالإجابة عنه مناسبات عديدة لجمع المال؛ كالوعدة، والنذر، والبرء من المرض، والنجاح، والزواج. ويدفع الإخوان ذلك على طيب خاطر، وكهدية لشيخ، وتبركة به، وصدقة لزاوية وطلبتها، ناهيك عن ما كانت ولا زالت توفره القبائل، لشيوخ الزوايا، من أعشار، وهدايا.

المصدر الرابع: حيث الحديث عن موقع زوايا الرحمانية؛ فلا يمكن للمرة، تجاهل المكانة الاقتصادية، التي يخولها هذا الموقع، فمعظم الزوايا الرحمانية تقع في منطقة تكامل اقتصادي، بين سكان منطقة القبائل - تيزي وزوا، وبجاية، وصدوق، والبويرة-، وبين منطقة أولاد نايل، والصحراء، ومعظم هذه المناطق؛ هي عبارة عن مناطق نفوذ، لقوافل تجارية القادمة، من الشمال إلى الجنوب؛ ناهيك كونها منطقة عبور، في منطقة أولاد نائل والصحراء، منطقة الهامل. فهي منطقة ربط بين نقاط نفوذ التجارة، بين الجزائر وحدودها التونسية، لزاوية سيدي سالم الرحمانية، وموقعها الاستراتيجي، وسط سوق شعبي، ومنطقة تبادل حر.

وفي الأخير، ما يجدر الإشارة إليه بخصوص مصادر تمويل الطريقة الرحمانية أنها اعتمدت على مصادر ثابتة وهي: ملكية الشيخ، وأوقاف الزوايا، إضافة إلى مصادر غير ثابتة، وهي متنوعة، ومتعددة، وكلها وسائل، وطرق مشروعة، لكسب المال، فهذه الأموال هي التي ساعدت الطريقة الرحمانية، في ثباتها على مواقفها، وعززت من أدوارها، وساهمت في انتشارها عبر ربوع الوطن، فهي بمثابة المحرك لها والدافع لدورها الفعّال في المجتمع الجزائري منذ البداية إلى اليوم.

المطلب السادس: جهاد الطريقة الرحمانية

تعتبر الطريقة الرحمانية من أكثر الطرق إنتشارا في الجزائر، سواء من حيث عدد أتباعها، أو من حيث عدد زواياها، وشيوخها، وهي تنتشر في الإقليم الشرقي الجزائري، وهمت كل منطقة القبائل وامتدت إلى الجنوب، والتراب الجزائري¹ فأصبح لها أتباع كشرقي الجزائر، وتونس وإفريقيا، وجنوب الصحراء، تتميز بتعاليمها المستمدة من الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وقد تحملت عبء كبير في

¹ - ناصر الدين سعدوني، المهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني وط وزارة الثقافة والسياحة، م و ك، الجزائر 1984، ص

الحفاظ على المرجعية الدينية، والثقافية للأمة الجزائرية، من خلال تعليم القرآن الكريم، واللغة العربية وشكلت قاعدة أساسية في التعليم الحر في مواجهة التعليم الفرنسي، ومن جهة أخرى محاربة كل أنواع الشعوذة، والخرافات.

لقد ساهمت مساهمة فعّالة في نشر التعليم، وتعريب اللسان البربري، كان لها أتباع أكثر عشية الإحتلال الفرنسي، إذا كانت هذه الطريقة سبابة إلى الوقوف مع الأمير عبد القادر في مقاومته، والعمل تحت لوائه من سنة 1832م، إلى غاية توقف جهاده في أواخر سنة 1847، لتؤطر وتقود حملات جهادية، بعده وتترجم أغلب الثورات الشعبية، التي حدثت بعد الأمير عبد القادر منذ سنة 1847 م وحتى ثورة عين التوتة 1916 كما قاومت حركة البشير، والفرنسيّة طيلة سنوات الاحتلال، ومن نماذج¹ تلك الثورات المشرفة التي قادتها الطريقة الرحمانية ضد الإستعمار.

1- جهاد لالة فاطمة نسومر: جاهدت جانب الشريف بوبغلة الذي قدم من سور الغزلان وخاض عدة معارك في بني منصور، وغيرها ليلتحق بجرجرة، ليلتحم بجيوش العدو قمنذ 1845 خاضت فاطمة نسومر المعارك إلى جانب بوبغلة في رد العدو، عن بلاد زاورة ابتداء من آيت إيراثن فهاجمة العدو وقطعت عليه طرق المواصلات، وألحقت به الهزائم شتى، وقد قويت شوكتها مما انضم إليها من قادة الأعراش، وشيوخ القرى، والطرق الصوفية، كما أنّها تمكّنه من إنقاذ بوبغلة من أيدي العدو بعد سقوطه جريحاً في المعركة، مما جعله يكيدها في نفسه، بعد انبهاره بشجاعته النادرة ليتقدم بعدها لخطبته فرفضت.² وبعد وفاته واصلت المنطقة الجهاد بقيادة لالة فاطمة نسومر، فأصبحت تجمع بين القيادة الروحية، والقيادة العسكرية؛ حيث كانت تمثل القيادة الروحية لزاوية ورجة.

ألحقت لالة فاطمة نسومر خسائر فادحة بالجيش الفرنسي، وحققت هزائم به، وانتصارات في عدة معارك، إلا أنّ فرنسا عززت جيشها بأحدث الأسلحة؛ لمواجهة الثوار بمنطقة القبائل، لتلحق الهزيمة بجيش فاطمة نسومر، لتصبح أسيرة يوم 11 جويلية 1857.³ لقد ضلت رمز المرأة الجزائرية المجاهدة الثائرة حيث ضلت راية الجهاد حتى وافتها المنية 1863.⁴

¹ - أبو القاسم يعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، م، و ك، الجزائر، 1992، ج 1، ص 271.

² - عبد القادر الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص 316، ص 318.

³ - عبد القادر الجيلالي، المرجع السابق، ص 318.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزء 1، ص 369، ص 370.

2- مقاومة الصادق بالحاج: إذ أعلن الصادق بن الحاج، ثورة، وجهاد ضد الاستعمار الفرنسي مع أولاده وأتباعه سنة 1849 حيث ظهرت حركته بالأوراس، والخنقة، وبسكرة، لمواصلة الجهاد، لقد شارك الصادق بالحاج في مقاومة الزعاطشة، وساهم مساهمة فعّالة في حماية باي، كما تحالف مع محمد الصغير، في قطع الإمداد عن العدو بالقنطرة، كما أنّ زاويته كانت عبارة عن مركز لسلاح، ومخبأً للدخيرة، وخوفاً من تحول ثورة الحاج الصادق، إلى ثورة الزعاطشة الثانية، عمدت فرنسا إلى الانتقام إذ عمدت إلى هدم الزاوية، واستولت على كل ممتلكاتها.

إنّ الطريقة الرحمانية قد شاركت في المقاومة المنظمة مع الأمير عبد القادر، وكانت له سنداً، كما اتخذت زاوية محمد بن عبد الرحمان الأزهري مركزاً للمقاومة، ولحقت بها بقية الزوايا مثل الحملاوية بقسنطينة، والهامل ببوسعادة، كما قادت الثورات الخاصة مثل ثورة عبد الحفيظ الخنقي، والشيخ الصادق بالحاج، ومقاومة المقراني، والحداد، ولالة نسومر.

ولعل مشاركتها في الثورات هي التي أعطتها هذا الحضور، والرسوخ في الذاكرة الشعبية الجزائرية والإقبال عليها من طرف الأهالي، فهذا ما جعلها رائدة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، والاهتمام للثورة التحريرية منذ اندلاعها، سارعت لدعمها بكل ما أمكنها من مساعدة، والسير في ركابها، والحقيقة أنّ الزوايا الرحمانية قد خرج منها الكثير من المجاهدين منهم:

مصطفى بن بولعيد، سي الحواس، محمد العربي بن مهدي، علي كافي، هواري بومدين، محمدي السعيد، العقيد عميروش، ومحمد ولحاج، عبد الحميد معمرى، كل هؤلاء تركوا بصمة الرحمانية في الثورة التحريرية.¹

ومن خلال هاتين يتبين لنا مدى التزام الطريقة الرحمانية بالكتاب، والسنة، وجهودها الجبارة في مواجهة الاستعمار، من جهة أخرى مما أهلها للمساهمة الجبارة في تكوين الحصانة الذاتية للأمة، والدور من الشعب الجزائري مقوماته الحضارية، ومرجعياته الدينية والعقدية، التي تكون هويته من إسلام، ولغة ووطن.

¹ - محمد شرقي، الزوايا والثورة الجزائرية 1954-1962، الرحمانية نموذج، جامعة 08 ماي 1995، قالمة، ص 23.

الفصل الثاني

خريطة الطريقة الرحمانية في الجزائر

المبحث الأول: عوامل إنتشار الزوايا الرحمانية في الجزائر

المبحث الثاني: الزوايا الرحمانية في منطقة القبائل

المبحث الثالث: الزوايا الرحمانية بقسنطينة والشرق الجزائري

المبحث الرابع: الزوايا الرحمانية بمنطقة الأوراس

المبحث الخامس: الزوايا الرحمانية بالجنوب الجزائري

المبحث السادس: الزوايا الرحمانية في نواحي الخلفة وسط والقطر الجزائري

المبحث السابع: الزوايا الرحمانية في الغرب الجزائري

المبحث الأول: عوامل انتشار الزوايا الرحمانية في الجزائر

المطلب الأول: مفهوم الزاوية

لغة: الزاوية في الأصل ركن البناء، وفي اللغة "الزاوية" من الانزواء، والانطواء والانعزال، والبعد عن حياة العامة، والأسواق¹. ولعل هذا ما يدل على وجود أغلب الزوايا في القرى، والأرياف، والأماكن البعيدة عن الضوضاء والحركة.

وزوِّي الشيء، أو زواه بمعنى قبضة معه، مما يفيد التركيز، والتمكين من الشيء أيضاً، وزوَى الشيء أي نحاه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض؛ أي تدانوا وتضامنوا². والزاوية مأخوذة من الفعل انزوى، نيزوي، بمعنى اتخذ ركنًا من أركان المسجد؛ للاعتكاف والتقيد³.

من خلال هذا التنوع في التعريفات اللغوية لمعنى الزاوية، والذي يُحيلنا مرة إلى البعد والانعزال والانطواء، والاعتكاف، أو القبض، والتمكين من الشيء، والتضامن، الركن وأساس البناء، وكلها مفردات ذات دلالات متقاربة أحياناً، ومتفاوتة أحياناً أخرى.

فأيّ المعاني التي يمكن أن نطلقها على الزاوية؟ وإلى أي مدى يمكن أن نلاحظ حضور الدلالة اللغوية من خلال متابعة وظائف الزاوية، ودورها، ومساهمتها في العمل الجمعي، ومؤسساته؟ وهل يمكن اعتبار الزاوية الركن الأساسي، والحجر في بناء ومؤسسة الجمعيات؟ أم أنّها ما زالت تمثل نفس الدور القديم المتجدد؛ والذي تعبر عنه معاني الابتعاد والانعزال والانطواء والاعتكاف للعبادة في ظل هذه المدينة الحديثة؟

اصطلاحاً:

الزاوية ركن من أركان المسجد؛ اتخذت للعبادة، والاعتكاف، والتعبّد، لكنّها مع مرور الوقت اتخذت شكلاً جديداً؛ في هيئة دور "جمع دار"، تقام للدراسات العلمية والدينية، وقد اتخذتها الصوفية مكاناً لإقامة حلقات الذكر فيها⁴، وتبقى الزاوية يقوم بتأسيسها شخص ذو شأن روحي، وشخصية دينية معروفة بالفعليّة، بمبادرة منه، مشهور بالتقوى، والصلاح والعبادة، يتولى مهمة الوعظ، والإرشاد

¹ ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، دار الجليل، ط1988م، ج14، ص363.

² ابن منظور، المصدر نفسه، ج14، ص363

³ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1996، ج4، ص:401.

⁴ عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1999، ص:132.

بمن يتردد عليه من أتباع ومريدين¹ ويذهب أبو القاسم سعد الله إلى أبعد من هذا في تعريفه للزاوية إذ يقول: "الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية، ومراكز ثقافية، ونواة اجتماعية، وخلايا سياسية، يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم تعاليمهم وشريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم، والمعارف، وقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية، والسياسية".²

وهو التعريف الذي يتوافق مع الكثير من آراء شيوخ الزوايا؛ وعلى رأسهم السيد عبد القادر عثمانى شيخ الزاوية العثمانية بطولقة بقوله لنا: "إن لفظة الزاوية بالتعريف العرفي، أو الإصطلاحي هي: عبارة عن مسجد، ومدرسة، أو معهد للتعليم القرآني، ومأوى لطلبة داخلين يعيشون في تلك الزاوية بلا مقابل".³

وقد كانت الزوايا قائمة في شكل مؤسسات إجتماعية، سياسية مبنية على العرف والدين ويتميز مؤسسوها "بالشرفاء" نسبة إلى النسب الشريف؛ المنحدر من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم - أو المشيخة المكتسبة من الزوايا، أو درجة العلم، والجهاد.⁴

من خلال التعريفات السالفة الذكر فإننا نرى أنها تركز على الجانب الوظيفي للزاوية، بالمقابل نجد في دائرة المعارف تعريف شامل للفظ زاوية: "يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني "غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين، أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية، والحجاج والمسافرين، وغرفة للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها".⁵

وللإشارة فإن مهمة إيواء، وإطعام المسافرين، وأبناء السبيل، والمحتاجين، ألحقت بالزاوية في القرن 14م القرن 8هـ، والدليل على ذلك قول أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الخطيب ت 781هـ / 1379م

¹ التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب، جامعة تونس1، تونس1992، ص:34.

² أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ط 1998، ج2، ص:18.

³ لقاء شخصي مع السيد عبد القادر عثمانى يوم 2017/11/08، على الساعة 11:05، بمقر الزاوية، طولقة، بسكرة.

⁴ أحمد بن أحمد، الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسات الشعبية " مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تلمسان، ع2، 2001، ص:31.

⁵ أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة بيروت، مج10، مادة زاوية.

في حديثه عن الزوايا قائلا: "والظاهر أنّ الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين".¹

إضافة إلى هذه الوظائف نجد أنّ الزاوية ساعدت على نشر التعليم الديني؛ مما أدى إلى انتشار التصوف، والطرق الصوفية في القرى والأرياف، والحوضر العلمية في المغرب الإسلامي. وللتسهيل عن القارئ سنقسم الزوايا الرحمانية؛ حسب انتشار الطريقة رحمانية، والذي كان بداية من زاوية منطقة القبائل، قسنطينة، الأوراس، أولاد نايل الجنوب، وذلك من خلال اتباع انتشار الطريقة في الجزائر، وكما هو معروف فالبداية كانت من منطقة القبائل.

المطلب الثاني: عوامل انتشار الزوايا الرحمانية في الجزائر

لقد اعتمد الشيخ الأزهري في حياته على نشر الطريقة الرحمانية في الجزائر على عدة ركائز منها:

- 1- رحلاته: رحلاته داخل الوطن، وإقامته المحاضرات، والمجالس العلمية، وتنقله بين منطقة آيت إسماعيل والحامة، إضافة إلى علاقته بالدولة العثمانية؛ الحاكم آنذاك خاصة بعد محاكمته، وبيان صدق دعوته وصحة طريقته، وإحتكامها لشرع الله، وسنة الرسول، فكانت هذه مؤثر بداية الانتشار.
- 2- إعماده على الأسر الدينية والعلمية المعروفة: ويظهر هذا من خلال إهتمامه بأسرة بن أبي داود بمنطقة القبائل، إضافة إلى أسرة سيدي عيسى المتواجدة بالمسيلة، وعائلة باش تارزي بقسنطينة، عائلة العزوية ببسكرة، وعائلة حملاوي، بوحجر، الزواوي، وغيرها من العائلات العلمية المعروفة.
- 3- طلبته ومريدوه: ولعل طلبته هم الركن الأساسي في نشر الطريقة الرحمانية؛ حيث انظم إلى مجلسه المئات من الطلبة، وعملوا على نشر طريقته، وتعاليمها في مناطق مختلفة من القطر الجزائري، فقد قام المقدمون على إعطاء العهد، والميثاق لمن أراد ذلك، وتعليم تعاليم الطريقة، وهذا بأمر من الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

- 4- المجال الجغرافي: لقد لعب المجال الجغرافي دور بارز في نشر الطريقة الرحمانية؛ حيث ركز الشيخ على بناء زاوية بالجزائر بمنطقة الحامة؛ لتكون مركز روحي بالعاصمة وبقي يتنقل بين آيت إسماعيل، والحامة حتى الوفاة، لتنتشر بعد ذلك زوايا الطريقة في القطر الجزائري بعد ذياع صيت طلبته في كل الأرجاء.

¹ طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال ق6، 7هـ، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، ص225.

كل هذه العوامل ساعدت، ومهدت لانتشار الطريقة في حياة الشيخ الأزهري، داخل الجزائر هذا ما جعله يفكر في نشرها، وتوسيع خارطتها خارج الوطن، خاصة المنطقة الحدودية الشرقية، وبهذا يمكن القول: " أن الطريقة الرحمانية اكتملت ملامحها كطريقة صوفية، وقوة روحية نافذة في حياة المؤسس، وصار لها أتباع، ومريدون من مختلف شرائح المجتمع، الذين تولوا مواصلة المسيرة بعد وفاته رحمة الله.

المبحث الثاني: الزوايا الرحمانية في منطقة القبائل

لقد اشتهرت منطقة القبائل بكثرة الزوايا العلمية الروحية، وكان للطريقة الرحمانية القسط الكبير من هذه الزوايا العلمية، ومن أشهر هذه الزوايا بالمنطقة نذكر: زاوية الأزهري بآيت إسماعيل (الزاوية

الأم)، زاوية الصدوق ببجاية، زاوية السحنونيين بتاغرست، زاوية البوجليلي ببوجليل، إضافة إلى بعض الزوايا الفرعية التابعة لها.

المطلب الأول: الزاوية الأم

حين عاد الشيخ الأزهري إلى الجزائر، بعد رحلته العلمية، وبأمر من شيخه محمد بن سالم الحفناوي بمصر، بعد أن أذن له بإرشاد الخلق، وسرحه إلى بلاده، بعد رجوعه من بلاد السودان، أسس زاويته بقرية آيت إسماعيل، بعد عودته مباشرة إلى الجزائر حوالي 1177هـ¹، والتي أدت دوراً كبيراً في نشر العلم، والطريقة الرحمانية في تلك الفترة، كما كان لها عدة أساتذة في حياة الأزهري نفسه، ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن الطيب بن الصالح الرحموني.

وقبل وفاة الأزهري عين خليفة على الزاوية؛ "الشيخ علي بن عيسى المغربي"، وترك له جميع كتبه وممتلكاته، وأوقاف الزاوية.

لقد توفي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، ولم يترك خلفه، ولا من صلبه، وإنما أولاده مشايخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوته ومنهم:

علي بن عيسى، وتلامذته؛ محمد أمزيان بن الحداد، محمد بن أبي القاسم البوجليلي، والشيخ علي بن عمر الطولقي، والحاج علي بن الحملاوي. والشيخ محمد عبد الرحمان باش تارزي، والسعيد بن عبد الرحمان بن أبي داوود، والشيخ محمد بن عزوز وتلامذته: علي بن عمر تولى زاوية طولقة، وعبد الحفيظ بزاوية خنقة، سيدي ناجي، ومبارك بن قويدر في الأوراس، والمختار الذي تولى زاوية أولاد جلال.

وسيدي الصادق وتلامذته: مصطفى بن عزوز، وتلميذه علي بن عثمان، وتلميذه المختار الشريف بن الأحرش، ومحمد الهاملي، تلامذته؛ المكّي بن عزوز، والحاج المختار.

وبلقاسم بن محمد المعاتقي، والعايد بن الأعلى الشرشالي، والشيخ أحمد التيجاني.

الشيخ السعيد بن عبد الرحمان بن أبي داوود، شيخ زاوية بن أبي داوود في تاسلنت بأقبو ببجاية، وسيدي محمد العمالي. ومصطفى بن الغالي، وغيرهم.²

هؤلاء المقدمون، والتلاميذ هم بداية انتشار الطريقة الرحمانية في ربوع الوطن، وخارجه.

¹ أبو القاسم سعد، ت ج ث، دار البصائر لنشر والتوزيع، الجزائر، ط2007م، ج1، ص:507.

² -الشيخ حداد، التقييد محل التعقيد في التصوف، تح تع عمار الطالبي، فريد زيداني، البصائر، ط2004، ص 10

المطلب الثاني: زاوية الصدوق

يعود انتماء زاوية الصدوق إلى الطريقة الرحمانية؛ التي أسسها محمد بن عبد الرحمان الأزهري الإسماعيلي، الذي خلف الشيخ علي بن عيسى على رأس زاويته كمقدم لها، هذا الأخير الذي تخرج عنه الكثير من الطلبة؛ منهم الشيخ محمد أمزيان بن الحداد (مؤسس الزاوية ببلدية الصدوق ببجاية)، نسبة إلى مهنة جده (الحدادة). أمّا الشيء الذي تسبب في تسميته بالحداد؛ فهي العادة المتبعة لدى القبائل؛ لإعطاء اسم الجد المشترك، وهكذا، وكانت تسمية فلان بالحداد، أو فلان بن فلان الحداد، وقد أطلق الاسم "إحدادن" على القرية؛ لكثرة إطلاق لفظة الحدادون. وقد اعتاد الناس على تسمية الشيخ الحداد، بدلا من تسميته باسمه الحقيقي محمد أمزيان بن علي¹، من قبيلة إيث منصور جيران إيث، وغليس بجبال البيان.

أسس والد الشيخ الحداد؛ علي بن محمد الحداد مدرسته بها نحو ثلاثين طالبا يطعمهم مجاناً وضم إليهم ابنه محمّد أمزيان المولود ربيع الأول 1206هـ، الموافق لـ 1791م. ولعل هذا الإقبال عليه من طرف الطلبة كان يوادر لتأسيس زاوية الصدوق، فلكثرة الطلاب وعدد الإخوان حوله، أقام مسجدا خاصا به، خارج القرية، وهو الذي حوله فيما بعد إلى زاوية الصدوق؛ بعد أن بلغ عدد الطلبة؛ الذين تكفل بهم ما يقارب المائتين² وبعد أن تحولت زاوية الشيخ الحداد إلى قبلة العلم؛ خاصة بعد أن نفي الحاج عمر المقدم الخامس إلى تونس وهدمت زاويته، وجد الرحمانيون³ في الحداد الزعيم الروحي؛ الذي استطاع أن يجمع شملهم ويلم شتاتهم، ويتحول إلى زعيم ملهم. امتدت سيطرته الروحية، ونفوذ زاويته على كل المنطقة الواسعة؛ التي تشمل جبال البابور، وحوض الصومام، وجبال جرجرة، وحوض الحضنة³. فأصبحت زاويته تجمع بين العلم والطريقة، ومركز إشعاع، عرفت شهرة بين بقية المراكز الأخرى، وذلك راجع للعلم الذي اتخذه عن كبار المشايخ الذين زاحم مجالسهم ونذكر منهم: الشيخ بن عيسى خليفة بن عبد الرحمان: وأخذ عنهم الطريقة فلم يأخذها مباشرة من مؤسسها عبد الرحمان الأزهري،

¹ يحي بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز. تح الخليل بن مصطفى القاسمي الحسي المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1989، ص 142-143.

² يحي بوعزيز، المصدر نفسه، ص 142.

³ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن 19م، ثورة 1871، دار البصائر الجزائر ج4 ص: 78.

وقد سبق الذكر سالفا عن توافد الطلبة لمجلسه العلمي، الذين ارتفع عددهم حسب ما يذكر عزيز بن الحداد إلى 500 طالب؛ ومن أشهرهم "محمد بن أبي القاسم البوجليلي (1241-1826) الموافق ل (1310 هـ 1893م)، الذي درس عنه السُّلم في المنطق، والجوهر المكنون، في علم البيان للأخضري، والإشهارات السمرقندية لأبي القاسم الليثي السمرقندي الإسفراييني وأجازته بإجازات. وللدرد عن فرنسا التي شككت في علمه، ونعته بالأمي، وأنه لا يملك أي معارف، فكيف الذي يتصدى لتدريس، مثل هذه العلوم، والمعارف الفقهية، واللغوية، ويجيز الطلبة بالإجازات، أن يكون جاهلا، أو أميًّا، أو صاحب ثقافة متوسطة، فلا بد أن يكون صاحب علم وفير، غزير، وثقافة واسعة، ومتمينة، وقاعدة متحذرة في العلم.¹

تحولت الزعامة الروحية في الطريقة الرحمانية من زاوية آيت إسماعيل، بعد ثورة القبائل سنة 1857، لتنتقل إلى زاوية الصدوق؛ بزعامة الشيخ محمد بن أمزيان بن علي بن محمد الحداد؛ التي تم انتخاب شيخًا للطريقة الرحمانية، استمر في إدارة شؤون الزاوية إلى غاية قيام الثورة 1871م، يقول أبو القاسم سعد الله: "انتخب الشيخ محمد أمزيان الحداد شيخاً للطريقة الرحمانية مع الاستقرار في الصدوق وقد استمر في إدارة شؤون الزاوية إلى سنة 1871م. وفي عهده اشتهرت الصدوق بالعلم، والحيوية رغم محاولات الإدارة الفرنسية السيطرة على الزوايا ومراقبتها²، استطاعت زاوية الشيخ بن الحداد أن تنزع رئاسة الطريقة الرحمانية؛ وذلك بفضل الدور الفعّال الذي قدمته، منذ تأسيسها على جميع الأصعدة، فقد كان الشيخ المؤسس يتكفل بالطلبة رغم كثرتهم، وأما الإخوان الذين يقضون عنده ليلة واحدة، وصل عددهم في بعض المرات إلى ألف، أو ألفي شخص - فقد كان يطعم بصفة دائمة ومستمرة ما لا يقل عن 500 شخص، يأكلون كلهم الطعام (الكسكسي) باللحم في العشاء، والفطير بالتين، وزيت الزيتون في الغذاء.³ وكان يمثل لهم العائلة لكل الزوار والطلبة.

¹ كانت فرنسا تشن حربا نفسية على شيوخ المقاومة، والسلم وكل من له قبول في المجتمع خوفاً منه، ومن جهاده فقد سبق وأن شكلت في أصوله، وأنه من أصل تركي إستوطن بلاد القبائل لذا جاء في كتاب يحي بوعزيز إثبات النسب الشريف وأنه جزائري الأصل. (أظر وصايا الشيخ الحداد ومذكرات بن سي عزيز ص 08.09).

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 4، ص 145

³ يحي بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز، المصدر السابق، ص 142.

وما نؤكد مرة أخرى أن زاوية الصدوق كان لها السبق في التعليم، والتوجيه الروحي ونشر الطريقة الرحمانية، وإعطاء العهد للمريدين، هذا ما جعلها فيما بعد معقل للجهاد، والثورات.

المطلب الثالث: زاوية بن سحنون بتاغراست

نسبة إلى عائلة السحنونية، وهي إحدى الأسر العريقة في زاوية، وهي فرع لزاوية السحنونية الأم؛ الموجودة في القرية السحنونية (يسحنون)، بالقرب من الأربعاء بني إيراثن، ولاية تيزي وزوا. ومؤسسها هو الشيخ عمرو الشريف¹.

أما الفرع المراد الإشارة له، ودراسته هو: زاوية بن سحنون بتاغراست، بني وغليس دائرة سيدي عيش. ولاية بجاية حاليا، أسسها الشيخ محمد السعيد السحنوني سنة 1871م.

ولد مؤسسها 1839م، وكان والده السعيد أمقران. قد التحق بجيش الأمير عبد القادر واستشهد بالمقاومة، وترك القراءات، والبلاغة، والنحو، والفلك، والفقه، والحديث، الخ. كما درس على مشايخ مثل: الشيخ الحداد، والبوجليلي، وبعد أن شب في العلم، انتصب هو لتدريس في زاوية الحاج الحساني بسمعون، ثم بزاوية عمرو، والحاج جهة العزازقة، كما درس بزاوية أحمد زروق في بني وغليس. وزاوية سيدي موسى قرب سيدي عيش.² وبعد تجربته وخبرته في التدريس، وتنقله بين مختلف مشارب العلم الروحية، ومواجهة مجالس العلماء، قرر أن يؤسس زاوية خاصة به في تاغراست، أواخر القرن الماضي، لتكون فرعا لزاوية سيدي عمرو الشريف بالأربعاء بني إيراثن...

وزاوية بن سحنون بتاغراست؛ أصلها فرع للطريقة الرحمانية، ومشيختها على صلة بالشيخ الحداد، والزوايا الرحمانية الأخرى، هي عبارة عن معهد قرآني، علمي داخلي، بالمفهوم الحديث، أصلها وفرعها رحمان.

لقد كان يهدف إلى تأسيس هذه الزاوية بعد ثورة، 1871م وبحوض الصومام؛ الذي كان يضم

أكثر من 19 زاوية يهدف إلى:

- استقطاب حفظة القرآن من الزوايا الأخرى، ومن نفس الزاوية لنشر العلوم الدينية والعربية.
- بعث نهضة علمية، فكرية، دينية روحية، بعد كبوة. بتيار يوصل ماضي المنطقة بمستقبلها.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 3، ص 196

² أبو القاسم سعد الله، ت ج ت، المرجع السابق، ج 3، ص 196، -197.

- ربط أطراف المنطقة الثائرة؛ (الأخضرية، الحدود التونسية شمالا بمركز إنطلاق، وإعلان ثورة 1871م، إستيطاننا لفكرة رفض الاستعمار، وإستغلاب الغالب للمطلوب، وعبؤها برجالات يحملون بين جوانحهم شرارة¹ الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية وكبريائها.

المطلب الرابع: زاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي

هي إحدى الزوايا الرحمانية في منطقة القبائل، يعود زمن تأسيسها إلى نكبة 1871م عهد المضايقات، والضغوطات، على المؤسسات الدينيّة عامة. والزوايا خاصة من طرف السلطات الفرنسية. فمن هو مؤسسها؟ وما هي ظروف تأسيسها؟ وما هو دورها الذي أسست من أجله؟

❖ **المؤسس:** هو محمد بن أبي القاسم الحسيني البوجليلي، ولد حوالي 1836م² من عائلة شريفة، في قرية بوجليل إحدى قرى بني عباس ببجاية.

❖ **تعليمه وحياته العلمية:** التحق محمد بن بلقاسم بزواية اليلولي سنة 1945م، بعد أن حفظ القرآن على والده، وعمره لا يتجاوز 15 سنة. زاول الشيخ محمد بن أبي القاسم الحسيني البوجليلي دراسته وتكوينه في زاوية اليلولي سنة 1845م³.

❖ **شيوخه:** ولعل أول شيوخه والده؛ الذي حفظ على يديه القرآن، ومن شيوخهم الذين أخذ عنهم في زاوية اليلولي العلم والمعرفة ونذكر: العربي الأخرشي، ومحمد الطاهر الجنادي، ومحمد بن مالك النقابي. وللعلم فإن زاوية قالون، ثم قرأ العشر، إضافة إلى تعلمه النحو، والفقه والتوحيد، والحساب، والفلك، قد استغرق منه ذلك أربع سنوات⁴.

ومن أجل طلب العلم سافر متوجها إلى المجالس الروحية بزواية الصدوق، التي كان على رأسها في ذلك الوقت الشيخ أمزيان بالحداد رحمه الله. حيث تفرغ للدراسات الفقهية والعربية. بعد أن انتسب إلى الطريقة الرحمانية، وأخذ العهد عنه.

¹ محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، سوريا 1989م، ص 89 |

² في حين هناك من يرى أنه ولد في 1826م محمد نسيب المرجع السابق، ص: 171.

³ محمد نسيب، المرجع السابق، ص، 163

⁴ محمد نسيب، المرجع السابق، ص 171 172

إضافة إلى ختمه على يديه السلم المرونق في المنطق للأخضري، وكذلك الجوهر المكنون له في المعاني والبيان، كما أخذ عنه الإشعارات للسمرقندي¹، إن نبوغه وتفوقه عن أقرانه في حلقات العلم جعل الشيخ الحداد يخصصه بالعناية؛ بعد أن رأى فيه نبوغاً، وطموحاً وصلاً، فكانت علاقتهما أكبر من علاقة الشيخ والمريد، بل علاقة روحية خالصة؛ علاقة الداعية بمستشاره، وأمين سره، وعلاقة المرشح بمرشحه، لتولي شؤون الطائفة الرحمانية. لذلك كان يدربه على القيادة؛ بتكليفه عمليات كان إنجازها بكفاءة ووفاء وإخلاص.

وقد أذن له بعد إتمام الدراسة؛ بالعودة إلى قريته بوجليل إماماً² لمسجدها، ومعلم للقرآن في كتاب أسرته. وناشر للطريقة الرحمانية، بأمر من شيخه، بعد أن أعطاه العهد والسند.³

المبحث الثاني: الزوايا الرحمانية بقسنطينة وضواحيها (قائمة-ع مليلة)

قسنطينة، أو سيرتا هي إحدى المدن الشرق الجزائري؛ التي حظيت باهتمام رجال التصوف وذلك لإنتشار العلم بها.

ومن بين أهم الزوايا الرحمانية بالمنطقة نذكر زاوية باش تارزي، والحملوي. فقبل وفاة مؤسس الطريقة محمد بن عبد الرحمان الأزهري، سعى جاهداً للنشر طريقته في قسنطينة وذلك بأمر منه.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت. ح. ج. 3 ص 212.

² محمد نسيب، المرجع السابق، ص 171-172.

³ محمد نسيب، المرجع السابق، ص 172.

المطلب الأول: زاوية الشيخ عبد الرحمان باش تارزي بقسنطينة

❖ موقعها: تقع زاوية الشيخ باش تارزي بمدينة قسنطينة¹ على خلاف كل الزوايا التي أسست في الريف، وتعد من أولى الزوايا الرحمانية؛ التي أمر الشيخ محمد بن عبد الرحمان بتأسيسها في حياته. كما أنّها تعد بمثابة الزاوية الأم؛ لجل الزوايا الرحمانية بالشرق، والجنوب الجزائري.

❖ مؤسسها: أسسها الشيخ عبد الرحمان باش تارزي بأمر من شيخه الأزهري في حياته مؤسسها هو الفقيه الأديب المرّبي الحاج عبد الرحمان، بن أحمد حمودة، بن مامش باش تارزي، نشأ بقسنطينة كان وحيد دهره علماً وحكمة وإتقاناً وصلاً².

❖ دور الزاوية: كانت الزاوية عبارة عن حلقة وصل بين بلاد القبائل، وزوايا الشرق، والجنوب كما ساهمت في النقاش، وتلاقح الأفكار في آخر العهد، وحاربت الفساد الأخلاقي الذي انتشر في المنطقة، كما كانت مركز إجماع العلماء.

شيوخ الزاوية: تولى تسييرها أبناء عائلة باش تارزي. فقد تولى المشيخة الشيخ مصطفى باش تارزي (ت 1836م)، بعد وفاة والده، وكان ذلك تزامناً مع الاستعمار الفرنسي. رغم تولى الرحمانيون الوظائف الإدارية؛ إلا أنّ هذا لم يمنع من مواصلة وظيفة التعليم، والدّين بالزاوية³ وجاء بعده ابنه الشيخ محمود ثم خلفه بن عمه الشيخ محمد بن محمد، بن عبد الرحمان، ثم جاء بعده الشيخ الحاج السعيد، بن أحمد باش تارزي (ت 1329هـ/1911م) وخلفه بعد ذلك على رئاسة الزاوية الحاج أحمد باش تارزي الذي توفي (1335هـ).⁴

سلسلة شيوخ زاوية باش تارزي الرحمانية بقسنطينة:⁵

محمد بن ع الرحمن الأزهري-1208م



علي بن عيسى المغربي-1252م-



ع الرحمن باش تارزي القسنطيني 1221م

¹ تم زيارتها في 2018 حيث كانت الانتقال بإعادة هيكلتها وترميمها.

² عبد الباقي مفتاح، نظرات حول الطريقة الخلوتية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص99.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج2، ص156.

⁴ موقع الطريقة الرحمانية قسنطينة www.rahmania.constantine.dz يوم 20/02/2021 على الساعة 18:31.

⁵ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص:106.



ملاحظة: الأرقام الترتيبية من 1 إلى 12 تدل على التسلسل التاريخي للشيخ

لقد كانت زاوية باش تارزي بمثابة الزاوية الأم، لكل الزوايا في الشرق، والجنوب؛ وقد اهتمت بالعلم، والفتوى، وكان شيوخها أصحاب علم، ومعرفة بمختلف العلوم. أدت دور مشرف في مقاومة الاستعمار كغيرها من الزوايا الرحمانية الأخرى، وليست فريدة في هذا المجال فهناك الزاوية الحملوية التي لعبت نفس الدور.

المطلب الثاني: الزاوية الحملوية

تعد الزاوية الحملوية من الزوايا الرحمانية في الجزائر، ومعلم من معالم القرآن الكريم، فقد تأسست حوالي ثلاث قرون ونصف بمنطقة بوفولة، دائرة شلغوم العيد، على يد رجال الأسرة الحملوية، التي تعد من أعرق الأسر الدينية العلمية، المشهورة بالصلاح، والتقوى، والفضل والخلق، فقد ورثوا العلم، والقرآن أباً عن جد، حتى برز أحد أبنائها؛ الشيخ علي بلحملاوي مؤسس الزاوية الحملوية.

❖ مؤسس الزاوية الحملوية: الشيخ علي بلحملاوي:

تعود أصوله إلى الأسرة الحملوية، التي يرتفع نسبها إلى الأدارسة الحسنيين، من آل النبي صلى الله عليه وسلم، قدمت هذه الأسرة ذات النسب الشريف، من مدينة تازة المغربية، وحطت رحالها في المكان المعروف بوفولة بشلغوم العيد، نواحي قسنطينة. وكان ذلك في القرن 9هـ. منتصف القرن الخامس عشر ميلادي (2/1 ق 15 م)، ولد، وترعرع وسط أسرة محافظة، علمية قارئة للقرآن الكريم. لقد عرف منذ نعومة أظفاره بحفظه لكتاب الله، والعلوم الشرعية، والحكمة، والذكاء، والنبوغ وسط أقرانه. تتلمذ على يد الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد، إمام الطريقة الرحمانية بالصدوق، وواصل سلوكه الروحي

عنده.¹ وهذا لم يمنع من ترحاله، وتنقله إلى مجالس العلماء ومزاحمتهم، حتى ينهل من علمهم، لذا فهو له شيوخ كثير، في مختلف العلوم والفنون.

❖ شيوخه: لقد نهل الشيخ علي بن الحملاوي العلم من كبار العلماء، فقد أخذ الطريقة الرحمانية والسلوك على يد الإمام الحداد، وبقي ملازماً له حتى أصبح مقدماً في الطريقة. كما أخذ العلوم الأخرى على يد كل من السيد خليفة المؤسس، وعلي بن عمر، وكذا الشيخ محمد بن عزوز البرجي.²

❖ وفاته وآثاره:

عاش الشيخ المؤسس في رحاب القرآن، ومجالس العلم، والفتوى، وخدمة الوطن، طول حياته. سلك الطريقة الرحمانية منتهجاً حتى وافته المنية، والتحق بالرفيق الأعلى سنة 1317هـ/1899م ودفن بالزاوية بعد مدة قضاها على رأس الزاوية الحملاوية، يسهر على شؤونها، وطلابها، ويدعوا إلى الله بالحكمة الطيبة. بعدما عرف بالمحافظة، والزهد، ولزومه طوال اليوم لا يخرج عنها، يمتاز بالذكاء الحاد.³

لقد أسس الشيخ علي الحملاوي الزاوية في منطقة نائية، بعيدة عن الطريق، ويتم نقل الماء إليها عن طريق الدواب، والصحاريج⁴، وبالتدرج تم نقلها إلى واد العثمانية، وتعد بوفولة المقر الرئيسي للزاوية الحملاوية، قبل أن تتحول إلى المكان الحالي بعين العرس، ببلدية واد سقان، دائرة تلاغمة، ولاية ميلة.⁵

لقد أسست زاوية الحملاوي على دعوة إصلاحية، ورسالة جهادية، والتمسك بالإسلام، والعروبة؛ فهي زاوية ذات رسالة، ومنهج، رسمت من أجله، وهي أن تكون قلعة من قلاع القرآن الكريم، والمحافظة على العقيدة الراسخة.

بعد وفاة الشيخ المؤسس تولى رئاسة الزاوية، ورعاية شؤونها، بنه الشيخ عمر، المتخرج من جامع الزيتونة، تلذاه الأعين، وتعظمه القلوب، وترضاه الأرواح، والعقول،⁶ وفي عهده الشيخ عمر وبفضل

¹ مقابلة مع الشيخ الزاوية محمد الهادي الحسيني الحملاوي، يوم 06-06-2016، على الساعة 18:00 داخل الزاوية.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 107.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص: 169.

⁴ مقابلة مع الشيخ محمد الهادي الحسيني، يوم 29-04-2016، على الساعة 16:10 بالزاوية.

⁵ صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، دار البراق، ط1995م، لبنان، ج2، ص: 338-339.

⁶ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 109.

الله، ومساعدة المحسنون تم فتح المعهد الكتاني في قسنطينة، ليكون فرعاً مكماً للتعليم في الزاوية الحملاوية

ليتولى المشيخة أخوه سيدي عبد المجيد، الذي كان له من العمر أربع سنوات لما توفي والده عبد الرحمان عام 1942م. وقد حفظ القرآن الكريم، وتلقى دراساته الأولى في الزاوية.

ثم بعثه أخوه عمر ليواصل دراسته بالقرويين في فاس، حين تخرج متقاعداً برتبة رائد. لتسند إليه مشيخة الزاوية، إثر وفاة أخاه الشيخ عمر رحمه الله عام 1966م.¹

وللإشارة فإنه غير الطريق سنة 1970م على يد الشيخ الطريقة الهبرية، الدرقاوية الشاذلية محمد بلقايد التلمساني (1911م-1998م) الذي تربى عنده، وذاق معارج السلوك لديه، وأذن له في

الطريقتين الرحمانية الخلوتية، والهبرية؛ التي أخذ منها مشربه السلوكي الصوفي.²

تولى الشيخ عبد المجيد المشيخة بالزاوية قرابة 37 سنة، بكل اجتهاد، وإخلاص وتفان، وكفاءة،

مكنته من مواصلة مسيرة أجداده، فنفتح فيها روحاً علمية، وتربوية اجتماعية جديدة، متناسقة مع تطور

العصر أصالةً وتجديداً. خادماً طلبة القرآن الكريم، وأهل الطريق إلى أن وافته المنية سنة 2009م، ليدفن

جوار أهله، وأجداده بزاوية الحملاوية.³ ويخلفه ابنه الأكبر محمد الهادي. وهو الشيخ الحالي للزاوية، الذي

تشرفنا بزيارته.⁴

سلسلة شيوخ الزاوية الحملاوية الرحمانية بضاحية تلاغمة ناحية قسنطينة.⁵

* مؤسس الطريقة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري (ت 1208هـ/1794م)

*علي بن عيسى المغربي.

*محمد أمزيان بن الحداد.

*مؤسس الزاوية الحملاوية الشيخ خليفة علي بن الحملاوي (1317هـ)

*ابنه الحفناوي بن علي (1320)

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 109.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 110.

³ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 110.

⁴ زيارة للزاوية الحملاوية، 2016.

⁵ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 113.

*أخوه أحمد بن علي (1332هـ)

*أخوه عبد الرحمان بن علي (1361هـ/1942م)

*أبنة عمر بن عبد الرحمان (1385هـ/1966م)

*أخوه عبد المجيد بن عبد الرحمان (ت 2009)

*أبنة الأكبر محمد الهادي الشيخ الحالي¹.

المطلب الثالث: زوايا قالة الرحمانية

❖ زاوية اعمارة بديار في الناظور بلدية بني مزولين في ناحية قالة:

هي إحدى الزوايا الفرعية التابعة للطريقة الرحمانية، يعود تأسيسها إلى سنة 1869م في منطقة الناظور، بلدية بني مزولين في ناحية قالة شرق الجزائر، أسسها الشيخ اعمارة. مؤسس الزاوية: ولد الشيخ اعمارة بديار بني صالح العمراني، بعرض القبائل، خلال سنة 1832م، يعود نسبه الشريف إلى إدريس الأكبر، مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب الذي يرتفع نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة. توجه إلى زاوية الشيخ محمد بن علي الحداد بصدوق، فيها أخذ الشيخ اعمارة بديار تكوينه العلمي والصوفي، فتمكن في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وأخذ تربيته الروحية، والسلوكية من شيخه الحداد، الذي لقنه في سلسلة من الخطوات أسماء السلوك؛ وفق الطريقة الخلوتية، وبعد أن رأى فيه علامات الصلاح والتجابه، فوجهه إلى الدعوة وسط قومه؛ مريباً، ومعلماً لطريق الله.

وعاد الشيخ اعمارة إلى بلاده مليئاً طلب ورغبة شيخه محمد الحداد، فبعد عودته إلى عرش القبائل؛ بنى في بداية نشاطه؛ خيمة أسكن فيها عائلته، وكوئناً ليتعلم فيه طلبته القرآن سائر العلوم الأخرى، وبعد أن فتح الله عليه؛ بنى مدرسة، ومسجداً، وكان ذلك حوالي 1869م. واصل المؤسس نشاطه التربوي، والتعليمي إلى أن وافته المنية حوالي 1901م رحمه الله. فخلفه على شؤون الزاوية ذريته، أولهم بنه الشيخ محمد الحفناوي، حفظ القرآن على يدي والده رحمه الله. وأكمل تكوينه الروحي، والعلمي على خلفاء والده، وعلى الشيخ محمد بن عمار الطلحي²، وبعد وفاته رحمه الله التي

¹عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص113.

²أحد كبار مقادير الشيخ الحداد بالمنطقة.

كانت في يوم 5 جوان 1943م، خلفه بنه علي، ليتولى شؤون الزاوية الشيخ عبد المجيد؛ المولود في 25 ماي 1910م، فسار على درب أبيه، وجاهده؛ مواصلاً رسالة الزاوية التربوية، والعلمية، والاجتماعية، ورغم توقفها في 31 أكتوبر 1958م بقرار فرنسي، والتحاق طلبتها بصفوف جبهة التحرير، إلا أن الشيخ عبد المجيد، أعاد فتحها قبيل الاستقلال لتواصل رسالتها، واستأنف نشاطه المعهود، وفكر في إنشاء معهد إسلامي بها، وبعد وفاته رحمه الله أسندت أمور الزاوية للأخ محمد المولود في 1907م وهو البكر لوالديه، حفظ القرآن كله على والده، ورفيقه في جل أسفاره، وأمين أسراره، تقلد مهمة الكاتب العام. للمجلس الإداري للشورى، واعتمد عليه في تحضير المناسبات الدينية، حسب هذه المعطيات كان هو المؤهل لخلافة والده على رئاسة الزاوية، لكن المحيط به، وأعيان عائلته من أعمام، اتفقوا على خلافة أخيه الأصغر عبد المجيد خلفاً لوالدهما، وإثر وفاته 1980 تولى مشيخة الزاوية أخوه أحمد (1922م) إلى أن وافته المنية 1996 رحمه الله.

ومن فروع هذه الزاوية العريقة في التاريخ زاوية بديار في الناظور نذكر:

* زاوية الحاج مسعود طلعي: يعود تأسيسها إلى الشيخ أحمد الطاهر، بن مسعود، حوالي 1870م.

* زاوية محجوب: زاوية محجوب يعود تأسيسها إلى 1820م، على يد الشيخ محمد محجوب وهو من قرية لغروس، بنواحي طولقة بسكرة، هذه الزاوية التي كان هدفها الأول هو تعليم القرآن الكريم، وعلوم الشريعة، قد أغلقها الاستعمار، وطرد أهلها في 1957م.¹

* زاوية السعيد الجميلي: يعود تأسيس الزاوية 1880م، وهي فرع عن زاوية اعمارها بديار علي يد الشيخ الجميلي، المولود سنة 1855م.

* زاوية سعدان بطاية: يعود تأسيسها إلى الحاج الطاهر سعدان بجيجل.

* زاوية معطي الله الركنية: يعود تأسيس هذه الزاوية الرحمانية إلى الحاج عمار، بن محمد بن محمد حوالي 1880م.

* زاوية المخلفي بعين مليلة: يعود تأسيس هذه الزاوية إلى الشيخ محمد العلمي، بن علي المخلفي، الذي عمر حوالي قرن قضاها في العلم، والعبادة، والتربية الروحية، كان رفيق العلم والسلوك، والطريق، الشيخ عبد الرحمان باش تارزي إمام الرحمانية بقسنطينة.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 117-118.

فأسس الشيخ محمد العلمي، زاوية ذات أصول رحمانية في أولاد عاشور قرب عين مليلة، وبقي قائما بشؤونها إلى أن توفي عام 1843م/1259هـ، ليتولى أمورها ابنه الحاج محمد الشريف، الذي قد أسس خلال حياة والده زاوية أخرى، بجبل زرازار.

*زاوية الشيبانيين في البيان: يعود نسب الزاوية إلى جد عائلة الشيباني، الولي الصالح سيدي منصور الذي استقر في ناحية وادي الخميس، بين دائرة بني منصور، والبيان، وهو رجل صالح عرف بالعلم والدعوة لله. توفي عام 1780م.

المبحث الرابع: الزوايا الرحمانية بمنطقة الأوراس (تبسة خنشلة-باتنة)

يقصد بالأوراس، المنطقة الممتدة من جبال بوطالب، الحضنة الشرقية، غرباً إلى حدود تبسة شرقاً، ومن وراء بسكرة جنوباً، إلى حدود دائرة قسنطينة،¹ وهي عبارة عن همزة وصل بين الأطلس التلي، والأطلس الصحراوي،² لقد ضمت هذه المنطقة عدة زوايا تابعة للطريقة الرحمانية، المنتشرة في القرى والأرياف، ومثلت الحياة الدينية والروحية، والعلمية بالمنطقة.

المطلب الأول: زاوية بني عبد الصمد

تقع بعين الشفا بباتنة، ينتهي نسب العائلة إلى النسب الشريف، وعبد الصمد يعود نسله إلى الولي يحيى بن زكريا، الذي استوطن في أعلى جبال الأوراس، بناحية بوثعلب، ثم استقر في قبيلة القصر. حيث أنشأ زاويته؛ التي كانت ملجأ للمساكين، والمحتاجين، زيادة على تدريبها للعلوم الشرعية، وقد أعطى الشيخ عبد الصمد للزاوية السالفة إشعاعاً واسعاً، بفضل علمه ووعيه وصلاحه، ينتهي نسبه العلمي الروحي للطريقة الرحمانية الخلوتية فقد أخذ الورد، ولقن مبادئها على يد شيخها بقسنطينة عبد الرحمان باش تارزي وبعد وفاته 1820م/1224هـ خلفه على رئاسة الزاوية ابنه الأكبر الشيخ علي، وبعده تولاها أحمد بن علي، ثم تداول عليها ابنه محمد، لتنتقل إلى ابنه محمد الثاني، لتعود إلى ابنه الشيخ عبد الله

¹ يحيى بوعزيز، مقال عن الأوراس، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والاعلام الجزائري، ع80، 1984م، ص:160.

² عبد الرحمان محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، 2007، الجزائر، ج1، ص:63.

بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الصمد، الذي خلفه ابنه محمد؛ وهو المجاز في الطريقة الرحمانية من طرف مقدمها الشيخ بوزيد بن أحمد بن محمد في قرقور أحد تلاميذ الشيخ علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة وخليفة الشيخ محمد بن عزوز البرجي.

* زاوية بن الدراجي: التي تقع بسريانة دائرة مروانة ولاية باتنة، يعود تأسيسها إلى نهاية القرن 19م اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم، كان على رأسها الشيخ ابن الدراجي الذي توفي 1933م كان بها حوالي 40 طالب.¹

* زاوية مولقروور: أسست حوالي 1871م بسريانة على يد الشيخ الطيب الذي وافته المنية 1930م ليتولاها ابنه الشيخ علي بن الطيب. عرفت الزاوية نشاطا مكثف في تحفيظ القرآن بلغ عدد طلبتها في زمن الشيخ المؤسس 90 طالب.

* زاوية ابن علجيه: مقرها عرش أولاد سلطان، يعود نسبها إلى الشيخ ابن علجيه الذي انتقل إلى الرفيق الأعلى في 1932م رحمه الله اهتم في حياته بتحفيظ القرآن الكريم. بلغ عدد طلبة زاويته عدد 150-200 طالب.²

المطلب الثاني: زاوية الصادق بلحاج:

تقع هذه الزاوية بجبل أحمر خدوا بالأوراس، أسسها الشيخ سي الصادق بلحاج الأوراسي حوالي 1813م بأمر من شيخه محمد بن عزوز البرجي، فبعد أن أكمل دراسته عنه وأخذ الطريقة الرحمانية وعينه مقدما لها بناحية لقصر، عرفت الزاوية بنظامها التعليمي إضافة إلى إيواء الطلبة وإطعامهم والتكفل بهم إلى غاية إكمال دراستهم.

المطلب الثالث: زاوية الشيخ علي دردور:

تقع هذه الزاوية بقرية مدرونة وادي عبدي نواحي باتنة، اختلف المؤرخون حول تاريخ تأسيسها إذ يشير البعض إلى أنها تأسست 1876م، على يد الشيخ الهاشمي دردور وذلك بعد عودته من

¹ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 417.

² صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 417.

مصر،¹ في حين يذهب الأستاذ صلاح مؤيد العقبي في كتابه الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر على أنها أسست بداية القرن 19م من خلال قوله: " أسسها الشيخ علي دردور، بمدرونة بأولاد عبيد بالأوراس، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى بداية القرن التاسع عشر"² تولة تسييرها الشيخ الهاشمي، بن علي دردور بعد وفاة الوالد، كان يدرس بها العلوم الدينية، واللغوية، بالإضافة إلى قيامه بمهمة الوعظ والإرشاد، والإفتاء، والإصلاح بين الناس.³

ومن الزوايا الفرعية الرحمانية بمنطقة الأوراس نذكر:

المطلب الرابع: زاوية أولاد سيدي يحيى بن زروق

تقع هذه الزاوية بوادي بني فضالة، قرب قرية بني معافة، وهي من أقدم الزوايا بالمنطقة، يعود تأسيسها إلى العهد العثماني، وآخر شيوخها هو الشيخ أحمد الزروق؛ مقدم الطريقة الرحمانية، بالجهات الوسطى من الأوراس. عُرفت الزاوية بنفوذها الروحي الكبير، وسط السكان، وكذلك لدى السلطات العثمانية.⁴

بعد هذا العرض للزوايا بمنطقة الأوراس، وللأدوار التي لعبتها آنذاك خاصة رباطها ومقاومتها، ضد المحتل فما كادت تنطفئ مقاومة حتى تشور بمنطقة أخرى، إضافة للدور الذي قام به رجالها في مواجهة المبشرين، وسياسة التنصير للآباء البيض، الذين نزلوا بأريس وضواحيها، من خلال المناهج التربوية التعليمية، وسياسة المقاطعة التامة لهم، هذا ما اضطرهم لرحيل وبيع ما يملكون من بنايات وعقارات، وأراضي.

إنّ حب الوطن جعلهم يذودون عنه بالنفس، والنفيس، هذا ما جعل فرنسا تقوم بتخريب زواياهم، ونفيهم إلى خارج الجزائر، وفرض الإقامة الجبرية على شيوخها، مع التعذيب والتشكيل بهم.

¹ عبد المنعم الحسني، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل لنشر والتوزيع، ط2013م، ص738.

² صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص420.

³ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص:420.

⁴ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص:425.

إنّ الدور الذي لعبته منطقة الأوراس جعلها راسخة، وضاربة في التاريخ؛ بمواقف رجالها الأشاوس، ومثال للجهد، والتضامن، والوحدة، والنخوة الوطنية.

المبحث الخامس: الزوايا الرحمانية بالجنوب الجزائري

يقصد بها الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية الواقعة في الشريط الجنوبي، وراء الأطلس الصحراوي والتي ظهرت في المناطق التالية: برج بن عزوز، طولقة، خنقة سيدي ناجي، أولاد جلال، واد سوف المسيلة، والتي سنعرض لها في هذه السطور، للتعريف بها وشيوخها.

المطلب الأول: زاوية محمد بن عزوز البرجي

تقع في طولقة، بولاية بسكرة في منطقة تسمى برج بن عزوز، نسبة إلى أسرة المؤسس الشيخ محمد بن عزوز البرجي، يعود تأسيسها إلى حياة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهرى، حيث أمر شيخها الذي أخذ السلوك على يديه بأن يفتح زاوية؛ ويقوم بنشر الطريقة الرحمانية هناك بمنطقة الجنوب، ويعود هذا إلى نهاية القرن 1770 م.

❖ مؤسس الزاوية: يعود تأسيس الزاوية إلى محمد بن عزوز البرجي، الذي ينتهي نسبه إلى النسب الشريف، حيث تنتهي شجرة نسب العائلة العزوزية إلى إدريس الأكبر، ثم إلى علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.¹

¹ أنظر شجرة العائلة في عبد الرحمان بن الحاج، الدرّ المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز، دار النجاح، الجزائر، د.ت، ص، ص2.

فهو محمد بن عزوز، ولد بالبرج من صحراء بسكرة في حدود سنة 1170هـ، وتوفي سنة 1233هـ تربي في كنف والده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل العلم.¹ وترجع شهرة الزاوية لشهرة المؤسس؛ التي جمعت بين الشرف، والعلم، والخلق، والصالح والجهاد، فهو بن العائلة العزوزية شريفة النسب، التي تميزت ببايعها في مجالات الإصلاح الديني والاجتماعي، وفي حمل لواء الكفاح ضد الأعداء، وبزيارة أبنائها في كثير من فنون الأدب، والشعر والفقه، والدعوة، والإصلاح، والفكر. وقد ارتبط اسم العائلة ارتباطاً وثيقاً بالطريقة الرحمانية، حتى أنها نسبت إليهم، وسميت بالعزوزية.

لقد استكمل محمد بن عزوز نشر مبادئ الطريقة الرحمانية؛ بمنطقة الجنوب الشرقي الجزائري حيث أسس زاويته الشهيرة بمسقط رأسه بالبرج، هدفه نشر الدين الإسلامي، والعلم² وحسب أبو القاسم سعد الله فهو ليس مقدما للطريقة الرحمانية بالجنوب؛ بل هو المؤسس الثاني لها، بعد الشيخ عبد الرحمان الأزهري، وناشرها في الجريد التونسي، وهذا لكثرة أتباعه، وشهرته، وامتداد نفوذه.³ يعود له الفضل في اشتهار زاويته بالبرج، ومنافستها للزاويا الأخرى، عريقة في التاريخ الجزائري. ولعل أبرز ما ميز هذه الزاوية؛ هي جمعها بين العلم، والتصوف، والجهاد، بشكل واضح وجليٍّ ومستمر، ساهمت منذ تأسيسها في نشر العلوم الدينية، وبت تعليم الرحمانية على يد شيخها محمد بن عزوز، وبعد وفاته أوصى بخلافته لابنه مصطفى، وكان قد خلفه أبناء آخريين، منهم الحسن، والتارزي، وعباس، والمبروك محمد المدني، ومن جهة أخرى تميزت بالعداء الشديد للعدو، فأسرة بني عزوز؛ هي العدو رقم واحد في الجنوب للسلطات الاستعمارية، ونتيجة هذا العداء أغلقت فرنسا الزاوية، وصادرت ممتلكاتها. وقطعت أواصرها هذا ما دفع بأبنائها للهجرة للجريد التونسي، لمواصلة الدعوة، ونشر الطريقة الرحمانية هناك وبعدها تأسيس زاوية نفطة التي واصلت مهمة الزاوية الأم هناك بالجريد التونسي.⁴ وما يجدر الإشارة إليه هنا، هو أن للزاوية فروع عدة داخل، وخارج الوطن، وذلك في كل مناطق ترحال أبناء العائلة العزوزية. فقد خلف مصطفى أبناءه إذ ساروا على نهجه في نشر الطريقة الرحمانية،

¹ الحفناوي، تعريف الخلق برجال السلف، ج2، ص:482.

² نفيسة دويدة، محبة عن آل بن عزوز البرجي، زيارة علمية وجهاد متواصل، مجلة دراسات تراثية، 2007، ص:97-98.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص:146.

⁴ علي الرضا الحسيني، نور الصحراء محمد بن عزوز، ص25. /عبد المنعم الحسيني، المرجع السابق، ص:743.

العزوزية الخلوتية، ومبادئ العلوم الأساسية التي تلقوها، حيث اختار كل واحد منهم منطقة مختلفة لبث نشاطه إذ نجد الحفناوي تولى الإشراف على زاوية أبيه بنفطة، ومحمد أسس زاويته بمدينة القيروان ومحمد المكي أسس زاوية بإسطنبول، كما كانت لهم فروع أخرى بالأغواط، والمسيلة، وطولقة وغيرها.¹

وجاء قول صاحب الدر المكنوز معبراً عن خدمته للطريقة، وتفانيه في نشرها، والدفاع عنها؛ لقد خدم رحمه الله الطريقة خدمة عظيمة، واشتهر كثيراً لما له من الحلم، والكرم، والسر العظيم، ومن كثرة اجتهاده في بث الطريقة، فإنها في الجهة الصحراوية أصبحت تسمى العزوزية.²

سلاسل شيوخ العائلة العزوزية:³

مؤسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمان الأزهري (1208-1794م).

عبد الرحمان باش تارزي القسنطيني 1222هـ.

جد العائلة وإمام العزوزية محمد بن عزوز البرجي (1170-1233).

ابنه مصطفى مؤسس زاوية نفطة.... (1258).

ابنه الحفناوي (نفطة..).

ابنه محمد الأزهري.

ابنه محمد المكي (اسطنبول).

ابنه محمد الكامل (سوق اهراس).

حفيدة محمد الكامل (ع البيضاء).

أبناءؤه الآخريين:

الحسين وأبو العباس ومحمد الشيخ.

والحسن خليفة الأمير عبد القادر.

ابنه المبروك (الأغواط) 1886م.

¹ نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص: 98 بتصرف.

² عبد الرحمان بن الحاج، المصدر السابق، ص: 403.

³ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 149.

ابنه عبد القادر العزوزي 1990.

أخوه الأزهري بن المبروك 1951.

ابنه محمد الأمين 1970م.

ابنه التارزي الشيخ الحالي بوادمره جهة الأغواط.

ابنه محمد.

ابنه صفي الدين (زاوية الأغواط) الرحمانية.

خلفاء الشيخ محمد بن عزوز من غير عائلته وأبناءه:¹

- الشيخ علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة 1258هـ/1842م.

- الشيخ سيدي سالم بن محمد مؤسس زاوية وادي سوف 1277هـ.

- الشيخ عبد الحفيظ الخنقي بن محمد مؤسس زاوية خنقة سيدي ناجي 1266/1850م أبناءه محور

زاوية تونس، والحفناوي زاوية تمغرة ومحمد الأزهري (زاوية الحيران).

- الشيخ المختار بن عبد الرحمان الخالدي مؤسس زاوية أولاد جلال 1276هـ.

- الشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل (بوسعادة).

- الشيخ الصادق بلحاج مؤسس زاوية تبرماسين باتنة 1278 - 1862م أبناءه الطاهر والبشير.

- الشيخ محمد الصادق بن رمضان ببسكرة 1282هـ-1864م.

إضافة إلى الشيخ المدني التواتي، أمبارك بن خويدم، روجح البوزيدي، أبو ستة الدراجي، علي الجروني الخالي.

وكما سبق الذكر فإنّ الزاوية العزوزية، هي بمثابة الزاوية الأم، للزوايا الرحمانية بالجنوب والشرق

والجريد التونسي، وذلك لأدوارها في المنطقة، وبعد تأسيس الزاوية العزوزية عام 1770م، تحولت بمرور

الزمن إلى ملجأ، ومأوى لكل الفارين من الإستعمار الفرنسي ولتصبح مركز إشعاع ديني، ومنبر

للدعوة، والجهاد، كما كانت الزاوية العزوزية ساحة نورانية بالذکر، والعبادة، وتحفيظ القرآن الكريم

وبالتربية الروحية، وأمدت المؤمنين بما يحتاجونه من الأغذية الدينية، فشيخها كان مصلحا بين الأفراد

والجماعات، وعمل على نشر الألفة، والهداية، والسعي في إصلاحهم، ومصلحهم، فالزاوية في بداية

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 149.

عندها كانت تسع مائة طالب؛ حافظ لكتاب الله، جُلبهم فقراء، ویتامی، وظلت الزاوية هي ملاذهم بعد الله وملجأ لكل مشرد، فقير، یتیم، تواصل إجتهداها، وتبليغ هذه الأمانة، بكل حفاوة، وإخلاص إلى أن توفي شيخها رحمه الله. وخلفه أبناءه، وأحفاده الواحد تلو الآخر، وكلهم على مسيرة والدهم في العمل، والإخلاص.

ولا زالت الزاوية بوادي مُرة، تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتربية الطلبة، وتربية دينية، والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

ولقد عرفت الزاوية العزوزية الرحمانية، بوادي مُرة، بأنها زاوية قرآنية دينية، وقد ارتبطت بها هذه الصفة منذ السنوات الأولى من بداية الانطلاق في هذا المجال. وذلك لكونها كانت بعيدة كل البعد عن الخرافات، والتدجيل، والبدع، والشعوذة، ويتجلى ذلك في مؤلفات العائلة العزوزية، خاصة كتاب رسالة المرید في قواطع الطريق، وسوالبه وأصوله، وأمّهاته الشيخ محمد بن عزوز.

المطلب الثاني: الزاوية العثمانية بطولقة (العزوزية الرحمانية لعلی بن عمر بطولقة):

هي إحدى أهم الزوايا التي بُنيت على قواعد راسخة من الإيمان، والعلم، تقع في مدينة طولقة تحديدا خارج البلدة القديمة، في الطريق المؤدي إلى برج بن عزوز، في مكان يسمى حارة الهيرة.¹ تبعد عن بسكرة حوالي 40 كلم غربا، بالجنوب الجزائري، تأسست حوالي 1780م/1191م.

❖ مؤسس الزاوية: هو الولي الصالح القدوة الناصح، أبو الحسن علي بن عثمان الشريف الحسيني، علي بن عمر المشهود له بالزهد، والصلاح، والتقوى، والنسب الشريف، ولد في بلدة طولقة حوالي 1166هـ، وتوفي يوم الخميس 3 ربيع الأول سنة 1258هـ، إنصرف للعبادة منذ مطلع حياته.

انتقل إلى جوار ربه بعد أن أكمل الرسالة، وأدى الأمانة؛ التي بدأها شيوخه من قبل، وهي الدعوة لله، ونشر تعاليم الرحمانية، وبناء مقام لها بطولقة، لينتفع به الناس، وبعد أن وافته المنية وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، توالى على زاويته شيوخ أجلاء، وقامات روحية، علمية وقاموا على شؤون الزاوية العامرة بذكر الله، ومجالس العلم بنيات صادقة، لوجه الله الكريم. وكان لهم الفضل في المحافظة على أوقافها وأموالها؛ فهي كانت من أغنى الزوايا في هذه الفترة.

¹ سليمان العيد، تاريخ علي بن عمر، دار هومة، ط1998، ص:12.

لقد تربي الشيخ علي بن عمر في كنف العز والشرف وبيت العلم والصلاح، زاحم خلال مسيرته العلمية مجالس العلماء، عاش ملازمًا شيخه، فلما رأى منه الصلاح، والتقوى، وزوجه ابنته التي أنجبت له علي بن عثمان، هو خليفته فيما بعد، ومؤسس مكتبة الزاوية.¹

عاش الشيخ اثنان وتسعون سنة؛ كلَّها في العمل، والدعوة لله، والوعظ، والإرشاد، ما عدا سنواته الأولى، التي كان يتربي فيها، ويتعلم على يد شيخه السلوك، والتربية، فبعد أن اتخذ الطريقة الخلوتية الرحمانية رحاباً، عمل على تطويرها، والعمل على المضيّ قدماً نحو الأفضل، وإرساء رسالتها التربوية الروحية، التعليمية، وبت الأخلاق الإسلامية بين الأجيال ومن بين هؤلاء الأفاضل نذكر:

✓ الشيخ مصطفى بن عزوز (1803م-1220هـ) تولى رئاسة الزاوية مدة ست أشهر فقط، كما شرع في تأسيس زاوية نفطة بناء على أمر شيخه.

✓ الشيخ علي بن عثمان: هو أكبر أبناء المؤسس علي بن عمر، ولد بطولقة 1232هـ/1814م نشأ في كنف أسرة علمية محافظة، تولى رئاسة الزاوية، وخدمها بكل إخلاص، وحب. كما خدم الإخوان بها، ليتولى تسيير شؤون الزاوية فيما بعد الشيخ الحاج بن علي بن عثمان؛ حيث تولى أمور الزاوية بكل جدّ، وإخلاص، ويعود له الفضل في تزويد مكتبة الزاوية بالكتب المطبوعة، والمخطوطات النادرة، إضافة إلى تعميمها والاعتناء بها، فقد عمر الزاوية بدروس الوعظ، والإرشاد، وحلقات الذكر في الليل والنهار ترك منظومة مخطوطة في التصوف من 800 بيت.²

لقد تميزت فترة توليه الزاوية بالابتعاد عن السياسة، والاشتغال بها، كما ركز عن الدور الزاوية التعليمي، والاجتماعي؛ يقول أبو القاسم سعد الله في هذا المقام "ويظهر أن الشيخ علي بن عمر لم يتدخل مباشرة في السياسة، ولا في هذا الصراع على الأمور الزمنية، فكان قد فتح للجميع زاويته يُعلم ويُتعبد ويُنشئ مكتبة، ويطعم الفقراء، ويُصلح بين الناس، وقد اتبع خلفاؤه سيرته بعده، فلم نجدهم مثلاً يتدخلون في الأحداث السياسية؛ التي عرفتها المنطقة بعد ذلك، أو البعيدة عنها مثل ثورة 1871.³

¹ عبد المنعم الحسيني، المرجع السابق، ص: 747.

² علي الرضا الحسيني، المرجع السابق، ص: 22.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص: 149.

انتقل إلى جوار ربه عام 1368هـ - 1948م¹، لتولاها فيما بعد الشيخ عبد الرحمان بن الحاج بن علي بن عثمان المولود في 1327هـ - 1909م؛ حيث تولى الإشراف على الزاوية، ورئاستها بعد وفاة أبيه شيخها الحاج، فزاد في نشاطها الإسلامي، فجعل الزاوية في عهده مركزاً للثورة، ورجالها وبسبب هذا تعرض للإهانة والسجن، من آثاره كتاب الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز. وافته المنية في 1386هـ الموافق ل 1966م بطولقة،² لتنتقل رئاسة الزاوية إلى الشيخ عبد القادر بن علي بن عثمان، وهو شيخها الحالي، وقد كتبت الأقدار لنا لزيارته، ومجالسة مجالسه العلمية، ومجالس العلم والصلح، والفتوى، والارتقاء من معارفه ودرره الكلامية.³

ولد الشيخ سنة 1348هـ الموافق ل 1929م، له اطلاع واسع في العلوم الشرعية، ونشاط واسع في الشؤون الدينية والاجتماعية، تولى رئاسة المجلس الأعلى الاسلامي لفترة، كما تولى أمور الزاوية بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الرحمان، وانصرف إلى خدمة الزاوية على نهج أجداده الأوائل، ومن أهم إنجازاته في الزاوية تجديدها، وبنائها على طراز حديث، مع توسعه كبرى، أصبحت الزاوية بعدها تحوي عدة أبنية (المسجد، المقام، بناء مكتبة، بناء سكنات للطلبة، قاعة رياضة، قاعة علاج، إقامة للباحثين والزوار).⁴

وكان هدفه من وراء هذا العمل هو إحياء سنة أجداده الأوائل، والمحافظة عليها، ولعل شهادة الشرف " ومنهم الولي الصالح الشيخ سيدي علي بن عمر صاحب الطريقة الرحمانية الخلوتية، كان يطعم لقراء العلم والقرآن والفقراء والإخوان وعابر السبيل"⁵ هي قوته في إحياء سنة أجداده والشاهد أن الزاوية العثمانية بطولقة، ما تزال محافظة على رسالتها الربانية العلمية، الروحية، وخدمة أهل العلم.

¹ علي الرضا الحسيني، المرجع السابق، ص: 28.

² علي الرضا الحسيني، المرجع نفسه، ص: 22-23.

³ لقاء مع 16-01-2018. بمقر زاويته.

⁴ علي الرضا الحسيني، زاوية بن عمر، المرجع السابق، ص: 29.

⁵ علي الرضا الحسيني، أعلام زاوية علي بن عمر، المرجع السابق، ص: 36.

سلسلة شيوخ زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة:¹



المطلب الثالث: زاوية خنقة سيدي ناجي

هي زاوية رحمانية تقع في خنقة سيدي ناجي، بالقرب من بسكرة بالجنوب الجزائري.² أسسها

الشيخ أحمد بن محمد، الواغلي الهجرسي في القرن 12هـ.

❖ مؤسس الزاوية: الشيخ أحمد بن محمد الواغلي الهجرسي، يرجع نسبه إلى سيدي هجرس، بن علي

الشريف الإدريسي (دفين فاس)، ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم، والدين³ أعاد تأسيس الزاوية، وبعثها

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 170.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 3، ص: 218.

³ عبد المنعم الحسيني، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، المرجع السابق، ص: 753 (أنظر الهامش).

من جديد على أصول الطريقة الرحمانية، وبث فيها العلم حفيده الشيخ عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الشريف الخنقي؛ وهو الولي الصالح، إمام الطريقة، مظهر السلوك، والحقيقة، فيض الإمدادات الربانية والأسرار الخلوتية الرحمانية، يعود نسبه إلى الشجرة النبوية، فهو شريف النسب، نشأ وسط عائلة علمية وهو أحد خلفاء الشيخ محمد بن عزوز البرجي.¹

لقد ورث الشيخ أحمد الشريف الخنقي على أجداده العلم، ونشر القرآن، وسط القرى، والسياحة الروحية، فقد كان يسيح في الأوراس، يعلم الناس الشريعة، وعمل على بث القرآن، وتعاليم الرحمانية في منطقة الراب الشرقي، حيث أسس في القرن 11هـ زاوية لتعليم القرآن، وعلوم الشرع، وغيرها من العلوم، والفنون في زريبة الوادي.² لينتقل فيما بعد الشيخ أحمد إلى جبل ششار، هناك صحبه قائد قبيلة أولاد سيدي ناجي، محمد الطيب بن محمد الطيب، بن أحمد بن مبارك؛ الذي دعا لتدريس العلم والرياضيات، والفلك في الخنقة، فلبى الشيخ الدعوة وشيد بها زاوية؛ سرعان ما ذاع صيتها، وبرق بريقها العلمي في الأفق، وكانت تنافس كبار الزوايا آنذاك منها الناصرية.³

انتقل أحمد الشريف الخنقي إلى جوار ربه في بداية القرن 12هـ، ودفن بالخنقة، تاركاً وراءه الشيخ عبد الحفيظ؛ الذي واصل مسيرة سلفه العلمية الروحية، حتى وافته المنية. ليخلفه فيما بعد ابنه أحمد، ثم ابنه محمد، ثم ابنه الشيخ عبد الحفيظ بن محمد، بن أحمد بن عبد الحفيظ بن أحمد الحافظي الهجرسي إمام، ورائد الطريقة العزوزية، الرحمانية، الخلوتية في بلدة الخنقة، حيث ولد 1203هـ (1789م) وتوفي عام 1282هـ 1865م، تربى كما سبق الذكر وسط العلم، ومجالس الذكر، صاحب إمام الرحمانية آنذاك الشيخ محمد بن عزوز، وسلك عنده معارج الطريق، أجازه شيخه في الدعوة والتربية. وبعد وفاة شيخه بن عزوز عام 1233هـ، كثف صلواته، وعلاقاته، مع زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة في الجريد التونسي، وتعاونوا على نشر الطريقة، والقرآن، والعلم، تربى على يديه العديد من العلماء بزوايته بخنقة سيدي ناجي؛ من بينهم الشيخ تارزي⁴ بن عزوز، ومحمد المدني بن عزوز، خلف الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ثلاث أبناء:

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 170.

² الورتلاني، الرحلة، دط، ص: 119.

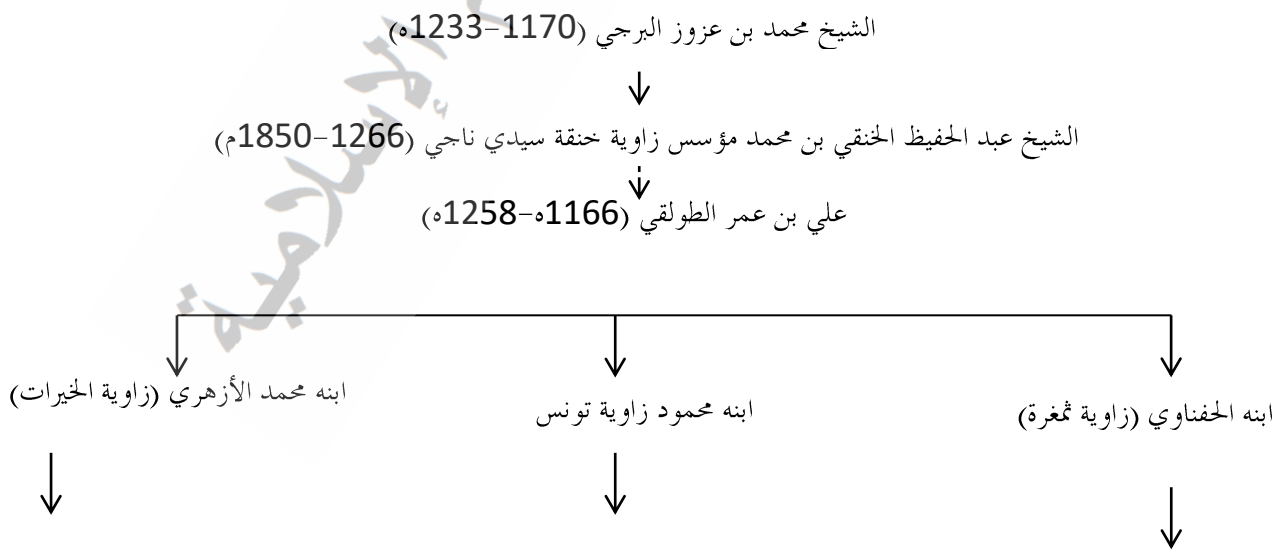
³ المصدر نفسه، ص: 119-120 (بتصرف).

⁴ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 170-171.

- 1- الشيخ الحفناوي: الذي كان مشرفاً على زاوية ثمغرة بالجنوب التونسي، لتولاها فيما بعد ابنه محمد العزوزية، والشيخ الحفناوي، كان من رجال التربية، والعلماء العاملين.
- 2- الشيخ محمود: الذي طور زاوية ليانه، وتولى مشيخة تونس العاصمة.
- 3- الشيخ أحمد الأزهري: الذي ترأس زاوية الخنقة، وأنشأ زاوية في الخيرات بجبل ششار قرب خنشلة حوالي 1896م.¹

لقد كان للزاوية دورا بارزا في الحياة الروحية الصوفية، كغيرها من الزوايا، وقد ذكر ذلك أبو القاسم سعد الله ذلك بقوله: "ولا شك أن زاوية الشيخ عبد الحفيظ قد بدأت بنشر العلم، وقراءة القرآن، وإطعام الطعام للفقراء، شأنها في ذلك شأن كثير من الزوايا في القديم، ثم اختفى دورها العلمي مع تقدم الاستعمار، واقتصرت وظيفتها على الأمور التعبدية، حتى قراءة القرآن لم يعد بها منذ اندلاع الثورة."²

ولإفادة ندرج سلسلة أشهر الشيوخ من ذرية، وخلفاء عبد الحفيظ الخنقي سيدي ناجي³



¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 172.

² أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص: 257.

³ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 176.

عبد الحفيظ، محمد العربي سعد
السعود، بن عزوز، محمد البشير

الحسن بن الصديق المنصوري شيخ الشاعر عاشور الخنقي (زاوية الخنقة)
محمد الصادق بن رمضان (ت1282هـ) زاوية بسكرة
محمد التارزي بن محمد بن عزوز (1310هـ) زاوية نفضة

- الطيب (تمغرة)



- إبراهيم (ليانة بعين الزرقاء)



- البشير (برارشة)

المطلب الرابع: الزاوية المختارية بأولاد جلال:

هي إحدى الزوايا الرحمانية بمنطقة الجنوب، يعود أصلها إلى زاوية طولقة، تقع بأولاد جلال ولاية بسكرة سابقاً¹ أسسها الشيخ المختار الجلاي، سنة 1230-1813م؛ الذي استطاع أن يجذب أعراس أولاد نايل، والقبائل المحيطة به² وذلك بفضل الله، وبفضل علمه، وتقواه.
مؤسسها: هو الشيخ المختار بن عبد الرحمان، بن محمد بن عبد الرحمان، يرتفع نسبه إلى إدريس الأكبر أخذ سلوك الطريق؛ من الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وخليفته، علي بن عمر الطولقي.³

¹ التقسيم الإداري الجديد أصبحت أولاد جلال ولاية.

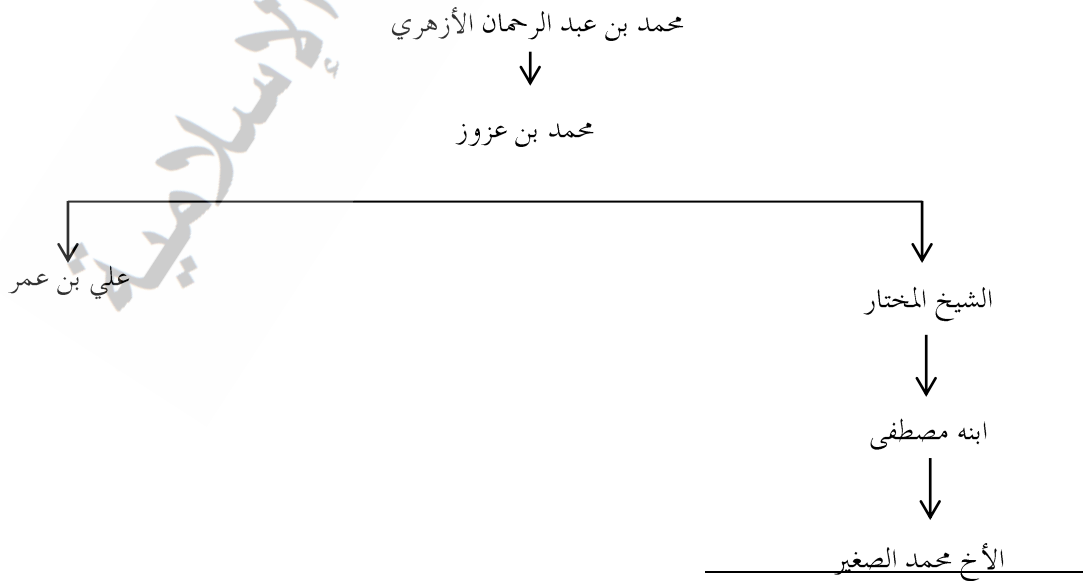
² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 2، ص 125.

³ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 200.

كان يربي طلبته، وقاصديه بالهمة والحال زمن توليه شؤون زاويته، فهو كثير الوعظ والإرشاد بقي قائماً على شؤون زاويته كلها، حتى توفي عام (1276هـ/1862م) ليخلفه فيما بعد مصطفى الذي توفي في بداية شبابه، ليخلفه أخوه الشيخ محمد الصغير؛ الذي عرفت الزاوية في عهده توسعا في العلم، وال عمران، وازداد عدد طلبتها حتى قيل أنه وصل إلى 500 طالب.

قضى الشيخ محمد الصغير عمره كله في التربية، والتدريس، إلى أن أخذ الله أمانته، ليخلفه ابنه الشيخ عبد الحميد، الذي واصل مسيرة والده بتفان، وإخلاص، وبعد وفاته تولى أمر الزاوية ابنه الشيخ خالد، ليتولاها ابن عمه الشيخ عبد الجبار، وبعده ابن محمد الأمين؛ وهو الشيخ الحالي للزاوية.¹

سلسلة المشيخة بزاوية أولاد جلال:²



¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 202-203.

² بتصرف من خلال سلسلة الشيوخ زاوية أولاد جلال.



ومن بين الزوايا الفرعية التابعة لزاوية محمد بن عزوز البرجي نذكر:

*الزاوية الرضائية العزوية الرحمانية: تعود هذه الزاوية للمؤسس محمد الصادق بن مصطفى، بن محمد بن رمضان؛ الذي ولد سنة 1025هـ، وتوفي سنة 1283هـ، نشأ ببلدة بسكرة الطاهرة في زاوية والده الموجودة بباب الخوخة بحي سيدي بركات، تربى في كنف عائلته، وحصن أبيه وسط مجالسه العلمية الشيخ مصطفى بن محمد بن رمضان، لتوجه إلى الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ومن هنا انخرط في الطريقة الرحمانية.

المطلب الخامس: زاوية سالم العزوية الرحمانية بواد سوف:

لقد وصلت الطريقة الرحمانية إلى الوادي عن طريق الشيخ محمد بن عزوز البرجي الذي زارها ومكث فيها أيام، وخلالها نصبت له خيمة¹ ليعلم الناس تعاليم الإسلام، ويبين لهم الإيمان، ومراتب الإحسان، ويحثهم على ذكر الله في كل حال، ويوضح لهم الارتقاء في مدارج التربية الصوفية، وتوج عمل الشيخ بن عزوز ببناء زاوية عزوية بالمنطقة من طرف الشيخ سيدي سالم² الذي وضع نواة الزاوية في بادئ الأمر في بيت من سعف النخيل³، ثم تطورت إلى زاوية في حدود 1819م/1235هـ

¹ تقايد أحمد مفتاح القماري في مكتبة ابنه الأستاذ عبد الباقي مفتاح بقمار بالوادي، زيارتنا له: 16-02-2018.

² رشيد سامي، ص:5.

³ يطلق عليه زريبة، وهو بيت مصنوع بسعف النخيل.

ثم تحولت إلى منارة (صومعة)¹ بأمر من الشيخ علي بن عمر الطولقي، وهي المنارة القديمة للزاوية² بالزاوية الرحمانية بالواد سوف.

تقع زاوية سيدي سالم العزوزية؛ بواد سوف، بسوق الوادي، حي الأعشاش، وسط المدينة بجوارها السوق المعروفة بسوق الأعشاش³ تسمى زاوية سيدي سالم نسبة إلى مؤسسها الشيخ سالم بن محمد⁴.

❖ مؤسس الزاوية: هو الشيخ سالم بن محمد بن محمد بن نصر، بن عطية بن الزاير بن المحجوب، دفين القيروان، ويرفع نسبه إلى الأشراف، عند الشيخ عبد السلام بن مشيش... بن مالك بن علي، بن حرمله بن سلام، بن مزوار بن حيدرة، بن محمد بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثني بن الحسن البسط، بن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزهراء، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵.
ترى يتيمًا في حجر والدته، ورحل إلى القطر التونسي، طالبًا للعلم، والعمل، ثم رجع إلى الوادي، حيث اجتهد في طلب العلم، والبحث عن الشيخ المربي، الذي يُعرج به في مدارج السلوك، إلى أن استقر قلبه عند الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وأين وجد ضالته في العزوزية الرحمانية، بدأ بالأوراد الرحمانية، وبعد وفاة شيخه بن عزوز انتقل إلى طولقة إلى الشيخ علي بن عمر الطولقي، ليحدد العهد، فأدخله الخلوة؛ إلى أن حصل له الفتح المبين والرسوخ، في عين اليقين، حيث عبر عن ذلك بقوله: "ليس القصد في الحور، والقصور، وإنما القصد النظر إلى وجه العزيز الغفور⁶."

ولما لاحظ عليه شيخه الإخلاص، والنبوغ، والنية، وصدق التوجه بالكلية، وشهد فيه الأهلية للمشيخة، أمره بفتح زاوية له بالوادي؛ لتكون منبعًا لتربية وعُشًا روحيا لبث القرآن والعلم، ومنارة يهتدى بها الناس، زيادة على حلقات الذكر، والتلاوة، والصلوات، فامتثل لأمر شيخه، وكان ذلك

¹ صومعة وهي لفظة سلفية تطلق على المنارة.

² رشيد سامي، منارة سيدي سالم بوادي سوف معلم وتراث المواصفات المعمارية والخصائص الإنشائية. مطبعة مزوار، ط2، 2009م، ص: 06.

³ زيارتي لمدينة واد سوف 14-01-2018 مع الباحثة يوسف خيرة.

⁴ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 399.

⁵ مصطفى سامي، الدر المصفي، تضيف وتعليق، علي غنابزية، ص: 103 بتصرف.

⁶ الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 399/ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 176-177/ أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج4، ص: 153.

حوالي عام 1226هـ. فتصدر بها للمشيخة، والتدريس، وإعطاء الورد وإقامة حلقات الذكر، والدعوة إلى الله¹ إلى يوم الناس، هذه الزاوية تشع بنفحات الربانية.

وبعد وفاة الشيخ علي بن عمر، تصدر الشيخ سالم بن محمد للمشيخة، ودعوة الخلق إلى الله تعالى، فكان نسخة عن شيخه في الخلق، والتواضع، والعمل، وخدمة المسلمين وقضاء حوائجهم والإصلاح بين المتخاصمين. كما أنه حافظ على العلاقة الودية الروحية بينه وبين شيوخ العزوزية الآخرين، فكانت بينه وبينهم زيارات، وتعاون، وتآخي، وتآزر، وتوجهت هذه العلاقات بالمراسلات والمكاتبات حتى إنتهت بعلاقات مصاهرة بين الأبناء والأحفاد.

بعد وفاة الشيخ سالم العزوزي 1277هـ/ 1862م، خلفه على رأس زاويته ابنه الشيخ مصباح؛ الذي تربى تربيةً صوفيةً، على يدي والده الشيخ سالم، والشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة. كما عرف بالاجتهاد، والورع، والعبادة، كما كان غزير الدمعة، دائم الفكرة. قام بتولي أمور الزاوية قرابة نصف قرن؛ إلى أن رحل إلى الرفيق الأعلى عام 1327هـ، عن عمر 73 سنة.²

وما ميز فترة الإشراف على الزاوية؛ هو توليه إمامة المسجد لأربع أعوام، وتعليم القرآن به، كما اهتم بتعليم المرأة أمور دينها، وتحفيظها للقرآن، وقد بدأ ذلك مع بنته خديجة التي حفظت نصف القرآن كما علمها الأحكام الأولية الفقهية، ولكن الموت أخذها قبل البلوغ رحمها الله.

ناهيك عن دوره في إرساء قواعد التعليم القرآني بالزاوية، فما يذكر أن الشيخ المؤسس أسس مدرسته القرآنية، وهي أبرز الأعمال المتميزة بعصره، وجلب لها المعلمين، والملاحظ أن الإمامة، والتعليم القرآني استقر في أولاده؛ بكار بن حميدة، وتولاها بكار في زمن المؤسس، وأبناءه، وأحفاده، وأبرزهم أحمد بكار إلى سنة 1885م ثم خلفه ابنه العيد.

وبعد وفاته تولى مشيخة الزاوية السالمية بالواد بعده أخاه الشيخ محمد الصالح (1263هـ)؛ الذي تميّز منذ صباه بشفافية روحية عالية، فكان في صغره كثير المرثي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولشيوخ الطريقة.

¹ أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، المرجع السابق، ج4، ص153.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 177-178.

ولما توفي الشيخ محمد الصالح عن عمر 78 سنة حوالي 1335هـ، انتقلت مشيخة الزاوية إلى ابن أخيه محمد 1294هـ؛ الذي تربى في حضن مشايخ الزاوية، وتعلم حفظ القرآن في حجر والده، وعمه، كما نبغ في العلوم الشرعية، هذا ما مكّنه من مواصلة مسيرة الزاوية على طريقة أسلافه مدة 28 سنة، حتى توفي عام 1363هـ¹. وإثر وفاته رحمه الله خلفه ابن عمه الشيخ بن عزوز، بن محمد الصالح بن سالم المولود 1308هـ؛ الذي حافظ على إرث الزاوية السالمية، وبقي مجتهداً مع أخيه محمد الطاهر في خدمة الزاوية، وطلبة العلم، والقرآن، قرابة 30 سنة قضاها في المشيخة، بكل كفاءة، وتواضع، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى عام 1392هـ، ليخلفه فيما بعد أخوه محمد الطاهر 1320هـ؛ الذي واصل مسيرة أسلافه إلى أن توفي رحمه الله 1398هـ، ليخلفه الشيخ سيدي الحسين المولود عام 1359هـ².

وقد عرفت الطريقة الرحمانية انتشاراً واسعاً في عهد محمد الصالح، والشيخ محمد العربي بن مصباح في سوف، ونواحيها، وحتى وصلت للجريد التونسي، والجنوب الجزائري؛ حيث منطقة ورقلة وتقرت وقد وصف هنري دو نوفوا زاوية سيدي سالم بقوله: "ذات منارة طويلة تشرف على سوق، كلها وأنها تقع قرب ساحة السوق، وأنها تتبع زاوية طولقة"³.

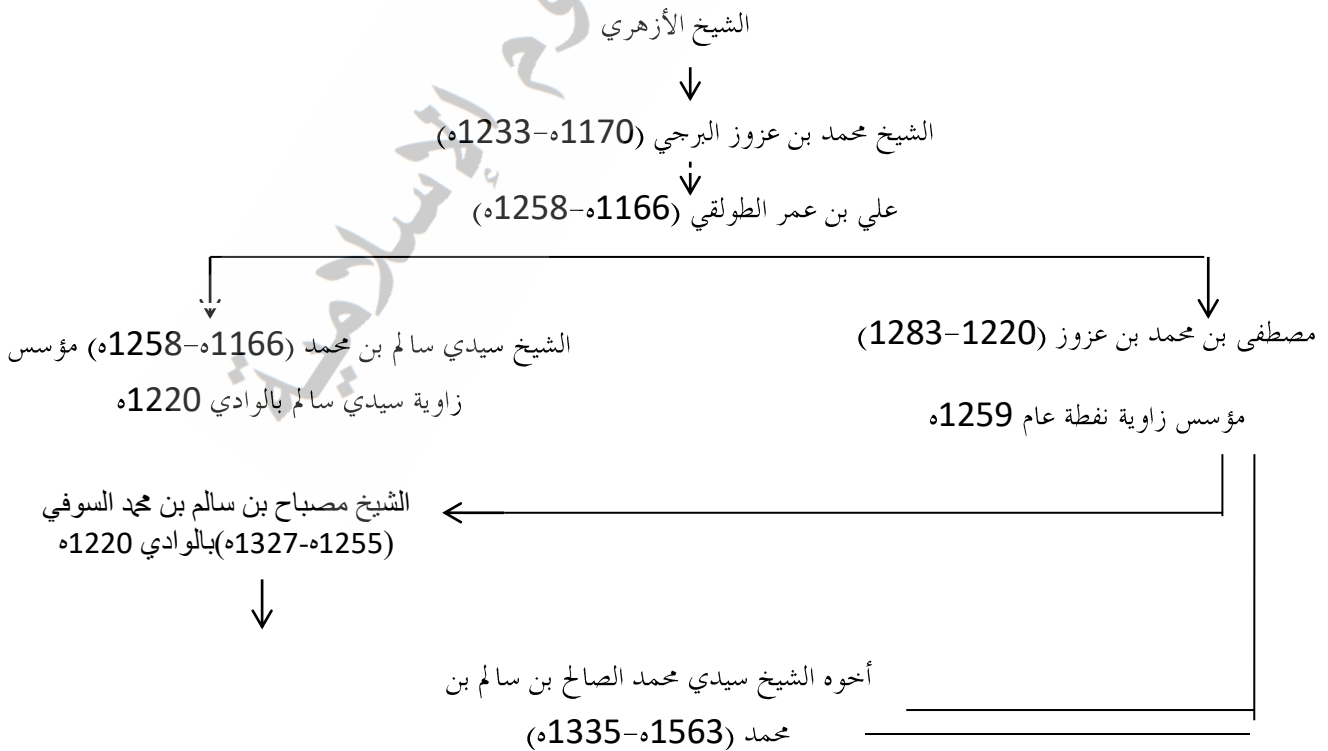
لقد ساهمت الزاوية السالمية؛ كغيرها من الزوايا العزوزية بالجنوب الجزائري في إرساء عناصر المقاومة، والجهاد، كما كانت دعامة رئيسية للحياة الدينية، والروحية، بالمنطقة الجنوبية عامة، وسوف خاصة، كما حافظت على دعائم الأخوة، وأواصرها بين مختلف زوايا العزوزية، بالمنطقة الحدودية التونسية (نفطة)، وكذا طولقة، وبسكرة.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 184.

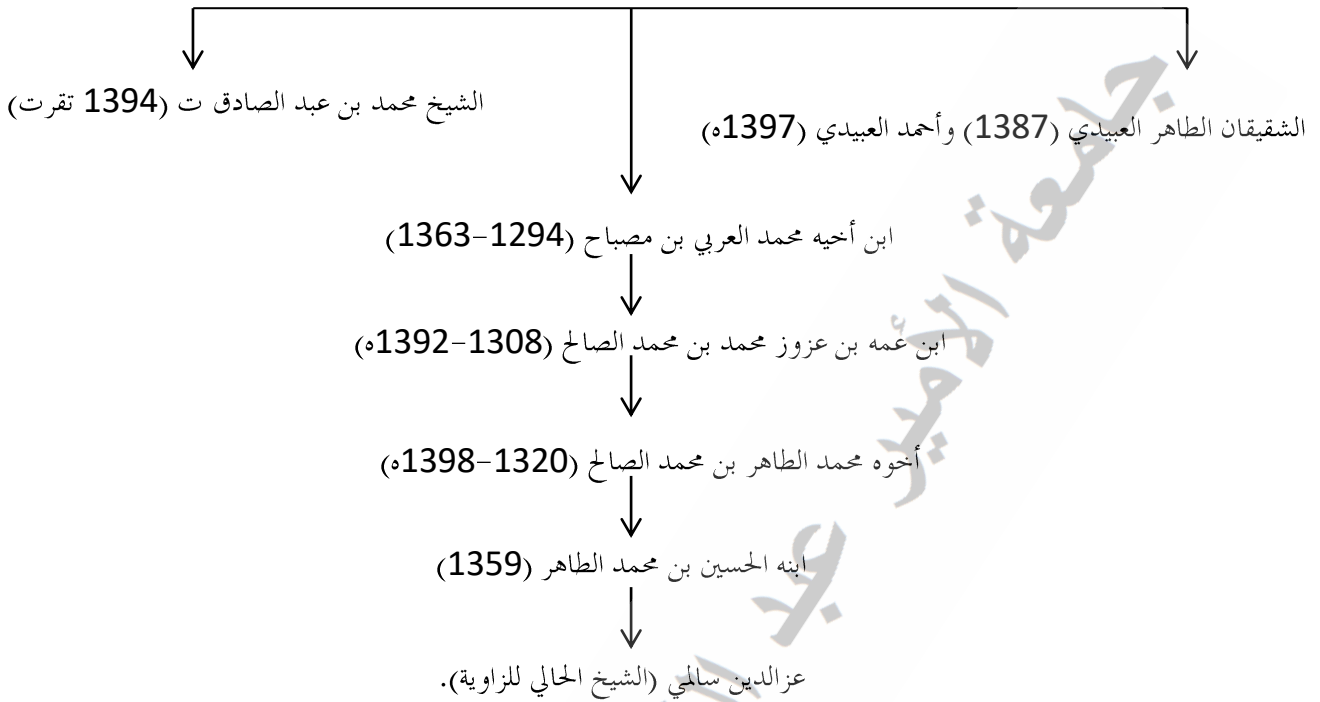
² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 183-184.

³ أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، المرجع السابق ج 4، ص: 154.

سلسلة شيوخ زاوية سيدي سالم العزوزية الرحمانية بوادي سوف:¹



¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 193. (زيارتي لزاوية في 22-01-2019 بمقر الولاية).



المطلب السادس: زاوية القاسمية بالهامل:

تعد الزاوية القاسمية؛ إحدى فروع الرحمانية في منطقة المسيلة، تفرعت عن زاوية محمد بن عزوز البرجي، حيث أسسها أحد خلفاء بن عزوز، وطلبته المقربين. تقع الزاوية القاسمية في الجهة الغربية لقرية الهامل¹ لمدينة بوسعادة، ولاية المسيلة، وبالتحديد في سفح جبل يقال له عمران؛ وهو المكان الذي سبق وأن حددته العناية الإلهية، وتجلّى ذلك في رؤية مع الشيخ المؤسس محمد بن أبي القاسم.

¹ الهامل، يرجع سبب التسمية لموروث الشفوي والروايات المتداولة في أصل تسمية مختلف قرى ومدن الجزائر التي يكتنفها شيء من الغموض، والقدسية تارة، ومرة أخرى الأسطورة، وللهامل خط وفير من القدسية حيث تروي الرواية الشفوية أنه استقر بها حجاج، وكانوا ينتظرون الفأل من أجل تسمية المنطقة فسمعوا مناديا ينادي: "يا من رأى جملا هاملا" لعله يبحث عن جمل ضاع منه. فاستقر على تسميتها بالهامل إلا أن لها من خط العلم، والشرف، كما قال الشيخ محمد المكي بن عزوز في إحدى قصائده عن الهامل: لبلد الأشراف وهو هامل سمي بذا لعل الأصل الكامل فأبدل الكاف اختفاء. العين بالهاء فالحظة قرير العين، عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص: 184.

أو هامل أهلوه في حب النبي هاموا بوادي العشق عالي الرتب
أو بلد الهامل أي يفيد دنيا وديننا حائرا يريد

فقد جاء في إحدى رسائله إلى الشيخ المختار " أعلم سيدي أن في بلدنا، أعني قرية الهامل مكاناً كلما رأيته، رأيت فيه بنياناً عظيماً، به أذكار، وتلاوة، وفقه، ونحو، وتفسير، وحديث وسائر أنواع الطاعات من صلاة، وصوم، وقيام، وغير ذلك من ضرب الرفوف، وكثرة المأكّل، والمشرب، رأيت هذا يقظة مراراً عديدة"¹، وفي سنة 1279هـ الموافق لـ 1862م شرع الشيخ في إنجاز هذا الصرح العلمي والمعلم الحضاري.² وبفضل بركة الرؤيا، وعمل وإخلاص الشيخ وصدق نيته في البناء، والعمل تم إنجازه في ظرف وجيز جداً. إذ تمت أشغال البناء بعد سنة واحدة فقط من انطلاقها، وبعد مرور قرابة سنة من بداية العمل، دخل الشيخ المؤسس زاويته مع طلبته سنة 1280هـ 18 جويلية 1863م. وللإشارة فإنها الزاوية الوحيدة الموجودة بالمنطقة آنذاك، وفي سنة 1281هـ-1884م. شرع في بناء مسجد للطلبة والإخوان، ودرس الفقه، وغيره فجاء مسجداً عظيماً في الاتساع والطرز". كما عمل مساكن للطلبة، والإخوان خارجة عن منازل الخصوصية، فكانت نحو المائة مسكن.³

وقبل الحديث عن الزاوية القاسمية، ودورها في المجتمع الجزائري، نعود أدراجنا لتعريف بالمؤسس لفهم ظروف تأسيس هذه الزاوية.

❖ **مؤسس الزاوية:** هو أبو عبد الله، محمد بن أبي القاسم بن ربيع، بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب، بن منصور بن عبد الرحيم، بن أيوب بن عبد الرحيم، بن علي بن رباح بن أحمد بن عبد الكريم بن موسى، بن عبد الرحيم بن عبد الله، بن أبو زيد بن علي، بن مهدي بن صفوان، بن موسى بن سليمان، بن سيار بن سليمان، بن موسى بن عيسى، بن محمد بن عيسى بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى بن الحسن البسط، بن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينتمي إلى عرش أولاد سيدي علي؛ أحد أعراس التفرقة بالهامل الخمسة،⁴ وسط عائلة شريفة

ويرى محمد دبور أن هذه القرية مهملة في سفح الجبل، بعيدة عن قوافل التجارة المتنقلة بين الجلفة، وبوسعادة ولولا أنها معقل علمي لها عرفها والناس (محمد علي ديوز نخصة الجزائر، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، ج1، ص:52.

¹ الشيخ محمد الصغير الجلاي، تعطير الأكوان، ص:84 رسالة من محمد بن أبي القاسم إلى شيخه مختار الجلاي.

² الزهر الباسم، المصدر السابق ص:55.

³ الزهر الباسم، المصدر السابق ص:55.

⁴ أعراس الشرفة بالهامل هم، أولاد سيدي علي، أولاد سيدي أحمد البكاي، أولاد سيدي أحمد، أولاد سيدي بلقاسم بن علي (الحسينات)، أولاد سيدي أحمد بوعددي.

النسب، والحسب والده هو السيد أبو القاسم بن ربيع، بن محمد بن عبد الرحيم،¹ ووالدته هي السيدة عائشة بنت مازوز (ت 1301هـ-1884م)، شريفة حسينة، من أقارب والده.

ولد وسط أسرة مفعمة بالصلاح، ومعروفة بالتقوى، والعلم يوم 26 جويلية 1824م الموافق لـ 1240هـ، هذا ما جاء في الوثيقة المكتوبة بخط يده؛ التي أرخ فيها بنفسه سنة ميلاده،² بمسقط رأسه بادية "الحامدية" ناحية جبل تاسطرة، وهي بلدة واقعة؛ بين بلدي دار الشيوخ وحاسي بجح بولاية الجلفة.³

نشأ الشيخ المؤسس وسط عائلة علمية عرفت بالصلاح، والتقوى، شبّ على حفظ القرآن⁴ حيث ختمه على ابن عمه محمد بن عبد القادر المعروف بـ "كريرش" وعمره لا يتجاوز الثالثة عشر سنة.⁵

تاقت نفسه للعلم، وطلب العلوم، التفقه في الدين، والعلم، فقد عرف منذ الصغر بالذكاء وحب سير الصالحين، ومجالستهم، فلم تكن أسرته أن توفر له ذلك، وتلي شغفه بطلب العلم، وسط قرينه محدودة المستوى العلمي؛ بمدارسها وشيوخها، فقررت أن ترسله في طلب العلم وتلبية حاجياته الروحية خارج بلدته، ولعل أولى رحلاته العلمية كانت نحو زاوية الشيخ علي الطيار في الببان، حيث أتقن فيها القراءات السبع، والتجويد، وبدأ بحفظ المتون، وكانت مدة إقامته بها لا تتجاوز السنتين، وكان هذا السفر رفقة أخيه محمد الحاج الطاهر، بتوجيه من شيخه محمد بن عبد القادر الهاملي، لمواصلة طلب

¹ أبو القاسم بن ربيع: ولد بداية القرن 13هـ (1201/1754م). بمنطقة أولاد نايل، عرف بالصلاح والتقوى والعلم الغزير وصف على أنه: سيد فاضل صالحا ورعا مثقفا تاليا لكتاب الله محبا في المشايخ والصالحين ويبدل لهم العطاء الجزيل، كما عرف بغيرته على الدين والأهل مريبا للأيتام يحسن إليهم ويؤثرهم على أولاده، كان من مريدي الطريقة الرحمانية أحد أتباع الشيخ المختار بن خليفة زاوية أولاد جلال كان يختم القرآن كل يوم، وك... القراءة في اللوح حتى توفي، ترك مكتبة هامة لأبنائه وهي اللبنة الأولى للمكتبة القاسمية.

(الزهر الباسم، ص: 07، عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل، ط1، 2010م، ص: 93.

² وثيقة مخطوطة بخط المؤسس موجودة في المكتبة القاسمية.

³ محمد الحاج محمد، الزهر الباسم، ص: 19، الحفناوي: المصدر السابق، ص: 348.

⁴ محمد الحاج محمد، المصدر نفسه، ص: 19.

⁵ محمد علي دبور، نفضة الجزائر، دط، ج1، ص: 55.

العلم¹ وهذا بعد أن أحضر مع والده بيعة الأمير عبد القادر الأول ببوسعادة عام 1837م، حيث كانت لا تزال خاضعة لسلطته.²

لقد بلغ الشيخ محمد بن أبي القاسم درجة علمية عالية، حظي بمكانة مرموقة بين أقرانه الطلبة وقبولاً عند شيوخه الأجلاء، مكنته من احتلال مكانة هامة في منطقة القبائل، خاصة زاوية الشيخ سعيد بن أبي داود؛ تركت في نفسه، وتكوينه، أثراً عميقاً، فكيفت طبعه وتوجهاته، وسقلت مواهبه، ومعارفه ومكنته من تولي التدريس بها، وتزعم حلقات العلم بالزاوية ففي السنة الخامسة التي قضاها بالزاوية أي حوالي 1847م، أمره بشيخه بالتدريس في "زاوية ابن أبي التقى" قرب مدينة برج بوعرييج.

ليقرر فيما بعد العودة إلى بلدته الهامل. وهذا بعد أن أكمل التحصيل العلمي، وحظي بإجازات شيوخه، وزاحم مجالسهم العلمية، يقول في هذا الصدد بصفة الغائب مرة أخرى: "ثم بعد الخمس سنين قدم إلى بلده قرية الهامل 1265هـ الموافق ل 1845م. فأقام بها ثماني سنين لتعليم الناس الفقه، بزاوية القرية "الجامع الفوقاني"، ولم يفارق الجامع ليلاً ولا نهاراً، إلى تمام سنة 1272هـ³. وجاء في الزهر الباسم أن عودته إلى بلدته الهامل، كان أمر من شيخه أحمد بن أبي داود، ليعود ويدرس أبناء منطقته، وذلك بعد الاجتماع على مجموعة من أعيان أشرف الهامل هم: محمد زيان الشريف، إبراهيم بن الحاج، السيد أبو الأجلد بن عمر الذين طلبوا منه السماح للطلاب محمد بن أبي القاسم، بالبقاء معهم في قريتهم، ونشر العلم، فكتب له شيخه يأمره بذلك سنة 1265هـ-1848م.⁴

بدأ مشروعه التعليمي بمسجد الفوقاني بالهامل، وهو ما يعرف بزاوية القرية، وأول ما ابتدأ به في التفسير؛ "تفسير الواحدي"، وفي الحديث "بن أبي مرة"، وذلك ترك يارث جده".⁵

عرفت دروسه شهرة كبيرة، وقبولاً، لدى نفوس الطلبة، فتوافدوا عليه من كل حدب وصوب نحو قريته الهامل، فتميزت بحركة علمية نشطة، لم تعرفها من قبل، من أجل سماع دروس الوعظ

¹ عيسى بن قبي، محمد بن أبي القاسم الهاملي، تكوينه ودوره في نشر العلم والمعرفة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 09، سبتمبر، 2018م، ص: 155.

² لقاء مع الشيخ المأمون في: 01-01-2019 على الساعة 16:18 بمقر الزاوية.

³ ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم لنفسه، وثيقة مخطوطة من وثائق المكتبة القاسمية.

⁴ محمد الحاج محمد، الزهر الباسم، المصدر السابق، ص: 22.

⁵ الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 349.

والإرشاد، وسارعوا بأبنائهم لطلب العلم، والمعرفة، ومختلف العلوم، فأصبحت بذلك بلدة الهامل، مركز إشعاع علمي، وحضاري، وامتزلا من الوفود، والطلبة، وما ميز حلقة العلم، لديه هو كثرة الطلبة حوله حلقة الفقه وحدها، نحوى ثمانين طالبا، وهو عدد لا يستهان به، مقارنةً مع عدد السكان آنذاك.¹

وفي خضم هذا الزحم العلمي، وحلقات العلم؛ التي كان يعدها للطلبة، كانت نفسه تتوق هي الأخرى إلى مرشد، وشيخ روحي، فما كان عليه إلا أن يجد له مكاناً في ناحيته، وأن يكتشف مستقبله فشأنه شأن من وصل لسنته، وعلمه. فالرجل فقد عاش فترة عصيبة تائه، يبحث عن مراده الروحي، فلم تكن نفسه لتكتفي بالتحصيل العلمي، والنظر في كتاب الله، وسنة نبيه عليه السلام، فالرجل بلع من العلم درجات عليا، فهو يبحث عن شيخ، يأخذ به إلى مدارج الروحانيات، والقرب من الحضرة القدسية، ولعل قول بن عطاء الله السكندري قد تجلّى فيه "وينبغي لمن عزم على الاسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق، سالك الطريق، تارك لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه، فإذا وجده فليمتثل ما أمر ولينته عما تهي عنه وزجر"،² حاله حال رجال التصوف العظام فتجربته الروحية تشبه تجربة الحارث بن أسد المحاسبي؛ التي عاناها في سلوكه وتحدث عنها في بداية سلوكه طريق الحق، فقال في هذا العدد: "فعظمت مصيبي لفقد الأتقياء، وخشيت بغتة الموت أن يفاجئني على اضطراب من عمري، لإختلاف الأمة، وانكمشت في طلب عالم لم أجد لي من معرفته بدا، ولم أقصّر في الاحتياط، ولا في النصح، فقيض لي الرؤوف بعبادة، قوم وجدت فيهم دلائل التقوى وأعلام الورع، وإيثار الآخرة على الأولى. ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفَاعِيل الهدى، مجتمعين على نصح الأمة، لا يرجون أبداً في معصيته، ولا يقنطون أبداً من رحمته، يرضون أبداً بالصبر على البأساء، والضراء، والرضا بالقضاء، يُحبون الله إلى العبيد، بذكرهم إحسانه، ويحثون على الإنابة إلى الله، علماء بعظمة الله وقدرته، وعلماء بكتابه وسنته، فقهاء في دينه،³ من هذا المنطلق الروحي بدأ الشيخ محمد بن أبي القاسم رحلته في البحث؛ عن شيخ سالك يمسك بيده في هذه الدنيا، ويدله على خبايا

¹ محمد الحاج محمد، المصدر السابق، ص: 22، 26 (بتصرف).

² ابن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، باب تدرج السالك بالأذكار وكيفية تنقله في الأطوار، مطبعة مكتبة المحمودية، ص: 30.

³ عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، الوصايا، تح وتعد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1986م، بيروت، لبنان، ص:

الطريق إلى الله، ويروض نفسه عن الطاعات، والعبادات، ويلجمها بلجام الخشية، والتوبة عن المعاصي فقرر أن يخرج للحج، ويخرج من أزمته هاته، وكانت نفسه تتوق للحج مع الشيخ مصطفى بن عزوز الذي بلغ شهرة الآفاق، فعزم على الالتحاق به، والأخذ عنه والارتواء من روحانية، إلا أن أمنيته لم تتحقق، وذلك أن أعيان بلدته عارضوا ذهابه من أجل المنفعة العلمية، والاهتداء به في دروب الحياة يقول الشيخ محمد الحاج محمد في هذه المقام واصفا هذا الموقف بقوله: " نازعته نفسه على الذهاب إلى الحج، وبعد ذلك الاستقرار بتونس للأخذ عن الشيخ مصطفى بن عزوز في زاويته بنقطة، إلا أن الأشراف أصروا على بقاءه معهم، ودعوا الله أن يرشده إلى شيخ مرب قريب، وتقبل الله دعائهم ولباه فتعرف على الشيخ المختار بن خليفة في السنة السادسة، من قدومه من زاوية ابن أبي داود"¹.

هنا بدأت تظهر لنا شخصية رجل عظيم يعيش لغيره لا لنفسه، يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، يؤثر خدمة الناس على نفسه، إنه رجل عظيم في شخصية ويمكننا القول أن تجربته الروحية، التي عاناها يمكن أن نقارنها بتجربة الغزالي أبو حامد التي عاناها وقصها في المنفذ من الضلال لكنّها أقل حدة.

فرغم التشابه، والتقارب الحاصل بين التجريبتين؛ من حيث كونهما يبحثان عن الحقيقة وعن السبيل على الحضرة الإلهية، والزهد في الحياة، إلا أن الفرق الحاصل هو أن الشيخ محمد بن أبي القاسم استطاع مواصلة التدريس ببلدة الهامل، واستطاع مواصلة أعماله اليومية، وفي الوقت نفسه تتوق للأعلى حتى قبض الله له من يأخذ بيده، وهو لقاء مع الشيخ المختار الجلاي، في حين الغزالي قد يسر الله له طريق للحج، ومنه إلى بلاد الشام باحثاً عن الكمال الروحي، زاهداً في الحياة.

إنّ هذه المرحلة التي مر بها الشيخ محمد بن أبي القاسم، هي عبارة عن فترة تأمل، وتفكر في سبيل النهوض بالجمع، والتقليل من معاناته، والحرمان الذي يعيشه من ويلات الإشهار والتدبر، في إعادة الثقة في نفوس أبناء وطنه، وهذا هو حال المثقف المتعلم، اتجاه وطنه وأبنائه، وما ميز هذه المرحلة هو اعتكافه على التدريس، والتعليم، والوعظ، والإرشاد في مسجد الفوقاني، بقرية الهامل، دون إعطاء الورد، أو

¹ محمد الحاج محمد، المصدر السابق، ص: 27.

سلوك، فلم يكن يعرف الشيخ آنذاك طريقة صوفية، ولا شيخ سلوك، يجعله يعلم الناس، ويعطيهم التربية الروحية.¹

لذا برزت لديه فكرة تأسيس مدرسة علمية، وليس زاوية صوفية، وتجمع بين التربية الروحية والتعليم فالمسجد لم يعد يسع كل الجموع الغفيرة من الطلبة، فالعملية التعليمية تحتاج إلى مكان أوسع، وهياكل أخرى، ورغم أن فكرة تأسيس زاوية أمنيّة قديمة، راودته منذ عودته من زاوية أبي داود، وحيث وجهه أستاذه بضرورة العودة، لوطنه، وتأسيس زاوية به، وبث العلم والقرآن فيها للناس، إلا أن الفكرة زادت ترسخاً وثبوتاً في ذهنه، وخرجت لنور مع إزدياد عدد الطلبة، ورغبتهم في التعلم، والتدرج في مراحلهم إلا أن عسر، وفقر عائلاتهم منعهم من ذلك. فجاءت فكرة تجسيد الزاوية على أرض الواقع ضرورة ملحّة، ولسد الفراغ الذي يعانيه أبناء المناطق المجاورة للهامل.

وتشير الرواية الشفوية لأبناء الزاوية القاسمية، وأبناء المنطقة أن الزاوية كان بناؤها بأمر من الأمير عبد القادر، للشيخ محمد بن أبي القاسم، في لقاء جمعهما بناحية البيرين² جبل الأبيض، وكان ذلك عام 1259هـ الموافق ل 1844م. وهناك قابل الأمير وجدد له البيت ثانية، وعرض عليه فكرة الالتحاق بجيش المقاومة، ولكن الظروف غير ملائمة، وكان الأمير يرى أن المرحلة التي تمر بها البلاد تحتاج جهاد سلاح، كما تحتاج جهاد قلم، وفكر وعلى هؤلاء العلماء الجهاد بالقلم، والعلم، والمحافظة على الهوية والعقيدة الإسلامية من أجل حماية الوطن، وأبناءه من الحملة التنصيرية الشرسة، التي يشنها الاستعمار على الجزائر، وكما يرى البعض أن الأمير كان يستشرف المستقبل للشيخ، ويراه رجل علم وإصلاح ودعوة، وليس حرب، وقتال، لذا نصحه بالعودة للهامل، وبناء زاوية يعلم الناس فيها.³

وفي هذه المرحلة التي كان يدرس الناس، ويعلمهم العلوم، ويُنير دربهم، جاءه اللقاء مع شيخه المختار الجلالي؛ الذي أخذ عنه السلوك الطريق الصوفي، وبلغ على يديه مبلغ الرجال.

وإن سبب تعرفه بشيخه؛ هو أنه أتاه أحد مريدي الشيخ المختار، وطلب منه أن يكتب له جواباً إلى شيخه، يخبره فيه عن حاله، وكتب الشيخ محمد بن أبي القاسم، ما يتضمن حاله نزولاً عند طلبه، ولما

¹ عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل، ط1، 2010م، ص: 106.

² منطقة البيرين حدود الخلفة تبعد عن العاصمة حوالي 200 كلم.

³ الرواية متواترة عند الأسرة القاسمية ومجمع أعيان مجمع الهامل أمثال، الأستاذ فؤاد القاسمي، وشويحة، والأستاذ نقلات عن لقاء جمعنا مع الأستاذ شويحة بمقر الزاوية/ 22-01-2019. بمقر الزاوية على الساعة 19:10 صباحاً.

وصل الجواب إلى الشيخ المختار، بحث عن الكاتب، وسأل عنه فأخبروه عنه، وبتفاصيله، فحصل الارتباط، والانتماء الرباني، وكتب له الشيخ المختار جواباً يدعو للحضور عنده بزواوية أولاد جلال¹ ولعلها العناية الإلهية؛ هي التي ساقته للقاء مع شيخه في السلوك.

وقد كانت بينه وبين شيخه زيارات كثيرة، ففي عام 1273هـ؛ قدم كعادته لزيارة شيخه، لكنه هذه المرة أصر شيخه على بقاءه عنده، وقوله في ذلك: "... ولا تذهب من هنا حتى تصلي على جنازتي وتفوز بسري"² فاستأذن والده في الانتقال إلى أولاد جلال، وخير زوجته بين البقاء معه، أو التسريح،³ فاختار التسريح، فالتحق بزواوية أولاد جلال؛ بداية عام 1273هـ الموافق ل 1855م،⁴ قال في ذلك عن نفسه بصيغة الغائب: "وبأول سنة 1273هـ انتقل إلى قطب وقته الشيخ المختار بن عبد الرحمان بن خليفة بزوايته المعلومة، بأولاد جلال"⁵، وأثناء فترة بقاءه عند شيخه، وملازمته أخذ عنه أورايد الطريقة الرحمانية، ولازمه من أول يوم سنة 1273هـ الموافق ل 1 سبتمبر 1856م إلى أول سنة 1278هـ الموافق ل 9 جويلية 1861م.⁶

تميزت مدة إقامته بزواوية أولاد جلال، تحت رعاية شيخه المختار ست سنوات، بحسن أدبه وخلقه، وتقواه، هذا ما جعل شيخه يقدمه، ويوليه رعاية، وتربية خاصة، يعطيه علوم الطريق، والسلوك وآلية الخرقه، والسر، والبركة، وهذا لما رأى فيه من تقوى، وصلاح، وعلم وأدب يصف صاحب الزهر الباسم ما كان عليه المؤسس من أدب يقول: "كان رضي الله عنه على غاية من الأدب ما لبس نعلا بزواوية شيخه، ولا لبس من الثياب جديدا ولا ولى شيخه ظهره، ولا نام ليلا، ولا كتب شيئا من الدنيا،

¹ محمد الحاج محمد، المصدر السابق، ص: 27.

² محمد الحاج محمد: الزهر الباسم، المصدر السابق، ص: 30.

³ تحدث محمد الحاج محمد في كتابه الزهر الباسم عن حياته الاجتماعية حيث أورد زوجته فقد تزوج المؤسس بأربع زوجات الأولى هي عائشة بنت رابع من الأشراف تزوج بها شيئا، وفارقها لما تجرد لخدمة شيخه المختار، والثانية عائشة بنت أبي الأخضر من أولاد أبي سعادة تزوج بها شيئا، وفارقها أيضا والثالثة آمنة بنت قدور من أولاد شيوط نواحي حاسي ببح، تزوج بها بكرا وفارقها أيضا والرابعة وختام العنقود هي بنت أشراف الهامل يقال لها: "خديجة بنت أضويو" وأنجبت له ابنته الوحيدة السيدة زينب وفارقها أيضا قبل ذهابه إلى شيخه" (محمد الحاج محمد: الزهر الباسم، ص: 25).

⁴ محمد الحاج محمد، الزهر الباسم، المصدر السابق، ص: 29.

⁵ ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم لنفسه، وثيقة مخطوطة من وثائق مكتبة القاسمية.

⁶ عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل سيرة قرن من العطاء والجهد، المرجع السابق، ص: 108.

ولا آذى أحدا ممن يحسدونه، ولا انتصر لنفسه"¹، ومن بين الأحداث التي ألت به وهو في رحلته الروحية هذه هي وفاة والده وانتقاله إلى الرفيق الأعلى عليه رحمت ربي في شهر ربيع الأول من سنة 1278هـ الموافق ل 1861م²

لقد سلك الشيخ محمد بن أبي القاسم علي يد شيخه المختار وأخذ الورد والسلوك والطريق وبلغ درجة عليا من التصوف والتربية الروحية في حياة شيخه فظهرت عليه علامات الكمال والصلاح والتقوى هذا ما أهله لأن يبلغ درجات عليا في الطريقة.

نزل الشيخ المؤسس عند رغبة عائلة المختار وأبناء بلده وغادر أولاد جلال متوجها إلى بلده الهامل ناقلا المشيخة معه إلى الهامل، تاركا رئاسة زاوية شيخه إلى ولده، بعد عودته إلى زاويته واستكمال بناء مرافقها، استقر بها، وباشر التدريس هناك، لوحده في بادئ الأمر، ثم استعان بمجموعة من الأساتذة والطلبة النجباء.³

لم يقتصر دوره التعليمي على منطقة الهامل فقط بل كان يتنقل من حين لآخر إلى باقي أرجاء الوطن سواء لزيارة العلماء وتفقد حالهم أو مزاحمة مجالسهم العلمية رغبة في الاستزادة من علمهم أو لإلقاء دروس الوعظ والارشاد على عامة المسلمين،⁴

وما يمكن أن يلاحظ على شخصية محمد أبو القاسم الهاملي هو أن مدة إقامته بزاويته فاقت سبع وثلاثين سنة، جلها كانت مسخرة للعلم وطلبته ونشر المعرفة بين مختلف فئات شعبية وأبناء بلده فعاش الرجل لغيره أكثر من نفسه، لكن هذا لم يمنع من اهتمامه بجوانب أخرى فمن أعماله التي عرفت عنه أنه في مجاعة 1868م؛ حين عرفت البلاد حالة من القحط، والجفاف أدت إلى وفاة الآلاف، هنا تدخلت الزاوية لإنقاذ الآلاف من المواطنين، وقام الشيخ بإيواء عشرات العائلات والانفاق عليها.⁵

إضافة إلى اهتمامه بتعمير الأرض واستصلاحها وزارعتها، وذلك لتأمين مصدر رزق لزاوية فاستصلح عشرات الهكتارات بوادي الهامل المناطق المجاورة له، كمرحلة أولى، وبنى به السدود وشق

¹ محمد الحاج محمد، المصدر السابق، ص: 29.

² وثيقة من وثائق الشيخ محمد بن أبي القاسم، مخطوطة في زاوية الهامل.

³ عيسى بن قبي، محمد بن أبي القاسم الهاملي، تكوينه...، المرجع السابق، ص: 159.

⁴ محمد الحاج محمد، الزهر الباسم، المصدر السابق، ص: 66.

⁵ عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص: 114/ أبو القاسم سعد الله: ت ج ث، ج 4، ص: 161.

السواقي ورفقها، وجعل كل ذلك وقف على الزاوية يستفيد منه الطلبة والفقراء والمحتاجين، ثم بدأ في مرحلة أخرى وهي شراء الأراضي الزراعية في المناطق المجاورة مثل: المسيلة، الجلفة، تيارت، المدية، تيزي وزو وغيرها من المناطق، وجعلها أيضا وقف على الطلبة العلم ورواد زاويته.¹

إضافة إلى وقفه أموالا وعقارات وبساتين على زوايا شيوخه في أولاد جلال، برج بن عزوز آقبوا، طولقة والجزائر العاصمة على مقام الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري، كما بنى الحائط الذي يحمي المقبرة ويحيط بها،² وقد اشترى الشيخ المؤسس كذلك نخلا كبيرا بأرض البرج بآلاف من الدنانير كان حبسها لأمر وعرضت للبيع اشتراها محمد بن أبي القاسم الهاملي وردها إلى ما كانت عليه نية المؤسس الشيخ محمد بن عزوز وزاد على العشرة الأولى.

ومن جهة أخرى قام بتحديث وترميم زاوية الشيخ السعيد بن أبي داود بعد أن دمرت من طرف السلطات الاحتلال الفرنسي إثر مشاركتها في ثورة الشيخ ابن الحداد 1871م، واشترى أراضي حرث وكرم وزيتون بتاسلنت ببلاد القبائل بخمسة آلاف دينار وحبسها على مسجد شيخه في العلم الشيخ أحمد بن أبي داود هذا ما أكدته مراسلات الشيخ العربي بن أبي داود بقوله "ومقامنا لولا وجودك لا نهزم".³

ناهيك عن المرتبات التي كان يدفعها لطلبة العلم والقرآن الكريم بالحرمين الشريفين ويساعد العلماء والشيوخ في ذلك. لقد عكف طول حياته على طلب العلم وتدريسه فكان يجلس بعد طلوع الشمس لجلسه العلمي ويسعى بعد ذلك لقضاء حاجات الناس، مهتما بقضاء الحوائج، وقد جاء في إحدى مراسلاته إلى ابن أخيه الشيخ محمد بن الحاج محمد: "وما كتبت هذه البرية (رسالة) إلا بشق الأنفس من تراكم خلق الله على النساء والصبيان والعميان والأرامل. وغير ذلك".⁴

¹ أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، ج، المرجع السابق، ص: 161.

² محمد علي دبور، نهضة الجزائر، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1965، ج1، ص: 57.

³ عبد المنعم الحسيني، المرجع السابق، ص: 116 نقلا عن مراسلة الشيخ العربي بن أبي داود إلى المؤسس عام 1312 مخطوطة بزواوية هامل.

⁴ رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى ابن أخيه الشيخ محمد بن الحاج محمد من الجزائر العاصمة، بتاريخ 28 رجب 1303هـ وثائق المكتبة القاسمية (مخطوطة).

أما بخصوص مواقفه السياسية، والجهادية، فقد سلك الشيخ محمد بن بلقاسم في الهامل سلوك الشيخ علي بن عمرو، وابن أخيه علي بن عثمان في طولقة إزاء الثورات والمواقف السياسية فلم يتدخل مباشرة بل ظل محايدا حتى لحظة إعلان الشيخ الحداد من الصدوق الجهاد باسم الطريقة الرحمانية لكن هذا لم يمنع من استقبال المقرانيين الفارين من العدو وحماهم وعلم صغارهم¹ كانوا وحوالي ثمانين عائلة متضررة من اضطهاد سلطات الاحتلال² ولا يزال حي المقارنة بقرية الهامل شاهد عيان على ذلك.

وبعد وفاته ترك الشيخ محمد بن أبي القاسم خلافته الروحية لابن أخيه الحاج محمد بن بلقاسم - صاحب كتاب الزهر الباسم - لكن لأسباب عائلية لم يتولى الشيخ الخلافة مباشرة بعد وفاة عمه بل تولتها ابنتها الوحيدة لالة زينب، وقد أدارت الشؤون الزاوية بنجاح، وظلت على رأس الزاوية حتى وفاتها 1904 دامت إقامتها على رأس الزاوية وشؤونها سبع سنوات، اتبعت فيها خطوات والدها خطوة خطوة ولم تح قدر أملة؛ في التعليم والإرشاد، كما أتمت بناء المسجد الذي بناه والدها زمن توليها شؤون الزاوية كانت تستقبل الزوار من شيوخ الرحمانية والمسؤولين الفرنسيين، كما كانت تظهر أمام الأتباع، لقد أصبح موضوع المرأة موضوع اجتماعي كبير بدعوة أن المجتمع لم يرحمها من لحظة توليها شؤون الزاوية وكيف للمرأة أن تكون هي على رأس الاتساق الصوفية في ظل تواجد ابن عمها الذي كان له الشرعية الروحية لتولي لرئاسة الزاوية وقد كانت هذه المسألة الخلافية على تولي شؤون زاوية الهامل بين البنت الوحيدة لالة زينب وابن عمها محمد الحاج محمد حديث العام والخاص آنذاك إلا أن القضاء الفرنسي اعترف برئاسة لالة زينب للزاوية وذلك بعد أن وصلت القضية إلى الجزائر العاصمة، وأن الحق مع زينب كونها الوريثة الشرعية لوالدها وقد اختفت من المسرح ومن الساحة مباشرة بعد وفاتها رحمها الله وحل محلها تلقائيا ابن عمها وتفادت الزاوية بذلك أزمة الانقسام الذي عانت منه الكثير من الزوايا.³

وللإفادة فإن الشيخة لالة زينب من مواليد الخمسينات من القرن الماضي، نشأت في حجر والدها، علمها القرآن والعلوم والمحاسبة، وعاشت في مكتبة الزاوية بين المخطوطات، كما تولت حفظ

¹ أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، المرجع السابق، ج 4، ص: 161.

² الحاج مزاري، الهامل مركز اشعاع، المرجع السابق، ص: 43.

³ أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، ج 4، ص: 163-164 بتصرف.

سجلات أملاك الزاوية تفرغت للحياة الروحية وللزاوية والعبادة، يشهد لها أنها كانت ملازمة لوالدها في حله وترحاله وتحضر معه ولاتم الزاوية ومآدب الزوار من مسلمين والأوروبيين.¹

بعد وفاتها رحمها الله سنة 1904 انتقلت الزعامة الروحية لابن عمها الشيخ محمد الحاج محمد (1277هـ-1337هـ/ الموافق ل 1824م-1913م)، فسار على الطريق الذي سار عليها أحلافه ونهض بالزاوية نهضة علمية لفتت اهتمام علماء في المشرق والمغرب، فلما تبوأ زاروه، واستجازوه وأجازوه، وكون بذلك علاقات علمية وأدبية في شتى الأقطار الإسلامية، ساعدته على اقتناء مجموعة من المخطوطات، بعد وفاته رحمه الله (سنة 1913م) عمر الزاوية أخوه الشيخ المختار بن الحاج محمد (ت1333هـ/1915م) الذي عرف بالورع والصلاح.² إثر وفاته تولى مشيخة الزاوية أخوه الشيخ أبو القاسم (ت1398هـ/1927م) الذي اشتهر بالعلم والحزم فازدادت الزاوية في عهده ازدهارا، ومن أعماله التي تبقى خالدة هو مساهمته في بناء مسجد ياسين محمد (1315هـ-1897م/1390هـ-1970م) فعملها وعمل على تجديد بنائها وإصلاح برامج مصطفى بن الحاج عدد أتباعها حتى بلغ أكثر من 43000 ألف تابع وتفرغ منها 29 زاوية³

يعد الشيخ مصطفى أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين سنة 1931، كما كان عضو مؤسس لجمعية علماء السنة سنة 1932م، إضافة إلى مساهمته في تأسيس جامعة زوايا الشمال الإفريقي سنة 1948م الذي عين رئيسا لها زار بلاد المغرب والمشرق هذا ما أكسبه علاقات أخوية مع علمائها، اقتنى بسببها مجموعة جيدة من المخطوطات.⁴

عرفت الزاوية القاسمية في عهد الشيخ الخليل القاسمي نشاطاً، علمياً كبيراً، كما عرفت محاربة للبدع، والخرافات التي لصقت بالزاوية، وبالطريقة، خاصة الأضرحة فقد حارب جميع طقوس الشعوذة الملتصقة بها، كما تخرج على يديه العديد من المثقفين، وتخرج منها رجال لهم مواقف وطنية خالدة لا غبار عليها. وإثر وفاته تولى شؤون الزاوية القاسمية أخوة الشيخ محمد المأمون القاسمي (1944م)، فهو رجل فاضل، سبق لنا الجلوس إلى مجالسه، ومحاضراته، ودروسه في الوعظ، والإرشاد، فهو المشرف على

¹ أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، ج 4، ص: 164.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 214-215.

³ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 215.

⁴ المرجع نفسه، ص: 215.

تعليم القرآن والتدريس بالزاوية، كما يؤم صلاة الجمعة بمسجدها، ويلقن الأوراد لطلبتها، له العديد من النشاطات العلمية، والثقافية، إضافة إلى ذلك فهو عضو في المجلس الإسلامي الجزائري الأعلى، ومستشار في هيئات شرعية، ومسؤولاً سامياً في وزارة الشؤون الدينية، له مواقف مشرفة داخل الوطن، وخارجه في الصلح والإصلاح. شارك في صياغة بيان الوفاق الإباضي المالكي بغيرداية، كما شارك إخماد فتنة القبائل، له تصحيحات على قانون الدستور الجديد خاصة الجانب العلمي (التعليم) يسعى الرجل إلى إنشاء معهد إسلامي كبير للدراسات العليا، وتكوين أساتذة في الشريعة والدعوة بالعاصمة، وهو الآن عميد للمسجد الأعظم برتبة وزير.

كتب عن الزاوية القاسمية الباحث الفرنسي جاك بيرك: "إن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب بأسره؛ من حيث الجهود الذي بذلته بكل عزم في زمن الإستعمار، وذلك باستنهاض القيم الروحية والإجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس".¹

وجاء في جريدة الخبر مقال بعنوان: "زاوية الهامل مركز إشعاع علمي نafs الزيتونة والقرويين" ومما جاء فيه: "كان لزاوية الهامل دور جليل في حركة التنوير الديني، والثقافي منذ تأسيسها، إضافة إلى دورها في الحفاظ على ثوابت الأمة؛ التي عمل المستعمر على طمس معالمها العربية الإسلامية بكل ما أوتي من قوة".²

لقد أسست الزاوية القاسمية لمجموعة من الأهداف، والغايات أولها: التعليم، والطريقة والدعاية وقد قال مؤسسها في إحدى مراسلاته متحدثاً عن نفسه بصيغة الغائب بقوله: "... فبني بها زاوية للطلبة والإخوان، والأرامل، والأيتام، والعميان..."³ وهذا ما يعبر عن الأدوار التي تبنتها الزاوية منذ زمن التأسيس لليوم. فرسالتها واضحة، وسليمة، ومن بين أهم الأسس التي حافظت عليها زاوية الهامل هي تمتين روابط الصلة مع المجاهدين داخل الوطن أمثال: الشيخ الحداد، والمقراني، بوعزيز... وعائلاتهم لليوم.

¹ رسالة جاك بيرك للشيخ زاوية القاسمية الشيخ مصطفى القاسمي، عام 17-09-1965، مخطوطة بزاوية الهامل.

² مجهول، زاوية الهامل مركز إشعاع علمي نafs الزيتونة والقرويين، جريدة الخبر، 22-11-2003.

³ محمد بن أبي القاسم الهاملي، ترجمة لنفسه مخطوطة ضمن وثائق المكتبة القاسمية.

لم تكن زاوية الهامل مجرد امتداد للزاوية المختاربية، أو فرع تابع لها، بل هي بمثابة إحياء، وتجديد للطريقة الرحمانية ككل، فقد استقرت المشيخة عندها، وبرزت الزاوية بفضل أدوارها، ومواقف مشيختها بين كل زوايا الطريقة داخل الوطن، وأصبحت تمثل السلطة الروحية، والمرجعية الصوفية الرحمانية لزوايا الطريقة ككل.

يقول الشيخ محمد الصغير الجلاي عنها: "مقام علي يقصد للتسليك، والتطهير والاستبصار والتنوير، كما أضاف: "ثم شرح في بث الأوراد، ونشر الطريق بين الخلق بالتسليك، والإرشاد، يربّيهم ولدرجات الكمال يرفّيهم، فكم رفع من حامل، وكم نفس من كرب وكم ربّي من مرید¹ وعن دورها في نشر الطريقة الرحمانية، وبناء الزوايا، وعدد المقاديم، والشيوخ، والأتباع كفيل بذلك، فعدد أتباع الطريقة الرحمانية بلغ سنة 1897، حوالي 160 ألف مرید منهم 43 ألف يتبعون زاوية الهامل، وعدد زوايا الطريقة 177 زاوية؛ منها 29 زاوية تابعة لزاوية الهامل فقط.

ومن هنا ندرك حجم الدور الذي لعبه الشيخ، ومن تلاه في نشر الطريقة، وتعزيز أواصرها من خلال بناء عدة زوايا؛ في تيارت، وسور الغزلان، وبوسعادة، وتابلاط، والأغواط وبوغار، بالمسيلة وأولاد جلال، وغليزان، وغيرها من مناطق الوطن.

أمّا عن الدور الذي لعبته الزاوية، ولازمت تحافظ عنه؛ فهي كغيرها من زوايا الطريقة الرحمانية هدفها وغايتها واحدة؛ التعليم، والمحافظة على ثوابت الأمة.

سلسلة شيوخ زاوية الهامل:

- محمد بن أبي القاسم الهاملي 1863-1897م
- لالة زينب بنت محمد القاسمية 1897-1904م
- محمد بن محمد القاسمي 1904-1913م
- المختار بن محمد القاسمي 1913-1915م
- بلقاسم بن محمد القاسمي 1915-1927م
- أحمد بن محمد القاسمي 1927-1928م
- مصطفى محمد القاسمي 1928-1970م

¹ محمد الصغير الجلاي، تطهير الأكوان، ص: 73.

- حسن بن محمد القاسمي 1970-1987م

- الخليل بن مصطفى القاسمي 1987-1994م

- الشيخ المأمون القاسمي بن مصطفى القاسمي 1914 إلى يوم الناس هذا.

ومن بين فروع الزاوية القاسمية نذكر:

*زاوية بيرين: أسسها محمد السلامي 1927م، نواحي الجلفة ليخلف ابنه عبد العظيم بن محمد (1939م) وبعده أخوه عبد الكريم بن محمد (1959) ثم أخوه محمد بن محمد (1977م) ثم ابنه عبد الحي بن محمد (1988) ثم ابنه قويدر الشيخ الحالي.¹

*زاوية سي علي بن دنيدينة بالجلفة: ولد سي علي بن دنيدينة، عام 1870 بناحية الجلفة حفظ القرآن. وتلقى بعض مبادئ العلوم الشرعية، على يد والده الشيخ سي محمد، انتقل إلى زاوية الهامل في حياة المؤسس، وأخذ عنه الورد، وعن شيوخها العلم، بعد مدة طويلة قضاها بالزاوية عاد إلى الجلفة وأسس زاويته المعروفة، حتى الآن بوسط مدينة الجلفة، توارث عن مشيختها أبناءه، وأحفاده.²

إضافة إلى زاوية الشيخ عطية الجلالية: ليعود تأسيسها إلى أبو أحمد عطية بن أحمد بن عطية الملقب بن بيض القول - نسبة إلى عائلته المعروفة بهذا الاسم، المولود سنة 1832م بنواحي الجلفة، أسسها سنة 1870م بطبوط.

*زاوية الشيخ السلامي قرب عين وسارة.

*زاوية أحمد برملية القصيعات بوسعادة.

إضافة إلى بناء الزوايا الفرعية التابعة لزاوية القاسمية، فقد ساهم الشيخ محمد بن أبي القاسم في نشر الطريقة؛ من خلال طلبته، ومريديه، الذين يتوزعون في مناطق مختلفة في الوطن:

- الجزائر العاصمة: نجد الشيخ عبد الحليم بن سماية، الشيخ أبو القاسم الحفناوي..

- قسنطينة: الشيخ عاشور الحنقي، مصطفى بن السادات.³

- سطيف: لظفي البعطواشي، سعد التبان.⁴

¹ ع الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 237

² عبد المنعم الحسني القاسمي، زاوية الهامل، المرجع السابق، ص:222.

³ عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل، المرجع السابق، ص:219.

⁴ لظفي البعطوشي التبان، رسالة إلى شيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي، رسالة مخطوطة، خاصة.

- بسكرة: محمد صادق دياش.

- تيارت: الطيب بن الأخضر الماضي.

- سيدي عيسى: الشيخ عيسى بن علي الإبراهيمي.

- تونس: محمد بن المكّي بن عزوز.

- الحجاز: أحمد الأمين بن عزوز.¹

إنّ الطريقة الرحمانية عرفت انتشاراً واسعاً، وسط القطر الجزائري؛ حيث أصبحت هي أشهر الطرق الصوفية، وأكثرها اتباعاً. وبقي روادها يواصلون رسالة التعليم القرآني، والدّين، والتربية الروحية، فكل منطقة إلا ولها حظ منها؛ ومن بين المناطق التي حظيت بتزول أولئك الطلبة الرحانيين، هي منطقة أولاد نايل.

¹ عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص: 219.

المبحث السادس: الطريقة الرحمانية في نواحي الجلفة ووسط القطر الجزائري

لقد عرفت منطقة أولاد نايل، والجلفة، عدد كبير من الزوايا الرحمانية؛ سواء أسسها خلفاء المؤسس عبد الرحمان الأزهري مباشرة بأمر منه، أو كانت فروع عن زوايا خلفائه في الجنوب، ولعل أغلبها يعود إلى فرع عن أصل الزاوية المختارية بأولاد جلال، والزاوية العثمانية بطولقة.

المطلب الأول: زاوية عين أغلال

تقع الزاوية بعين أغلال بقرية بويرة الأحداب، إحدى البلديات التابعة لدائرة حدّ الصحاري بالجلفة، أسسها الشيخ أبو القاسم بن جلول الأحدايي، حوالي 1225هـ الموافق ل 1817م. حيث أخذ الطريقة عن مؤسسها مباشرة الشيخ محمد بن عبد الرحمان¹. وبالنسبة لتسميتها بـ "زاوية عين أقال" أو "زاوية عين أغلال". فيعود سبب التسمية حسب الموروث الشفوي بالمنطقة، إذ يحكى أن عبدا يسمى "بوقلال" جلس أسفل الهضبة، وأخذ ينقر على الأرض، وينبش تربتها، فانفجرت عين من الماء الزلال العذب، فسميت باسمه عين أقال. وفي زاوية أخرى يقال أن اللفظ الأمازيغي². لقد كانت الزاوية منذ تأسيسها مركزا للعلم، والطريقة، والتربية الروحية، وتعليم القرآن، والعلوم الشرعية.

قام على خلافة الزاوية مجموعة من المشايخ الأفاضل، بعد وفاة المؤسس الأول، وهم على التوالي:

- الشيخ سيدي خليفة الشيخ الحاج المختار بن خليفة، بن الطاهر بن عيسى مولاي.

درس هذا الأخير بزاوية طولقة العزوزية الرحمانية عام 1828م، وبالزيتونة بتونس، والأزهر الشريف، وبعد أن أجازته العلماء، وكبار المحدثين، وتحصل على أزيد من 85 إجازة، عاد لمسقط رأسه لتولي الزاوية، وبتأسيسها 35 سنة، عرفت مدة توليه شؤونها بالعلاقات الودية مع الأمير عبد القادر.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 254.

² لقاء مع نبيل سحيم، 11-03-2019، بعين أغلال بالجلفة على الساعة 11:40 صباحا.

وبعد وفاته رحمه الله عام 1923م، خلفه ابنه الشيخ محمد، وصلت الزاوية في حكمه إلى قمة العطاء العلمي، إذ بلغ عدد الطلبة المقيمين بها 500 طالب، ترك من ورائه عدد معتبرا من المؤلفات خاصة في مجال الفقه، وبعد وفاته سنة 1964م، خلفه أخوه الشيخ المختار المولود سنة 1898م والذي توفي سنة 1984م، ليخلفه بعده بن أخيه الشيخ محمد الصغير، بن الشيخ محمد، وقد ولد الشيخ محمد الصغير سنة 1918م، وتعلم في جامع الزيتونة، وبرع في علوم الحكمة. كانت له علاقات مع علماء المغرب وتونس، وعندما توفي سنة 1987م خلفه أخوه الشيخ مصطفى بن سي محمد بن عزوز ولأسباب صحيّة، وكونه رجل¹ طاعن في السنّ؛ تنازل عن المشيخة لأخيه بولنوار عبد الرحمان المولود سنة 1948م؛ الذي أسندت إليه المشيخة سنة 1997م، إلى غاية يوم الناس هذا، فهو رجل علم حافظ لكتاب الله. له عدة إجازات من علماء الحجاز سوريا، عضو الجمعية الولائية للزوايا بالجلفة ورئيس جمعية الأنوار لزاوية عين أغلال.²

المطلب الثاني: زاوية الشيخ بن عرعار

تعد أقدم زاوية تابعة للطريقة الرحمانية بمنطقة أولاد نائل، ويمكننا القول أنها هي الأولى بالمنطقة يعود تأسيسها إلى الشيخ عطية، أسسها نواحي القرن 18م، حيث أخذ الطريقة، ووردها، سندها عن المؤسس الأول محمد بن عبد الرحمان الأزهرري، بعد وفاة مؤسسها خلقه نجله؛ سيدي أحمد، وبقي محافظاً على موروث الزاوية، حتى توفي 1850م ليخلفه ابنه الشيخ البشير، الذي سار حذو والده وجده في التربية، والتعليم، والإصلاح بين المتخاصمين، وإعانة المعوزين من الفقراء، والمساكين، وبعد أن انتقل إلى ربه رحمه الله، تولى خدمتها، ورئاستها الشيخ بن عرعار الذي سميت باسمه، وازداد نشاطها في تعليم القرآن وتحفيظه، وتخرج منها حفاظ، وفقهاء إلى غاية وفاته 1954م، ليخلفه نجله الشيخ محمد الذي حافظ على نهج سلفه، محافظاً عليها، وساعياً لإصلاح ذات البين، حتى توفي سنة 1973م ليخلفه بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى رحمه الله، نجله الشيخ الأخضر، الذي بعث روحاً جديدةً وحركة علمية بها.³

¹ ع الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 254

² لقاء مع الأستاذ الشيخ بولنوار عبد الرحمان 20-01-2021 بعين أغلال بالزاوية على الساعة 10:00.

³ عامر محفوظي، تحفة السائل بباقة عن تاريخ سيدي نائل، مطبعة النعمان، الجزائر، ط1، 2002، ص:26.

المطلب الثالث: زاوية الشيخ الشريف بن الأحرش:

تقع بمدينة الجلفة في الجهة الشمالية للمدينة، يعود تأسيسها إلى الشيخ بن الأحرش بن القندوز حوالي 1254هـ الموافق لـ 1838م، بأمر من شيخه المختار، بزواية أولاد جلال، حيث أخذ عنه الورد، والتربية، والسلوك، ولقنه الأسماء، وأدخله الخلوة خمسين يوماً، كما أقام ملازماً لشيخه 18 سنة معتكفاً على العلم، والعبادة، والعمل إلى أن أجازته شيخه في نشر الطريقة، والعلم، فارتحل إلى بلده، أين اتخذ بها زاوية في ناحية الجلفة، فأدخل بها من الطلبة العلم، والقرآن، يزيد على خمسين طالباً¹ وبعد أن ذاع صيته الآفاق لرجل علم وإصلاح، وتقوى، أقبل عليه الطلبة، ليصل عددهم أكثر من 300 طالب²، ولا ننسى دوره في مساعدة المحتاجين، والفقراء، حيث كان يجوب الأسواق كل مساء منادي: "هل من جائع أو عريان، أو ظمآن فليفرغ إلى زاوية سيدي الشريف بن الأحرش، الخليفة فإنه مكفي المثونة"³. عرفت عنه أنه محب للفقراء، كثير الإطعام للطعام، والإحسان إلى المساكين والمحتاجين، وطلبة العلم، وافته المنية يوم 9 أكتوبر 1864م، لم تعرف زاويته من الناحية العلمية كثيراً رغم كثرة عدد طلبتها، لأنها كانت لها دور جهادي، واجتماعي أكثر من تعليمي، فالمؤسس كان خليفة الأمير عبد القادر في منطقة أولاد نايل⁴.

المطلب الرابع: زاوية الشيخ بولرباح

يعود تأسيسها إلى بولرباح بن محفوظ، من فرقة أولاد بن عثمان، عرش أولاد اخناثة النائلي الشريف نسبا. ولد حوالي 1785م، بالقنطرة موطنه الأصلي التابعة بولاية الجلفة⁵.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 247.

² محمد صغير الجلاي، تعطير الأكوان، ص: 218.

³ محمد صغير الجلاي، المصدر نفسه، ص: 219.

⁴ عبد المنعم الحسني، الطريقة الرحمانية، المرجع السابق، ص: 778.

⁵ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 257.

تأسست الزاوية على الشيخ بولرباح بن المحفوظ حوالي 1825م-1830م، بعد أن وقع له الفتح أثناء زيارته مربية الشيخ المختار بأولاد جلال، الذي قال كلمته الشهيرة؛ فيه " الهبرة داها مول الوبرة " فأجازه بفتح زاوية للعلم، والقرآن، وإطعام الطعام.¹

عرفت زاوية بولرباح بالحلّ والترحال، فكانت خيامها مستقلة صيفا، وشتاء، يتجول شيخها في بقاع الأرض بين ربوع الصحراء، وراحلته معه تسير معه حيث سار وعلى كامل هيئتها من خيم وطلبة، وبيت للتلذذ، وبيت الطالب يث العلم؛ حيث أتاح جماله، وحط رحاله. فبقيت زاويته تتقلب بين مسارح الإبل، والأغنام منذ أن أنشأت أول يوم، تضطلع برسالتها العلمية والروحية، ناهيك عن الإصلاح بين الأعراش، والقبائل إلى أن استقرت سنة 1973م، في وسط أرض أولاد بن عثمان بمنطقة القنطرة.

في بادئ الأمر الزاوية كانت متنقلة تسمى بزاوية الرحال، أو زاوية الخير، ورغم هذه الصعوبات الحيطية بها، في حلّها، وترحالها لها، لم تمنعها من أداء مهمتها في التعليم والإصلاح، وتنشئة مريديها على القيم، وتعاليم الإسلام الصحيح، إلى أن استقر بهم الحال في منطقة القنطرة.

● سلسلة الشيوخ الذين تعاقبوا على مشيخة الزاوية:

ويقصد بهم الشيوخ الذين تولوا رئاسة الزاوية، ومشيختها عقب الشيخ بولرباح المؤسس بدء من الشيخ المختار سنة 1830م، الذي دام حكمه للزاوية حوالي خمس وخمسين سنة، أي إلى أن وافته المنية سنة 1885م، خلفا أولاده الثلاثة المصفي، والشيخ أحمد، والشيخ محمد، وقد تفرع عن هذا المقام لاحقا فرعان هما:

- بيت سيدي مصطفى: المقدم عليه الشيخ أحمد المغربي، ويسمى هذا الفرع بيت الشيخ.

- بيت سيدي محمد: المقدم عليه الشيخ علي ويسمى ببيت سي علي.

وقد أطلق على الزاوية عدة تسميات منها: الزاوية المحفوظية، زاوية الخلفاء الرباجحة، نتحدث عن

فرع الشيخ المصطفى بن سي بولرباح من 1853 إلى غاية 1942م.

¹ عطية شطة، البعد التربوي والروحي للزوايا "الزاوية بولرباح نموذج لزوايا العلمية للطريقة الرحمانية، رسالة ماجستير، غ م سنة 2007، ص: 124.

لما قضى الشيخ المؤسس سي بولرباح أجله في رئاسة الزاوية، خلفه ابنه الشيخ سيدي مصطفى بن سيدي بولرباح (المولود سنة 1953م)، وذلك في سنة 1885م، وبقي مسير قائما على مقام والده مدة سبع وخمسين سنة، إلى أن وافته المنية سنة 1942م، ليخلفه بتكليف منه بن أخيه بولنوار، بن أحمد بن سيدي بولرباح (1887م)، وذلك سنة 1942 الذي بقي على رأس الزاوية مدة خمس سنوات إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى في 1947م، ليخلفه أخوه الشيخ أحمد بن أحمد بن سيدي بولرباح المولود 1918م، وذلك سنة 1948م وكان ذلك بأمر من أعيان، ومشايخ أولاد جلال، والهامل، وعرشه وبقي على رأس المقام لمدة أربعين سنة، إلى أن جاور ربه في سنة 1989م، ليخلفه على قوله زمام المقام حفيده الشيخ بلقاسم بن المصطفى بن سي أحمد المغربي، بن أحمد بن سيدي بولرباح؛ المولود سنة 1972م، وذلك سنة 1989م، وكان هذا بأمر من مشايخ طولقة، وأولاد جلال، الهامل وعرشه وهو الآن قائم على الزاوية.¹

ومن جملة الأعمال التي قام بها خلال توليه مشيخة الزاوية فرع سي أحمد المغربي"، أضاف للمقام ترتيبات أخرى، منها إنجاز منشآت، وعمارة فائقة من إنارة، ومسجد، ومطهرة حديثة، وشق الماء، والطريق، وبنى سكنات، وأقسام وهذا بمساعدة المحسنين والإخوان، والسلطات المعنية،² وتعرف الزاوية ببيت الشيخ بيت الطعام، والبرهان.

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن ننوه بالدور الذي لعبته الحاجة محجوبة بنت عطاء الله الشول وبالجهودات التي قدمتها خدمة لفرع سيدي أحمد المغربي طيلة 60 سنة، على غرار نساء المنطقة، فقد عرفت بصدق النية، وهي من هي في الاخلاص، أفنت شبابها في خدمة الزاوية وأهلها، فقد دخلت ميدان المقام سنة 1943م، وهي ثابرة، وتكافح، وتجاهد، وتؤدي ما عاهدت الله عليه. حفظها الله.³ أمّا الفرع الثاني لزاوية بولرباح وهو: فرع الشيخ سي محمد بن سيدي بولرباح (1810، 1932) المسمى حاليا: بيت سي علي.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 258-259. / عطية شطة، المرجع السابق، ص: 134-135.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 259.

³ عطية شطة، المرجع السابق، ص: 139.

يعود هذا الفرع إلى الزاوية الأصل زاوية بولرباح التي تفرع عنها مقام الشيخ البركة شيخ محمد بن سيدي بولرباح؛ الذي أنشأ المقام بإذن من والده سيدي بولرباح، ومشايخ طولقة وأولاد جلال، والهامل، وكان هذا في حياة والده، بقي مُسَيَّرًا للمقام لمدة تفوق الخمسين سنة إلى أن وافته المنية سنة 1932م عن عمر يناهز مئة سنة، ليخلفه نجله المقدم الشيخ علي بن سي محمد، المولود سنة 1986م الذي بقي مسيّرًا للمقام فترة طويلة تفوق الستين سنة من 1935-1988م، أين وافته المنية عن عمر مئة سنة، ليتولى الزاوية¹ بعده نجله الشيخ الحاج المصطفى بن سي علي؛ وهو الذي يسيرها الآن بإحكام حيث أضاف في عهده التدريس لعلوم الشريعة والعلوم الأخرى.²

ومن مشايخ هذا الصرح العلمي نذكر: الشيخ محمد بن أبي الأرباح أما فروعه فمنهم الشيخ سي الهاشمي، والشيخ سي عبد الله، والشيخ سي المحفوظ، والشيخ سي بلقاسم، والشيخ بولرباح، المؤسس الأول، والمقدم سي علي، والشيخ قويدر، والشيخ سي المخلط، والشيخ سي أحمد، والشيخ سي عمي الأكل، وسي عبد القادر، والشيخ سي بلقاسم، وسي المختار، وسي بولرباح الصغير الحفيد،³ وأخوه من أنجال الشيخ سي علي الحاج، مصطفى ابنه الملتزم بالمقام بشكل منتظم لا يفارقه، يسهر على خدمته وخدمة زائريه، وطلبته، فقد أحدث في عهده تطوراً كبيراً، وشهدت الزاوية في فترة تقديمه نقله توعية من حيث البناء، والمنشآت أو من حيث الطلبة المتخرجين من الزاوية؛ حيث ركز الشيخ على تدريس أبنائه بالدرجة الأولى، مما أكسب الزاوية طابع علمي بلا منازع فاقت به العديد من زوايا الوطن.⁴ وهي تعرف بيت العلم، والقرآن.

ومن الزوايا الرحمانية بمنطقة أولاد نايل التي عزّ عليّ ذكرها، وهي كسابقتها لها باع في خدمة الدين، والتعليم، والإصلاح، والدور الجهادي.

- زاوية الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر طاهري بمسجد.⁵

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 257.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 257.

³ عطية شطة، المرجع السابق، ص: 141.

⁴ عطية شطة، المرجع السابق، ص: 141.

⁵ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 262.

- زاوية الشيخ الصادق بن الشيخ: أسسها الشيخ الصادق الناجومي، بإذن من الشيخ المختار بن عبد الرحمان، بن خليفة بأولاد جلال، وكانت خيام الزاوية متنقلة صيفا، وشتاء يغلب عليها الطابع البدوي ورغم الظروف القاسية المحيطة بها أثناء ترحالها، إلا أنّها كانت عامرة بحفظة كتاب الله، إضافة إلى الدور الذي لعبته في الإصلاح بين المتخاصمين من الأعراش، والقبائل المتنقلة، ومساعدة المحتاجين وهذا بفضل مشيختها الرشيدة الحازمة، وبعد وفاته رحمه الله في 1926 خلفه ابنه الشيخ الحاج المختار؛ الذي سار على نهج والده في نشاطه، والإشراف على الزاوية، حتى توفي 1971م، ليخلفه أخوه الشيخ عبد الجبار، في وقت هي إلاّ أنّه ركن فيه على التعليم إلى أن توفي سنة 1996م، ثم ليتولى ابن أخيه الشيخ الصادق بن الشيخ، محمد الطاهر، بكل حزم، ومسؤولية، ليعيد بعث إحياء الرسالة التعليمية والتربوية والإصلاحية للزاوية.¹

- زاوية الشيخ أحمد بن سليمان ببلدية بن يعقوب الإدريسية.

بعد هذا العرض الذي تم تقديمه من زاوية بولرباح؛ فإننا نختتم عن العلاقة، والرابطة التي تربطها مع بقية الزوايا الرحمانية في الجزائر، حيث نسجت بذلك إرتباطات دائمة؛ تمثلت في تبادل الأفكار والمخططات التعليمية؛ التي يراها الشيوخ أنجح وأفيد للطلبة، فهذا التبادل الثقافي، والعلمي بين الزوايا الرحمانية هو: توثيق الرّباط، وتجديد عهد بينهم، بغرض مواجهة عاقد يمس باستمرارها من تيارات، وأفكار هدامة، وتكون هذه الزيارات، واللقاءات عبارة عن عهد سنوي بين مختلف الزوايا وتكون في المناسبات الدينيّة كعاشوراء، أو المولد النبوي الشريف، ولا بد من تقديم عربون لشيخ الزاوية المزارة، بدء بزاوية طولقة، والهامل، إلى زوايا منطقة القبائل، وقد توارث جميع من تعاقب على مشيخة الزاوية هذه العادة "الزيارات"، وهذا التبادل الذي يعث على الاشتياق، ويحيي روح التواصل، والمحبة بين الأقطاب والإخوان.² كما يجدر الإشارة هنا أنّ هذه الزيارات تتخللها تبادل رسائل محبة إخوانية، ورسائل علمية، وفتاوى، وهناك العديد من الرسائل بين الهامل، وزاوية بولرباح.

زاوية بولرباح من أشهر الزوايا الرحمانية بمنطقة أولاد نايل، وهي من أقدمها، ولها خصوصية عن باقي الزوايا كما سبق ذلك، كونها كانت متنقلة، ومقسمة إلى زاوية إطعام الطعام، والبرهان، وزاوية

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع نفسه، ص: 262.

² عطية شطة، المرجع السابق، ص: 161.

العلم والقرآن، لعبت دور محوري، وأساسي في المنطقة في جميع النواحي؛ سواء العلمية، أو الجهاد، أو الإصلاح كغيرها من زوايا الطريقة الرحمانية.

المطلب الخامس: زاوية بلخير النفطية في بلدية عمورة بولاية الجلفة

أسست سنة 1875م، من طرف الشيخ سي بلخير النفطية، تلميذ الشيخ المختار الجلاي، بقي قائماً حلّ شؤون الزاوية حتى سنة 1920م، ليخلفه ابنه الشيخ محمد النفطية (1877م، 1971م) مواصلاً سيرة والده وبعد اندلاع الثورة، كانت الزاوية معقلاً للمجاهدين هذا ما أثار غيظ فرنسا فدمرتها، ليلجأ شيخها إلى الهيام بالصحراء مواصلاً التعليم القرآني، وبعد الاستقلال أعاد بناءها من جديد، وأعاد إليها بريقها العلمي، إلى أن توفي سنة 1971م، خلفاً ابنه سي السعدي قائماً على شؤونها.¹

المطلب السادس: الزاوية الأزهرية بمدينة الجلفة

وتعتبر عروس الزوايا الرحمانية فهي آخرها تأسيساً، أسسها الشيخ الحاج الأزهاري، النائلي نسبا جده من أمه الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وقد أخذ الطريقة الرحمانية من زاوية طولقة، عن الشيخ عبد القادر عثمان، تهمم بالعلم، والقرآن، لها رؤية مستقبلية واعدة في خدمة القرآن، وطلبته، والمشاريع الخيرية.²

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 263.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 264.

المبحث السابع: الزوايا الرحمانية في الغرب الجزائري منطقة غليزان وضواحيها

منطقة الغرب الجزائري، هي الأخرى لها حظها من الزوايا الرحمانية، فرغم قلة المصادر والمراجع التي تتناول هذا الأمر، إلا أن الشيخ المهدي بوعبدلي قد أشار إشارة طفيفة من خلال تحدّثه عن خليفة، ومقدمي الشيخ المؤسس الأزهري بقوله: "ورغم توافر عدد مقدميه ببلاد القبائل وغيرها كقسنطينة وجنوبها، بل حتى في ولاية وهران؛ التي كان كثير من تلاميذه ينتمون إلى قبيلة عتيقة.¹ إلا أنه لم يتحدث عن هذه القبيلة العتيقة، التي احتضنت الطريقة الرحمانية بالمنطقة الغربية، ليأتي الأستاذ محمد مفلح الذي أشار في كتابه: من تاريخ الطريقة الرحمانية بغليزان وضواحيها، أن هذه القبيلة هي قبيلة خليفة، التي تمتد أعراسها من منطقة عين الرحمة بولاية غليزان، إلى غاية بلدية الرحوية تيارت،² ولم يعرف مقدمها محمد المنور البجاوي؛ الذي كان من تلاميذ الشيخ الأزهري؛ الذين أجازهم، وأذن لهم بالطريقة، إلا أن المصادر، والمراجع لم تتناوله ولم تشر لدوره في نشر الطريقة الرحمانية بمنطقة غليزان والغرب الجزائري.

المطلب الأول: زاوية المنور بغليزان

الشيخ محمد المنور ناشر الطريقة الرحمانية في غليزان: هو محمد المنور بن محمد بن علي بن قدور بن علي المكي، بن راشد بن سيدي يحيى "الصغير"، بن عبد العزيز بن علي يحيى، وقد كتب عنه الشيخ البوعبدلي في بحثه عن مدينة غليزان: "ومن جملة العلماء الشيخ يحيى بن عبد العزيز المعروف، بيحيى الصغير، وهو والد سي محمد بن عودة... ولم يفارق الشيخ يحيى بن عبد العزيز".³ ولد في حدود سنة 1747، بلدية المحاجية التابع، لعرش سيدي يحيى، خلف الشيخ المنور أربعة أبناء هم: سيدي احمد بن عودة، سيدي علي المكي براشد، وسيدي عباس، سيدي محمد النفطي.⁴

¹ الشيخ المهدي بوعبدلي، الأعمال الكاملة، ثورة الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، جمع وإعداد عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ص: 33-34.

² محمد مفلح، من تاريخ الطريقة الرحمانية في منطقة غليزان وضواحيها، دار القدس العربية، ط1، 2014، ص: 19.

³ البوعبدلي، المصدر السابق، ص: 201.

⁴ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 22-30.

❖ تعلمه: درس الشيخ محمد المنور، بمنطقة عرش أولاد سيدي يحيى، ثم سافر لطلب العلم بمعهد الشيخ عبد القادر بن يسعد؛ الذي كان موجودا ببلدة الدية التابعة لبلدية القلعة، ليأخذ العلم على أحد أحفاد سيدي عبد القادر بن يسعد، لينتقل بعدها الشيخ محمد المنور إلى بلاد زاووة، ودرس بزواوية آيت اسماعيل الرحمانية، وكان مع تلاميذ النجباء سيدي محمد بن عبد الرحمان، وهو من الذين تولوا مهمة المقاديم للطريقة الرحمانية، وبعد إجازته من هذا المعهد الشهير، والأخذ عن الشيخ المؤسس إجازته في الطريقة، وأذن له بالعودة لوطنه لتأسيس زاوية، وبث الطريقة فيها، وقد أطلق عليه كنية المنور" التي عرف بها، وأصبحت ملازمة له ولذريته، وأصبح اسم بركة في منطقة غليزان.¹

❖ جهوده في منطقة غليزان وتأسيسه لزاويته:

بعد عودته إلى وطنه، أسس الشيخ محمد المنور زاويته بعرش أولاد سيدي يحيى (بلدية دار بن عبد الله)، ليتولى فيها مهمة التدريس، والقضاء، والفتوى، ونشر الطريقة الرحمانية، وبث تعاليمها، ومن آثاره بالمنطقة بناءه لعين تسمى ليوم: "بعين الشيخ المنور"، لينتقل بعد ذلك إلى دوار الرواشدية، بعرش الحرارة من بلدية زمورة، بنفس الولاية (غليزان)، أين استقبله الشيخ بن عامر؛ الذي كان أحد تلاميذه فأسس زاوية بهذا الدوار، لازلت تبث العلم، والقرآن لليوم، لينتقل مرة أخرى إلى عرش الفضائية ببلدية سيدي لزرق (دائرة منداس)، ليستقر بزواوية إحدى طلبته الشيخ جلول بالفوضيل الرزقاوي ليتوجه إلى منطقة جداين أين إستقر فيها فيما بعد أين أخذ عنه بعض مشايخ منطقة يازرو" وضواحيها. لينتقل بعد ذلك إلى منطقة البرجية، فبقي فيها فترة قصيرة، ثم توجه إلى قرية الدية التابعة لمدينة القلعة ليغادرها بأمر من شيخه إلى دوار أولاد نهار، من عرش دواير فليته، ببلدية عين الرحمة التابعة لدائرة يلل بولاية غليزان، ليؤسس فيها زاوية علمية، تصدّر فيها لتدريس القرآن الكريم، والفقهاء، ونشر الطريقة الرحمانية.²

خلف الشيخ المنور أبناء هم:

1 الشيخ علي: يوجد قبره في مجدة، ترك ولدا وهو سي لزرق المولود سنة 1819م.

2 عيسى عدة: يوجد قبره بجانب قبر والد، خلف ولدين وبناتهما:

¹ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 33.

² محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 34-35-36.

- السيدة ليندة المولودة عام 1817م.

- سي عبد القادر المولود سنة 1819م.

- سي بوزيان المولود سنة 1847م.¹

❖ وفاته: انتقل إلى جوار ربه رحمه الله، بعد سنوات طويلة قضاها في العلم، وبثّ تعاليم الطريقة الرحمانية، دفن قرب زاوية أولاد نهار، ليصبح قبره فيما بعد مزاراً لكل مرديه، ومحبيه يقصدونه في فصل الربيع في مواعيد سنوية تعرف ب"الركوبات"،² أمّا الوعدة السنوية؛ التي كان ينظمها عرش فليته الذي يشمل (18 دوار) لحضور حلقات الذكر، وتلاوة القرآن، والفرجة على الخيالة.³

بعد وفاته رحمه الله، خلف الشيخ المنور ورائه ... من العلماء الذين أكملوا مسيرته في نشر الطريقة الرحمانية، وتوسيع نطاقها، وإحداث حركة علمية صوفية في المنطقة من خلال تأسيس زوايا علمية أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

المطلب الثاني: زاوية المازونية:

نسبة إلى سيدي بلمهل المازوني، وهو من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية في منطقة الشلف، أخذ إذن الطريقة عن الشيخ عبد الرحمان الأزهري، ليحدد فيما بعد على الشيخ محمد المنور، قبره موجود يحي بوعلوفة بمدينة مازونة، ليخلفه بنحله الشيخ أحمد بلمهل، أبرز تلاميذ الشيخ بلمنور؛ الذي أخذ عنه السلوك، والطريقة الرحمانية، وبعد وفاته خلفه ولده محمد المعروف سيدي الشيخ، ولدا سيدي بلمهل الصغير (1332هـ). قضى مدة 45 سنة في التعليم، ونشر الطريقة الرحمانية، وإعطاء الورد، وتحفيظ القرآن.⁴

¹ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 38.

² الركوبات، ج ركب، وهي عبارة عن جمع غضير من الإخوان والمحبين للشيخ والطريقة كان ينظمها. أولاد سيدي يحي، والعناترة، وأهل الدية والطوافين وأهل البرجية لزيارة قبر الشيخ المنور.

³ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 39.

⁴ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 46.

المطلب الثالث: زاوية الفضائية

يعود تأسيسها إلى الشيخ بلفوضيل، أحد أبرز تلاميذ الشيخ محمد المنور ببلدية سيدي لزرق دائرة منداس، تصدى للتعليم، ونشر الطريقة الرحمانية بزوايته، واستقبل فيها شيخه المنور، بعدما غادر زاويته بدوار الرواشدية¹ بعد وفاته، الشيخ بلفوضيل خلفه الشيخ أحمد بن بدرة على رأس الزاوية مقدم بمنطقة فليته، كما كان يرأس الركب السنوي، الذي كان ينظمه عرش أولاد سيدي يحيى، للشيخ محمد المنور بأولاد نهار.²

المطلب الرابع: زاوية المكايك:

نسبة إلى سيدي قدور بلمكي، وهو الآخر تلميذ المنور، ولد بعرض أولاد سيدي يحيى، وبتوصية من شيخه الذي قال له "روح لبني سعيد سعد" فانتقل إلى عرش بني يسعد ببلدية منداس، فاستقر فيه إلى أن توفي ودفن بمقبرة سيدي راشد بن فرقان.

تعد زاوية المكايك الشهيرة في منطقة غليزان، من المنارات العلمية، التي قامت بدور كبير في نشر التعليم، والطريقة الرحمانية، وأصبح لها مقر بمدينة غليزان، إفتتح في حدود 1918م في عهد الحاج بلمكي.³

المطلب الخامس: زاوية سيدي عومر

نسبة إلى الشيخ سيدي عومر بن يحيى بن العربي بن الجيلالي، بن عباس نجل سيدي يحيى الصغير ولد في حدود 1768م، وهو فقيه وقاض، تولى القضاء بنواحي معسكر، ولما احتلت المنطقة من طرف فرنسا، انتقل إلى منطقة "يدارين" بدار بن عبد الله وأسس زاوية؛ لتدريس، وتحفيظ القرآن، وإعطاء الورد بها.⁴

إنّ الملاحظ على جملة هذه الزوايا السالفة الذكر، أنّها أسست من طرف طلبة الشيخ بالمنور الأوائل؛ الذين أسهموا في تأسيسها في العهد العثماني، ليأتي جيل آخر يزامن مع الاستعمار الفرنسي

¹ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 47.

² محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 53.

³ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 48-49.

⁴ محمد مفلح، المرجع السابق، ص: 50.

وسط ظروف صعبة؛ ليواصل المسيرة العلمية؛ من خلال زواياهم؛ التي كافحت بالقلم والرصاص فكانت معهدا علميا، ومعقلا للمجاهدين، أخذ من مشايخ الزاوية القاسمية ليعود لأوطانهم لبث العلم والطريقة من جديد منهم:

*زاوية الشيخ الحاج بن فاطمة.

*زاوية الشيخ محمد بصافي.

*زاوية الشيخ مهدي الصغير.

لقد عمل الشيخ بلمنور على تكوين جيل ساهم بقسط كبير في نشر الطريقة الرحمانية وتأسيس زوايا علمية، وتكوين جيل يكمل المسيرة، حتى أصبحت منطقة فليته، وبلدة الدية ونواحي الرواشدية والبرحية رحمانية بامتياز.

الفصل الثالث

الدور التربوي الروحي للطريقة الرحمانية

المبحث الأول: مفهوم التربية الروحية

المبحث الثاني: الأركان التهديبية في الطريقة الرحمانية

المبحث الثالث: الأصول التربوية في الطريقة الرحمانية

المبحث الرابع: الذكر في الطريقة الرحمانية حقيقته، أدايه، صورته وكيفياته

المبحث الخامس: التربية الروحية بالذكر وآثارها في الطريقة الرحمانية

تمهيد

يعد التصوف هو علم القلوب، فهو يبحث في احوال النفس الباطنة، ويسعى إلى تصفية القلب وتطهيره والتجرد، ويؤدي إلى الاتصال بالعالم العلوي، فميدانه تصفية القلب من الشهوة، والهوى ومفارقة الأخلاق الذميمة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، وتأکید لباب الإحسان، وتحقيق للإيمان، فالجانب العملي منه؛ هو

محاولة التحقق الكامل بحال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وسيرهم في مقامات الإسلام والإيمان، والإحسان.

فهو العلم الذي يبحث في طرق التربية النفسية، وتهذيبها، وتحسين صفاتها، وأخلاقها، وتطهيرها من آفاتها وتزكيتها، لبلوغ درجة الصفاء، والظهور فيها. والوصول إلى أعلى مراتب الإحسان، في العبادات، والمعاملات قولاً، وفعلاً، وحالاً، ولبلوغ هذه الغاية والمسلك الروحي، كانت الطريقة منهجاً لتربية، والسلوك، والذكر، وسيلة لذلك المتبغى، وأداة ذات فاعلية، وآثار واقعية ملموسة.

ولبيان ذلك نتناول في هذا الفصل "الدور التربوي الروحي للطريقة الرحمانية" مفهومها وكيفيةها، من أركان تهذيبية، والأصول، التربية الروحية بالذكر، مع إعطاء نماذج للآثار التربوية بالذكر في الطريقة الرحمانية.

ويكون ذلك وفق مباحث ثلاث:

المبحث الأول: مفهوم التربية الروحية.

المبحث الثاني: الأركان التهذيبية في الطريقة الرحمانية.

المبحث الثالث: الأصول التربوية في الطريقة الرحمانية.

المبحث الرابع: الذكر في الطريقة الرحمانية حقيقته، أدابه، صوره، وكيفيةه.

المبحث الخامس: التربية الروحية بالذكر وأثارها في الطريقة الرحمانية

المبحث الأول: مفهوم التربية الروحية

المطلب الأول: مفهوم التربية

لغة:

10، "وبعبارة أدق فالتربية هي: "رياضة تصفية القلب عن الرذائل والخبائث المذمومة، وتركيبته بالفضائل المحمودة التي هي الإستقامة"، والانتقال بالذات من حالة مريضة إلى حالة سليمة؛ تبدوا فيها صفات الذات الكاملة المتكاملة المتصرفة بالصالح.¹ المتجهة إلى طاعة الله وطاعة نبيه قولاً، وفعلاً، وسلوكاً.²

وهذا الانتقال السلس من نفس غير مزكاة إلى نفس مزكاة؛ هو الذي سميّ طريقاً، ومنهجاً للتربية ومسلكاً للترويض، والتهذيب، وأدواته شيخ مرب، متبصر بعيوب النفس، وميدانه النفس البشرية وأدواته الذكر الدائم، وغايته القرب من الحضرة الإلهية، يقول تعالى: ﴿ چ □ □ □ □ چ ﴾ [الأنعام 42]

فهذا الطريق إلى الله هو في حقيقته فراراً، وهجرة إليه، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ چ □ □ □ □ □ چ ﴾ [الذاريات 50]، والتربية الروحية في الطريقة الرحمانية: "هي منهاج التزكية الروحية ومقررات التصفية النفسية السلوكية، فهي التزكية، والتطهر، والتخلق، والتحقق، وفق قاعدة التحلية والتحلية، وأنها طريق السادات، العارفين من أهل الحق، فيجب على السالك لله التصديق، والإذعان مع الجِدِّ، والاجتهاد، والتوجه الكلي، والاستعداد لأن سلوكة يصعب على النفوس؛ لكونه علم ذوق، لا يسطر في السطور".³

كما أكد مؤسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن الأزهري؛ أن المقصود الأعظم من الطريقة الرحمانية؛ هو طهارة النفس من عللها، ومن طهرها فهو العارف بجنبايا النفس البشرية،⁴ وقد أجمع علماء التربية، والسلوك، على أن التربية الروحية تتم على طريقتين: الشكر، والمجاهدة.

1 - الملتقى الوطني 19 للقرآن الكريم، التربية الروحية في القرآن الكريم بعناية من 18.20 ديسمبر 2018 - ديباجة، ورقة 1.

2 - أبي عبد محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرندي، مقدمة غيث المواهب العلية لشرح الحكم العطائية، تر تح عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، دط، ج 1، ص 13 (بتصرف).

3 - مصطفى البكري الخلوئي الحنفي، الوصية الجلية للسالكين طريق الخلوتية، دار الخليل القاسمي، بوسعادة-المسيلة، ط 1، 2005، ص 8، (بتصرف).

4 - محمد بن عبد الرحمن الأزهري، شرح قوت قولي شرح على الريفاوي، مخطوط، ورقة 4.

أولاً: طريقة الشكر: يقصد بها أفراد الله بالعبادة، والإخلاص التام، والبراءة من جميع الحظوظ مع الإعتراف بالعجز والتقصير، ويقصد بها الهجرة إلى الله، بالسّير القلبي، ورؤية الحق عن رؤية النفس، فهي رياضة القلوب لتعلقها بالله عزّ وجل، والعكوف على بابه في الحركات، والسكنات، والابتعاد،¹ وهي رؤية الحق من أول قدم، والعمل لذلك باللجوء إليه، وأن تعبد الله كأنك تراه.²

ثانياً: طريق المجاهدة:

وهي الطريقة التي اعتمدها أرباب السلوك؛ من أجل بلوغ الغاية، والتقرب لله، واعتمدوا في ذلك على جملة من الرياضات، والمغالبات النفس، ومدارها على التعب، والمشقة والسهر، والجوع، والصوم وقلة النوم، والأكل، والقيام لله تعالى بحق العبودية، بمختلف العبادات، والنوافل، ومحاسبة النفس ومراقبتها،³ وتعني الهجرة لله عن طريق المجاهدة، ورياضة الأبدان، والمراقبة، وهي طريق الهجرة لله، بسير الأبدان، وهي أن تعبد الله فإنه يراك، ولا تصدر هذه الرياضات الترويضية للنفس؛ إلا عن عقل تنور بالإيمان، واستشعر مخاطر الذنوب،⁴

ولتأكيد نجاح الطريقتين، قرر الصوفية إعتقاد مراتب، ومراحل، تجمع بينها لتدرّج، فهي مسالك الكمال الروحي، ويتم ذلك عبر أصول التربية، وأركان التهذيب، وصولاً إلى أعلى وأرقى المستويات الرياضية، والترقية.

المبحث الثاني: الأركان التهذيبية في طريقة الرحمانية:

يعاني المجتمع اليوم من دعاة الإنسانية؛ الذين يملئون الدنيا ضجيجاً، دفاعاً عن حقوق الإنسان لكن قلوبهم مفعمة بالغرور، والحقد، والتكبر، فبدت دعواتهم الإنسانية المزعومة مجرد أقراص؛ مُنومة

¹ - أحمد بن مبارك السحلماسي، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، تح عبد العظيم فتحي خليل، دار جوامع الكلم، 2006م، مصر، ص416-417.

² - أحمد بن محمد بن عياد، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، مكتبة العلم والإيمان، ط1996م، مصر، ص52.

³ - عرجون محمد الصادق، التصوف في الإسلام منابعه وأطواره، دار القارئ العربي، ط493، مصر، ص143.

⁴ - أحمد بن محمد بن عياد، المصدر السابق، ص53.

يقدمونها ببحث، ودهاء، لشعوب المستضعفة؛ كي لا تطالب بما لا يطالب به البشر من حقوق، ويبقى الشك قائماً ماداموا لم يتخلصوا من أمراض القلب.

تلك هي الأمراض التي تصيب القلب، فهي تعيقه عن الاتصال المقدس بالحق، بل زيادة عن ذلك تفتك بالمجتمع، وتمزق أواصره، وتشتت شمله، وتقتل بذور الخير فيه.

إنّ رجال الإصلاح، وعلماء الدين، الذين يؤكدون على أنّ فساد المجتمع يُسببه فساد الفرد يراهنون على أنّ كل محاولة للإصلاح الاجتماعي، لا يمكن أن تنطلق إلاّ من الفرد ذاته، لذا مؤسس الطريقة الرحمانية؛ اهتم بإصلاح الفرد، وبالضبط إصلاح قلبه؛ لأنّه محل كل صلاح، أو فساد، فإذا ظهرت لنا في أيّ مجتمع تشوهات أخلاقية، وانحرافات اجتماعية، علمنا يقيناً أنّ تلك المظاهر المرضية، ما هي إلاّ انعكاسات لقلوب أفرادها، ورشحات مما بطن في قلوبهم.

وعليه فإنّ البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى ثورة روحية، تعيد للإنسان قلبه المفقود، وروحه الضائعة، والطريقة الرحمانية هي إحدى النماذج للمدرسة التربوية الروحية، التي اهتمت بالفرد، وعلّل نفسه، ووصفت له العلاج المناسب، وأعدت له روحه الضائعة بالانتقال به إلى مرحلة أكثر حسماً وعزماً؛ بتكثيف جرعات علاجية موجهة، ومركزة من مجاهدات بدنية؛ لإخماد الصفات البشرية، وقطع العلائق على النفس لنجاح العملية التطهيرية؛ ذلك وفق دعائم، وأركان هي أساس التهذيب، هذه الأركان الأربع؛ تمثل جانبها القوي وقوامها، وتماها، الذي لا وصول للسالك المريض المداوى بغيرها.

وقد ورد عن مصادر الرحمانية أنّها: جوع، وسهر، وصمت، وعزلة. في قول الناظم:

إنّ الطريق لها أركان واجبة *** فلا وصول بغير الركن للرجل

فهذا أربعا قالت مشايخن *** جوع، وسهر، صمت، عزلة فقل.¹

لم تنفرد المشيخة الرحمانية بهذا التعيد لبناء طريقتهما، أو مسلكها في التربية، والتهذيب، إنّما ذلك أخذ فرع عن أصل، وامتداداً للخبرة الصوفية للذين سبقوه، فعن الشاذلية جاء في قولهم: مرتبة المجاهدة، والرياضة، وهي مرتبة التهذيب، لها أركان أربعة الجوع، والسهر والصمت، والعزل،² وهي

¹-الأزهري، طي الأنفاس، مخطوط خاص، ورقة 7، (مخطوط مجموع مع دفاتر الأزهري في مكتبتي).

-الأزهري، شرح قوت قولي على الريفاوي، مخطوط خاص، ورقة 10.

²-محمد بن عياد، المرجع السابق، ص 146.

قوت القلوب ، ورد أن أساس الطريق، وقوته في الأركان ، أولها الجوع، ثم السهر، ثم الصمت ، ثم الخلوة، التي هي سجن النفس، وتضييقها ، وتقييدها، وبها تضعف صفاتها،¹ ليؤكد بعد ذلك الغزالي في الإحياء: أن الحصن الحصين، الواقى المتين، الذي يدفع قواطع الطريق الأربعة: الخلوة، والصمت والجوع، والسهر.

فالإجماع قد حصل لدى كبار الصوفية على أن هذه الأربعة هي أساس، وركن التهذيب للنفس فجمعوها في قولهم:

بيت الولاية قسمت أركانها*** ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت وإعتزال دائم*** والجوع والسهر التزيه الغالي.²

وهذه الأركان مجتمعة، تخلص النفس من آفاتهما، وشهواتها الواقعة حاجز بينها وبين الحضرة القدسية.

وهو ما سيحدد بيان وجه استعمالها في الطريقة الرحمانية، ودرجة نجاعتها في الرياضة، والمجاهدة وتحقيقها للتربية الروحية، وتصفية القلب، مما علق به من شوائب وأمراض.

المطلب الأول: أركان التهذيب الذات

ويقصد بها الجوع، والسهر؛ لأنها تتعلق بالفرد وحده، وذلك لما لها تأثير على نفسه من خلال ضبطها، وكبح شهواتها.

¹ -أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ج3، ص94.

² -عبد الوهاب بن أحمد الشعراي، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، قدم له عاصم إبراهيم الكيالي الدرقاوي، دار الكتب العلمية، د ط، ج1، ص56.

أولاً: الجوع أو التوسط في الأكل

وهو ضد الشبع؛ الذي هو امتلاء الجوف من كثرة الغذاء، وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول: "إنما أساس باب الطريق الجوع؛ لأنهم لم يجدوا ينابيع الحكمة، تحصل لهم إلا به، وقد كانوا يتدرجون في تقليل الأكل شيئاً فشيئاً، حتى وصلوا إلى أكل لقمة واحدة، في كل يوم وليلة،¹ وقد ورد عن السادة الرحمانية ضرورة التقليل من الطعام، والناشئ عنه الجوع الاختياري، وهو عدم الامتلاء المفرط بطريق الاقتصاد، يخل بالقوة، ولا يوجب إعطاء الشهوة مرادها، فمن قل منه الامتلاء، ضعفت نفسه عن طلب شهواتها البشرية، وانقطعت أطماع نفسه منها، واستطاع أن يقوم الليل الذي هو وعاء النفس الإلهية، ومحل استجماع القوى الروحانية، فدعوة التقليل من الطعام، هي المحافظ على ضبط حالة التوسط في الأكل.

فالمطلوب هو التوسط لا إفراط، ولا تفريط،² والمراد بالجوع هنا الجوع الاختياري، فالجوع أصل الطريق الاختياري، لا ضروري، ولو لم يكن ذلك لما كان فيه مزيد فائدة - وقد قال بعضهم: ﴿لو يتناع الجوع في الأسواق للزم للمريد أن لا يشتري غيره﴾. والجوع يورث معرفة الله - فالجوع نور والشبع نار، يتولد منها الإحتراق.³

■ دليل الجوع عند الرحمانية

وقد استدلت السادة مشايخ الرحمانية على الجوع، بقول الحبيب صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع، والعطش»،⁴

■ فوائد الجوع والتوسط في الأكل على النفس:

الانكسار والذل، وزوال البطر، والمرح، واللذان هما فاتحة الطغيان، والغفلة عن الله، فلا تكسر النفس بشيء كالجوع، إذ به تحصل الرقة بالقلب، والصفاء من الكدر، وهذان هما سبب الترقى في

¹ - الشعراني، المصدر نفسه، ص 56.

² - مصطفي باش تارزي، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، مطبعة الرسمية، تونس 1307هـ، ص 149.

³ - قطب الدين مصطفي البكري الخلوقي الحنفي، الوصية الجليلة للسالكين طريق الخلوتية، دار الخليل القاسمي، ط 1، 2005، المسيلة، ص 15-16.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الشهادة، رقم 1063.

مدارج الخشية من الله تعالى؛ المانعة من الوقوع في المحرمات، والمكروه، فهما ذريعة الهلاك عاجلا، وآجلا، فالشهوات باب من أبواب جهنم، وأصلها الأول الشبع، بالمقابل الانكسار، واللين، والرقّة موصولان للخشية من الله، وهي باب من أبواب الجنة، وأصله الجوع، فقد عبّر عن ذلك الغزالي في الإحياء بقوله «إنّ البطن منبع المهلكات، وبسببه أخرج آدم عليه السلام من الجنة بأكله أكلها».¹ ولا ريب أنّ مدار الأمر كله هو حفظ الصحة، والمحافظة على عدم خراب المزاج.

ثانيا: السهر:

إنّ من قل أكله قل مشربه، فقل نومه،² هي محاولة منهم لرد ما فيه من إضاعة الأوقات سدى في الغفلات، وإماتة القلب عن تعاطي أسباب الدّين والدنيا وأعظمها على الإطلاق فوات فضيلة التهجد، وقيام الليل،³ وجاء في قوله تعالى چڈت چ [ال عمران]، وقوله تعالى چ گ گ گ گ گ گ گ في [السجدة 16]، فإنّ الليل محل هدوء الأصوات، والتزلزلات الإلهية، و النفحات الربانية، والمعارف القلبية الغيبية، ومحل خلو القلوب واستجماع القوى الباطنية، على ثبات الغيوب، فإنّ صادف المرید وقتا منها وكان صادقا مستعدا، بما عنده من إخلاص والإجتهد، اتجه له أن ينال منها بحسب قابليته ما يناسب مقامه،⁴ وبهذا فقد قسموا السهر إلى قسمين: سهر العين؛ لتعمير الوقت، ودوام الترقى، والتنقل في الأحوال، والمقامات، والمعارف الربانية، والمنازل العالية، لأنّ بنوم العين يبطل عمل القلب، ففائدة السهر دوام عمل القلب.

وأما سهر القلب، فهو تيقظه من نوم الغفلة، والبعد إلى منازل المشاهدة، والقرب، فقد حذر الصوفية على كثرة النوم؛ يقول أبو طالب المكي: «فأما النوم فإنّ في مداومته طول الغفلة، وقلة العقل، ونقصان الفطنة، وسهرة القلب ويجلوه، وفي استنارته معانية الغيب، وفي جلالته صفاء اليقين، فيصير القلب كأنّه كوكب دوري، في مرآة مجلوة، فيشهد الغيب بالغي، فيزهد في الغاني...».⁵

¹-الغزالي، المصدر السابق، الإحياء، ج3، ص118.

²- ماجدة القاسمي، الذكر وآثاره التربوية في طرق الصوفية الجزائرية، دار الخليل القاسمي، ط1-2020، ص199.

³-مصطفى باش تارزي، المصدر السابق، المنح الربانية، ص50.

⁴- مصطفى باش تارزي، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، تح عبد المنعم الحسيني، دار الخليل، بوسعادة، المسيلة، ط2016، ص233.

⁵- أبو طالب محمد بن علي المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دار الفكر دمشق، ج1، ص98.

■ دليل السهر من الكتاب والسنة عند الرحمانية:

وقد حث الكتاب والسنة على قيام الليل، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [المزمل 1-2]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [المزمل 1-2]،

[الإسراء]، وقال عليه السلام ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، وتكفير للسيئات ومطرقة لداء عن الجسد)).

■ فوائد السهر: فالسهر ليس لذاته وإنما لثماره، وإغتنام لأوقات في العبادة، وقيام الليل.

ويظهر من ذلك أن موقع السهر في الأركان التهذيبية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأثره، ونتيجته فالمراد منه هو أثره، واغتنام وقت النوم في الطاعات، والتهجد لا حقيقة، الأمر الذي يبرز دوره التربوي على نفس المؤمن في عملية التخلية من رعوناتهما، وتحليتها بالطاعات، والعبادات وتعويدها على لذة القرب من خلال تحلية النفس بالمجاهدة، لإقامة حقوق العبودية لله، والتخلي عن ما تشتهيه من لذة المنام، إن الصفاء الباطني العميق -التخلية- لنفس الإنسانية لا يكون إلا بالاجتماع؛ الجوع، والسهر، واستثمار الوقت في العبادة وزيادة الطاعات، وتعميق درجة الإيمان، كما لا يمكن أن يكون اضطرارياً، لأنه لا جدوى ولا منفعة منها، فسيكونان باباً للغفلة، بل لا بد أن يكونان من إختيار الإنسان وعزيمته، ونية لاستثمار الوقت، والجهد، والطاعات، والعبادة لبلوغ أعلى درجات الكمال، فالهدف والغاية منهما؛ هو الثمرة المرجوة، وليس المراد هما لذاتهما، فالسهر بلا عبادة مفسدة للوقت، والجوع المخل بالجسم والصحة، لا يبني حضارة، فما بنيت حضارة على الجوع وقلة النوم.

المطلب الثاني: أركان التهذيب للغير "الصمت والعزلة":

أولاً: الصمت

وردت أحاديث كثيرة في ذم كثرة الكلام، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ((من) كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه، قل حياؤه، ومن قل حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه، ومن مات قلبه، كانت النار أولى به))¹،

ثانياً: العزلة:

ولإتمام العملية التربوية، ونجاحها، قرر السادة الرحمانية فرض على المريدين عزلة؛ عن أصحاب الأهواء، ومخالطة ذوي النفوس الضعيفة، وعدم مخالطة الناس، وترك مداخلاتهم، وحجب عن الشهوات فعلاً، وحباً، وترك مداخلاتهم، لأنّ في مجالسهم، ومشاركتهم فيما هم فيه عن الحق، فهم يشوشون على المريدين مقاصده، ويشغلونه عن أهدافه ومرامته في سيره وسلوكه² والأصل في هذا كله قول النبي عليه السلام ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))³.

فالعزلة عند الرحمانية، وغيرهم من أهل السلوك لا تكون إلاّ عن أهل الأهواء، فقد عبر عنها الشيخ باش التارزي بقوله في كتابه المنح الربانية: "من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على علم الله مقاله ضرر محض وحجاب يغطي عنك عيوبك، يُحِبُّ نقصك، وذلك من أعظم أمراض القلوب"⁴. عرفها مصطفى بكري بقوله: "العزلة هي الإنفراد، والإنقطاع عن الخلق إيثاراً لمحبة الله، وتكون بالأجسام، وهذا حال المريدين، وبالقلوب وهذا حال العارفين بالقلب"⁵.

ومن هنا قسم أرباب التربية، والسلوك العزلة لنوعان: ظاهرة، وباطنة، فالباطنة عزلة القلب مع الحق بحضوره معه، وعدم ملاحظته الخلق بالكليّة، والظاهرة هي العزلة بالخلوة، ثم عن الخلق بالفرار، والبعد والهجر، بحيث لا ندرك شرهم، والتفرغ للعبادة، والتهجد.

■ فوائد العزلة عند الرحمانية:

- ¹ - رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، وقد رواه أبو حاتم بن حيان في روضة الغفلاء، والبيهقي في الشعب.
- ² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية، تقدم محمد سي يوسف، دار الأمل، تلمسان، ط2011، ص72.
- ص52.
- ³ - أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر في كتاب الرقائق، رقم6416.
- ⁴ - مصطفى باش تارزي، المصدر السابق، ص64.
- ⁵ - مصطفى البكري، الوصية الجلية وللسالكين طريق الخلوتية، المصدر السابق، ص16.

ومن فوائد العزلة البعد عن الريّة، والرياء، والغيبة، والبعد عن جلساء السوء، ورفقاء الخبث، وقد جاء في الرسالة القشيرية: ما دواء القلب فقال: قلة الاختلاط بالناس، وقال: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه، فليعتزل الناس فإنّ هذا الزمان، وحشة، والعامل من إختار فيه الوحدة، إلاّ أن يكون هناك ضمير، فيخرج، ويخالط.¹

ولنجاح العملية التربوية الروحية، على المرید أن يلتزم بأركان التربية، ويلتزم بما ذكر بالتدرّج ولا يجيء شيء منه لنفسه، ولا لغيره، بحيث يختفي كل ركن منها بضبط جارحة من الجوارح، وتحديد مواقع استعمالها في دائرة المشروع، وحدود المقدور، والتكليف فالله لا يكلف نفساً إلاّ وسعها، وما يستشف من هذه القواعد، والأركان التهذيبية مجتمعة معاً؛ هو تمام واجب أعظم، والوصول لغاية أسمى هو: التهذيب، والتربية، وسلوك مدارج العارفين والإحسان في الأعمال، وبلوغ مراتب الصفاء، وهذا لا يتحقق إلاّ بهذه الأركان مجتمعة معاً متلاحمةً. فمن إستطاع أن يتحكم في كلامه، وطعامه، ونومه وخلطته، وعلاقته بالناس، واستغل الوقت، والجهد، في الطاعات، والعبادات، فقد فاز الفوز العظيم.

نتيجة:

إنّ اعتماد التربية الروحية، على مبدأ التخلية، والتخلية، قد جعل الصوفية يضعون لها أصولاً تربوية لتحقيقها، تعتبر الأدوات المعتمدة؛ من أجل قطف ثمار العملية التهذيبية لتحقيق المراد من التربية، وهو معرفة الله، لذا لا بد من ضبط النفس، بأصل ترجع إليه في العلم، والعمل، لمنع التشعب، والتشعب. فأصول التربية الروحية في الطريقة الرحمانية؛ هي إحدى هذه المناهج المعتمدة في عملية التخلية والتخلية، وهي مستوحاة من صيدلية الشريعة، والسنة النبوية الشريفة؛ التي اختارتها شيوخ الطريقة بعناية، وإتقان، مراعيين فيه النفس البشرية، وحال المرید السالك طريق الله، ووضعوا الجرعات تدريجياً من أجل الوصول، والقرب من الحضرة الرباني

المبحث الثالث: الأصول التربوية في الطريقة الرحمانية:

¹ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، ص140.

إنَّ المتبع لمنهج التربية في الطريقة الرحمانية، يجده يختلف عن باقي المناهج التربوية في الطرق الأخرى، إذ يعتمد التفصيل، والتدرج، لكل أصول التربية، فالرحمانية عتمدت على وسائل، وأساليب تركز على مفردات، وجزئيات العمل التربوي، وتستقرى الواقع لتطبيقات آليات الإستقامة، واعتماد أدوات إجتثاث الذنوب، والآفات، وتثبيت الطاعات بدلها.

وهذا بتقريرهم منهج التهذيب، في مرحلة التوبة، والاستقامة، واختاروا أقوى، وأشد الأصول تأثيراً على النفس، من أجل اقتلاع العلات، والآفات من الجذور، وتكون أسرع تجسيماً، وتأثيراً في عملية التحلية، بفضائل الحسنة، وقد جاء قول مؤسس الطريقة في هذا العدد يحدد عدد أصول التربية في الطريقة الرحمانية: "رتب أهل الطريق، أحكام الطريقة، وأصوله، التي هي سلم الوصول، ثلاثة عشر أصلاً؛ هي التوبة، والمجاهدة، والحزن، والدعاء، والخوف، والرجاء، والورع، والتقوى، والزهد، والصبر والشكر، والقناعة، والتوكل."¹

والقصد بالأصل هو ما بيني عليه غيره، والطريق، قال مصطفى البكري: "هي تتبع أفعال النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بما".²

سنتناول هذه الأصول من خلال بيان حقيقته، وعلاقتها ببعضها، وفق قانون التحلي والتخلي وهو أسلوب المعتمد في التربية الروحية وأساسها، وبيان كيفية، تطبيقها، والعمل بها في خضم منهج روحي، تربوي، اعتمده المشيخة الرحمانية، لتصفية نفوس المريدين والارتقاء بهم في المقامات.

المطلب الأول: أصول المعتمدة في التحلية (أصول الوصول للتحلية)

لقد اعتمد الرحمانية جملة من الأصول، لتحلية نفس المريد؛ من الذنب، ومقاومته، ومجاهدته وفق إعطائه وصفة علاجية، متنوعة، ومتفاوتة الجرعات، راعت فيها التدرج، والتنوع، والتأني والاحتواء، وقد قُسمت أصول الوصول التحلية عندهم إلى قسمين، يستطيع المريد من خلالها ترقية النفس والارتقاء في مدارج السالكين.

أولاً: أصولاً مقاومة الإثم

¹ - الأزهرى، شرح على الريفاوي، مخطوط خاص، ص 49.

² - مصطفى البكري، الوصية الجليلة وللسالكين طريق الخلوقة، المصدر السابق، ص 12.

ويقصد بها عناصر اقتلاع الإثم، واجتثاث الذنب ومغالبتة.

1-التوبة:

يقصد بها الندم، والاقلاع، والعزم على عدم العودة إلى الذنب،¹ والتوبة هي أول قدم يضعه السالك في دار الآخرة، ولتوبة شروط أربعة لا بد منها، لتقبل وتصح وهي رد المظالم واجتناب المحارم والندم على ما فات، والإقلاع في الوقت على الفور، والعزم على ألا يعود، كما لا يعود اللين إلى الضرع، والتوبة مدار الأصول جميعاً،² وحقيقتها عند الرحمانية، والقوم قبلهم: "ترك ما لا يعني قولاً وفعلاً، وإرادة"³، ومعنى ذلك كل شيء، لا يرقى المرید في طريقته، فليتركه ابتغاء وجه الله، رغبة في الوصول.

لقد اعتمد الرحمانية التدرج المتأني في التوبة، فمن التوبة عن القول، لتوبة عن الفعل، لأن يصبح الأمر حالاً، وإرادةً، فقد أشركوا الأفعال القلبية في التوبة، وذلك لشمولية عملية التطهير بها، والتلبس بمعانيها، وصورتها، ابتداءً بالقول، مروراً بالفعل، إلى أن تغدوا حالاً وهي وصفة متجذرة في أعماق نفس المرید، وإرادته، وهذه الإرادة، والعزيمة هي المقصودة بالأداة الثانية لمقاومة الذنب، واجتثاثه من جذوره.

2-المجاهدة:

اعتمد الرحمانية المجاهدة ختام حلقة سلسلة التخلية، بعد التوبة؛ لأن المجاهدة تمحو للمريد الذنب وأثره، والمراد بها "إتعب النفس في الأمر الجائر، وهي فعل المأمورات، وترك المنهيات"، وترك المألوفات، والعبادات، وتحمل المشقات"⁴، وقد جاء في الأثر: "من صدقت توبته لزمته المجاهدة، بعد التوبة، واستعمال جوارحه، في العبادات"⁵.

لهذا اعتبر الرحمانية المجاهدة، الأداة الفاعلة؛ لتخلية النفس، من آثامها، وعلاجها من آفاتهما وقد اتفقوا على أن مجاهدة النفس؛ أصعب من مجاهدة الشيطان، لأن النفس عدو محبوب والشيطان عدو مبغوض،

1- الغزالي، الإحياء، ج4، ص 4/ القشيري، الرسالة القشيرية، ص45

2- الأزهرى، المقدمة الوثيقة لمعرفة بعض أحكام الطريقة، مخطوط خاص، الورقة 10

3- مصطفى البكري، الوصية الجلية المصدر السابق، ص18.

4- مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص73.

5- أحمد بن غانم المقدسي، حل الرموز لمفاتيح الكنوز، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم933، الورقة 14.

والمحب أعمى عن عيوب محبوبه، لذا أوجب الرحمانية مجاهدة النفس، ومخالفتها في شهواتها، وترك ما أمكن من مألوفاتها وعاداتها،¹ كما جاء ذلك في الأثر أن الله أوحى إلى بعض الأنبياء: «عاد نفسك فليس لي منازع في المملكة غيرها».²

ويندرج في المجاهدة على حسب سيره، ففي بادئ الأمر؛ يتخلى عن المعاصي؛ التي تتعلق بجوارحه السبعة، وهي: اللسان، والأذنان، والعينان، واليدان، والرجلان، والبطن، والفرج لكل جارحة من الجوارح السبعة معاصي تتعلق بها.

✓ أثر المجاهدة على سلوك الفرد وأخلاقه:

فمجاهدة النفس تقدم على دعائم الفرار، والرجوع إلى الله من مقتضيات طبائع النفوس والرجوع عن متابعة الهوى إليه تعالى، والإبتعاد عن الغفلة، وتخليص النفس الإنسانية من رق الهوى وقاعدة المجاهدة الصحيحة يلزمها مساعدات، ودعائم أخرى في الطريقة الرحمانية، من أجل تحقيقها على أحسن الوجوه، فالمجاهدة كما نعلم هي أصعب الرياضات البدنية، والنفسية؛ التي يلتزم بها المرید بعد عقد النية، والتوبة عن الذنب، لذا وجب تدعيمها برياضات روحية، ودعائم لتخليص النفس من رعونتها ورجوعها إلى رحاب الله.³

3- الحزن:

ويقصد به الألم، الذي يقوم بالنفس، لوجود إرادة، وفقد المراد، وعدم القدرة على تحصيله، وحقيقته انكسار القوة النفسانية، لاستصعاب أسباب المسرة، وغايته التذلل من أجل التلذذ،⁴ فالحزن يكون بعد إرتكاب الذنب، والمعصية " وهو عبارة عن الغم الحاصل في القلب، نتيجة فعل مكروه، أو محرم".⁵

*أثر الحزن على سلوك الفرد:

¹-الأزهري، المقدمة الوثيقة لمعرفة بعض أحكام الطريقة، مخطوط مطبوع، تعليق محمد فؤاد القاسمي، الحسيني، دار الخليل القاسمي، ط2005، ص12.

²- عبد الكريم القشيري، لطائف الإشارات، تح، إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط3، ج3، ص569.

³-الأزهري، شرح على الريفاوي، مخطوط خاص، الورقة43.

⁴-محمد وفا بحر الصفا، المقامات السنوية للسادات الصوفية، تع، محمد إبراهيم محمد سالم، ص4.

⁵-الأزهري، شرح على الريفاوي، المصدر السابق، ورقة94.

إن أثر الحزن على القلب يمنع صاحبه من معاودة الإثم، والذنب، وذلك بعد أن ذاق مرارة تجرع الغم الحاصل منه، وهو الشعور الذي يدفعه إلى المثابرة، والعمل، والتوبة والمجاهدة، خوف من العقاب. بآثره على النفس، والقلب. فالحزن إذن شحذ الهمة، واستنهاض النفس، والقلب، واستدراك مافات، لذا استحق أن يكون أداة من أدوات التخليّة عند الرحمانية.

4-الدعاء:

يعد الدعاء أحد توابع التوبة عند الرحمانية، ولازم من لوازم المجتهدة، والحزن، والتحسر على ما فطنا من معاصي وآثام، إن الدعاء يعد وسيلة للإستعانة على الإقلاع عن الذنب، "فهو خير ما هيجه الأحران"¹ وقد جاء معنى الدعاء عند الرحمانية: "باعث للتضرع والخشوع، والخضوع، لحصول الشفاء من أمراض القلوب"²، ويقصد من هذا التعريف ملازمة السؤال بذل ومسكنة، ومناجاة الرب، وبث الشكوى والألم، والتضرع إليه بطلب العفو والتوفيق، والقبول مع إظهار الفاقة، والحاجة، والافتقار إلى الله بخشوع ووجل، وعلى هذا الأساس جاء مفهوم الدعاء عند الرحمانية فهو: "سؤال قبول الرجوع والقبول، فالدعاء هو مخ العبادة، يقول عز وجل چېد ث ث نذ چ [غافر60].

وهذا ما يفيد بيان حقيقة الدعاء، ودوره في عملية التخليّة من الذنوب، وأهميته في التربية والتهذيب؛ التي عليها بنى الرحمانية مفهوم الدعاء، واعتبروه سؤال الرجوع، والقبول، والفرع لله فالدعاء من أصدق الموائيق بين المحب، ومحجوبه، لذا لزم الصوفية الدعاء في كل حين لأنه مفتاح الفتح العرفاني، والقبول، وبالدعاء، وتفتح أبواب الحنان، والطريق الموصل لله، وبه يحصل القرب، فهو بداية ومنتهى العبادات، لاشتماله على معرفة عزّ الربوبية، وذلّ العبودية.

5-الخوف:

ولضمان نجاح عملية التخليّة من الآثام، اعتمد الرحمانية مبدأ التوبة، والمجاهدة لمساعدة النفس عن التغلب عن أهوائها، بالإضافة إلى الحزن كونه دافع، والدعاء رافع شافع، قرروا ضم مبدأ الخوف لدوره في كبح النفس عن الشهوات.

والخوف على ثلاث مراتب:

¹ - القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص133.

² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص73.

الأولى خوف الوعيد، ووسطوة الإقتدار، وعدم قبول العمل، والثانية خوف المكر، وسوء الخاتمة، وسلب الأحوال، والثالثة: "خوف السابقة، من حيث كونه ما يفعل به، لم يعلمه".¹ فالخوف يعد علاج، فقال لأمراض القلوب، خاصة لما يعرف الإنسان عقابه، بعد ارتكاب الإثم، فهو الوسيلة المثلى لإكمال عملية التخلية، وتطهير النفس.

6-الرجاء:

هو مقام من مقامات اليقين، وهو يبحث في الإجتهد على الأعمال، فهو تقليل النفس، وهو بانبساط الأمل، إلا ما لا يدرك بعلم وعمل، وغايته رغبة الإطماع في حصول المعجوز عنه بالقطع"،² "وهو إسكان القلب بحسن الوعد".³

دليل الرجاء عند الرحمانية:

وقد اعتبره الرحمانية أصل من أصول عملية التخلية، ودليلهم في ذلك قوله تعالى ﴿رَبُّنَا تَأْتِيهِ السُّبْحَانُ فِي ثَمَانِينَ نَفْسًا﴾⁴.

ودليله من السنة، قوله عليه السلام ((قال ربكم عز وجل، عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك، وإن استقبلتني بماء الأرض خطايا وذنوباً لاستقبلتك بمثلهن مغفرة وأغفر لك ولا أبالي)).⁴ والرجاء على ثلاثة أصناف:

1-رجاء الشفاعة مع حالة الإسراف، وقلة العمل، فيرجوا إشفاعه الشافعين.

رجاء قبول الأعمال، وتخليصها من الرياء، والسمعة، والعجب، وطلب الثواب والدرجات، وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ﴾ [الكهف110].

رجاء الرحمة، والمعارف اللدنية، ومنشأ ذلك سعة الرحمة، والمنة قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ﴾ [الأعراف156].

¹ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص40.

² - محمد الوفاء، المصدر السابق، ص6.

³ - محمد بن علي الحسيني الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1969م، ص55.

⁴ - رواه الترميذي، كتاب الدعوات، عن أنس بن مالك، رقم3551.

ومن خلال ما سبق نستشف الدور الوظيفي للمبدأ الرجاء، فهو الباعث على المواظبة والعمل بمقتضى أسباب المغفرة، والقرب، إلى الحضرة القدسية، من إقلاع عن المعاصي، وإبتعاد عن المناهي، فهو الثواب، والجزاء، لذا اعتمده الرحمانية كأداة لتخليّة في قولهم: "والسادس قبول الأعمال مع الاجتهاد فالمطلوب أن يكون العبد خائفاً راجياً"¹.

ثانياً: أصول تثبيت التوبة

التزم الرحمانية في عملية التطهير، والتركية، والتصفية، والتدرج الانتقال عبر مراحل فمن مرحلة مقاومة الإثم، واقتلاعه، واجتثائه، وعدم ترسخه في النفس، معتمدين في ذلك على جملة من الأصول التي تم بيانها لينتقل إلى مرحلة أخرى، وهي مرحلة تثبيت التوبة، وفق آليات وأصول، رأى الرحمانية ضرورة تحقيقها، والعمل بها، وهذا كله في إطار عملية التخليّة للنفس البشرية، لما علق من هوى، وآثام وللوصول للغاية النبيلة - المعرفة القلبيّة لا بد من المرور بأصول تثبيت التوبة، والتي قدم الرحمانية وجه إستعمالها على النحو الآتي بيانه:

1- الورع:

يقصد بالورع عند أهل الطريق، والسلوك ترك الشبهات"²، ليأتي الجرجاني ويحمل تعريفه "بأنه اجتناب الشبهات، خوفاً من الوقوع في المحرمات"، وقيل هو ملازمة الأعمال الجميلة"³، لهذا اعتبرته الرحمانية علامة، وإشارة، لتأكيد معاني التوبة، وتثبيتها في النفس، والابتعاد عن الذنوب والآثام، لضمان نجاح مرحلة مقاومة الإثم، والوصول إلى مرحلة التحرّي عن الشبهة فيه، إذ يعد الورع عندهم هو "الكف عن الشبهات"⁴، وهو على خمسة أقسام:

1- الورع عن الحرام.

2- الورع عن المكروهات.

3- الورع عن الشبهات.

¹ - الأزهري، شرح على الريفاي مخطوط، ورقة 45. / مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، ص76. / ابن عزوز، شرح قواطع الطريق، ص22.

² - القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص146.

³ - الجرجاني، التعريفات، المصدر السابق، ص272.

⁴ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص104.

4- الورع عن المباحات.

5- الورع عن الأغيار.

2-التقوى:

ويقصد بها عند أهل السلوك: هي الاهتداء بهدي الرسول الكريم، والاستقامة على نهج سنته القويم، والوصول للمولى الحق، وإفراده بالتوحيد، والعبادة، أمراً، ونهياً، يمهدها التدرج عبر سلم التخلية من الذنب، ثم الاستقامة على الدرب، لنيل المرغب، وصولاً لمقام يرضاه الله¹. وهذه الخصال الحميدة هي التي تعطي للفرد مكانة بين أقرانه، وتجعله فرداً صالحاً لبناء أسرة صالحة متماسكة، والتأثير في المجتمع، والمساهمة في توعيته.

3-الزهد:

لذا جاء معنى الزهد في الطريقة الرحمانية بقولهم: "الترك، والإعراض، والرغبة عن الدنيا وملذاتها، وقصر الأمل، وليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباءة"²، وقيل هو خلو القلب مما خلت منه اليد³ لقوله تعالى: جَعَلَ لَكَ فِي [النساء77]، وقوله مرة أخرى في كتابه العزيز جَعَلَ لَكَ كَذُؤُوج [آل عمران185]، فحقيقته عند الرحمانية هي "قصر الأمل في الدنيا"⁴.

إنَّ المتحقق بمقام الزهد؛ يكون أرقى الناس في التعامل، أبعدهم في التعامل بالرشوة والمحسوبية، والمال الحرام، ولا يطمع في الناس بل في ربه؛ لأنه يعلم أنه وحده من يرزق ويمسك الرزق، فمن زهد في الدنيا وطلقها، وأصبح يعيش في رحاب الرحمان هو ليس بحاجة إلى رقيب، ولا محاسب، بل هو يستحضر الله في كل خلجاته، ونبضاته، يعيش بالله ومع الله، والله في كل حركاته ونواياه، وسكونه.

هذه هي أبعاد الزهد التربوية، والاجتماعية، لإصلاح علاقة العبد بربه، ومع نفسه، وغيره، فعلاقته مع ربه، هي الغاية من الوجود، فتفريغ القلب من حب الدنيا، وشهواتها وتوجيهه إلى معرفة الله تعالى

¹ عبيدة بن محمد الصغير بن أنبوجة الشنقيطي التيشيبي، ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، مصر مكتبة القاهرة، ط1995، ص74

² الأزهري، شرح علي الريفاوي.مخطوط، ص46/ مصطفى باش تارزي: المنح الربانية، ص78.

³ مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، ص78.

⁴ مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص78.

وأصل الشكر أن يعرف الإنسان أن ما حل به من نعمة، أو نعمة فمن الله، نصفه صبر ونصفه شكر، يعلم يقين لا تخالطه الشكوك، ولا الظنون، فإذا عرفه بقلبه ذكره بلسانه، فحمد الله عليه، ثم لم يستعن بشيء مما يكره الله، "الاعتراف بنعم المنعم على وجه الخضوع، والثناء على المحسن بذكر إحسانه"¹، يقول الغزالي: أعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين، وهو ينتظم من علم، وحال وعمل، فالعلم هو الأصل، فيورث الحال، ويورث العمل، فأما العلم فهو معرفة أن النعم من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود للمنعم، ومحبوه، ويكون ذلك بالقلب، والجوارح، وباللسان،² هذا ما قصدته الرحمانية؛ بقوله أعرف فضل ربك، أي أن الله له فضل على عباده، والمعرفة تستوجب العمل.

-دليل الشكر من القرآن والسنة:

وقد استدلت الرحمانية على غرار الصوفية الأوائل على مقام الشكر، بأسانيد قرآنية كثيرة منها: قوله تعالى ﴿يُذَكِّرُ كَبِ كَكَ جِ [النحل 114] وقوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَ [إبراهيم 7] . ومن السنة النبوية الشريفة قوله عليه السلام ((أوائل الذكر لإله إلا الله، وأفضل الشكر الحمد لله)).³

-آثار التحقق بمقام الشكر في التربية الروحية، والأخلاقية للمسلم:

فالشكر نعم القيد للتوفيق في الطاعات، ونعم الصيد للتخليّة من ذميم الصفات، فهو أكمل صور الخضوع، والخنوع، والحياء، يقابله الجهد المقل لإحسان أداء هذا الجميل العرفان الجميل، والتحقق بالإحسان. فاللجوء للشكر؛ هو إتمام، وكمال لعملية التزكية والتطهير، وإحقاقاً لمعاني التوحيد.⁴

¹-الأزهرى، شرح على الريفأوي، ص48.

²-الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ج4، ص81.

³-رواه ابن ماجة في سننه، ج2، ص1349، تحت رقم (2800) باب فضل الحامدين كتاب الأدب.

⁴-ماجدة قاسمي الحسني، الذكر وآثاره التربوية في طرق صوفية جزائرية، المرجع السابق، ص188.

فالتحقق بمقام الشكر يربي في المسلم الاعتراف بالجميل، والعرفان، وتقدير النعمة حق التقدير، ويرضي بها، ويحمده عليها، ويشكره، ولا يكون في ذلك إلا بالتزام الطاعات والعبادات. وإفراد الله بالعبادة والطاعة والتوجه إليه دون سواه.

ثالثاً: أصول الوصول للتخلية:

لقد اعتمد الرحمانية التدرج، والتأني والتسلسل، والنظام لمبادئ العملية التربوية، التطهيرية من خلال تتبع أصول الوصول للقرب. بداية بعملية التخلية والتي تقوم عندهم على أساليبهم أصول مقاومة الإثم والذي انتهجوا فيه منهج التوبة، والرياضات الروحية؛ من مجاهدة، وحزن، وخوف، ورجاء، ليصلوا إلى أصول تثبيت التوبة، والتحقق بمقاماتها، ليصبح الإنسان بمقتضى هذا المنهج التطهيري سيد على نفسه، بتحرره من رق عبوديتها، وأنايتها، ورعونة شهواتها، وتحرره من عالمه التراخي، والارتقاء في مدارج الروحانيات، بالموازاة بين الروح والجسد.

1-الرضا:

يعد الرضا مقام من مقامات السلوك الصوفي؛ الذي يسعى السائر في طريق الله لتحقيق به، فيكون راض النفس، قانع بما أنعم الله عليه من نعم، والرضا عند الرحمانية هو نفسه الذي نادى به الصوفية الأوائل، فهو مبدأ فرع عن أصل " أن تلتقي المهالك بوجه ضاحك"¹.
 فرما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، لسابق علمه، ومحكم تدبيره، إذ تريد ويريد، ولا يكون إلا ما يريد.

- دليل الشرعي على التحقق بمقام الرضا:

وقد استند الرحمانية، كغيرهم من الصوفية في الدعوة، لضرورة التحقق بمقام الرضا والقناعة، إلى قوله تعالى: { رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه } [البينة8].
 فالرضا، والقناعة بقضاء الله، وقدره، ونعمه هما السبيلان لتحقيق العبودية، والاستسلام له والانقياد لأوامره.

¹ - ابن عجيبة أحمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصر مكتبة زهران، ط1995م، ص70/ مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، ص78.

- أثر التحقق بمقام الرضا في العملية التحليلية، والتربية الأخلاقية للمسلم:

إنَّ التحقق بمقام الرضا، يكسب المسلم العمود، والقبول، لما يعترض له من مكروهات وآلام ويصبح له القابلية على التحمل، والقبول لقضاء الله، بصدر رحب دون اعتراض على قدره، وقضائه، والتحقق بالرضا، يكسب السالك طريق الله القناعة.

2- التوكل:

ويقصد به عند أهل السلوك أنَّه اعتماد القلب على الله، والمعرفة بأنَّ الأمور كلها بيد الله سبحانه وأنَّه هو الذي تكفل بالرزق، وأنَّ الخلق جميعاً عباد الله¹، هذا ما أكدته الرحمانية في تعريفها التوكل: "بأنَّه إفراد الوجهة إليه، والاستثناء، والاعتماد عليه، والإكتفاء، والثقة به"²، وهو ما يفيد معنى الانقطاع واللجوء إلى الله، وتفويض الأمر له في جميع الحالات، والأحوال، والاسترسال مع الله، وفناء إرادتنا في إرادته.

- دليل التوكل على الله:

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا كَانَ لِلرِّجَالِ أَنْ يَسْبِقُوا فِي السَّرَّاءِ وَالْمَرْءِ أَنْ يَسْبِقَ فِي الْبَرِّ وَالرِّجَالُ لِيُخَالِفُوا مَا وَعَدَ اللَّهُ وَأَنَّهُ يُدْرِكُ الْأَعْيُنَ وَأَنَّهُ سَابِقَ الْغَيْبِ﴾ [الطلاق 3]، وقوله مرة أخرى في ثنايا الذكر الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا كَانَ لِلرِّجَالِ أَنْ يَسْبِقُوا فِي السَّرَّاءِ وَالْمَرْءِ أَنْ يَسْبِقَ فِي الْبَرِّ وَالرِّجَالُ لِيُخَالِفُوا مَا وَعَدَ اللَّهُ وَأَنَّهُ يُدْرِكُ الْأَعْيُنَ وَأَنَّهُ سَابِقَ الْغَيْبِ﴾ [المائدة 23].
فالتوكل عند الرحمانية هو "الاكتفاء بالله، والاعتماد على الله في جميع الأمور"³.

- أثر التحقق بمقام التوكل على الله في سلوك الفرد مسلم:

إنَّ التحقق بمقام التوكل يكون نتيجة إيمان قلبي يقيني للمسلم، بأنَّ الله هو المتمسك في جميع أمور حياتنا ويسيرها بإحكام، ونظام، ويحكمها بإرادة أزلية لا تتغير، ولا تتجدد إرادته وقدرته لا تتعارض مع أخذ الإنسان بالأسباب، وليست دعوة للتكامل بل هي دعوة صريحة للأخذ بالأسباب "إعقلها وتوكل".

¹- الطوسي، أبو السراج، اللمع، تح طه عبد الباقيسرور، عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ط1960، ص78.

²- محمد بن عزوز، قواطع الطريق، المصدر السابق، ص44.

³- محمد بن عزوز، شرح قواطع الطريق، المصدر السابق، ص78.

* إن حقيقة مبدأ التحلية والتحلية المعتمد لدى الرحمانية في التربية الروحية؛ هو مبدأ قرآني بحث فالتحلية هي الابتعاد عما يصحب عن القرب، والتحلية هي التعلي بما يوصل إلى الحضرة القدسية ويفيض بالمعرفة العرفانية، وقد عبرت عن هذا المنهج القرآني مبتدئة بالتوبة، ومنتبهة بالرضا، والتوكل على الله في حركاته، وسكونه متخذاً بالأسباب.

لنفهم أن الطريقة الرحمانية عبارة عن مدرسة في السلوك، والتربية، هدفها الأسمى وغايتها الأولى علاج النفس، وترويضها عملياً لبلوغ درجة الكمال، والوصول إلى حال القرب من الحضرة الإلهية واليقين، والمعرفة القلبية العرفانية.

المبحث الرابع: التربية الروحية بالذكر، حقيقته صورها الآثارة:

لكي يقطع المرء عقبات الطريق، ويجتاز مقاماته، لا بد له من مجاهدات، ورياضات ولمواصلة الاعتلاء في سلم الأحوال، والتدرج في المقامات، لينال مرتبة الوصول، وهو عند أهل السلوك؛ الوصول

إلى العلم به، وإلا فَجَلَّ ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء" ¹، ويؤكد الغزالي هو الآخر معنى الوصول بقوله: هو الرؤية، والمشاهدة، بسرّ القلب في الدنيا، وبعين الرأس في الآخرة، فليس معنى الوصول، اتصال الذات بالذات العليّة، تعالى الله عن ذلك علوّ كبيراً. ²

فالوصول لله لا ينال بالتمني، والتشهي، بل لا بد له من إيمان، وتقوى، وصدق في القصد والإخلاص في الغاية، وملازمة لذكر، فهو باب الوصول، وبدونه لا يمكن تهذيب النفس وتطبيعها لله، ومواصلة السير لله، فمجاهدة دون ذكر، لا تنفع شيء، فهو روح الطريق وقاعدته. يتجلى ذلك بصورة واضحة وجلية من خلال ضبطهم لحقيقة الذكر، وبيان أنواعه، وميدانه وأدابه، وأدواته.

المطلب الأول: حقيقة الذكر ودليله وأنواعه

أولاً: حقيقة الذكر:

يقصد به استغراق النفس استغراقاً يوجب لبيان كل شيء سوى الله، وحقيقته تعلق الذاكرة بالاسم المخصوص في النفس تعلقاً يمنع الحافظة من تصور سواه، ³ وقد عرفه الغزالي بقوله: هو التخلص من الغفلة، والنسيان، ودوام الحضور مع المذكور؛ بالقول، والفعل، وهو مجاورة، ومناجاة مع الله، "فإمّا أن يكون المقصود منه خطاباً ومحاوراً، أو المقصود منه الحروف، والأصوات امتحاناً للسان بالعمل، كما تمتحن المعدة بالإمساك في الصوم، ⁴ لذا اعتبره الصوفية الأوائل من أشرف العبادات، والأعمال التي يتقرب بها العبد لربه، كما أنه أوثق رباط إيماني يربط المخلوق بخالقه، لذا عدّوه باب الوصول، ومفتاح القرب، ووسيلة وغاية لتطهير النفس، وتزكيتها، ولما كان عبادة، كانت طريقته كما أمر الله، ورسوله هي الأكمل، والأصل.

لقد بينت المشيخة الرحمانية حقيقة الذكر دون التعرض لحده، أو التعريف به، ولعل هذا راجع لكونه كالعلم لا حاجة لبيانه، ومن جهة أخرى كانت الرحمانية دقيقة في خطابها متوجه إلى المرید، والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وذلك بتزويد اسم المذكور بالقلب واللسان، سواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو استدلال على شيء من ذلك، أو دعاء

¹ - ابن عطاء السكندري، إيقاظ الهمم، ج2، ص295.

² - الغزالي، روضة الطالبين، نسخة مع رسالة أبيها الولد المحب، دار الفكر، بيروت، ط2000م، ص150.

³ - محمد وفا بحر الصفا، المقامات السنّية، المصدر السابق، ص13.

⁴ - أبو حامد الغزالي، الإحياء، المصدر السابق، ص160.

أو ذكر رسله، أو أنبيائه، أو أوليائه، أو من انتسب إليه، أو تقرب إليه بوجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو فعل من أعمال بنحو قراءة، أو ذكر، أو شعر، والواعظ ذاكر، والمتفكر في عظمة الله وجبروته ذاكر، والمتمثل لأوامر الله، والمجتنب لنواهيه ذاكر".¹

وهذا التعريف يفيد معاني الإنقطاع للمولى، ودوام الحضور معه، وعدم نسيان ذكره، وذكر نعمه ويكون ذلك بالإخلاص، شرط المراقبة، والحضور القلبيّ يحقق مطلق الإنقياد والعبودية، والامتثال إليه أمراً، ونهياً، قولاً، وفعلاً، وعملاً، وعبادة.

فالطريقة الرحمانية قد تجاوز مشايخها الفهم المتداول لذكر بين أرباب السلوك، كونه مجرد قرينة قولية آداتها اللسان، وصورتها ترديد اسم المذكور، أو ترديد ما هو شائع من الأذكار، والأدعية، وقراءة القرآن، وتسبيح، وتهليل، والاستغفار، وصلاة على المختار صلى الله عليه وسلم، أو درس علم، وحلقة تذكّر، وموعظة، بما يفيد مطلق القربات القولية، فهم اعتبروه أكثر من ذلك بقولهم "الذكر هو كل طاعة مشروعة بأصلها، ووصفها"²، وهو "كل عبادة تذكرك الحق، وتذكره فيها"³، وبعبارة أدق الذكر عندهم هو كل ما ينتج عن استشعار واستحضار المعية الإلهية، والمراقبة في الأقوال، والأفعال والتذكر الدائم للمذكور مع التفكير والحضور بالقول المأثور، والعمل المأمور، بقلب خاشع خاضع لله والذاكر لا يكون ذاكراً إلا إذا كان مكثراً في ذكره . فعمدة الطريق أمران: المخالفة، والملازمة، مخالفة كل ما يشغل عن الله، وملازمة لذكر الله.⁴ فمن أراد السير، في طريق الله، عليه بمخالفة هوى نفسه وملازمة الذكر؛ ومجالسته صباحاً، مساءً. إن الرحمانية بهذا الكلام؛ تعتبر الذكر أساس، وقوام، منهج الشريعة الروحية، في مسلكها للإرشاد والتوجيه النفسي، كما يجسد منهجها في الطريق إلى الله.

ثانياً: أدلة الذكر في الكتاب والسنة:

إن مدار الذكر عند الرحمانية، هو خلاف الإنقطاع، والنسيان، والإبتعاد، وحضور دائم مع الله في الحركة، والسكون، قولاً، وفعلاً، وقد استدلوا على هذا من الكتاب والسنة ما يوافق كلامهم بقوله تعالى: **جئى ئدى ى يى □ چ [الأحزاب 41]**،

¹ عبد الرحمان باش تارزي، غنية المريد في شرح تعلم مسائل كلمتي التوحيد، مطبعة الرسمية، ط1، 1904م، تونس، ص159.

² -الأزهري، دفتر الدفاتر، مخطوط خاص، ورقة49.

³ -الأزهري، طي الأنفاس، المصدر السابق، ورقة13.

⁴ -الغزالي، جواهر القرآن، تح محمد رشيد رضا، دار الإحياء، ط1، 1986م، بيروت، قسم2، ص28.

ودليلهم من السنّة النبويّة، ومن الأحاديث التي اعتمدها قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل أي العباد أفضل، وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال ((الذاكرون الله كثيراً))،¹ ويعضد ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام، المعزز لمعاني الذكر الجامعة ((مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، كمثل الحي والميت))،²

ثالثاً: أنواع الذكر في الطريقة الرحمانية: تعددت أنواعه تبعاً لتعريفه:

1- ذكر باللسان:

هو أول صور الذكر، وجاء ضد النسيان، بترديد اسم المذكور، بما يشمل مطلق القربات والعبادات القوليّة، بالألفاظ الواردة، والصيغ المتواترة شرعاً، من تهليل، وتسبيح وتحميد، وتمجيد ويقصد به الذكر الظاهر، وينقسم إلى قسمين:

❖ المقيد:

هو الذكر المقيد بوقت، ومكان، مثل ذكر عقب الصلاة، وقبل النوم، وبعد اليقظة، الجامع لأمر العادية، والتعبدية،³⁻⁴ مثاله في الطريقة الرحمانية ذكر "حزب السيف"؛ يقرأ صباحاً بعد أورد الفجر يوم الإثنين، والجمعة، ونصه: "بسم الله الذي استوى فوق مقاعد من عرشه".⁵

❖ المطلق:

وهو الذي لا يتقيد لا بزمان، ولا مكان، ولا صيغة، ويشتمل كل الدعاء، والمناجاة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الرعاية، والصيانة، والثناء، وجاء بيانه على النحو التالي:

- ذكر الثناء:

¹ -أخرجه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب الحث على ذكر الله، ج8، ص62.

² -أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري، كتاب الدعوات، باب فضل الذكر، ج7، ص15، أنظر مسند بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، لبنان.

³ -عبد الرحمان باش تارزي، غنية المرید، المصدر السابق، ص53.

⁴ - عبد الرحمان باش تارزي، المصدر السابق، ص53.

⁵ -يوسف عبديش، الأوراد الطريقة الرحمانية الخلوّية، دار الخليل القاسمي، ط2016م، ص225.

وهو الثناء على الله تعالى بجميل أوصافه، وآلائه، وأسمائه، وهو بالصيغة القولية المتواترة على أهل السلوك: " سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهي الباقيات الصالحات"،¹ فهو ذكر، وحمد، وثناء، وتمجيد في أن واحد.

- ذكر الدعاء: والدعاء هو سؤال العبد حاجته، وهو أعلى أنواع العبادة، وأرفعها بل هو العبادة نفسها، وأقربه للاستجابة، ما كان مقروناً بالثناء، لهذا استحب للداعي أن يبدأ دعائه بحمد الله، والثناء عليه، بصفات كماله، وإحسانه، وفضله ثم يسأل حاجته.²

- ذكر المناجاة:

- الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم:

وهي جامعة لذكر الله، وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم، إن المصلي ناطق بذكر الله في قوله: " اللهم صل"، لأنه يسأل الصلاة؛ وهذه نوع من المناجاة،³ لذا كان اعتبار الصلاة على النبي من جملة الذكر.

- ذكر الرعاية:

وهو ما كان للرعاية في الدنيا، مثل طلب حماية الله، والنصر على الأعداء، والشيطان وقضاء الحوائج ومنه ما كان لرعاية الأخرى تطلب زيادة الدرجات، وهي مثال قول الذاكر الله معي، الله ناظر إلي، الله يراني. وبعد هذا العرض المبسط لذكر باللسان، والذي يراد به مطلق القربات القولية، التي تحروا فيها أن تكون من القول المأثور؛ من التلاوة، والأذكار، بما يحقق الحضور، والأدب مع الله عز وجل.

2- الذكر بالجنان:

ويكون على مستوى القلب، واستشعار القلب للذكر اللساني، ومراعاة المراقبة، للتحقق بالمعية الإلهية، وحضور القلب، بسكوته، ومددها إليه، بالخضوع، والطاعة، والانكسار مع استشعار القلب، وهذا ما

¹ - عبد الرحمان باش تارزي، المصدر السابق، ص53.

² - عبد الرحمان باش تارزي، المصدر السابق، ص53.

³ - يوسف عبديش، الأوراد الطريقة الرحمانية الخلوتية، المرجع السابق، ص225.

يراد به ذكر المولى؛ وعدم نسيانه في كل الأحوال، بل هو استغراق فيه عبروا عن ذلك بقولهم " هو ذكر الحضور في القلب".¹ وعند حضور القلب في الذكر واستغراقه فيه، يفيض على باقي الأعضاء الأخرى.

3- الذكر بالأعضاء الأخرى:

وهو ثالث أنواع الذكر ، وصورته المستغرقة لكل الأقوال، والأفعال، عبروا عنه في قولهم: " ولا يزال الذاكر يوالي الذكر بلسانه، ويتكلف بإحضار القلب معه إلى أن يشارك القلب اللسان، وإذا سرى الذكر إلى القلب، وانتشر في الجوارح فذكر الله كل عضو بحسب حالته"،² وهو ما يعبر عنه بنظرية الفيض حيث يفيض القلب على باقي الجوارح، فتذكر الله كل حسب طاقته، وحاله، وهو أبلغ صور الذكر عند الرحمانية، بأن يكون الذاكر وصل لمرحلة ذكر الله قولاً، وفعلاً، وحالاً، وهو ذكر الأركان، فهو في مقام الآمنين، كما أن الرحمانية اعتبروا ذكر النهار يطفىء سيئات الظاهر، و ذكر الليل يطفىء سيئات الخفي.³

وبناء على ما تقدم عرضه، فإن حقيقة الذكر عند الرحمانية، ليس ترديداً آلياً لأسماء يتعبد بها، ولا مجرد حركة للسان، وأصوات يكررها، وإنما حضور دائم مع الله، و استشعار قائم بالمعية الإلهية، والمراقبة الربانية، إنه حضور، واستغراق، ومراقبة قلبية، وشهود في الأقوال، والأفعال، والأقوال، حركة وسكون، كما سبق وعبرت عنه النصوص الرحمانية، وجعلت من الذكر اللساني، ولقولي المأثور المصحوب بالفكر، والتدبير، والحضور، في كل سلوك ديني، ونبوي، أمر تعبدي، فالتعود على الذكر اللساني، واندماجه في الجسم، يرتقى بالذاكر إلى ذكر القلب، فإذا ما شارك القلب اللسان الذكر واستغرق فيه؛ فاض ذلك على كل الجوارح، وأصبح ذكر الجوارح، مشترك مع ذكر القلب، وهذا هو المراد بالتدرج في رياضة الذكر، وعدم الغفلة في كل وقت، وبهذه الصورة يصبح الإنسان ذكر مجسم مجسداً ذاكر لله، داعي له في كل حركاته، وسكونه وفلجاته.

المطلب الثاني: آداب الذكر وخصائصه في الطريقة الرحمانية

أولاً: آداب الذكر:

¹ -مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص55.

² -ماجدة القاسمي الحسني، الذكر وآثاره التربوية في طرق صوفية جزائرية، المرجع السابق، ص219.

³ -الحداد، التقييد المحل للتعقيد في التصوف، تح تع عمار طالي، فريد زيداني، براهيم وعلي، البصائر، ط2014م، ص133.

لشرف عبادة الذكر، وعلو مكانته بين العبادات، أثبت الرحمانية مجموعة من الآداب واعتبرتها جزءاً كماله لا يتم إلا بها يقول الشعراي في ذلك المقام: «إذ كل عبادة خلت من الأدب فهي قليلة الجدوى»¹، وما يقصد بالأدب هو حالة لازمة كل وقت، ولكل حال ولكل مقام²، خاصة منها: أوقات الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب³، لذا وضعوا جملة من المبادئ ضمنوها مصادرهم بإجماع، وهي آداب تدل على تبصرهم بأحوال النفس، واستحضار هيبة الله، واستجلائها، كما أكدوا على أن هذه الآداب تخص الذكر اللساني دون غيره من أنواع الذكر في قولهم: "وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان، أما الذاكر بالقلب، فلا يحتاج إلى هذه الآداب"⁴ لأن الذكر القلبي، مرحلة متقدمة من الاستغراق والحضور، في الله. وحاجتنا إليها كونها مساعدات، وآليات للوصول إلى الذكر القلبي لأن الذاكر جليس الرحمان فعليه أن يتحلى بمثل هذه الأداء من أجل تمكين الحضور، يقول الشعراي: «الذكر باللسان إنما هو لاستصحاب شهود العبد أنه بين يدي ربه، فإذا حصل له شهود استغنى في طلب الحضور عن ذكر اللسان»⁵. كان تقسيم الآداب عند الرحمانية على النحو التالي:

1- آداب قبل الذكر: وهي الآداب تتعلق بالطهارة المعنوية والحسية، لازمة قبل الشروع في الذكر على كل ذاكر التحقق بها، يقول الأزهري في عدها: «أولها توبة⁶ ويقصد بها ترك ما لا يعني، قولاً وفعلاً وإرادةً، فالتوبة فاتحة الطريق لله.

- الطهارة: يقصد بها الطهارة الحسية، هي الغسل من الحدث، والخبث.
- السكون والسكوت: ويقصد به السكوت عن غير ألفاظ الذكر بالقلب، ولا بد أن يكون السكوت مقارناً بالسكون، ليحصل له الصدق، والخشية في الذكر.
- الاستمداد بهمة شيخ:

¹ عبد الوهاب الشعراي، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تح طه عبد الباقي سرور، محمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، لبنان، ط1985، ج1، ص34.

² أبو نجيب ضياء الدين السهرودي (ت563): آداب المريدين، تح طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص131.

³ -القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص141.

⁴ - الأزهري، طي الأنفاس، المصدر السابق ورقة12.

⁵ - الشعراي، المصدر السابق، ج2، ص34.

⁶ - الأزهري، طي الأنفاس، المصدر السابق ص12.

وهو حقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنّه الواسطة بينه وبين ربه، وهو أن يطلب المرید المدد من شيخه بقلبه، بأن يُشخصه أمامه ليكون رفيقه في السير، فإذا استمد من شيخه، جاءه المدد لأنّه يستمد من النبي صلى الله عليه وسلم يقول الأزهري: «أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر من همة شيخه، والحقيقة هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنّه واسطة بينهما».

تعقيب: إن كان الاستمداد من الرسول حقيقةً، فلما لا يتخيل الذاكر صورة النبي مباشرة، دون واسطة، بدل صورة شيخه، أم أنّه لا يصح المدد مباشرة دون شيخ. فحسب الصوفية لا بد من واسطة بين المرید والرسول، وهو الشيخ، ويبقى السؤال هل من لا شيخ له لا يتقبل ذكره وعبادته؟

ولتحقق معاني الذكر في القلب والنفس، نجد أن الرحمانية أحاطت الذكر بسياج قوي لا يمنع من أدائه بل يشعرك بعمق المعاني، وتحققها في النفس، كما نسجل مراعاة الأدب في أعلى مستوياته وفي أدق تفاصيله مع الله عز وجل.

2- الأداب حال الذكر: من بينها الجلوس في مكان طاهر¹، أن يضع يديه على فخذه باسطهما، ولا يضم أصابعه، ولا يضعها في جره "أن تلك الهيئة هيئة المتواضع المنيب؛ لما فيها من استجماع القوى"²، تطيب مجالس الذكر، بالرائحة الطيبة، إضافة للباس الطيب الحلال، ولو شراميط الكتان³، ناهيك عن أخلاقيات الأدب مثل الصدق، الإخلاص... وغيرها من الأداب.

إنّ هذه الآداب، الملازمة لذكر قد جمعوها من خبرات سابقة، وأخذوها من هيئة الصلاة؛ كونها الصلة بين العبد وربّه، وضبطوا بها شروط التحقق بالذكر، في القلب، والنفس، وهذا راجع لإقتران الصلاة بالذكر في قوله تعالى **چو وؤو وؤو ی ہ ہ د ئا ئا ئهئہ ئو ئو ئو ئو چ [العنكبوت 45]**.

للاشارة فإنّ جملة هذه الآداب المتعلقة بالذكر؛ هي من محل الاجتهاد، لحفظ الأدب مع الذات العليّة وللتحقق بمعاني الذكر، والأصل في هذه الآداب هو جمع القلب على الله، والإقبال عليه، وهي من باب الاجتهاد، لا التشريع، فالهدف هو دفع التشويش، والتعلق بغير الله، ونحن في حضرته سبحانه وتعالى.

ثانيا: خصائص الذكر في الطريقة الرحمانية:

¹ - الأزهري، طي الأنفاس، ص 10. /الحداد، التقييد، 267. /مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، ص94.

² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص95.

³ - الأزهري، طي الأنفاس، المصدر السابق، ص10. /مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص95.

لقد اعتمد الرحمانية الذكر كوسيلة للتربية، وضمنوه مناهجهم، في تصفية النفس، وتهذيبها وذلك لما يتميز به من خصائص تميزه عن باقي العبادات، والطاعات، ولعل أهمها:

1- عدم تحديد الأوقات والأماكن: يعد الذكر من أرقى، وأشرف العبادات فهو عبادة غير مؤقتة أو محددة بوقت معين.

2- عدم تحديد الهيئات: ومن خصائصه التي ينفرد بها عن باقي العبادات أن الذكر يذكر ربه على كل حال، وعلى كل هيئة، وفي كل وقت، ومكان، لقوله تعالى: **چدگ گ گ گ گ گ چ [آل عمران 191]**، فحياة الإنسان كلها ذكر منذ استيقاظه من النوم حتى يعود إليه.

الشمولية: كون الذكر يمكنه أن يذكر الله؛ من خلال تلاوة القرآن الكريم، أو دعاء، أو ابتهاج أو الصلاة على الحبيب، أو من خلال التدبير في كتاب الله المسطور، أو تسبيح، أو تحميد، تهليل، أو ثناء أو رجاء، ودعاء، فيصبح ذكر مجسد في جسم.

ثالثا: موقع الذكر في الطريقة الرحمانية:

فالذكر عند الرحمانية هو السلاح الذي يحتاجه السالك في الطريق إلى الله؛ بقول مصطفى البكري: «ومثل السالك في الطريق، كمثال السائر في طريق الحج، لا بد له من ترك مألوفاته، وهذا كذلك ثم يترك الأهل، والأوطان رغبة في رضا الملك الديان... ثم لا بد له من زاد وهو هنا التقوى لقوله تعالى: **چدگ ف ف ف ف [البقرة 197]**، ولا بد له من سلاح، ليضرب به عدوه وهو هنا الذكر»¹ ويقصد بالعدو هنا النفس، وأدرانها التي تحجب عن القرب.

رابعا: فضل الذكر في الطريقة الرحمانية

هو قوت الأرواح، كما أنه جلاء القلب من صداه، الذي هو الغفلة، والنسيان، واتباع الهوى وهو للفكر كالسراج الهادي، من الظلمات، ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الرب وبين العبد الغافل كما أنه يطرد الشيطان ويقمعه، ويكسره ويزيل الهم من القلب، والفم، ويجلب الفرح والسرور، ويقوي البدن، والقلب، ويصلح السر، والعلن، وهو من أعظم أبواب المحبة، والقرب، يورث المراقبة؛ الموصلة

¹-مصطفى البكري، الوصية الجلية، المصدر السابق ص8-9.

لمقام الإحسان، ويورث الإنابة؛ فمن أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه الله الرجوع إليه في سائر أمره ويورث القرب من الله، ويفتح باب المعرفة في القلب، ويورث للعبد إجلالاً وهيبه لربه.¹

المطلب الثالث: صور وكيفيات الذكر في الطريقة الرحمانية "الوظيفة أتمودج":

يعد الذكر في الطريقة الرحمانية؛ الركن الأساسي للتهذيب، والمسلك الأصلي؛ للتقويم والتقريب لما تفرد به من خصائص وفضائل، عن بقية العبادات، فهو بسيط في لفظه وأدائه سهل في تناوله. وهذه البساطة في اللفظ والأداء، والسهولة في التناول، عبرت عنها صوراً وكيفيات مثلت الجانب التطبيقي للذكر، وهي الأوراد وقد سبق التطرق إليها، والوظائف هي التي سنتناولها هنا.

أولاً: تعريف الوظيفة

هي الصورة التطبيقية الثانية للذكر، بعد الورد في الطريقة الرحمانية، وهي سمة من سمات التهذيب، ومظهر من مظاهر الاجتهاد، لأصحاب السلوك، لتنظيم السير، إلى الله وضبط مقررات ومناهج الطريق وهي كالآتي:

1- الوظيفة لغة:

هي كل ما يقدر للإنسان، كل يوم من طعام رزق، أو عمل،² ومنها وظف الشيء على نفسه بمعنى أزمها إياه، وبرمجتها على فعل ذلك مثل: توظيف كل يوم حفظ آيات من كتاب الله؛³ وهي تعيد في اللغة التقدير، والإلزام للقيام بفعل ما.

2- الوظيفة اصطلاحاً:

¹ - الحداد، التقييد، ص 135

² - أبو نصر إسماعيل بن عماد الجوهري الفارابي (ت393): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1987م، بيروت، ج4، ص1439.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة وظف، ج9، ص358.

يقصد بها ما جمع من الأحاديث، إذ لا زيادة فيها سوى الجمع، لا سيما إذا أخذت هذه الأحاديث من المشايخ،¹ لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، أقوالاً وجعلها وظائف، لهم ولأصحابهم يرددونها صباح، مساء، قصدهم في ذلك الاقتداء، والحفظ والاهتداء، وهي غالباً من مشهور الحديث ومذكورها، شرط وضوح لفظه، ومعناه، تصحبه بركة التلقي على الشيخ زائد على ألفاظ النبوة.²

ثانياً: أنواع الوظيفة في طريقة الرحمانية:³

تشمل هذه الوظائف مجموعة من الأدعية، والأذكار مقدرة على أوقات معينة من تقدير مشايخ الطريق مقسمة إلى قسمين: منها ما اشتمل على أذكار، وأدعية وتمثل: الأحزاب، ومنها ما كان متمثل على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر صفاته، وأوصافه.

النوع الأول: الأحزاب

وهي عبارة عن أدعية، وأركان.

النوع الثاني: الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

وهي النوع الثاني المتضمن للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر صفاته وخصاله وتمجيد أخلاقه، مثال ذلك كتاب الخيرات عند الرحمانية. لأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تولد في القلب محبته، وبذلك يصح اتباعه؛ ووجب أن يذكر المسلم عند هذه الصلاة أفضل الصلاة وأبرز الميزات وتكرارها، لما يتولد عنها المحبة، وتتوثق بها الصلة، ويحسن الاقتداء به، بعدما تغرس في النفوس محبته، وتعظم مكانته، فمحبته عليه الصلاة والسلام من محبة المولى عز وجل.

ثالثاً: نماذج عن وظائف الطريقة الرحمانية

لقد وضع الرحمانية بدورهم أحزاباً، ووظائف، لازمته يستحسن الإتيان بها لحول الفرج،⁴ وحل العقدة، ودفع الضرر، والكرب، وهي مستمدة من القرآن الكريم، ومما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم

¹ - زروق، قواعد التصرف، قاعدة 108، ص 65.

² - ماجدة القاسمي، الذكر وآثاره التربوية، المرجع السابق، ص 260.

³ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 216.

⁴ - ع الرحمن باش تارزي، المصدر السابق، ص 218.

من أدعية، فوظيفة الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، لهم كتاب صلاة الخيرات،¹ اشتمل على الصلاة على الحبيب، وذكر خصاله ليلة الجمعة أو يوماً مرة واحدة وكذا الصلاة الدرديرية.² أما عن الأحزاب الطريقة الرحمانية فهي: تلاوة آيات من سورة البقرة [الآية 255، 256، 275 257][الآيات 284، 285، 286]، أما آيات سورة آل عمران [26، 27].

إضافة إلى:

-سورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين، كل واحدة ثلاث مرات، ثم يختم بصلاة الكاملة وهي: اللهم ص على سيدنا محمد، وآله صلاة أهل السموات والأرض عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أموري" ثلاثاً.
-ثم يقرأ آيات [180،182] من سورة الصافات مرة واحدة، وأفضل أوقاتها إثر صلاة الصبح وإثر صلاة العصر.

وللإشارة فإن الأوراد، والوظائف بصورتها؛ الأحزاب، والصلاة على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ تعتبر الصورة التفعيلية للذكر؛ باعتبار الأداة الأولى الأساسية، لتهديب لاشتماله على أصول الطريق.

لقد وضع الرحمانية شروط للورد، والوظائف هي: التلقين، والترتيب، والتركيب، ويقصد بهما تركيبهما من ذكر، وآيات بينات، مع ضرورة ترتيبها والتدرج من مرحلة لأخرى، بداية من الاستغفار، إلى أخذ الورد، وصولاً لصلاة على الحبيب. إضافة لتوقيت، وغيرها من الشروط؛ التي تجعلها موافقة للكتاب، والسنة، بعيدة عن التعقيد، والإبهام، وأن تجري بحكم الحال لا هوى النفس.

وللملاحظة فإن تركيب، وترتيب، مواد الورد، والوظائف، من الكتاب، والسنة، هو وقع اجتهاد من مشايخ الطريقة الرحمانية، وهذا للضرورة التربوية، العلاجية الرافعة إليه، فلا أصل له في الشريعة، فهو بدعة؛ غير أنهم استحسنوها بدعة حسنة، فجاء قولهم في ذلك: "فكل الطرق وما فيها من الأوراد وغالب الأحوال بدع، فمنهم الملتمس، الملتمس للأمة وجوها حسنة، وطرقاً مستحسنة من بحر الشريعة لخصوا قواعد البدعة المستحسنة، من قواعد الشريعة،³ فأصول الطريقة مشروعة، من أذكار وغيرها

¹ محمد الجزولي(870)، كتاب دلائل الخيرات، مكتبة ومطبعة الفجر الجديد، ط2006، مصر.

² -لأحمد بن محمد الدردير، الصلاة الدرديرية/ يوسف عبدش، أوراد الطريقة الرحمانية، المرجع السابق، ص230-231-233.

³ -محمد الصغير الجلاي، تعطير الأكوام بنشر شذا نفحات أهل العرفان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1916م، ص125،176.

وإنما الترتيب، والصياغة، هو الذي يعمل الإجتهد؛ ضابطهم في تلك الضرورة التربوية، والمصلحة العلاجية واعتمادهم منهج الذكر طريق للتربية مبني على الحديث القدسي عن الله تعالى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((...وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))¹، ومن ثم فإنّ الورد، وكيفية كطريقة معتمدة في التربية على أساس التقرب إلى الله بالنوافل، هو اجتهد في تععيد، وترتيب مناهج القرب، والتصفية، وليس اجتهد عبادة، فأصله مشروع وصورة إخراج، وضبط كلفه، مجتهد، ومبتدع فيه على أساس ما يلحق بالبدع الحسنة.²

المبحث الخامس: التربية بالذكر صورتها وآثارها في الطريقة الرحمانية

المطلب الأول: التربية في الطريقة الرحمانية

يقصد بالتربية في الطريقة الرحمانية؛ التخلق، والتحقق، والتركية للنفس، وتقويمها، وحملها على الإستقامة، للتحليّ بصفات، وآداب القرآن، والسنة النبوية؛ بالمجاهدة والرياضات، كما اعتمدت الرحمانية، أركان تقويمية، وأصول تربوية، يعبر بها السالك مراحل الطريق من توبة، واستقامة ليصل إلى تهذيب، وتدريب الجوارح والأبدان.

¹ -أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج8، ص189.

² -ماجدة القاسمي، المرجع السابق، ص302-303. (بتصرف)

إلا أن مفهوم التربية بالذكر يأخذ طريقاً وظيفياً آخر أعمق، وأشمل، في العملية التطهيرية، يقصد به مرحلة التقريب، والتي تكون بالذكر، من أجل التدرج، في مدارج السلوك.

أولاً: مفهوم التربية بالذكر

إن التربية في مرحلة التقريب تعني السلوك بالنفس في مدارج، ومعارج الترقى عبر مناهج الوصول إلى الله تعالى، فما حقيقة مرحلة التقريب والسلوك في الطريقة الرحمانية؟

1- تعريف مرحلة التقريب:

يقصد بها التجسيد أو التحقق الفعلي للحديث القدسي: ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)) والصورة العملية، التطبيقية، لصور الذكر الذي ألمّ وجمع آليات ووسائل المجاهدة، والتربية، والتهديب من أجل الفوز بقرب الله عز وجل.

* مفهوم السلوك:

السلوك مصدر سلك، فيقال سلك طريقاً سلكه سلكاً وسلوكاً¹. بمعنى اتخاذه مسلكاً، وسيلاً فهو السير إلى الله، بتهديب الأخلاق، وتطهير العبد لنفسه، من أوصافها الذميمة². والسلوك الحقيقي، لا يكون إلا بممارسة رياضة، التخلية، والتحلية، والتحقق بها قولاً، وعملاً، وحالاً، فمن سار على الطريق وصل إلى منتهاه.

ثانياً: منهج التربية عند الرحمانية

إنه منهج يعتمد على رياضة التخلية، والتحلية عن طريق المجاهدات، والرياضات، فهو سيره في طريق الله، بإزالة حجب النفس الحاجبة لها عن رؤية الله، فالرحمانية يعتقدون أنه توجد بين العبد، وربّه حجباً ظلمانية، وأخرى نورانية، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلفه))³، والمراد بها هي ظلمة الذنوب

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة سلك، ج10، ص442.

² - التهانوي محمد بن علي، كشاف إصطلاحات الفنون، دار صادر، لبنان، ط1963م، ج2، ص682.

³ - صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري - كتاب الإيمان، رقم179.

والخطايا، والمراد من الحجب التي هي النور، التفاتات السالك إلى اللذات الأخروية، وإلى الكرامات والتجليات، و الوصال، وغير ذلك من المقامات والأحوال، لأن السالك مادام في قلبه شيء من الأشياء فهو محجوب بذلك الشيء عن الحق، لذلك يطول السلوك على السالكين، ويرجع بعضهم من ربع الطريق وبعضهم من نصفه.¹

المطلب الثاني: ميدان التربية بالذكر في الطريقة الرحمانية

اهتمت الرحمانية بالذات البشرية، واعتبروها العنصر الأساسي الذي يتمحور حوله السلوك فالنفس أول باب من أبواب الجهاد للسالك، من حيث المعرفة بما وبأنواعها وأمراضها، وحجبها، وطرق مخالفتها، ومحاربتها،² فالاهتمام بالنفس عند الصوفية بعد من أشرف العلوم وأنبهها يقول السهرودي: «وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة أخلاقها من أعز علوم القوم»،³ وأول ما يلزم السالك في الطريق هو معرفة النفس وخبايها: فأول ما يلزم " السالك لطريق الله"، علم آفات النفس، ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها،⁴ وهو ما أكده الغزالي في كتابه الإحياء: «فيحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة عللها وأسبابها؛ ثم إلى تمييز في علاجها وإصلاحها»،⁵ هذا ما جعل الصوفية الأوائل يولونها أولى اهتمام من خلال إفرادهم لها بمؤلفات خاصة،⁶ حيث أفاضت قرائحهم في النفس، وذكر عيوبها وطرق مرادتها من خلال عملية التحلية من الصفات السيئة، ورعونات النفس البشرية، والتحلية بالفضائل الحميدة والارتقاء في سلم الكمال الروحي.

¹ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، ص 157-158. / الأزهرى، شرح علي الرفاوي، ص 9.

² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 160.

³ - السهرودي أبو حفص شهاب الدين عوارف المعارف، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، مصر، ص 54.

⁴ - الكلابادي أبو بكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح محمد أمين النواوي، المكتبة الأزهرية لتراث، مصر ط 3، 1992م، ص 103.

⁵ - الغزالي، الإحياء، المصدر السابق، ج 3، ص 69.

⁶ - من أمثلة المؤلفات التي أفردتها الصوفية في الحديث عن النفس فذكر، الحكيم الترميذي، رياضة النفس/الغزالي، الإحياء، أبو عبد الرحمن السلمي، عيوب النفس.

أولاً: تعريف النفس جعلها الغزالي "تتوافق مع معنى الروح، والنفس، والقلب، من حيث كونها لطيفة ربانية، مودعة في هذا القالب، والحقيقة الإنسانيّة، وهي المدركة، والعالمة، والمخاطبة، بالأوامر الشرعية"¹، فأثرها موجود، وكنهها مجهول.

يرى الرحمانية أنّ النفس مكنن العيب، والزلل، والخلل، والعطب، ومنيع الشرور، والآثام والأهواء وهي الحاجب، والمانع، من جنبات الله لذا كان إصلاحها غاية الغايات.

ثانياً: أنواع النفس عند الرحمانية

إنّ مبنى تقسيم النفس قائم على صفاتها وأوصافها، وبواعث السلوك فيها، فالنفس واحدة وإنّما تعدد أوصافها، مدار تنوع أقسامها، وأنواعها، يقول الخنقي في هذا العدد: «إعلم أنّ علماء التصوف قسموا النفس إلى أقسام وفي الحقيقة هي واحدة تسمى باعتبار صفاتها المختلفة بأسماء؛ فالنفس أمارة، أو لوامة، أو قلب، أو روح؛ هي أسماء تطلق على أوصاف اللطيفة الإنسانيّة؛ التي هي علة حياة الإنسان؛ وذلك بحسب لطافتها ونقائنها عن شهوات البدن ودواعيه»².

فاستمدوا في تقسيمهم النفس على مبدأهم في السلوك، والتربية، فتفردوا عن بقية الطرق الأخرى في أقسام النفس، معتمدين على معيار تنوع الصفات، واختلاف الطباع، وبحسب قربها، أو بعدها من الله.

وهي عندهم سبع أنواع: نفس أمارة بالسوء، ونفس لوامة، فملهمة، فمطمئنة، وراضية، فمراضية. وأخيراً نفس كاملة وهي نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فقد جاء هذا في مصادرهم " النفس نفس واحدة، تختلف، وتتنوع باعتبار الطباع، وصفاتها إلى سبعة، وعند كمالها ترجع نفس واحدة، كما خلقت أولاً وهي: الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمراضية والكاملة، وكلها قرآنية كتابية"³.

وقد برر الرحمانية هذا الاختلاف، والزيادة في التقسيم بالزامات التربية، والاختلاف في المسلك والمشرب للتهذيب في قولهم: " وهذا الاصطلاح خاص بالطريقة الخلوتية لأنّ غيرها لا يعتبرون إلا ثلاث

¹ - الغزالي، الإحياء، المصدر السابق، ج3، ص4-5.

² - عبد الحفيظ الخنقي (ت1266م)، الجواهر المكنونة والعلوم المصنونة، المطبعة التونسية، ط1، ص183.

³ - الأزهرى، شرح علي الريفاوي، ص50. /عبد الرحمان باش تارزي، غنية المرید، ص161. ع-الحفيظ الخنقي، المصدر نفسه، ص183.

أنفس؛ أمارة، ولوامة، ومطمئنة، وزاد أهل الطريق الخلوتية الملهمة والراضية، والمرضية، والكاملة؛ ومن هنا انتهى سلوكهم وتربيتهم؛ كل منهم على قدر مشربه"¹، ويظل هذا التقسيم الرحماني، للنفس تقسيم ظاهري، شكلي، هدفه بمبدأ التخليص للنفس، من أخلاقها السيئة، والسعي لتصفيتها، وتزكيتها، فالتوسع في التقسيم عند الرحمانية هو زيادة، وتعمق في التحري الدقيق لضبط أوصاف النفس، ودحر أمراضها وعللها، وتهذيب أخلاقها، لما يحقق مصالح التربية، والترقية القائم، على أساس مجاهدتها ومحاربتها، واعتبارها أعظم حاجب، وقاطع عن القبول على الله عز وجل.

وفي الأخير:

تبقى النفس واحدة لكن لها علامات، وأوصاف تتعدد حسب صفات التي تلحق بها وهي على سبع أوصاف: نفس أمارة، ولوامة، نفس ملهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية، وكاملة وقد تدرج الرحمانية في علاج النفس الإنسانية بدءاً من العلاج النفسي، النفس الأمارة لتخلص من أوهامها الظاهرة وسلوكياتها الشيطانية، وذلك بالتوبة، والاستقامة، وأعمال البر والصبر، وبفضل الرياضات، والمجاهدة والمكابدة، تترقى النفس إلى اللوامة حتى يصبح هذا الحال ملازم لها، وبعد ثباتها على المجاهدة، والمحاسبة هنا تسمى النفس طائفة، أو ملهمة التي من صفاتها السعي وراء الخير، وتلهم الصالحات إلهاماً، وبعد أن يصبح الحال ظاهراً وباطناً، وفكرها وعملها، تستقر في مقام السكينة وتصبح مطمئنة لفعل الخير تترقى لتصل إلى النفس المطمئنة.

والنفس المتوكله على الله راضية بما رزقها الله، غير معترضة عن قضاءه وقدره، تمضي في سياحتها الروحية خالصة لله عز وجل، هذه النفس تكون نفساً حبسية لله، متمتعة بالكمالات الأخلاقية، وهي نفس خاصة بالأولياء والأنبياء، وهي نفس الخواص.

وهذا التقسيم الرحماني الخلواتي للنفس، وتأكيدهم على هذا التدرج في مراتب النفس التي تعلوا، وتسموا وترتقي في سلم الخلاص، من آفاتهما للوصول بها إلى الكمال الأخلاقي والصفاء القلبي، في رحلة طويلة شاقة تعترئها الحواجز، والموانع، والقواطع لا يتم قطعها إلا بواسطة مشرف، ومرابي يكون الموجه وطيب خبير بالأنفس، وهو الأداة الموجهة في أدوات السلوك والتربية، ولنجاح العملية التربوية، لا بد من وجود أدواتها وتربطها فيما بينها.

¹ - عبد الحفيظ الخنفي، الجواهر المكنونة والعلوم المصونة، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، ط1، ص 183.

المطلب الثالث: أدوات التربية بالذکر والسلوك عند السادة الرحمانية

يحتاج السالك في العملية التربوية -مرحلة التقريب- إلى أدوات، تبنى عليها العملية التربوية، فمن أجل العلاج أمراض النفس، وأدائها، والسير بها إلى علام الغيوب، ويكون ذلك وفق طيب معالج مرشد موجه، ومرشد يسعى لعلاج نفسه، ووسيلة العلاج وهي الذكر بأسماء السلوك، وهي كالآتي:

أولاً: الشيخ (شيخ التربية)

يعد الشيخ في حياة المريد من الأساسيات؛ التي لا يمكن للمريد الاستغناء عنها بشكل أو بآخر، هذا ما أفصحت عنه الرحمانية ضمن إطارها التربوي، حيث عرف ب"المرشد السالك والطبيب المعالج" في قولهم: هو المرشد المسلك، والمربي العارف بالطريق، السالك في نفسه من أوصاف بشريته؛ مهد الطريق، وعرف معالمها، سهلها ووعدها؛ العالم بما يحتاجه المريدون من كمالات القلوب، وآفات النفوس وأمراضها، وأدائها، وكيفية حفظها مما يقطعها عن ربها،¹ إذ الشيخ كالطبيب الحاذق يعرف الداء والدواء، فكما أن الطبيب للأجسام، كذلك الأستاذ طيب للأرواح، والمعاني،² فالشيخ هو الذي جمع علم الداء والدواء؛ لذا فهو ضروري في العملية التربوية، فهو الذي يجعل من المريد أرضاً خصبة، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فحكم تلقين الشيخ للمريد كحكم النواة التي تغرس في أرض يابسة، نموها متوقف على المطر، فمردها واستمداها، وانفلاتها وخروج ورقها راجع إلى شدة شربها، وخفته بحسب الري لا إلى غرس الشيخ، فالشيخ البذر وللحق تعالى الإنبات، وكذلك السالك طريق الله عن طريق الكتاب، والسنة، من غير شيخ مرشد لا نرجوا نتيجة لسلوكه، ولا ثمرة له، ولو أنتج سلوكه أو أثر تكون ثمرة أقل الثمار، وحظه أدنى الحظوظ،³ ولعل ما ندعم به الفكرة هذه قولة الرحمانية: "من لا شيخ له فالشيطان شيخه".⁴

1- ضرورة الشيخ:

¹ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص44.

² - عبد الحفيظ الخنقي، الجواهر المكنونة، المصدر السابق، ص5.

³ - عبد القادر أحمد عطا، التصوف بين الأصالة والإقتباس في عصر النابلسي، دار الجيل الإسلامية، بيروت لبنان، ط1، 1987م، ص215.

⁴ - الأزهرى، شرح على الريفاوي، ص03.

إن اعتبار الشيخ المري، في العملية التربوي، أداة أصلية، وفاعلة، في مرحلة التهذيب التربوي، يعود أساساً لدور الوظيفي، بكونه المتتبع لأحوال المريد، في قطع عقبات النفس ومنازلها، والمشرف على مراحل العلاج، والتطهير ومن هنا فإنَّ الضرورة إليه والحاجة إلى العودة لله من جنس الضرورة العلاجية فالحاجة إليه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحاجتنا إلى التطهير، والتصفية؛ فهو الأداة التي تطبق منهج، وبرنامج التربية، وقد أكد الرحمانية على غرار ما سبقهم، على ضرورته لمن قصد الإنابة، وأراد طريق السلوك والاستيقاظ من غفلته، في قولهم: "فاعلم أنه يجب على مريد الطريق إلى الله تعالى، أن يقصد عند إنابته واستيقاظه من غفلته، شيخاً من أهل زمانه، مؤتمن على دينه واصل، خبير بالمال والمقال، قطع المنازل والأهواء"¹ هذا وقد سبقهم أهل الخبرة الصوفية تأكيد ضرورة إتخاذ الشيخ من خلال رأي أبو علي الثقفي بأن لا تكون التربية إلاَّ به فيقول: "وإنَّ رجلاً جمع العلوم كلها ومحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلاَّ بريضة من الشيخ، أو إمام مؤدب؛ أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أمر له، أو يريه عيوب نفسه، ورعونة أعماله، لا يجوز الإقتداء به في تصحيح المعاملة، وأنَّ الاكتفاء في الطريق بعقله ورأيه، ورغم أنه يحصل على كل شيء بدون مرشد؛ فيكون هالكاً في نفسه مضرراً بغيره"² لذا ألح الصوفية في مذهب التسليك، والتربية على ضرورة اتخاذ شيخ، يقول القشيري في هذا العدد: "يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإنَّ لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً"³ جاء موقف الغزالي في حثه والمغالبة باتخاذ شيخ للاهتداء به بقوله: "فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ، وأستاذ يقتدي به، لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل، فإنَّ سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه، قاده الشيطان إلى طرقه، لا محالة"⁴.

ويذهب ابن عربي هو الآخر إلى الدعوة لمصاحبة شيخ لأنَّ طالب معرفة الله لا يصل إلى مقصوده إلاَّ بصحبة شيخ⁵ وذلك أنَّ الطريق الصوفي بالرغم من شرفها فإنَّها قفت بما الآفات، والقواطع والأمر المهلكة، فلا يسلكها إلاَّ شجاع مقدام، ويكون معه دليل علام وحينئذ تقع الفائدة، وهذه الأقوال كلها،

¹ - الأزهرى، المصدر نفسه، ص 04.

² - عبد الله غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط 1992م، ص 107.

³ - القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص 199.

⁴ - الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ج 3، ص 75.

⁵ - ابن عربي محي الدين، نفائس العرفان، ضمن مجموعة رسائل ابن عربي، دار المحجة البيضاء، مج 1، ص 382.

وغيرها تحمل على ضرورة الشيخ، للسالك طريق الله، كوَّنه الدليل الموجه والمخلص من رعونات النفس، والطبيب المعالج، لأراضه، وعلله القلبية، وبهذا فإنَّ شيخ التربية وسيلة مشروعة لتحقيق مقصد التهذيب، والتزكية.

2- شروط الشيخ المربي في الطريقة الرحمانية:

إنَّ قضية التربية الروحية، قضية سامية، لا يجوز مباشرتها إلاَّ للمؤهلين؛ علمياً، وروحياً، لذا نجد مشايخ الرحمانية اتفقوا جميعاً على ضرورة توفر الشيخ المربي على جملة من الشروط، والخصال الحميدة التي تؤهله لإشراف على العملية التربوية، وحتى يلقي إليه المربي قيادة نفسه، للتخلص من عللها وآفاتهما وليضمن نجاح العملية التربوية الإصلاحية العلاجية وهذه الشروط أجمعها المشايخ في:

أ- العلم الصحيح: النابع عن اتباع الكتاب، والسنة النبوية الشريفة، والمتحقق بأوامر الله مجتنباً نواحيه فهذا الشرط هو الذي يخول له أداء مهامه، في الدلالة على الله، والدعوة إليه والقيام بوظائفه، كطبيب للأنفس من ناحية أخرى، وتشخيص أمراضها، ووصف الدواء لها، ويقصد بالعلم الصحيح عند الرحمانية؛ العلم الشرعي، العلم بعلل النفوس، ودوائها، يقول في هذا المقام الأزهرى رحمه الله: "إنَّ الشيخ دليل، ولا بد للدليل من علم صحيح تصح به دلالاته على الله ضابط علمه ما يتيقن به فرضه ويحتاج إليه في نفسه، ويحتاجه المريد في حال سيره، القدر الذي لا بد من الفقه كأحكام الطهارة والصلاة ونحو ذلك، وعقائد أهل السنة والجماعة، كالعلم بالله وصفاته وأسمائه، ومتعلقاتها، وأحكامها وتفصيلها، وحكمها وأسرارها".¹

ب- التحلي بالأخلاق الفاضلة المحمدية:

على الشيخ المرشد أن يكون صاحب خلق حميد، بعيداً عن حدة الطباع، وأن يكون رحيماً بالمريدين ساتراً لعيوبهم، يقول في هذا الصدد الشيخ الأزهرى: "ومن علامة المرشد أن يكون ستاراً لكل ما أظهره عليه المريد"²، إضافة أن همته لا بد أن تكون متعلقة بالله، لا أحد سواه، فمهمة الشيخ؛ مهمة شقية، فلا بد أن يكون صاحب حال رباني: "الشيخ هو من هدبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار

¹- الأزهرى، مجموعة رسائل الأوهري، مخطوط، بمكتبة زاوية طولقة غير مرقمة، ورقة 30.

²- الأزهرى، دفتر الدفاتر، المصدر السابق، دفتر السادس، ورقة 4.

بطنك بإشراقه".¹ فهدف الشيخ المريّ هو تهذيب المريد وتأديبه حتى يستنير بمعرفة الله. وأن ينظر بنور الله في أحوال المريد، فلا تصح المشيخة إلا لمن كان على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكملت أقواله، واستقامة أقواله، وأفعاله، وكان متحققاً بالقرآن الكريم.

وبهذه الشروط، تعد المشيخة الرحمانية، شخصية إسلامية متكاملة، جمعت بين العبادة والعلم فالرحمانية حرصت على العلم، والعبادة، والسّير في الطريق، والتخلق بالأخلاق الحميدة، كما إعتبرت المشيخة وسيلة لا غاية.

ثانياً: المريد: فالمريد هو الأداة الثانية، الأساسية في العملية التربويّة؛ عرفه القشيري بقوله: "بأنّه من فويت حظوظه النفسيّة"، وتحدت شهواته البشرية، أو هو الفقير السالك، الذي يرقى في المقامات، والأقوال إلى أن يصل"² والمريد في الطريقة الرحمانية، هو السالك طريق الله منهجه يقوم على الشريعة أولاً ثم يصل بالشريعة إلى الحقيقة.

إنّ الطريق إلى الله يقتضي وجود مرشد، ولا يمكن للسالك أن يقطعها إلاّ بصحبه شيخ عارف خبير، بمسالك الطريق وخفاياها، فإذا عثر المريد على من يأخذ بيده، وبايعه على الاتباع وجب عليه أن يعظمه ويوقره، ويسترشد بأوامره ونواهيه، فهي من حيث الحقيقة خدمة لا صحبة، ومما يستأنس به هنا قول أبي المنصور المغربي: "محدثاً غيره بقوله: "كم صحبت أبا عثمان؟ قال: خدمته لا صحبتته"³ لذا أقر الصوفية وبإجماع على ضرورة وجود آداب تحكّم العلاقة بين الشيخ والمريد لمدارج التربية الروحية.

1 آداب المريد في نفسه: ينال المريد بما قمع نفسه، أهمها الورع، ويقصد به كفّ النفس عن الشبهات وقد جاء في الحديث الشريف: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))،⁴ أن يكون ناهض المهمة خفيفاً في مبدأ الطهارة، خالياً عن الوسوسة فيها جارياً فيها على القانون الشرعي. أن يكون زاهداً في طلب التقدم، والظهور على غيره، والشهرة بالعلم، أو العمل، أن يكون مخالفاً لنفسه، وهو، بالالتزام بالشريعة. أن يخفي أعماله، وأحواله ما أمكن حتى يرسخ في مراعاة الله عز وجل وحده دون غيره من خلقه. وغيرها من الأخلاق.

¹—أحمد بن مصطفى العلوي، الحكم الفوتوية ضمن المواد الغيبية، ط2، 1997م، ج1، ص116.

²—القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص287.

³—أبو النجيب ضياء الدين السهرودي، آداب المريدين، تح طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية لتراث، دط، ص57.

⁴—رواه مالك في الموطأ، عن علي بن أبي طالب، كتاب الجامع، باب حسن الخلق، رقم1672.

2- آداب المرید مع شيخه: أهمها اتباع الأمر، إن ظهر له خلافه؛ واجتناب النهي، وهذا الأدب يعني فناء إرادة المرید، أمام إرادة الشيخ، وذوبان الأنا العلية في شخص الشيخ، لكون المرید هو الطالب المريض، والشيخ هو المطلوب الطيب، فلا إرادة للمريض مع مريضه.

- تعقيب:

إنَّ الشيء الذي يعاب على هذا الأدب: الاستسلام التام، والانقياد لأوامر الشيخ، واجتناب نواهيه يولد لنا ما يعرف بـ: "التقديس المطلق" أو التقديس للأشخاص"، وفي بعض الأحيان يصل لدرجة التأليه، وهذا كفر، معاذ الله أن يشرك به أو ينازعه أحد في ملكه، وتقديس الأشخاص، هو سبب هلاك الأمة وتخلفها، وتحجر فكرها، وسبب التزاعات والطوائف، فكل يدعي أن شيخه على حق وصواب، ولا يخطئ، فالامتثال المطلق يعني أن الشيخ المتبع معصوم عن الخطأ؛ لا يخطئ وهو موحى إليه وهذا خطأ، فكل البشر خطاؤون، إلا صاحب القبر- النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم الاعتراض عنه يسلب عقل وإرادة المرید، فيصبح حاله حال الميت، بين يدي غاسله، وهنا يسقط عنه التكليف، فكيف يعتلي السالك مدارج العارفين، وهو مسلوب الإرادة، والعقل، والعلم سؤال، فإن كان لا يسأل ولا يعترض، ويسلم تسليمًا مطلقًا، فهذا يفتح لنا باب للدجالين، ومدعي التصوف، والسلوك، وينتج لنا قوم لا يفقهون شيء، بفكر متحجر، لا يرون أمامهم سوى الشيخ، وهذا ما نراه في بعض المناطق الجنوبية، والغربية من البلاد، حيث الأتباع يقولون نعم لشيخ، في كل شيء، حركة، وسكون تراهم مسلوبين؛ العقل، والقرار، والإرادة.

فالتربية الروحية، أدب، وإلتزام، وخلق، وترقي، وإبداع، وحضارة، لذا لا بد من التوسط والالتزام بأوامر شيخه والطاعة في حدود.

*نقد وتقييم:

إنَّ ما يؤخذ على آداب المرید مع شيخه هو غلو الصوفية، في إخضاع المرید للشيخ، وهذا ما يرفضه جل علماء العصر، فقد يشتاطون غضبا حين سماع تلك الشروط التي يجب على المرید أن يوفي بها حيال شيخه، لذا نادى لبعض منهم على رفضها، ومحاربتها، لأنها مبادئ ديكتاتورية، تجسد مبدأ الانطواع

التام، تقتل في المتربي هويته، وتُمتت شخصيته وتجعله نافعاً خاضعاً لشيخ، تسلب إرادته، وشخصيته وتُحمد عقله.¹

لاشك إن الذين ذهبوا إلى هذه الآراء فهم لا ينظرون إلى الشيخ المري إلا معلماً يلقت علوم الدين، وفي لمريد إلا متعلماً، يتلقى تلك العلوم، وجعلوا العلاقة بينهم علاقة جافة. لو كانت العلاقة بين المري وشيخه في التربية محصورة في تلك الحدود، لكان الاعتراض هؤلاء صحيح. لكن العملية التربوية الصوفية تتجاوز تلك الحدود، حدود تلقين المعلومات الدينيّة فالشيخ المري ليس مريباً عادياً؛ بل هو مرشد روحي، يمتاز بخصائص، عرفانية نادرة. وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان ولياً لله حقاً، كما أن المري الصوفي، السالك في الطريق متعلم متميز، يختلف عن بقية الطلاب، حيث أن هدفه من الدخول في السلوك لا يكمن في طلب العلم فقط، بل الهدف هو تزكية نفسه، من أجل معرفة الله. هذا بالإضافة إلى أن الإرشاد الروحي، ليس مجرد في علوم الدينيّة، بل هو علاج نفسي مركز، وعميق، وارتقاء في عالم الروحانيات. من شأنه أن يطهر قلب المري من أمراضه، ويرقيه من أحوال دينيّة إلى أحوال زكية، إن المصاب بعلّة نفسية، لا يمكنه أن يعالج نفسه بنفسه، حتى لو قرأ عن مرضه مئات الكتب في علم النفس بل يحتم عليه أن يعرض نفسه، على طبيب مختص، في علاج الأمراض النفسيّة، وليس على الطبيب مختص في العيون، أو جراح.

فإذا تبينت لنا معقولة، هذه الشروط، وموضوعيتها في ميدان العلاج النفسي، فالتربية الروحية أولى من هذا فهي تهدف أساساً إلى علاج المري، من أمراضه الروحية، مما يجعلها متشابهة للعلاج النفسي. ومنه نستنتج أن ما يشترطه الصوفية من آداب تربط، وتحدد العلاقة بين المري، وشيخه مشابهة لشروط التداوي في الطب النفسي.

وللرد على منكري التربية الروحية، خاصة العلاقة بين الشيخ والمريد، فأصحاب الطريقة الرحمانية بينوا أن معظم هذه الآداب، مستوحى من آداب صحبة النبي لأصحابه. واحترام التابع للمتبع، والصغير للكبير، ولم تثبت لديهم إلا ولها أصل في الكتاب، والسنة أو الاستحسان، أو القياس،² وقد حذى

¹ - يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة في العلاقات الإجتماعية، دار العلمية، القاهرة، مصر، دط، ص 169.

² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 116.

الرحمانية حذو الأوائل في ذلك، وها هو القشيري يبيّن ضرورة التزام شروط صحبة المرشد، وعدم معارضته، والاعتراض عليه. فمن خالف شيخه لم يبق على طريقته. وانقطعت العلاقة بينهما.¹

وقد ذهب الرحمانية في كل هذا إلى أبعد من هذا؛ حيث اعتمدوا قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف وقوله عز وجل: ﴿كَلِمَاتٍ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّخَاذُهَا بِحَقِّهَا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذُوا بِحُلُمِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ وَقَعُوا فِي أَمْرٍ غَاشٍ لَأَبْهَمُوا فِيهِ شَبْهًا﴾ [الكهف: 66].

مستدلين على ضرورة اتخاذ المرشد الموجه واعتماد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الكهف: 69]. لاستخراج منها ضوابط آداب الصحبة، وشروط تبعية المرید للشيخ، والصبر على امتحاناته، وأوامره ونواهيه وترك الاعتراض، والتسليم للمرشد وعدم المبادرة بالسؤال مع عدم العصيان. وحسن الامتثال والطاعة والاحترام.

كما أنّ نقطة إخبار المرید لشيخه بكل شيء؛ واعترافه بذنوبه، وعيوبه فقد ضربوا المثل بحال المريض، والطبيب، فالمريض يكشف لطيبه عن أعراضه وآلامه لكي يستطيع أن يصف له وصفة علاجية مناسبة لمرضه.

وطبقاً لقاعدة وجوب طلب الوسائل للحصول على المقاصد، فإنّ مقصد التزكية والتطهير والتهذيب، الهدف الرئيسي لطرق التحليلية، والتصيفية، لا يتم إلاّ بواسطة طبيب حاذق عالم عارف مرشد، فكان الوسيلة إليه. ومنه فإنّ وجوب والزاميته من حيث الضرورة إليه، والحاجة الماسة له لمداواة النفوس والسير في السلوك، والارتقاء في مدارج الروحانيات.

وبعد تمام الحديث عن آداب المرید مع شيخه، نتطرق إلى الحديث عن آداب المرید مع إخوانه لإستكمال العملية التربوية الروحية التهذيبية والوصول إلى الحضرة الإلهية.

3- آداب المرید مع إخوانه:

يرى الرحمانية أنّ طريق السلوك طريق الخواص من الناس؛ الذين يطمحون إلى الوصول إلى حضرة الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن بلوغ ذلك الهدف الأسمى بقلب سقيم وروح ملوثة. ومن هنا وجب على المرید قبل الانضمام إلى هذا الطريق، والسلوك فيه أن يحضر نفسه، ويؤدها بجملة من الآداب، مع نفسه ومع شيخه، وإخوانه، لضمان تهيئته.

¹ -القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص164-165.

* آداب المرید مع إخوانه

وكما هو معلوم أن أدب المرید لا يكون مع نفسه فحسب، أو مع شيخه؛ بل يجب أن يتعدى إلى إخوانه¹. آداب المرید مع إخوانه، كثيرة لا يجب عليه التخلق بها دفعة واحدة بل لابد من التدرج فيها لأن المرید مشغول أولاً بإصلاح ذاته، من أجل القيام بحقوق الله عز وجل قبل حقوقهم.

ومن جملة آداب المرید مع إخوانه؛ خدمتهم، ومساعدتهم على الطاعات، والسالك طريق الله لا يتحقق بمقام الفتوة، حتى يكون صفوحاً، عن عثرات الإخوان. وأن لا يرى لنفسه فضلاً عليهم، فلا يخص نفسه بشيء من الأشياء دون إخوانه حتى لو كان بسيط.

إضافة إلى هذه الآداب، والأخلاق الحميدة، التي على السالك التخلق بها مع إخوانه، عدم طلب الرئاسة في حضرة الإخوان، أو الإمامة، حتى لو كان أهلاً لها، ولا يتقدم في افتتاح الذكر، إلا إذا أقامه أستاذه، أو جعله مسؤولاً عنهم.²

وإن آداب المرید مع إخوانه كثيرة لا يمكن حصرها، فهي جملة الأخلاق، والمكارم، والفضائل الحميدة المنبثقة من القرآن، والسنة المحمدية.

ثالثاً: الخلوة:

إن أدوات التربية في الذكر لا يمكن أن تثمر في نتائج إلا بالجانب العملي لها: فالخلوة هي الأدوات التطبيقية للعملية التربوية، بالذكر؛ فهي تمثل أهم الجاهدات العملية، والأدوات الفاعلة الأكيدة، في مرحلة التقريب، والتدريب الجامعة والمحصلة لوسائل التطهير، وتعكس الخبرة الأصلية، بطرق علاج النفس، فالخلوة هي المنهج المختار، والرياضة المنتقاة، من الرياضيات والمكابدات، والجانب العملي حيث لا يتحقق النظري، لأدوات التربية بالذكر (الشيخ المربي والمرید). فهي الرابطة الروحية بينهما.

1- مفهوم الخلوة: ورد عند الرحمانية، أن الخلوة هي التبتل إلى الله، والانقطاع عن الخلق، بالفرار منهم والبعد عنهم، بحيث لا يدرك شرهم، ولا يدركون شره، مع التفرغ لعبادة الله عز وجل.³ وهو المعنى

¹- الإخوان، جمع أخ وهو الرفيق في طريق الله، المبايع لشيخه أو لأحد خلفاء طريقة أو لأخيه في الإسلام، ويقصد به الرفيق في طريق الله أولى.

²- مصطفى باش تارزي، المنح، تح عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص390....398.

³- مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص7.

الذي ورد في اصطلاحات الصوفية الأوائل: "أنَّ الخلوة هي التبتُّل إلى الله والانقطاع عن الغير"¹ وجاء في الكشاف "أنَّها ترك اختلاط الناس، وإن كان بينهم"²، فكل المعاني تصب في الانقطاع، وعدم الاختلاط والانفراد، والعزلة والوحدة، إلاَّ أنَّ الجامع بين هذه المعاني؛ هو الانقطاع من أجل التفرغ، لعبادة الله عز وجل.

2- الحاجة للخلوة:

ترتبط ضرورة الخلوة، ارتباطاً وثيقاً، بالضرورة العلاجيَّة، والمصلحة التربويَّة، ارتباطاً الوسائلي بالمقاصد، ومقصدها التهذيب، والخلوة بعناصرها؛ من ذكر، وصوم، وطهارة، آله لصقل النفس والقلب، من حجب الظلمات، وسيئات الأخلاق والصفات. فالخلوة علاج روحي للأمراض النفسيَّة والخلقيَّة، ونوع من عزل المريض نفسياً وروحياً، حتى يشفى فلا يعدي غيره خلقياً ولا نفسانياً. إنَّ اجتهاد السادة الرحمانية باتخاذ الخلوة أداة لتربية الروحية، وقانون الأنسب لعملية التخليَّة والتخليَّة، وصورة تطبيقية لها هي التي تبين مراحل التسليك في الطريقة الرحمانية.

المطلب الرابع: الصورة التطبيقية لتربية بالذكر في الخلوة عن الرحمانية:

إنَّ أول ما يتدبَّر به المرید هو تقديم صيام يوم، وبعد صلاة العشاء ليلته يدخل الخلوة، تائباً خاشعاً متضرعاً باكياً، يرجو رضا مولاه، وساعياً لإصلاح قلبه، فاراً من الدنيا، مقبلاً على الآخرة، بكلِّ أحواله ظاهراً، وباطناً، متبعاً في ذلك الشرع، ملتزماً بحدود الله عز وجل لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وفي اعتقاده أنَّ الخلوة هي قبره، حيث لا يبقى فيها للمرید لا إرادة، ولا اختياراً، ولا تعلق لشيء سوى الله³ ويكون هذا كله بطرق الرأس ساكناً، ساكناً، لما في هذه الهيئة من استجماع القوى، وجمع القلب على الحق، واستدامة المراقبة، وصدق الحضور في ملاحظة الله، مع تغميض العينين، لسد، وغلق منافذ الغفلة، والانتقال، مع تخيل شخص النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه، بتمتلة الإمام للشيخ، وشخص

¹ -القاشاني، إصطلاحات صوفية، المصدر السابق، باب 22 حرف خاء، ص161.

² -التهاوني، كشاف إصطلاحات الفنون، المصدر السابق، مادة الخلوة، ج1، ص459.

³ - نجم الدين البكري، رسالة في علم السلوك، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، رقم934، ورقة8.

✓ مثاله: ترك الفرائض بعدم صلاة فريضة، أو بقطع رحم نحوه، ومنه ما يكون عبارة مشوهة برياء، أو سمعة، أو نحو ذلك.

وبعد بيان حقيقة الخواطر التي ترد على نفس المرید، والتي هي محل اختبار، يكمن استنتاج دور الخواطر؛ بهذا الاعتبار أن الإلهي منها تنبيه للعبد أو إرشاد؛ والملكي تحريض للعبادة، والشيطاني، والنفسي تزيين للمعصية، وهي في حقيقتها تمثل نتائج الحضور والاستغراق في الذكر.

الخاطر الرباني:

ورد عند الرحمانية أنه الخاطر الأول المنسوب إلى الحق تعالى، ولا يخطئ أبداً، ويأمر بالتقربات الخالصة، وينتمي خطايا وعلامته أنه إذا حصل لا يندفع بالدفع؛ وعلى القلب سطوة وصوله محكمة كالسبع على الفريسة، ليس لشیطان ولا لنفس معه حال، ويسمى بالخاطر الرباني والخاطر الإلهي.¹

✓ ثمرته: أنه يرد بالرحمة، والعظمة، والحكمة، فإذا ورد بالرحمة أبقى في القلب سكوناً.

❖ الخاطر الملكي:

وهو الخاطر الثاني المنسوب إلى الملك، يأمر بالطاعات مع قطع أسباب الأغراض النفسانية، وهو الباعث على المفروض والمندوب، ويسمى إلهاماً.²

*علامته: حصول برد، ولذة، وانسراحاً..

*ثمرته: أنه يرد مبشراً، أو منذراً، أو منبهاً، فإذا ورد مبشراً، أبقى في القلب بسطاً؛ وإذا ورد منذراً أبقى في القلب قبضاً، وإذا ورد منبهاً، ترك في القلب علماً.³

والخاطر الإلهي والقلبي يندرجان ضمن الأمر بما فيه صلاح للنفس، فعلى ذلك يسمى إلهاماً لقوله تعالى: { فألهمها فجورها وتقواها } [الشمس 8].

❖ الخاطر النفساني:

¹ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 151.

² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 151-152.

³ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 152.

الرحمانية أن النفس أعظم قاطع، وحاجب عن الله تعالى، فمن توجهت لغيره، وأعرضت، عن طاعته واشتغلت شهواتها، ومطالبها، لذا جاءت الدعوة لمجاهدتها وقهرها، ومكابدتها، بانتهاج منهج التهذيب القائم على الذكر، باتخاذ شيخ مربي في مرحلة التقريب، وهي نهاية الأداء التربوي، وتكتمل في صورته العملية التربوية، بالخطوة التي تمثل الجانب العملي لرياضة الذكر.

وبيان الآثار المترتبة على الجهد التربوي نجملها في:

أولاً: الآثار النفسية لتربية الذكر:

1- الآثار النفسية لعملية التحلية:

إن وقوف الرحمانية على الخلوة، واختيارها لعملية التحلية، والتصفية، أساسها ما ثبت من فوائدها، وثمارها؛ إذ بها دفع الشوائب والشواغل عن القلب، وتفرغ من الخلق، وجمع الهمم نحو الخالق وتقييم الفرص على الثبات وتقليل الأفكار، التي تدعو إلى حظوظ النفس وتشغلها عن الطاعة، وأعظم فائدة للخلوة، هي التفرغ والانقطاع للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق، واتباعهم له وتظهر آثار ذلك، ما أورده الأزهرى بقوله: "تظهر آثار الذكر في تهذيب النفس، وتركيتها، وتصفية الفكر، وإفراغه للنظر وعبادة مجسدة، بذلك التخلق في الصفات مع التحقق في العبادات، ويتمثل ذلك في النتائج المقررة:

• الرؤى:

ويقصد بها الرؤية المناميّة، أو الرؤية الواقعة بين النوم، واليقظة، وهي علامة من العلامات؛ التي تنبئ عن درجات السائرين، وتكشف عن أحوال السالكين، وقد عرفها السادة الرحمانية بقولهم: "هي العلامات التي تظهر بالإكثار من الذكر، وتنبئ عن درجات السائرين، وتكشف عن أقوال السالكين الظاهرة، والباطنة، في شكل منامات، ورؤى، يظهرها الله تعالى في مرآة القلوب الصافية"¹، وقد أضاف الرحمانية الدور الوظيفي للرؤى؛ فهي ما يكرم به الحق للعبد، من رؤية صور معاصيه، أو طاعته، التي أحل بها أو أتمها ليشدد عزمه، ويتقوى ويرجع إلى مولاه رجوع مبدأ أبواب أوامه، حيث تتشكل الصفات للمريد بصور شتى فتارة بصورة حيوانات، وتارة بصورة نباتات، وأخرى بالجمادات من مياه ونار ونور، فيعرف لما يتصور له في منامه، أو رؤياه ما فيه من الأخلاق الحميدة، والذميمة، ويطلع على

¹- الأزهرى، رسائل الأزهرى له في مكتبة العثمانية بطولقة، مخطوط، ورقة 34-35-36.

أحواله من الزيادة، أو النقصان، والوجد، والشوق، والمقامات الروحية، والدرجات وبها يعرف أي صفة غالية عليه.

فقدموا شرح وبيان لتلك الصور التي تحملها الرؤيا، ودلالاتها الرمزية، بما يتفق مع منهجهم في التربية مع التوجيه لمعالجتها ومداواتها في الارتقاء، والتدرج، والتقاء عبر مراحل النفس المقررة عندهم في بيان حقيقة الرؤيا وما يلتبس بها كالأتي:

*** من حيث تشكل الصفات بصور الحيوانات:**

فهذا يعني غلبة الصفات المدمومة، والنفس الأمارة عليه، فاجتهدوا في تقديم معاني صور الرؤى فيها بشيء من التفصيل، والبيان حيث ورد عندهم: " أن السالك إذا غلبت عليه الصفات الحيوانية فيتصور له صفة غدرة في صورة ذروته باستعمال الفكر والذكر، فالقلب هنا أصبح يشبه في أحد جوافيه جهاز استقبال لأنواع الموجات فهو يستقبل خواطر شيطانية؛ كما أنه يستقبل ورايات ربانية، أو هو حبس نفسانية، يختلط على أكثر الخلق ولا يدرك أسرارها إلا المميز لها"، وتميزها يكون من مهمة أهل التربية والسلوك لنفي العوارف والعوائق عن القلوب، لذا طالب الرحمانية أن ما تكرر منها يجب إخبار الشيخ بها، ليتمكن ليتابع غيرها مراحل العلاج، ويسترشد بما على وصفات الدواء وجرعاته؛ كما أنه يميز بها أنواع النفوس ومراحل التدرج فيها.

فالخواطر والواردات هي عبارة عن جهاز كاشف عن عمق الأداء، ومراحل الشفاء منه فهي محركات للإرادات ومبدأ الأفعال؛ إذ الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك الغرم، والغرم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء، والخواطر المحركة للرغبة منها المدموم.

فما كان من خاطر محمود دل على زكاة النفس وتصفيتها، وقصدها الأعمال الحسنة والأخلاق الفاضلة، وما كان عكسه فإن الأخلاق السيئة ميراثه، وعليه فإن إصلاح أخلاق النفس يبدأ بمعرفة الخاطر الذي منه القصد، والعزم، والفصل، لذا جاء التركيز على إصلاحها وتقويمها وهي خواطر قبل أن تصبح عادات راسخة في النفس الإنسانية ولا يكون العلاج إلا بالذكر، والفكر، لأن أساس الوقوع فيها هو النسيان والغفلة وبذلك فالخواطر والواردات هي مبشرات وثمرات للعملية التربوية بالذكر.

فتصور له صفة غدرة في صورة الذئب، وصفة حرصه في صورة الفأر والنمل أيضا، ويرى صفة الشر والعناد في صورة الخنزير أو الدب؛ لأن كل منها سميته أشد ضرارا على الأعمال الباطنة، فإن رآهما

ثوريين دل على قوة تلك الصفة فيه، وإن رأى أحد قوي والآخر ضعيف دل على ضعف تلك الصفة فيه تارة وقوتها تارة أخرى.

على صورة الكلب والقرد والأول أشد في الأمور المعنوية، والثاني أشد في الأمور الحسية، ويرى صورة الكبر على صورة النسر؛ لأنه من شأنه ذلك، فإنّ رآه ضعيفاً دل على ضعفها في نفسه، أو قوياً دل على قوتها، فإنّ رآه قاتله دل على منازعة تلك الصفة الخبيثة لصفة التواضع، وإن اغتاله وقتله دل على خروجه منه بالمجاهدة، لكن إذا كان القتل بالسيف فهو الذكر، وإنّ رآه ميتاً فانيا فتلك الصفة فنيت عنه، ويرى صورة الحقد على صورة الحية وهو ضد المسامحة، والغضب على صورة الفهد، والشهوة على صورة الحمار الذكر، فإنّ رآه راكبه فذلك علامة أنّه ملك بشهوته، إذا الراكب عليه متصرفاً فيه، أو راكب بغله أو مثلها الحمارة الأثني دل على أنّه ملك نفسه، فإن رأى واحداً من ذلك مات تحته دل على موت تلك الصفة فيه.

وإذا رأى أنّه ركب فرساً فذلك علامة أنّه يسير بالشوق، وإذا رأى نفسه يطير فذلك يدل على المهمة، وذلك سبب علوة الأرض، وإذا رأى نفسه في تلك الشريعة والبحر الطريقة وقد سيرها على سيره وأكسب حلالاً، والإوز والسفينة، الدجاج والحمام مثل حرصه على الحلال وعسل النحل أخلاق جيدة.

من حيث تشكل الصفات بصور النباتات، يعد دليل وعلامة على غلبة النفس اللوامة والمهمة بخيرها وشرها، المترددة بين الصفاء والنقاء، أو الانتكاس، فمن رأى نباتاً حسناً قارب الاستواء، والبلوغ فليعلم أنّ صفاته الذميمة قارب تبدلها ودين رجوعها لصلاحها، وإذا وجد النبات بالضد فصفاته كذلك تفسر بالضد، كما أنّ صور المأكولات هي مظهر الرزق فالمستوي منها يعبر بالحلال، والسيء منها يعبر باشبهه والثمار يعبر عن إصلاح نفسه من المفسد والشهوات، أما بقية الأطعمة فهي على إشارة لطبيعة ومظاهر النفوس على قدر أنواعها¹، ومثال تلك النباتات العنب، الرمان، والفواكه، وما ولاها من النباتات الحسنة المذاق، واللون، والطعم يعبر بها على الأعمال الحسنة المقبولة الصالحة².

¹-مصطفى البكري، هداية الأحباب، المصدر السابق ورقة34. /الأزهري، طي الأنفاس، المصدر السابق، ورقة45.

²-محمد بن علي السنوسي، أسانيد الشيخ السنوسي نقلا عن عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية، المرجع السابق، ص319.

أما من حيث تشكل الصفات بصور الجمادات، وهي دالة على غلبة صفات النفس المطمئنة والراضية، والمرضية على السالك هذا ما تقرر عن السادة الرحمانية؛ صور الجبال دليل على زوال صفات النفس الجمادية، ورؤية المجانيق، والسهم، والقوس، دليل على الانتصار على وساوس الشيطان، وصورة الدكاكين، والعمارة، والبيوت، دليل سكن النفس، وطمأنينتها، وأما رؤية الجوامع، والمساجد، ورؤية المدينة المنورة، والكعبة المشرفة، وبيت المقدس فدليل واضح على عمارة القلب، وطهارة المدن، ورؤية الشمس، والقمر فذاك دليل على كمال العقل، والقرب من الله عز وجل،¹ ورؤية المشايخ دليل على علم الإرشاد لنفسه، ورؤية الملائكة، والجند دليل على كمال العقل، وحصول على المعارف الإلهية؛ وهو ما تدل عليه رؤية المياه الصافية العذبة، والبرد، والثلج فهو دليل على كمال تصفية النفس وتزكيتها والوصول بها إلى الله عز وجل.

أما الصفات النورانية فدليل على أن صفاته الظلمانية قد قهرت، وفنى اسمها، وزال رسمها.²

وبعد التدرج في الرؤية، والكشف الحاصل بالسلوك؛ حيث يكشف أولاً لسالك عن نور الضوء، والصلاة، وعن الشيطان، والجنان، ثم يرى الحق في التجلي الصوري بصورة الجماد ثم بصورة المرجان، ثم بصورة النباتات الخضراء التي هي مبلغ الحياة، والأشجار ثم بصورة النحلة، ثم الحيوان، والفرس، ثم بصورة نفسه، أو شيخه، وفي هذا التجلي هلك خلق كثير، لذا جاءت دعوة الرحمانية بعدم ركون السالك لمثل هذه الواردات، والرؤى وعليه أن يخبر بها شيخه ليعينه على نفسه، ويستطيع الأخذ بيده إلى بر السلوك، والأمان، لتتكشف له عن تجلي الأنوار؛ وهو أعظم الحجب وذلك لأن السبعين ألف من حجب النور مفرقة في لطائف الإنسان، فيرى عشرة آلاف منها مستكنة في اللطيفة القلبية ولونها كدر مطبق بعضه على بعض وهو بين هذه المشاهدات حتى يصل إلى اللطيفة يشاهد الجنة وغيرها، وللقلب أيضا سبعة لطائف تنكشف لبعض السالكين، ثم يرى عشرة آلاف نور؛ منها هذه اللطائف الروحية الخفية ليشارك أرواح الأنبياء، والأولياء، ويشاهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يرى عشرة آلاف نوراً؛ منها في اللطيفة السريّة، ولونها في غاية الباطن، ويشاهد في هذه اللطيفة الملائكة، ثم بدل السالك عشرة آلاف نور منها في اللطيفة الخفية، ولونها كلون المرآة المصقولة، وفي هذا المقام يتصل السالك

¹ -مصطفى البكري، المصدر السابق، ص34. /الأزهري، مجموعة رسائل الأزهري مخطوطة بمكتبة طولقة، ص36-38.

² -محمد بن علي السنوسي أسانيد السنوسي، مخطوط بمكتبة طولقة نقلا عن عبد الباقي مفتاح، ص318-319.

بلطفية الأنائية، ليرى بعده السالك عشرة آلاف نور مختفية في اللطيفة الخفية ولونها أخضر، ثم يبصر نوراً كلون العقيق، ثم نوراً أبيض لا لون له، ثم يبصر نوراً بلا لون، ولا شكل، ولا حين، ولا وجهة، بل محيطاً بجميع العوالم، فحينئذ تشرف عليه أنوار تجلى الصفات ويتحقق بها في حديث كنت سمعه .
وملخص القول حسب الرحمانية فإن السالك المكثّر من الذكر تظهر له علامات، ودلائل تكشف له عن طبائعه تكون في منامات ورؤى، تنبئ عن أحوال السالكين، فجميع ما يراه المؤمن في منامه، على اختلاف درجات السائرين، كشف عن أحوالهم الظاهرة والباطنة، يقف بها على صفة ما تصورت له بما فيعرف نقص صفاته من كمالها، وقبحها من حسنها، كما أنّها تعتبر علامات على خروج السالك من كل نفس من الأنفاس، ولذلك ينبغي للمريد أن يخبر الشيخ بجميع ما يقع له¹، ومنه فالرؤى الصالحة مفيدة لسالك، فمن خلالها يمكنه للشيخ الغوص في باطن طلبته، ويحلل ويدرك حقيقة ما وصلوا إليه في مرحلة السلوك، وأي مقام وصلوا له، وعلى هذا الأساس يكون التدرج في مسالك الترقية، والتزكية الروحية في فترة الخلوة.

وقد اعتنت الرحمانية على غيرها من الطرق الصوفية اعتناء شديداً لما لها من معان وألغاز، وإيجازات نفسية لما يساعد السالك على معرفة أحوال نفسه، ومعالجتها، كما أنّ الرؤى المنامية استعملت في علاج النفوس، ومعرفة أسرارها، وسبر أغوارها، وما يلاحظ على السادة الرحمانية التطبيق المنهجي الدقيق في إستعماله، وفق جداول إرتقاء المريد وتدرجه في مراحل العلاج بصورة، وكيفية مقننة ومفصلة تفصل كل مرحلة عن غيرها بعلامات، ودلائل، وإشارات محددة ومميزة لها، والقول الفصل، والحكمة فيها للرؤية ولعلم الشيخ بتأويلها حسب نفسية المريد، والحالة التي وصل إليها من خلال عملية الخلوة ومداومة الذكر، وهذا كله بهدف ترويض النفس، وعلاجها من أدرانها وأوصافها المذمومة.

ومما تقدم يمكن القول أنّ الخواطر، والواردات، والرؤى التي ترد المريد في فترة خلوته هي علامات عن درجة السالكين، وبما يعرف الشيخ حالة المريد، ويمكنه التمييز بين أحواله وعلى أساسها يكون العلاج وهي الثمرات أو الدرجات التي توجب لهم الترقى، ومناهج التحلي للتحلي بالكمال، ولا ينصح المريد بالركون لها، بل عليه أن يجعلها مطية للكمال الروحي.

2- آثار النفسية لعملية التحلية:

¹- الأزهرى، طي الأنفاس، ص45، رسائل مخطوط بالمكتبة بطولقة، ص36-38.

إنَّ أهم نتيجة وثمره للخلوة في مرحلة التحليّة؛ هي المشاهدات القلبية، والتي يكون عبرها اختراق جدران حجب النفس، وكشف أسرارها وخباياها، وهي عند الرحمانية عبارة عن التجليات التي تتجلى للسالك في سلوكه من الأحوال الباطنة، وأنوار الغيب، والحقائق بغير حجاب، بأثر من صقالة مرآة القلوب بالذكر، وذهاب الصدء عنها، فتتكشف لها أوصافا معروفة كراي العين،¹ ويقصد بمشاهدة كشف غطاء البصيرة، ورؤية يبصر القلب لما هو غيب، وحفي لا يدركه الحس من غير شبهة، ورد في قولهم: "المشاهدة حق اليقين، وفتح البصيرة، وكشف الغطاء عنها، بأنَّ يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة العيان، فهي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة كراي العين إذ المشاهدات للقلب"،² والمشاهدات عند الرحمانية هي في المشاهد السماوية والأرضية وفق ما يوافق منهجهم في التربية.

إنَّ منزلة المشاهدات عند السادة الرحمانية هي علامات الوصول لأعلى وأرقى مراحل الترقية والتصفية، ويقصد بها المشاهدات القلبية السماوية والأرضية، وما جاء في مصادرهم في هذا العدد: "أنَّ المشاهدات القلبية عبارة عما يتجلى للسائر في سلوكه من الأحوال الباطنة سواء كان مشهداً سماوياً أو أرضياً"³ وترمز هذه المشاهدات السماوية لتزكية جانبه الأسمى الروحي من المرید؛ بينما الأرضية فهي ترمز إلى غلبة الجانب الأدنى من ترابه وطينته وصفاته البشرية، فبينو صور تلك المشاهدات، ورمزيتها وركزوا على السماوية لأنها رمز، ودليل على الوصول، ونهاية سير، وجد المرید، وجاء بياتهم كالآتي:

إذا شاهد المرید السماء تمطر من غير غيم، فهي ترمز إلى مدد الروح بالعلم، وإذا شاهدها مشرقة بكواكبها وقمرها، فذلك عبارة عن صفاء القلب، وتحليته بالصفات الحميدة، وظهور الكواكب، كناية عن صفة العلم فيه، وسيرها هو القيام بتلك الصفة العلمية، وأما ظهور الشمس المعرفة بالله في القلب، وظهور القمر كامل الأوصاف عبارة عن التوحيد الخالي من الشرك الخفي،... وهذه كلها علامات تساعد الشيخ على وصف الوصفة العلاجية للمرید وتُمكنه من معرفة المرید في حال تربيته وسلوكه وهي انكشاف لعجائب القلب، وأسراره وأفعاله"⁴ وهذه المشاهدات سواء ما كان منها أرضي أو

¹-الأزهري، رسائل الأزهري مخطوطة له في طولقه، ورقة 39.

²-الكلابادي، التعرف على أهل التصوف، المصدر السابق ص 103.

³-الأزهري، المصدر السابق، ص 39.

⁴-الأزهري، طي الأنفاس، مخطوط سابق، ص 45-46..الأزهري، رسائل مخطوط بمكتبة طولقة، ص 39-40.

سماوي؛ فإذا شاهد سماء أو أرض أو شمساً، أو كوكباً، أو قمراً، فإعلم أن الله قد زكى فيه الجزء من ذلك المعدن، فكلما زدت صفاء، بدت لك السماء أصفى وأبهى إلى أن تسير في صفاء الله، وذلك نهاية السير وغاية الوصول، والسلوك، والقرب، والكمال الأخلاقي.

فالمشاهدات لها دور أخلاقي، ومسلك عملي في توجيه وإرشاد السالكين؛ فهي ضمن ثمرات وأرزاق السائرين، والكرامات التي تدرك بالذوق، والتجربة، والحال، والاستغراق بالذكر.

وقد أكد الرحمانية ذلك وفق منهجهم الذي عرضوه بدقة وتصيل شامل عميق في تصويرهم الدور التفاعلي التربوي في عملية التسليك للترقية والتهديب حيثوا أكدوا أن أحوال السالكين لا تخلوا من حالتين:

إما رؤية منامية وقد سبق التفصيل فيها، وإما وقعت بين اليقظة والمنام وهي المقصودة بالمشاهدات القلبية بعد استغراق في الذكر، والإخلاص فيه، وهي التي يكون بها الدخول إلى عالم المثال المتوسط بين عالم الشهادة، وعالم الملكوت (الغيب)، بحيث يصل المرید فيه إلى إدراك، وكشف أسرار القلب وعجائب افتتاح البصيرة برؤية ما لا تدركه الحواس في الأحوال الباطنة ((وأعلم أن أحوال السالكين: إما رؤية، وإما وقعة فالرؤيا ما يراه في النوم، والواقعة ما يراه في النوم واليقظة، وشرط صحة الواقعة الإخلاص أولاً، ثم الاستغراق في الذكر ثانياً¹، ومن هنا يكون دخول المرید إلى عالم المثال، فيرى ما يرى فيظن أنه رآها يقظة، والحق أنه رآه في حالة كانت همته عالية؛ فعالم الملك يرد ما فيه في حال اليقظة أمّا ما يوجد في عالم الملكوت فلا يراه إلا بعين البصيرة وهي إكرام من الله عز وجل له².

وعليه فإن هذه المشاهدات القلبية التي هي بين اليقظة والنوم، وترى بعين البصيرة هي نتيجة صفاء الروح، وسريرة البصيرة، وشفافيتها، وخلوها من العوائق، والحواجز فهي عبارة عن إشارات، ودلالات لنهاية الوصول، والقرب من الحضرة الإلهية، والسلوك في المنظومة التربوية عند الرحمانية.

والملاحظة أن هذه المشاهدات، والرؤى هي نتيجة الاستغراق في الذكر، والفكر، وبلوغ مقامات التزكية بالمجاهدات، والرياضات، وتظهر تمام ثمارها في آثارها التربوية التي يرتقي بها السالك من نفس أمارة بالسوء إلى نفس كاملة.

¹ - الأزهرى، رسائل مخطوط، بمكتبة طولقة، ص 37. /مصطفى باش تارزى، المنح الربانية، ص 137.

² - مصطفى باش تارزى، المنح الربانية، المصدر نفسه، ص 176-169.

ثانياً: الآثار التربوية عند الرحمانية لتربية بالذکر

ويقصد بهذه الآثار هو عملية الترقى الحاصلة من النفس الأمانة بالسوء إلى مرتبة النفس الكاملة وهي مرتبة الكمال الأخلاقي والوصول إلى مرحلة الإحسان في العبادات و الطاعات، حيث تتميز مسلك الرحمانية عن غيرها من الطرق باعتمادها على الشق الأول من كلمة التوحيد { لا إله إلا الله }، فبينوا مراحل الترقى حسب مراحل التخلية والتحلية وفق الآتي بيانه.

1- الآثار التربوية لعملية التخلية:

وذلك بتخلية النفس الأمانة بالسوء إلى نفس:

1-أ- مرحلة النفس الأمانة بالسوء:

وهي مرحلة النفس الأمانة بالسوء، المرحلة الأولى في باب النفوس السبعة عند السادة الرحمانية وهي أولى درجات السالك الراغب في الكمال، اتصفت بالميل إلى الأهواء والركون شهوات ورغبات النفس وبدلت صفاتها الحميدة إلى صفات الحيوانية.

واقعة بحب الظلمات، لا تكاد تفرق بين حق وباطل، ولا خير ولا شر، وهي باب الشيطان للإنسان، وهي أكتف الحجب والأغيار على الإطلاق ومجاهدتها أصعب، وقد بين الرحمانية أن هذه الحجب لا تقطع ولا تمزق إلا برياضة الخلوة وذكر كلمة التوحيد { لا إله إلا الله }، بعد أخذها وتلقينها من قبل شيخ عارف بمدارج السلوك، مع الدوام على الذكر آناء الليل وأطراف النهار سرا وجهراً، قياماً وعوداً، حتى يصبح الذكر حالاً له، وهذا الاستغراق في الذكر أولى ثماره هي الكشف عن الحجب الظلمانية من الذنوب الماضية بنور الذكر وإشراقه القلب، فيمكنه أن يرى بنور قلبه وبصيرته عيوب نفسه شهود ذوق وحال، وفي صورة حواطر ورؤى منامية يكون من خلالها المتابعة والمعالجة والإرشاد والتوجيه لطريق الله.

ووجه ذلك أنه لا يزال يذكر كلمة التوحيد بلسانه حتى يصل معناها إلى جنانه، فإذا حصل ذلك أو قد الله نور بصيرته فيرى فيها عيوب نفسه عين شهود وحال، ومنها تكون المعالجة لتتكشف عنه الظلمات ليثمر بعد ذلك بالجد والإخلاص للتخلص مما فيه من القبائح والعيوب الظاهرة كالرشوة وأكل الحرام ويجتهد في إخراج ما فيه من القبائح الباطنة مقل أمراض القلوب مثل: الرياء، والعين، والحسد،

ولا يكون ذلك بالمداومة، والاستغراق في الذكر لتخلص من ظلمات، وحجب النفس الأمارة، والترقي للوصول إلى النفس اللوامة.¹

1-ب-مرحلة النفس اللوامة:

بعد تلقين الشيخ المريد كلمة التوحيد ليقطع بها حجب الظلمات عن نفسه، ليصل إلى مرحلة الثانية وهي النفس اللوامة، يقول صاحب الطريقة الرحمانية في هذا الصدد: "أن المريد إذا كان في المقام الأول مقام النفس المارة بالسوء، لقنه الشيخ المري كلمة التوحيد، التي تداوي أقوى النفوس، وأصعبها في الحشونة، والمراس، يتعبد بها إلى أن يقطع ظلمة النفس المارة وشهواتها، بأمارات، وعلامات هي الخواطر والرؤى، لا يعرفها إلا المري؛ إذ لولا هذه العلامات لا تدعى ما ادعى هذا الميدان، ثم ينقله بعدها إلى المقام الثاني؛ مقام النفس اللوامة، ويلقنه الاسم الخاص بها؛ وهو الاسم المفرد الذي به الخروج من ظلمة المعاصي إلى نور الطاعات"²، ومن خلال القول فإن مقام النفس اللوامة مقام الأنوار، نور الطاعات وصفاتها مع تباع صفات الأمارة كحب الخلق، وإقبال عليهم وحب الشهرة والرياسة، ومع هذا ترى الحق حقاً، والباطل باطلاً، فلها رغبة في الطاعة، والمجاهدة والإقبال على الحق، لكنها تحب أن يثنى عليها، ويرى الناس على ما هي عليه من أعمال صالحة، فصاحبها كثير الخواطر، والوساوس مكبل بها فنفسه متجه للخلق؛ فانعكست فيها صورهم، وأعمالهم ومحاسنهم، وقبائحهم، وحركاتهم، وسكناتهم مع كرهه لها، يحاول دفعها فلا تندفع فيصير كثير اللوم على نفسه محجوب بالخلق عن الحق.

لذا اختار أهل السلوك الاسم المفرد الجامع الأعظم، الذي به يكون التفريد، والتجريد وإثبات المذكور في قلبه، فلا يرى وجهة ولا قبله غيره، فالدوام عليها، والاستغراق فيه يثمر توجيه القلب إلى رؤية الحق تعالى، والإعراض عن الخلق.³

والإعراض عن جميع ما لا يعنيه من فضول الكلام، والمنام، والطعام، وحول التجريد من صفاته البشرية ليصل إلى صفات الملائكية، ويسعى إلى تشوف المقامات، والمشاهدات الذوقية.

1-ج-مرحلة النفس الملهمة:

¹ -مصطفى البكري، السير والسلوك، مخطوط، ورقة'-46-47. /مصطفى باش تارزي: ص162-164.

² -محمد الصغير، تعبير الأكوان، المصدر السابق، ص94. /الأزهري، رسائل مخطوطة في طولقة، ص25.

³ -مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص167-170.

لا يصل المرید إلى مقام النفس الملهمة إلا بالإكثار، وملازمة الذكر، والدوام عليه باسمه المضمّر بشدة، وقد سبق بيان ذلك، فيثمر ذلك في بحر التوحيد، ويغيب عن كل ما سواه، ولا يرى في الوجود إلا الله، فتتصف نفسه بصفات الحميدة مثل السخاء، والعلم والصبر، وبشاشة الوجه، وقد سميت بالملهمة لأن الله ألهمها انفتاح البصيرة وأسمعها معرفة فجورها، وتقواها، وهو ما يحتاج فيه المرید إلى إشراقه الشيخ ومتابته.

لأنّ هذا المقام جامع للخير والشر معاً، فإنّ غلب تقوى النفس ترقّت للمقامات، "المدارج العليا والعكس صحيح".¹

وبعد أن يتدرج السالك في مرحلة التحلية من نفس أمارة، إلى لوامة، إلى نفس ملهمة وكل ذلك عبر جملة الرياضات، والمجاهدات لكشف الحجب، والأغيار المظلمة، ليصل إلى مرحلة التحلية؛ مرحلة التدرج في مقامات النفس المطمئنة، والراضية، المرضية، وصولاً إلى النفس الكاملة، لتمكين وخروج من عالم الشهادة إلى عالم الملكوت، والقرب من الله عز وجل وصولاً معرفياً، روحياً، تعبدياً، شهودياً، قلباً وحلاً، ومقام.

2- مرحلة التحلية:

وهي تمام عملية التربية والسلوك، بثمارها المتمثلة في مرحلة النفس الكاملة عند السادة الرحمانية مروراً بالنفس المطمئنة، والراضية، والمرضية وصولاً لكمال الأخلاقي.

2-أ- مرحلة النفس المطمئنة:

وهي مرحلة الرسوخ واستقرار على الاستقامة، والعبادة وهي مرتبة النفس المطمئنة، صاحبت المقام الكمال، وحالها الطمأنينة، والوصول إلى هذا المقام عند الرحمانية لا يكون إلا باسمه عز وجل {الحق} حيث قرروا إشغال المرید به، والمداومة عليه بالقلب، واللسان، مع الاستحضار، والاستغراق، حتى يصبح له حالاً ويتحقق به حركة وسكون، ليثمر على النفس صفات الجوّ، والحلم، والعبادة، والتوكل من ثمار هذا المقام ظهور كرامات لا يسوغ له الالتفات إليها، ويعرض عنها، بل يمعن النظر إلى الحق

¹ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر نفسه، ص 172-173.

وطلبه، وهو المدخل الذي يبقى منه بعض الدسائس الخفية، وهذه الأخيرة لا يعرفها إلا شيخه لذا يعمل على معالجته بمرحلة أخرى.¹

2-ب- النفس الراضية:

قرر الرحمانية على المريد في هذا المقام أن يدخله بذكر الاسم الخامس {حي}، حتى يصبح حالاً تحيا به نفسه، ويثمر له الصفات؛ الزهد، والإخلاص، والورع، والرضا، ومن علامة هذا المقام؛ عدم الركون لغير الله، وعلى المريد البقاء بالحي، والإتصاف بالصفات الحميدة.²

2-ج- مرحلة النفس المرضية:

وهي مرحلة الوصول إلى الكمال الأخلاقي، والتصفية من الأذكار وهي بمثابة الفناء والخلاص من رؤية البشرية، والوصول إليها يكون بذكر اسم الله {القيوم} ليل، نهار، حركة وسكون، الذي يرفعه إلى مقام النفس المرضية عنها عند الخلق وعند الحق ومن ثمهما: شهود الحق أنه القائم بالكون، والقوام بكل شيء، فمن أثر هذا الاسم أن يكون صاحب هذا المقام في حالة الوسطى في جميع شؤونه لا إفراط ولا تفريط، وقد قال عنها الرحمانية هي مرحلة خفيفة على اللسان ثقيلة عند الامتحان، لا يقدر عليها إلا من كان في هذا المقام" لتصل النفس إلى المقام،³ الكمال الروحي والتجرد الحسي.

2-د- مرحلة النفس الكاملة:

وهي ثمرة الوصول، صفاء الأحوال، وتزكية النفس، والتحقق بالصورة الآدمية؛ التي تصفوا للملائكة. والوصول لهذا المقام لا يكون إلا باسم {القهار}، بالحضور، والاستشعار الذي به تمام التربية. ومن صفات ومميزات هذا المقام أنه مقام تجليات الأسماء والصفات، حالها البقاء بالله سيرها بالله مرجعها إلى الله، وإلى الله عز وجل، ليس لها ملجأ سوى الله، صاحبها تكمل له الكمال الأخلاقي والعرفاني الروحي، فصار هو المعالج لنفوس عالم بحالها وأغوارها،⁴ ويدعى بالمقام الإرشاد والأستاذية.

¹ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 180-181.

² - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 183.

³ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق-185.

⁴ - مصطفى باش تارزي، المنح الربانية، المصدر السابق، ص 187-188-190-191.

إنّ قطع عقبات النفس لا يكون إلّا بمنهج قويم وشيخ حاذق، وفق وصفة علاجية ملائمة لكل نفس من الأنفس السبعة، التي حددها الرحمانية، وكل واحدة ولها اسم تختص به وظيفة، وذلك لقهرها، والوصول إلى الكمال الأخلاقي، ومنتهى السلوك، والقرب من الحضرة.

إنّ آثار التربية بالذكر عند الرحمانية أُجملت في الآثار التربويّة، والنفسية من حيث كونها علامات إرشاد للتصفيّة، والتزكية وفق منهج سليم هو منهج نبويّ قرآني. منهج التخلية والتحلية للوصول إلى التجلية، والشهود وفق التحقق بالأفعال، والأقوال، والأحوال حركة، وسكون، هذا ما ينعكس على حياة الفرد، وسلوكه، وعلاقته بالآخر، سواء فرداً، أو جماعة من خلال التعامل بالأخلاق الحميدة، فكل إناء بما فيه ينضح. إضافة إلى فيض نفس المرید بالعلوم، والمعارف العلميّة التي يهبها الله له في هذا المقام الكمالي.

الفصل الرابع

الدور التعليمي للطريقة الرحمانية في الجزائر

المبحث الأول: تأسيس المنظومة التعليمية

المبحث الثاني: نظامها البيداغوجي وخصائصه

المبحث الثالث: الشهادات والإجازات

المبحث الرابع: نماذج من طلبة الخريجين.

تمهيد:

يعد الدور التعليمي أهم الأدوار التي قامت بها الطريقة الرحمانية في الجزائر، خدمة للمجتمع الجزائري، وتثميناً للدور التربوي الروحي؛ القائم على الاعتناء بالنفس، وكل ما ينمي علاقة الإنسان بخالقه، ويجعله يرتقي في المقامات، وصولاً إلى الكمال الإنساني الروحاني، ولمعرفة الجانب العلمي للطريقة الرحمانية، واستنباط المنظومة التعليمية؛ التي تبنتها زواياها في ربع الوطن.

وقفنا على جملة من الصعوبات التي كانت حاجزاً أمامنا في استنتاج الدور التعليمي لزوايا نذكر منها: اختلاف وتنوع المنظومات التعليمية بين زوايا الطريقة؛ بين الشمال، والجنوب والمنهجية فمثلاً

زاوية الهامل أو زوايا الجنوب اعتمدت على المتون، والعلوم العقلية وحفظ القرآن، في حين زوايا منطقة القبائل ركزوا على حفظ القرآن، والقراءات، واللغة العربية، رغم تقارب المناهج، والأساليب. إلا أن كل زاوية تختص بنظام علمي خاص، ومميز عن الأخرى وذلك يمكن للباحث أن يميز فروق ليست بجوهرية، أو فاصلة بينهما، وهذا راجع للاجتهاد مشايخ كل زاوية، ولطبيعة الجو العلمي السائد الذي جعل بعض الزوايا في الطريقة تتميز بالتصوف، والأخرى بالقراءات، وأخرى بالفقه، وأخرى باللغة وأخرى بالحديث وهكذا.

لذا ركزنا في دراستنا هذه على أنموذج واحد، من الزوايا في الطريقة، وإعطاء بيان نقاط الاختلاف في الزوايا الأخرى، فوق إختيارنا على زاوية الهامل لعدة أسباب:

زاوية الهامل تعتبر منارة علمية، ومعلما أساسيا في تاريخ التعليم العربي الأصلي، فقد تركت مناهجها بصمة واضحة فيه، كما أنها أعطت له دفعة قوية، وساهمت في الحفاظ عليه وسط العواصف التي حلت به، كما أنها شكلت همزة وصل بين كل زوايا الطريقة. وعممت مناهجها عبرها جنوباً شمالاً. مع فسح المجال للاجتهاد، وترك اللمسات للمشايخ.

ساهمت الزاوية القاسمية في بعث الحركة العلميّة، داخل الوطن، وخارجه عن طريق البعثات، والمراسلات، والعلاقات مع العلماء، لتجعل من قرية الهامل حاضرة علمية تضاهي الأزهر الشريف بمصر، الزيتونة بتونس، والقرويين بفاس.

وقد كان التركيز على الدور العلمي في زاوية الهامل كنموذج للطريقة الرحمانية في الجزائر كونها زاوية رائدة في جانب العلمي، إضافة لكوننا تحصلنا على بعض المصادر التي تصب في الجانب العلمي الخاص بها مثل:

- 1- كتاب الزهر الباسم في ترجمة سي محمد بن أبي القاسم.
- 2- إضافة إلى قرب الزاوية من مدينتي، هذا ما سهل التنقل إليها، والجلوس لمشيختها انتقاء بعض المعلومات من المشيخة، والطلبة.
- 3- ناهيك على كونها تحوي أكبر مكتبة علمية للمصادر، والمخطوطات، إضافة إلى المعهد العلمي "المعهد القاسمي" الذي كان شعلة علمية في وقته .
- 4- رسالة المكي القاسمي حول التعليم في زاوية الهامل:

تعتبر أهم مرجع من مراجع البحث، إذ ذكر فيها المكّي القاسمي قائمة الكتب؛ التي كانت تدرس بالزاوية، حسب العلوم، وكذلك طريقة التدريس، ووصف حلقة الدرس، بشكل دقيق، ويّين المكان الذي يملّي فيه المعلم. وكيفية جلوس الطلبة، مراتبهم: النّظارين، والسّباقيين، ثم الحجارين.

- رسالة الشيخ بن عزوز القاسمي: تحدث فيها الشيخ عن شيوخة؛ في الزاوية والكتب، التي درسها عليهم وفيها تصوير؛ لطريقة التدريس (ملحق 4).

- خطاب التخرج: وهذا الخطاب الذي ألقاه الشيخ الحاج بن السنوسي بن هبة الرحمن الديسي. وليبيان الدور العلمي للطريقة الرحمانية في الجزائر، قسّمنا الفصل إلى:

المبحث الأول: تأسيس المنظومة التعليمية.

المبحث الثاني: نظامها البيداغوجي وخصائصه.

المبحث الثالث: الشهادات والإجازات.

المبحث الرابع: نماذج من طلبة الخرجين.

المبحث الأول: تأسيس المنظومة التعليمية

يعدّ التعليم أحد مبادئ الطريقة الرحمانية، إضافة إلى الجهاد والتربية، فقد ركزت عليه المشيخة الرحمانية منذ البداية الأولى. في جوّ سادت فيه سياسية استعمارية همجيّة، تسعى لطمس معالم الأمة وهويّتها، فطورت الطريقة الرحمانية أسلوبها في التعليم، ونوعت فيه عبر كل زواياها في ربوع الوطن وفق منظومة علمية متكاملة، متنوعة، رغم بساطتها في الطرح والأسلوب، إلاّ أنّها جعلت منها حاجزاً أمنياً، للدفاع عن هوية الوطن.

المطلب الأول: المنظومة التعليمية في الطريقة الرحمانية

لقد اهتم مؤسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن، بالتعليم منذ البداية، فلم يكن يري طلب العلم من سبيل الترف، أو هو عبارة عن سياسة حشو الأذهان، والعقول بالمعارف والعلوم؛ بل هو

تهذيب وتقويم ، وصقل لشخصية المسلم ، وروحه والعمل على التحلّي بالآداب السامية، لذا كان حريصاً على طلب العلم، والجمع بين مختلف العلوم، ومجالسة العلماء منذ نعومة أظفاره ، فبعد أن ألم بعلوم شيخه " بن اعراب " انتقل إلى مصر؛ من أجل التكوين الروحي، والجمع بين العلوم النقلية والعقلية عن علمائها ، فأخذ الإجازة عن شيخه في مختلف العلوم. ليعود فيما بعد يُعلم أبناء وطنه، بعد أن أسس زوايته ببلاد القبائل، بآيت إسماعيل " والتي كانت قائمة على دعائم علمية، ينشر من خلالها العلوم، والمعارف، التي أجاز فيها طلبته، وهو ما جعل جلّ الزوايا الرحمانية، في الجزائر تتسم بسمة علمية، تجمع بين القرآن والعلوم، والمعارف.

ولترسيخ هذا الدور العلمي، في كل زوايا الطريقة، عبر الوطن عملت الطريقة على:

1- وضع بناء هيكلي تعليمي في الزاوية تمثل: في أماكن الدرس، وغرف نوم طلبة، ومكتبة ونظام داخلي، وإشراف بيداغوجي.

2- وضع منهاج تعليمي، بسيط تسعى من خلاله لتحقيق الهدف المنشود.

3- وضع منهاج لكل مرحلة يسير عليها المشايخ، والأساتذة، وكتبا، والعطل المدرسية، ومكافآت وعقوبات وإجازات.

4- اختارت الأساتذة، بشرط توفر الكفاءة العلمية، والخلقية.

5- ركزت على النظام الإداري المحكم لسير العملية التربوية، والتعليمية بنظام محكم.

5- وضع قانون داخلي للمتعلمين، والمعلمين قوامه، وأساسه السلوك، والعلم الرفيع.

وللتعليم في الزوايا الرحمانية جملة من الأهداف والغايات هي:

المطلب الثاني: الأهداف والغايات للدور التعليمي في الطريقة الرحمانية

ركزت زوايا الطريقة الرحمانية على الجانب التعليمي جنباً إلى جنب إلى الدور التربوي الروحي، تمثلت أهدافها في:

1- **الأهداف العامة:** ويقصد بها الأهداف المرجوة، من المنظومة التعليمية، ككل متكامل داخل المجتمع الجزائري، ومن بينها:

✓ المحافظة على المرجعية الثقافية، والعقدية للمجتمع الجزائري؛ والمتمثلة في الحفاظ على المذهب المالكي في الفقه، والعقيدة الأشعرية، وطريقة الجنيد السالك في التصوف.

وهي المرجعية؛ التي سعى كل شيوخ الزاوية الرحمانية من ترسيخها، في كل مؤلفاتهم ورسائلهم، من خلال التعريف بالمشايخ، عن طريق التصوير للمرجعية التي تستند إليها الزاوية، وتدعو للحفاظ عليها ويقال في كل مقدمة: فلان بن فلان، المالكي، الأشعري الخلوئي.

✓ لرد على حركة التنصير، والتجنيس، والفرنسة، فقد تصدت للغزو العقائدي، والفكري والثقافي. وكل ما يحمله الاستعمار، من سياسية تنصيرية؛ التي ركزت على منطقة القبائل.

فالزاوية الرحمانية شكلت حاجزاً منيعاً، أمام عملية التبشير، والتنصير في الجزائر، سواء في منطقة القبائل، أو الجنوب.

-تكوين نخبة وإطارات في مختلف المجالات لاسيما الفتوى: يهدف التعليم في الزاوية إلى تكوين أئمة ودعاة، وإطارات في القضاء، من أجل تولى مهمة الفتوى، والقضاء في شؤون الناس، مقابل المحاكم الفرنسية. إضافة إلى توليهم مهمة الصلح بين الناس، وتشكيل مرجعية وطنية، دينية، للفتوى، والقضاء.

2-الأهداف الخاصة:

ويقصد بها الأهداف، والغايات التي تسعى كل مشيخة للوصول لها، في محيطها، وتمثل في:

• الحفاظ على القرآن الكريم واللغة العربية:

قام التعليم في الزاوية عموماً على التعليم الديني؛ الذي تمثل في حفظ القرآن، وترتيبه، آناء الليل وأطراف النهار، فما إذا رأينا في السيرة الذاتية لشيوخ؛ نجدهم جميعاً حفظوا القرآن في سن مبكرة وحافظوا على تحفيظه وتعليمه لطلبة.

فلا تكاد توجد شخصية من الزاوية الرحمانية؛ إلا وحفظت القرآن في أولى محطات حياتها وحرصت على تحفيظه للمحيطين بها. كما أُعتبر حفظ القرآن شرطاً، لالتحاق بملفات العلم الشرعي.

حافظت الزاوية على سُنَّة قراءة الحزب الراتب، بمسجد الزاوية حتى يومنا هذا، وهو حزب بعد صلاة الصبح، وثلاثة أحزاب بعد صلاة المغرب، وفي ليلة الجمعة، وصبيحتها توزع المصاحف على الطلبة ويختتم القرآن ثلاث ختمات.¹

● خدمة اللغة العربية:

إنَّ خدمة القرآن، وحفظه من النسيان، كفيل بحفظ اللغة العربية؛ التي بها نفهم الدين، والتعاليم الإسلامية، وهي شرط في الاجتهاد، وفهم الدين الإسلامي. وما يمكن أن نستنتجه من رسالة المكي القاسمي؛ هو مدى إهتمام الزاوية باللغة العربية، من خلال الكتب التي درسها على محمد بن عبد الرحمن الديسي وهي: الأجرومية وحاشية أبي النجا، وشرح اللقاني وغيرها.

إنَّ جميع الأهداف؛ التي سعت كل الزوايا الرحمانية؛ إلى ترسيخها تهدف جميعاً إلى: حماية الدين والوقوف في وجه سياسية التنصير؛ من خلال إعتمادهم في ترتيبهم، على المعلم بالدرجة الأولى؛ حيث رأوا فيه عمدة التربية، والتعليم، والقدوة الحسنة؛ فهو يمثل المرثي، والمعلم، والقاضي، والمصلح، وعلى الزاوية في مجال التربية، والسلوك، تكوين سلوك الطفل، وتوجيهه، فهي المدرسة، والبيت، وهي اللبنة الأولى؛ التي يتعلم فيها الطفل، تعاليم دينه، وتراثه الديني العقدي، والثقافي، وعادات، مجتمعه، وتقاليده. لذا رسخت فكرة التعليم في مبادئها وجعلت كل الزوايا التابعة لها، تحوي أقساماً خاصة، بتعليم، وتحفيظ القرآن الكريم، على بساطة البناء، والهياكل المقدمة.

المطلب الثالث: تطورها وانتشارها

في الوقت الذي تقوم فيه السلطات الفرنسية، من تعزيز حظوظها في الجزائر، وتقوم بإبادة كَلِيَّة للمجتمع الجزائري، وتعمل على طمس حاضره، وماضيه، وهويته، وكل ماله صلة بالإسلام، ومرجعياته ومورثه الثقافي، والحضاري؛ من دين ولغة، وإنتماء؛ من خلال عمليات التبشير، والتنصير. برزت الزوايا بفضل منظومتها التعليمية كحاجز منيع أمام هذا المدّ التبشيري الغربي لتحافظ على هوية الوطن. فأهم ما حافظت عنه الزوايا، بفضل نظامها التعليمي هو القرآن الكريم؛ بتحفيظه، وحفظه في الصدور كتابةً

¹ زيارة لزاوية 2018

ورسماً وترتيباً، حتى لا تمتد له يد التحريف، والتغيير، وصانت العقيدة، وحافظت على هوية الأمة، ورسخت مرجعيتها الدينية، والثقافية، والحضارية، في أهلك وأعصب الفترات الإستعمارية.

ولمعرفة الدور التعليمي؛ الذي قامت به الطريقة الرحمانية في الجزائر عبر مختلف زواياها، لا بد معرفة النظام التعليمي، وخصائصه، والأسلوب الذي تبنته، وتفردت به عن باق الطرق الصوفية الأخرى.

المبحث الثاني النظام البيداغوجي وخصائصه

لقد كان لعلماء الزوايا، ومشايخها الدور المميز؛ في ترسيخ ثقافة التعليم الحرّ، في الجزائر، وتعليم العلوم النقلية، والعقلية، والقلبية-التصوف- لمختلف شرائح المجتمع الجزائري، باعتبار الزوايا مراكز إشعاع علمي، وروحي، ومنبعاً للهداية، والفضيلة والأخلاق، وتعد زاوية الهامل القاسمية من بين الزوايا الرحمانية بمنطقة الجنوب الجزائري، ولاية المسيلة، ببوسعادة، قرية الهامل، التي اتبع فيها القائمون على

تسيير شؤونها بطريقة مميزة في التعليم، وأصبحت النموذج المقتدى به في الدور العلمي بفضل مناهجها، ومنظومتها العلمية؛ التي ما تكاد تكون مشتركة بين كل الزوايا الرحمانية.

وقد امتاز نظامها التعليمي بـ: البرنامج اليومي للطلبة، ومناهجها التعليمية، وطرق التدريس وعطلها وقد اتبعت مشيخة الزاوية أسلوب التدريج في التعليم؛ حيث قسمت المنظومة التعليمية إلى مراحل، من أجل تحسين المستوى وتطويره، والحصول على نتائج مرضية وجيدة.

المطلب الأول: مراحل التعليم

إعتمدت مشيخة الزاوية القاسمية في منظومتها التعليمية أسلوب التدرج في التعليم، وقد قسمت التعليم إلى مراحل: هي التعليم الابتدائي، والمتوسط، والثانوي، والعالى، حسب تقييم المدرسة الحديثة، حيث نجد أبو القاسم سعد الله قسم التعليم خلال الفترة العثمانية، والاستعمار الفرنسي إلى: ابتدائي ثانوي، وعال¹، بالمقابل نجد الأستاذ عيسى بالقي يقسم مراحل التعليم في الزاوية القاسمية على النحو الآتي: تحضيرى (مرحلة حفظ القرآن)، ابتدائي، أو تكميلي، ثم تعليم عال²، ومن جهة أخرى نجد الأستاذ فؤاد القاسمي قسمه إلى خمسة مراحل هي:

◆ المرحلة الأولى من التعليم "الابتدائي" وفي هذه المرحلة يتعلم الطالب في الكتاب؛ حروف الهجاء، وقد استخدم أسلوب التلقين أولاً، ويكون ذلك بوصف الحروف؛ بلحن على شكل أهازيج يحفظها الطفل، كقولهم:³ الألفُ لا شأنَ عليه والبأُ تُنقطُ من تحت.

ليتعلم بعدها الكتابة على اللوح، وقد استخدم الترتيب المغربي الآتي:

أ-ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر-ز-ط-ظ-ك-ل-م-ن-ص-ض-ع-غ-ف-ق-س-ش-ه-و-
ل-ي-ء

وبالنسبة للطلبة الذين لا عهد لهم بالحروف، لا بد من تعليمهم أبجديات هذه الحروف على اللوح مشيراً إليها حرفاً، حرفاً، وناطقاً بأسمائها، والطلبة يرددون حتى يحفظونها، وهكذا تسيير الحصة، وقد

¹ - أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1998م، ج 1، ص 338-343.

² - عيسى بن القي، زاوية الهامل ودورها الثقافي والإجتماعي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001م، ص 151.

³ - محمد فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية الهامل قبل الاستقلال، دار الخليل، د-ط، ص 4.

يستعين الحافظ بالتلحين كما سبق الذكر، فإذا حفظت أشكال الحروف وأسمائها من قبل الطلبة، انتقل المعلم إلى تعليم أصواتها بالحركات الثلاثة (ب-بُ-بِ)، ثم ينتقل إلى تعليم مقاطع تنتهي بحرف من الحروف المد مثل: (بأ-بو-بي)، لينتقل المعلم بطلابه إلى قراءة الكلمات، ثم قراءة الجمل، وبذلك يكون الجزء الأكبر من تعليم القراءة قد انتهى، ولم يبق إلا التدريب، والتمرن على القراءة، وقطع جزء أكبر من الكتابة، وقد كان تعليم الكتابة يسير جنباً إلى جنب مع تعليم القراءة، والجدول الآتي يوضح المنهج المتبع في تعليم الحروف العربية للأطفال الصغار بالزاوية:

الحرف	النطق	تحفيظ للترسيخ	أوصاف الحروف
أ	ألف	لا شان علي - لا ينقط	مطيرق تصغير مطرق
ب	باء	نقطة من تحت أسفل	أثينة
ث	ثاء	ثلاثة من فوق	ثينة
ت	تاء	اثنين من فوق	ثينة
ج	جيم	نقطة من أسفل	مخيطف
ح	حاء	لا شان عليه	مخيطف
خ	خاء	نقطة من فوق	مخيطف
د	دال	لا شان عليه	بوجناحين
ذ	ذال	نقطة من فوق	بوجناحين
ص	صاد	لا شان عليه	مزود
ض	ضاد	نقطة من فوق	مزود
ع	عين	لا نقطة من فوق شان عليه	فم الذيب
غ	غين		فم الذيب
ف	فاء	نقطة من فوق	أم رقية
ق	قاف	اثنين من فوق	بو رقية
س	سين	لا شان عليه	ثلاثة سنيات

ش	ش	ثلاثة من فوق	ثلاثة سنينات
و	واو	لا شان عليه	معرق بوطيطة
لا	لام	لا شان عليه	بوقحيحة
ي	ياء	نقطتين من تحت	مكورة معرفة
ء	همزة	لا شان عليه	مردودة ¹

◆ المرحلة الثانية في التعليم (المتوسط):

بعد حفظ الطالب القرآن الكريم وتلاوته، وحفظ المتون العلمية، وما يسمى بعلوم الآلة يشرع في دراستها شرحاً، وتحليلاً، فيأخذ في علوم القرآن متن الشاطبية، ومورد الظمان الشريشي؛ المشهور بالخرز، بشرح ابن عاشر في الفقه المالكي، المرشد المعين إلى الضروري في علوم الدين، المعروف بمتن ابن عاشر في الفقه المالكي، ثم يقرأ شرحه المسمى ميارة الصغرى، ومتن الأجرومية، وفيه أهم قواعد اللغة العربية، ويقرأ شرح المكودي له، كما يقرأ كتاب مراح الرواح لحسام الدين، ثم البراهين للإمام السنوسي مع الشرح.

ويتولى التدريس في هذه المرحلة من الطلبة السباقون، والنظارون، وبعض الأساتذة الذين يوليهم الشيخ الأمر بنفسه.

وهذه التعليم في هذه المرحلة هو تعليم مركب من شقين: الشق الأول؛ هو تعليم الأطفال مبادئ الشريعة، والشق الثاني؛ هو تعليم الكبار، طرق وأساليب التدريس في سنة التخرج، تدريبا لهم وإفادة لغيرهم.

◆ المرحلة الثالثة: من التعليم (الثانوي):

وهي تمثل المستوى الثالث من التعليم، فيدرسون رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي وشرح أبي الحسن عليه، ويتولى ذلك أحد النظارين، أو أحد الشيوخ، إضافة إلى دراسة ملحّة الإعراب في علوم العربية للإمام الحريري، مع شرح الإمام بجرف، إلى جانب قطر الندى وبل الهدى في قواعد اللغة، ثم يحفظون جوهر التوحيد لإبراهيم اللقاني، ويدرسون شرح ابن عبد السلام لها، إلى جانب

¹ - لقاء مع معلم القرآن في زاوية الهامل سابقاً، الشيخ عبد الحق.

دروس المنطق كنظم الشيخ عبد الرحمان الأخصري السلم المرونق، في علم المنطق، ومختصر السنوسي، ويكون الحفظ قدر الاستطاعة إضافة إلى الدراسة، والشرح لهذه المتون بالموازاة في ذلك في قراءة التعليقات السبع حفظاً، ودراسة، وشرحا بشرح الشتمري، إلى جانب التعليقات، يحفظ الطلبة قصائد البردة، والهمزية، والمضريّة، وبانت سعاد، وغيرها من المدائح النبوية التي تمدح في المولد النبوي الشريف.

◆ المرحلة الرابعة من التعليم(الجامعي):

حين يصل الطالب إلى هذا المستوى العلمي، بعد أن تمكن مما سبق ذكره من كتب وامتون، يفرغ الطالب إلى دراسة مختصر الخليل بن إسحاق الجندي في فروع المالكية، والمعتمد في الزاوية القاسمية هو حاشية الدسوقي، على الشرح الكبير للإمام الدردير، وفي اللغة؛ ألفية بن مالك مع حاشية الصبان على الأشموني وشرح المكودي، وفي المنطق؛ جمل الخونجي، والتهذيب للسعد التقشازاني، والشمسية بشرح قطب الدين الرازي، وفي العقيدة وأصول الفقه؛ كتاب ابن الحاجب الأصلي الذي شرحه الثنائي، إضافة إلى الورقات بشروحها للإمام الجواني، والفرائض لتلمساني، وكتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، كل هذه الدروس تدرس على مدار السنة، إلا مختصر خليل فهو في فصل الشتاء؛ ولافتتاح تدريسه حفل خاص يحضره شيخ الزاوية، وجمع غفير من الطلبة، وأئمة المساجد في الهامل وضواحيها وأعيان البلدة وحتى الصبيان، ليرسخ في ذاكرتهم.

◆ المرحلة الخامسة من التعليم(العالي):

وتميزت هذه المرحلة بعقد حلقات العلم بزاوية الهامل رغم تنوعها، فقد كان يخص فصل الشتاء بمختصر الخليل وحده، ويخصص الربيع لتفسير القرآن الكريم، والمعتمد فيه تفسير الواحدي والبيضاوي إضافة للحديث الشريف، حيث ولت الزاوية عناية الموطأ، والبخاري ومسلم، وعناية رجال الزاوية بالحديث بلغت الأفق، ولا سيما صحيح الإمام البخاري، إذ يقرأ على سبيل التعبد فيختم أحياناً في ليلة، كما يقرأ للعلم في حلقة؛ حيث يأمر الشيخ الطالب بالقراءة، ثم يستوقفه ليشرح ما عسر فهمه على الطلبة وهكذا.

إضافة إلى اهتمامهم بالأربعين النووية حفظاً، وقراءة، وشرحا، وبكتاب الشفا للقاضي عياض، والجامع الصغير، وألفية العراقي في مصطلح الحديث، وشمائل الترمذي، والمواهب اللدنية، قراءة وشرحا، وتسرد في شهر ربيع الأول السيرة النبوية لابن هشام، إضافة إلى مولد البرزنجي في ليلة المولد، ومجالس

العروسي، وفي التصوف تقرأ المنظومة الرحمانية، وشرحها لباش تارزي، والوصية الجليلة للشيخ مصطفى البكري، والحكم العطائية، وهذه الدروس تعقد في حلقة عامة في مسجد الزاوية. أمّا بالنسبة للدروس الخاصة، فتعقد في بيوت المشايخ، لبعض الطلبة الذين يختارهم الأساتذة على أساس الأخلاق، والسلوك والسيرة العلمية، والقدرة على التحليل، وتميزت هذه الدروس بدراسة وتدرّيس كتب كبار الصوفية، أمثال: رسالة النقشبندي، السهرودي، ابن عربي، كما يتطرقون إلى البحث والنقاش في مسائل العقدية الشائكة، وحتى مقارنة الأديان كالتوراة والإنجيل، ومن جهة أخرى المجالس الأدبية، وسجلات الشعرية، هذا ما نلمسه في أشعار الديسي، والحنقي، والمكي، وقد تأخذ هذه المجالس مكان الندوات العلمية.¹

فالمرحلة ليست المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في القراءة، والحفظ حتى يمر إلى مرحلة أخرى، كما هو الحال بالنسبة للتعليم في المدرسة المعاصرة، بل يقصد بها نسبة إتقان كتاب أو علم من العلوم، ومنه فإنّ المقصود من مرحلة في التعليم الديني الذي نحن بصدد دراسته: "المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في حفظ كتاب من كتب العلم، وشرحه وإتقانه وأخذ الإجازة فيه".²

المطلب الثاني: المدة الزمنية والبرنامج اليومي للطلبة

أولاً: المدة الزمنية

يقصد بالمدة الزمنية الفترة التي يقضيها الطالب في الحفظ، والاستيعاب، والإتقان لعلم من العلوم أو الكتاب معين، وقد تقصر المدة وقد تطول حسب قدرة الطالب من الإتقان، والحفظ، وحسب رسالة المكي القاسمي إشارة منه إلى المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في الزاوية، والتي يسميها مدة القراءة، هي

¹ - فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية الهامل قبل الإستقلال، المرجع السابق، ص5-6.

² - درام الشيخ، النظم التعليمية في الزاوية الهامل أمودجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، إشراف الطاهر سعود السنة الدراسية 2012م، 2013م، ص175.

بين الست-6-والعشر سنوات-10-¹ بالمقارنة مع المدة التي يقضيها الطلبة في المدارس الشرعية آنذاك، فهي أكثر مدة، والمحددة بست سنوات، تتوج بالحصول على دبلوم الدراسات العليا للمدارس.²

ثانياً: البرنامج اليومي لطلبة الزاوية القاسمية

يبدأ اليوم في الزاوية القاسمية بعد إقامة صلاة الفجر، يتناولون الفطور ثم يتوجهون إلى اللوح، وحفظ القرآن ((من ثمن إلى ربع حزب))، إلى غاية الساعة العاشرة، ليتلقى الطلبة دروساً في التجويد بمسجد الزاوية، وبعد الغداء، وصلاة الظهر، يعودون إلى الكُتّاب، لحفظ القرآن حتى قبيل العصر، فيقرأون الحزب الراتب، ثم الصلاة، وبعدها يتلقون دروساً في الفقه، حتى المغرب وصلاته، ثم يقرؤون الحزب الراتب أيضاً، وبعد صلاة العشاء وتناول وجبتهم، تتم قراءة اللوح، ثم مراجعة الدروس حتى ساعة النوم ليتوجه كل واحد منهم إلى سريره للنوم،³ والبرنامج قابل للتعديل والتغيير، حسب الحاجة ونوعية المادة العلميّة، وكذا لإمكانيات الزاوية وللظروف المحيطة بها، خاصة وأنّ المنطقة رعونية تحتاج لأخذ العطلة الصيفية من أفريل غاية سبتمبر.⁴

المطلب الثالث: أقسام التعليم في الزاوية القاسمية:

ينقسم التعليم في الزاوية القاسمية وكل الزوايا الرحمانية، على قسمين رئيسيين هما:

أولاً: التعليم العام:

أو التعليم الشعبي، وهو الموجه للناس كجزء من النشاط الدّعوي العام، والإرشاد، والتوجيه للناس للحق، ويشمل ذلك دروس الدينية التي دأب الشيخ المؤسس، والمشايخ من بعد على إلقائها في المسجد لعوام الناس، الذين لم يسعفهم وقتهم للالتزام بالنظام التعليمي في الزاوية، وفي الأغلب يكونوا من عامة

¹-المكي القاسمي، رسالة التعليم مخطوطة، ملحق رقم(1).

²- درام الشيخ، المرجع السابق، ص176.

³-محمود بوكبيبة، المنظومة التعليمية بزوايا الطريقة الرحمانية زاوية الهامل أممؤذجا(1930-1914)، جامعة المسيلة، الجزائر، ص133.

⁴-أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1980، ص94.

الناس، أي من أهل قرية الهامل، والقرى المجاورة، وقد شملت الدروس كل العلوم الشرعية من تفسير وعقيدة، وفقه، ولكن بأسلوب بسيط يُمكنهم من الفهم والاستيعاب، لأنها موجهة لغير المختصين، ومع ذلك كانت تقدم من كتبها الأصلية كمختصر الخليل، والأربعين النووية، وكانت تلقى في ساحة المسجد أو فناء الزاوية حيث يستدعى أحد المشايخ أو العلماء لتقديمها، أو شيخ الزاوية في حد ذاته وكانت هذه الزاوية تنتهج هذا الأسلوب من التعليم، خاصة في المناسبات الدينية في رمضان، أو العيد أو يوم الجمعة، أو احتفالات بالمولد النبوي الشريف، وليلة القدر.

ثانياً: الإرشاد والنصح:

ويتجلى هذا في مجالس الصلح بين فئات المجتمع، حيث أنشأ الشيخ رحمه الله مجالس لعقد الصلح وهذا قصد تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فقد جسدت مشيخة الزاوية معنى النصح والدعوة للخير في مجالسها العلمية في كل مناسبة، وذلك تجسيدا لقول النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)).¹

والهدف من هذا التعليم العام أو الشعبي هو:

- تحقيق الروابط الأخوية، وإزالة الفوارق بين الناس، والصلح بين الناس، وبث التكافل الاجتماعي داخل أبناء المجتمع الواحد، إذ الدرس العلمي يحضره جميع أطراف المجتمع؛ وهذا لأحداث التوازن بينهم والتكافل المادي، والروحي.

- ومن جهة أخرى تسعى الزاوية من خلال هذا النظام التعليمي إلى نشر الوعي الديني والعلمي وحتى السياسي بين أفراد المجتمع، وخلق توازن بين طبقاته المجتمع.

- الحفاظ على التكفل بحفظ القرآن الكريم، وتكريم أهله، والمساهمة في نشر العلم، وبث روح المعرفة ونبذ الجهل والامية.

- ترسيخ الخلق الحميد في نفوس المسلمين، عن طريق النهي عن ارتكاب المنكرات، والحض على فعل الخيرات، وقد كان هذا محور درس الحديث النبوي، لذا اختير كتاب الأربعين النووية، لما يتميز به من شمول أبواب الخير.

¹ صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، ج1، ص74.

- إحياء الأخلاق الإسلامية من الصدق، والتعاون، والتراحم، ومساعدة المحتاجين، وصللة الأرحام، وما إلى ذلك من الأخلاق التي تمثل أساس النظام الاجتماعي في المجتمع الإسلامي.
- الرد على كل محاولات التغريب، والتفرقة، وإشعال نار الفتنة وسط المجتمع الجزائري؛ وذلك بتحسيس الجزائريين بوحدهم، وعقيدتهم الواحدة، ومرجعيتهم الدينية، والثقافية، والوطن الواحد، ونبذ كل ما يدعوا للتفرقة، والدعوة للحفاظ والتماسك على الوحدة الوطنية.
- إعطاء الفرصة للفلاحين، والعمال، وكبار السن، من أخذ قسط من التعليم على الرغم من مشاغلهم فالتعليم العام يكون عادة بعد العصر، أو صلاة العشاء وفي المناسبات، إضافة أن المشايخ اختاروا فصل الشتاء لختم مختصر تحليل كون النهار قصيراً، والليل طويلاً؛ حتى يتمكن الجميع من الحضور.
- وقد كان لنساء حظ من التعليم العام في الزاوية.

ثالثاً: التعليم النظامي

ويقصد به التعليم الموجه للطلبة المقيمين في الزاوية، وهو خاضع لبرنامج محكم من المناهج، والمواد الدراسية؛ التي يتلقاها الطالب من أول مرحلة من مراحل التعليم حتى التخرج والإجازة، ويخضع الطلبة لنظام خاص من القوانين؛ الذي ينظم السير الحسن، وهي القوانين التي استقاها المؤسس من زاوية شيخه السعيد بن أبي داود ببجاية، ويشمل التعليم النظامي قسمين هما:

1- قسم تحفيظ القرآن الكريم:

أ- تعريفه:

هو قسم مخصص لتعليم القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن، وهي مرحلة أساسية لمواصلة الدراسة، ولا يمكن الالتحاق بقسم أصول الدين إلا بعد حفظ القرآن¹،

¹ لقاء مع معلم القرآن السابق الشيخ أحمد حرزلي في الزاوية.

ويلتحق بهذا القسم من التعليم الأطفال الصغار، الذين يبدأون بحفظ الحروف الأبجدية، مع حركاتها من فتح، وضم، وكسر، وسكون، لينتقل بعد ذلك إلى حفظ القرآن الكريم؛ بداية بسورة الفاتحة، ثم قصار السور، وهكذا حتى يتم حفظ القرآن كاملاً.

ب- عدد الطلبة في قسم القرآن:

بما أن التعليم الغالب على الزاوية هو: التعليم الديني، وبالأخص تحفيظ القرآن، والعمل على حفظه في الصّدور رسماً، وترتيلًا، وحرفاً، فإن أغلب الطلبة بالزاوية؛ حفظة للقرآن الكريم، ويؤكد بن عزوز أن عدد الطلبة يفوق 500 طالب، وأن طلبة القرآن يمثلون ثلثا من أبناء الزاوية.¹

*مراحل تدريس قسم حفظ القرآن:

يمر حفظ القرآن مراحل حيث ينقسم الطلبة إلى قسمين:

*- أ على حسب القدرة على الكتابة:

. قسم أتم حفظ حروف الهجاء وأصبح قادر على الكتابة.

. وقسم لا يزال لا يتقن الكتابة رغم قدرته على الحفظ.

القسم الأول: فيقوم المعلم بإملاء الآيات عليهم، ويقومون هم بكتابتها، وهو يتولى تصحيح الكتابة والنطق، أما بالنسبة للقسم الثاني: ممن لا يتقن الكتابة بعد، فيقوم المعلم بكتابة اللوحة لهم بنفسه، أو يكلف أحد الطلبة ممن أتم حفظ القرآن، أو نصفه بذلك، ويظل الطالب على ذلك الحال حتى يتمكن من كتابة لوحته بنفسه، أما الإملاء فيتم عادة بعد صلاة الصبح، أين يجتمع الطلبة ممن حفظ لوحته بالأمس ومحاهها، ويبدأ من حيث انتهى الوجه الآخر للوحة، فيردد أوله على المعلم، ويقوم المعلم بإملاء آية يكتبها الطالب، وهكذا الدّور على كل الطلبة، وفي نهاية يقوم كل طالب بتصحيح الكتابة، والنطق على معلمه لينصرف للحفظ، ولا يسمح للطالب من الحفظ من المصحف، ولا الكتابة منه.²

*على حسب القدرة على حفظ والكتابة: وهو على إلى ثلاث مراحل هي:

- مرحلة المبتدئون: حيث يكون هؤلاء المبتدئون في بداية حفظ القرآن، ويحتاجون إلى مساعدة.

¹-المكي بن عزوز، الملحق رقم(1).

²-لقاء مع الشيخ عبد الحق مليزي، معلم قرآن سابقاً في الهامل في بيته 2019 .

- مرحلة المعيدون: ويكون هؤلاء المعيدون قد ختموا القرآن، ويعيدونه لإتقان حفظه، ويساهم هؤلاء في مساعدة المعلم في تعليم المبتدئين.

- مرحلة تحفيظ القرآن الكريم: وهي مرحلة خاصة بالذين حفظوا كتاب الله، وحفظوه مرات عديدة، هؤلاء يقدمهم المعلم لمساعدته في تحفيظ زملائهم لحظات غيابه.¹

أوقات الدراسة وحفظ القرآن:

حسب قول الأساتذة السابقون في الزاوية، ومعلمي القرآن بها، فإنّ الوقت المخصص لحفظ القرآن بالزاوية عادة يكون بعد الصبح، وقبل الظهر، وبعد العصر، وتخصص حصص الصبح للكتابة، وحصّة ما قبل الظهر للحفظ، أمّا حصّة بعد العصر فهي للاستظهار، وبعدها يقوم الطالب بمحو لوحته وتحيينها وتغطيتها بمادة الصلصال، استعداداً لغد جديد وهكذا.²

طريقة حفظ القرآن:

إنّ من أنجح الطرق في تحفيظ القرآن والتي تعتمد على الزوايا والكتاتيب، طريقة الإلقاء والكتابة على اللوحة؛ حيث يكتب الطالب السورة عن طريق الإملاء عن شيخه، ليقوم بكتابتها وهي أولى مرحلة من الحفظ، ليقوم بتكرارها مراراً حتى تترسخ في ذهنه صحيحة، وفي الأخير يقوم بعرض كل ما في اللوحة على شيخه، فترسم الكلمة في ذهنه ويسهل عليه حفظها،³ ويكون الحفظ من رواية ورش عن نافع، وهي قراءة أهل المدينة والمغرب، وأمّا الخط فهو الخط المغربي.⁴

حفل تخرج وختم القرآن:

تحتفل الزاوية القاسمية سنوياً بالطلبة الذين أمموا الحفظ القرآن الكريم، في جو بهيج يجعل الجميع يتوق لتذوق تلك اللحظة الروحية، حيث يحضر كبار العلماء، والمشايخ، وخريجي الزاوية القدم، ويجلس حافظ كتاب الله في أعلى مكان، ويلقي شيخ الزاوية كلمة عن فضل القرآن الكريم وحامله، ويقوم بتقديم الهدايا، وتلبيس الحفظة البرنوس تكريماً وتشريفاً لهم، حاثاً إياهم على العمل به، والدعوة لهم

¹-لقاء مع الشيخ المأمون في الزاوية 2018.

²- لقاء مع الشيخ عبد الحق في بيته.

³-طريقة حفظي على شيخي عبد القادر بالزاوية.

⁴-لقاء سابق مع الشيخ عبد الحق.

بالثبات لينتهي المجلس بوليمة دسمة؛ أُعدت للضيوف، والفقراء، وهو يوم ينتظره الجميع، ليتوجوا فيه بلباس فارس القرآن.

تعمل الزاوية على توظيف بعض الطلبة الحفاظ كمعلمين للقرآن في الزاوية، مقابل مبلغ مالي ميسور ومحترم، يمكنهم من إكمال دراستهم.

اهتمام الزوايا بالقرآن الكريم داخل الوطن وخارجه:

لقد تخرج من زاوية الهامل الآلاف من حفظة القرآن الكريم، عملوا على نشره، والعمل به في المناطق التي وجدوا بها، فكفاهها بذلك فخراً وعزاً وشرفاً.

ومن عناية الشيخ بالقرآن الكريم أنه بني في كل بستان منزلاً يتلى به القرآن الكريم يوماً، وقد أصبح الوادي الرابط من بلدة الهامل إلى مدينة بوسعادة عامراً بتلاوة القرآن الكريم،¹ فصارت القرية والمناطق المحيطة بها كلها من حفظة كتاب الله، فيذكر أنه لن تمر على منزل حتى تجد فيه حافظاً للقرآن الكريم،² يعلمونه للناس، وهذا كله على نفقة الزاوية القاسمية، وهي السيرة التي سار عليها شيوخ الزاوية بعد ذلك، ليمتد اهتمام الزاوية بالقرآن الكريم خارج القطر الوطني، فخصّصت أوقافاً لطلبة القرآن بالحرم المدني، هذا ما أكدته مراسلة الشيخ أحمد الأمين إلى الشيخ المؤسس، فحواها أنه "أرسل المؤسس إليه أربعمائة (400) دورو لشراء منزل، وجعله وقفاً على قراءة القرآن يوماً بالمدينة، فأقترح الشيخ أحمد شراء حانوت، أو نخيلاً ليبقى وقفاً ساري المفعول على طلبة القرآن"،³ ومراسلة الثانية لسيدة زينب، يقول فيها: "...والرأي عندي أن نجعل راتباً لعشرة طلبة، وأظنه يتيسر أن يكون لطالب الواحد في كل سنة 8 دورو، يجتمعون، ويقرأ كل واحد منهم يوماً حزين، فيتمون كل واحد في الشهر بختم القرآن".⁴

2- قسم أصول الدين:

● تعريفه:

¹ - محمد بن محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط 1، ص 52.

² - فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية الهامل قبل الإستقلال، المرجع السابق، ص 5.

³ - نقلا عن مراسلة الشيخ أحمد الأمين وكيل الأوقاف، الزاوية القاسمية بالحرمين الشريفين، إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم، بتاريخ 1893، من وثائق المكتبة القاسمية بالهامل.

⁴ - مراسلة الشيخ أحمد الأمين، لسيدة زينب في 1890م، من وثائق المكتبة القاسمية.

هو قسم المرحلة الثانوية، والعالية، ويشترط فيها حفظ القرآن الكريم، وهو قسم يعنى بدراسة أصول الدين، وكل ما يتعلق بها من علوم شرعية من عقيدة، وتصوف، وفقه، وتفسير، أصول اللغة العربية، من نحو، وصرف وبلاغة، وما يرتبط بهم من علوم الحساب، والمنطق، والفلك، إضافة إلى كتب التاريخ والسيرة النبوية.¹

● شروط الالتحاق بقسم أصول الدين:

لقد اشترط شيوخ الزاوية على الطالب حفظ القرآن كاملاً قبل الالتحاق بقسم أصول الدين، سواء كان الطالبة من زاوية، أو من جاء من زوايا أخرى، إضافة إلى الخلق الحسن، فهو شرط أساسي في قبول الطلبة أو رفضهم، بالإضافة لمبلغ رمزي يرفعه الطالب لزاوية حوالي خمسة وعشرين فرنك؛ توضع في كيس خاص يوجه لصالح العام.² وهذه الشروط لم تكن حاجز، ولا مانع من مزاوله الطلبة التعليم في الزاوية القاسمية، بل كل الظروف مهيئة، ومشجعة للأهالي على دفع أبنائهم للدراسة بها، وتعلم اللغة، والفقه، ففي بعض الأحيان يتجاوز الطلبة عدد المئة في السنة الواحدة،³ بالمقابل تجاوز عدد المتخرجين منها الآلاف من الطلبة.

● مستويات الطلبة في قسم أصول الدين:

وهي على ثلاثة مستويات:

- **الحجارون:** هؤلاء لا يكونون من المبتدئين في قراءة الكتاب محل الدرس، ويقصد بهم الطلبة الجدد الذين هم في مرحلة الحفظ، سواء للقرآن الكريم، أو المتون العلمية، وفي حالة جلوسهم لشيخ في حلقة العلم؛ جلس النظارون حول الشيخ، ثم السباقون، ثم الحجارون.⁴

¹- أبو القاسم سعد الله، ت-ج-ث، المرجع السابق، ج3، ص220.

²- المكّي القاسمي، ملحق رقم(1).

³- المكّي القاسمي المصدر نفسه.

⁴- لقاء مع الشيخ المأمون في حلقة الدرس بالزاوية 2019.

- السباقون: ويقصد بهم الطلبة الذين أذن لهم في استعمال الشرح، يرخس لهم الشيخ باستعمال الشرح والتدريس للمبتدئين،¹ ويكون هؤلاء قد ختموا الكتاب موضوع الدرس أكثر من مرة، كما قد يأذن الشيخ لنهاية منهم بتقرير الدرس للمبتدئين، ويجلس هؤلاء في المرتبة الثانية حول الشيخ في مجلسه العلمي.

- النظاريون: والنظار؛ هو الطالب في طريق التخرج، ختم القرآن عدة مرات، وطال تمرنه بالدرس الذي يقدمه الأستاذ، ومهمته أن يعمق شرح المتن لأصحاب الشروح والسباقيين، والنظار؛ يمكنه أن يخلف الشيخ في حالة غياب من مجلس الدرس.

بالمقابل أطلق عليهم الأستاذ سعد الله تقسيماً آخر هو:

- المبتدئون: المحجر عليهم.

- المعيدون المسائيون.

- المعيدون الصباحيون، والمحضرون أو المسبقون:

وهي مستويات ينتقل عبرها الطالب في الزاوية،² وهو التقسيم نفسه الذي أشار إليه المكي القاسمي في رسالته حول التعليم في الزاوية القاسمية،³ وقد يكون الطالب مثلاً: حجاراً في الفقه، وسباقاً في اللغة، ونظاراً في الحديث.⁴

• طرق التدريس:

إنّ طريقة تدريس طلبة قسم أصول الدين تختلف عن الطريقة في تحفيظ القرآن، ففي القسم الثاني والمقصود منه قسم أصول الدين، فإنّ الشيخ، أو المدرس إذا أراد قراءة الدرس جلس بجانب أحد أعمدة الجامع، واستقبل القبلة، ثم يجلس الطلبة بحسب كثرتهم، أو قلتهم حول الشيخ على شكل حلقة متربعين على الأرض؛ كل طالب له محل لا يتعداه، يتدئ الشيخ بالبسملة والحمد لله، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يشرع لهم في تقرير الدرس، وإنّ أحل أحد الطلبة ببعض الآداب زجره الشيخ

¹ - لقاء مع الشيخ المأمون.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ت ج ث، ج 3، ص 204.

³ - رسالة المكي القاسمي، ملحق رقم (1). السفارة الملحق رقم (2).

⁴ - مقابلة مع الشيخ عبد الحق أستاذ سابق في الزاوية القاسمية.

بطريقة التعريض، لا التصريح، والتوبيخ، رحمة، وشفقة عليه، ومتى فرغ الأستاذ من قراءة دروسه ختمها بقراءة الفاتحة، والدعاء لتلامذته بالفتح والتنوير.¹

خلال تقديم الدرس يقرأ الأستاذ المتن بنفسه سواء من الكتاب، أو من ذاكرته، وقد يستعين ببعض الطلبة النجباء لقراءة المتن، ويقوم هو بالشرح، ويسمى هذا في بعض الروايات بـ "العدول"، ويقصد به المسمع الذي يرفع صوته بالجملة، عندما ينطق بها الشيخ المعلم، أو مساعدوه.

المطلب الرابع: المواد المقررة للتدريس

وفقا لما جمعناه من أرشيف الزاوية من الموروث الشفهي من الشيوخ؛ الذين سبق لهم التدريس بالزاوية القاسمية، ولقاءات مع الطلبة، وما سمعناه عن أجداد المنطقة أن التعليم في الزاوية القاسمية كان أمنية يتمناها الفرد في تلك الحقبة، والحصول على مقعد دراسي، ورضى شيوخ الزاوية، عن سريرته وخلقه، بحكم شهرة التعليم بالمعهد القاسمي، والزاوية القاسمية.

ويمكننا أن نستشف المواد التعليمية في الزاوية، ونقصد بها المعارف، والمواد التي رأى شيوخ الزاوية ضرورة إدراجها ضمن البرنامج التعليمي، وهي كالآتي:

* التركيز على القرآن الكريم حفظاً وترتيلاً.

علم القراءات: "وقد اهتمت الزاوية بعلم القراءات، فركزت على أهم كتابين: "الشاطبية" واسمها الكامل "حرز الأمان ووجه التهاني"، وهي عبارة عن نظم الشاطبي، إضافة إلى "الخراز"، واسمه الكامل هو: "مورد الضمان في رسم القرآن"، لمحمد بن محمد الأموي الشرنيتي، ويضاف لهذا الكتابين كتاب "التمهيد" للشيخ محمد الجزري، وتحفة الأطفال لسليمان الجمزوري، الوقف والابتداء للشيخ الأشموني.²

. تفسير القرآن الكريم: سارت الزاوية القاسمية على خطى باقي الزوايا العلمية في الجزائر؛ من خلال الاهتمام بالتفسير، إذ أخذ حيزاً مهماً في البرنامج الدراسي، فجاء في برنامج الشيخ محمد المكي القاسمي ما يدل على ذلك: "كتب علم التفسير التي كانت تدرس بالزاوية؛ الكشاف للزمخشري، الجلالين للسيوطي بحاشية الجمل، وحاشية الصاوي الخطيب، الشربيني، البيضاوي لعبد الله بن عمر البيضاوي،

¹ - رسالة المكي القاسمي، ملحق رقم(1).

² - برنامج الشيخ المكي القاسمي، وثيقة بالزاوية القاسمية، ملحق(1).

أبو السعود للشيخ أبو السعود، الفخر الرازي لفخر الدين الرازي، الخازن لعلاء الدين البغدادي، النسفي لحافظ الدين أبي البركات، الإتقان السيوطي".¹
ومن بين العلماء الذين اهتموا بالتفسير نذكر:

- الشيخ المؤسس نفسه: إذ قال عنه الشيخ الديسي: "...وأما تفسير القرآن العظيم فهو فيه البحر الزاخر، المتلاطم الأمواج، أحكم ظاهره وباطنه، فكم له من دقائق أفهام، ونكت إشارات، لا تعد ولا تحد"،² وقد روي أن الطلبة يتزاحمون على مجلسه حتى يضيق بهم المسجد على سعته.

- الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي: وتولى بدوره تدريس التفسير لطلبة الزاوية، ومنهم الشيخ محمد بن عزوز، الذي يقول في إحدى رسائله: "أخذت عن الشيخ الديسي تفسير القرآن للطبري، وتفسير الجلالين".³

- الشيخ محمد بن الحاج محمد: وجاء في ترجمة الديسي له: "وقد خصه الله تعالى بفهم أسرار القرآن يتكلم على الآيات الشريفة بلسان الحقيقة، كلام عارف، كامل، جامع بين الشريعة والحقيقة،⁴ وقد شرع في تفسير كتاب الله، لكن ما كتبه منه إلا تفسير الفاتحة، والآيات الأولى من سورة البقرة".⁵
- الشيخ محمد بن عزوز: حيث درس التفسير بالزاوية لمدة طويلة، وكتب رسالة في تفسير سورة القدر وله فتاوى عن آيات في القرآن الكريم".⁶

والشيء الملاحظ أن كل شيخ ينفرد بمنهج في تدريس التفسير، فهناك من يعتمد الطريقة الكلية في التفسير، والتعميم، ويتعد عن الدقة والتجزئة، بالمقابل هناك من يعتمد على التدقيق، ويركز على الجزئيات، جزئية تلو الأخرى، وبما أن الغالب على من درس بالزاوية يغلب عليهم سمة الفقه فكثيراً ما يربطون بين الفقه والتفسير، أو ما يسمى بالفوائد التفسيرية والحديثية"، وإسقاطها على الواقع.⁷

علم الحديث:

- 1- المصدر نفسه، ملحق (1).
- 2- عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهد، دار الخليل لنشر التوزيع، 2009م، ص176.
- 3- عبد المنعم الحسني، إجازات الشيخ محمد بن عزوز، دار الخليل، مسيلة، دط، ص42.
- 4- عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل، المرجع السابق، ص176.
- 5- محمد المكي القاسمي، ترجمة الشيخ محمد بن الحاج محمد، مخطوط بالزاوية القاسمية.
- 6- أنس محمد القاسمي، عبد المنعم الحسني، إجازات الشيخ محمد بن عزوز، دار الخليل للنشر والتوزيع، ط الأولى، 2005م، ص39.
- 7- لقاء مع بولنوار داحية أمين مكتبة القاسمية، 2018.

وهو من أهم العلوم؛ التي قامت الزاوية بالحفاظ عليها، وهذا خدمة للسنة النبوية المطهرة، والتي تعتبر المصدر الثاني لتشريع، وقد أولتها المشيخة الرحمانية أهمية بالغة سواء من حيث التدريس، والتبجيل أو النشر، والجمع لكتب الحديث، ويرجع هذا لمكانة التي تحتلها السنة في نفوس الصوفية. فاهتمام المشيخة بالحديث كان عن طريق الحفظ، والتدوين، والدراسة، فقد انكبوا عنه دراسة، وشرحاً، وفهماً لصحیح البخاري ومسلم، ولموطأ الإمام مالك.

وقد برز اهتمام الزاوية بالسنة النبوية من خلال:

- نشر كتب السنة وتعليمها، وفي مقدمتها صحیح الإمام البخاري، وصحیح الإمام مسلم، بإضافة إلى كل الصحاح الست، وكتب الشروح والمختصرات.

- اشتهار مؤسسها بعلم الحديث، فهو يعد أحد أكبر علماء الحديث في القرن 19م، وجاء عن الشيخ محمد بن الحاج محمد في كتابه "الزهر الباسم" وكثرة اشتغاله بدرس الحديث الشريف فقد ختم عدة وافرة من الكتب المعترية، ختمات عديدة: الموطأ، صحیح البخاري، صحیح مسلم، الجامع الصغير شروح شمائل الترمذي، شرح الأربعين النووية، شفاء القاضي عياض، المواهب اللدنية، حيث يسرد على التوالي نحو الثلاث كراسات بلا تعب، ولا ملل، ولولا سامة أهل المجلس، وما يعرض من الحوائج، أو أوقات الصلوات ما كان يقطع القراءة"¹، لذا لقب "خادم السنة" حيث قيل عنه:

خادم السنة مخدوم الوری فأعجبو من خادم كيف حزم.²

- كانت الزاوية ملتقى علماء الحديث من أبرزهم: الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، محمد المكي بن عزوز عبد الكريم التارزي، بن عزوز، أحمد الأمين العزوزي، محمد المدني الطولقي، أحمد بن المأمون البلغيثي وغيرهم كثر.³

علم العقائد:

¹ - محمد الحاج، الزهر الباسم، المصدر السابق، ص 57.

² - محمد الحاج، الزهر الباسم، المصدر نفسه، ص 26.

³ - عبد المنعم الحسني القاسمي، زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 179.

سعت الزاوية الرحمانية القاسمية في تنشئة الناشئة على التربية الإسلامية الصحيحة على العقيدة النقيّة وتدرّيس علم العقائد، وذلك بالاعتماد على مؤلفات تتضمن أصول التوحيد الإسلامي فالمرجعية في الزاوية القاسمية، هي ما جاءت ملخصة في بيت ابن عاشر:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك.

ومن بين الكتب التي تدرس بالزاوية نذكر: عقيدة الإمام الأشعري (ت324هـ-935م)، حيث قامت مشيخة الزاوية بتروسيخ هذه العقيدة بين طلبتها، وحافظت على الاستمرارية، والتواصل، والتوازن، ومن جهة أخرى أعطت عناية بعقائد السنوسي منها: "العقيدة الكبرى"، والعقيدة الوسطى"، والعقيدة صغرى"، وهي المعروفة بـ: "أم المواهب"، فهي مرآة تعكس مستوى التطور العقدي، الذي عرفه المغرب الإسلامي، في تلك المرحلة.

إضافة إلى:

- ✓ جوهرة التوحيد للقاني، بشرح عبد السلام اللقاني.
- ✓ العقائد النسفية بشرح السعد النقتازاني
- ✓ الخريدة للشيخ الدردير.
- ✓ المواقف للشيخ عبد الرحمان العضد بشرح الجرجاني.
- ✓ طوابع الأنوار للبيضاوي بشرح الأصبهاني.¹

علم الفقه:

كان اهتمام الشيخ المؤسس بالفقه، بعد القرآن مباشرة، وأولاه أهمية بالغة، حيث خصص فصل الشتاء، وجزء من فصل الربيع لتدريس مختصر خليل، الذي يحتل أهمية كبرى في التعليم الديني بالزاوية. لقد انتهجت المشيخة منهجية خاصة لتدريس الفقه بالزاوية، ففي البداية يقرأ الطلاب شرح الإمام على متن "الحبل المتين"، ثم يتدرجون في طلب العلم، فيدرسون رسالة الإمام بن أبي زيد القيرواني والشرح المعتمد هو "كفاية الطالب الرباني"، لأبي الحسن.

¹-ملحق برنامج التعليم لمحمد القاسمي، الملحق رقم 1

ليقرأ الطالب في سنة تحصيله الأخيرة؛ مختصر الإمام خليل بن إسحاق المالكي بشروحه العديدة ولدرسه زمن خاص، واحتفال خاص، إذ يبدأ درسه شيخ الزاوية، ويحضر حفل افتتاحه جمع من أهل العلم، وبنهاية فصل الشتاء، وبدأ فصل الربيع، يختم دروسه بحفل مشهود من العلماء، ولتخرجه منه الطلبة برتب القضاة ومفتيين والإمامة.¹

الكتب الفقهية التي درست بالزاوية القاسمية:

- ✓ رسالة ابن أبي زيد القيرواني، بشرح الحسن الصغير.
- ✓ أقرب المسالك للدردير.
- ✓ مختصر خليل بشرح الدردير.
- ✓ حاشية الصاوي على شرح الدردير لأقرب المسالك.
- ✓ حاشية الدسوقي وشرح الحزشي والزرقاوي والخطاب.
- ✓ المجموع للشيخ الأمير.

إضافة إلى كتب أصول الفقه حيث نجد: جمع الجوامع للسبكي، بشرح الجلال المحل مختصر ابن الحاجب بشرح العضد، منار الأنوار للنسفي، بشرح ابن مالك، التنقيح لصدر الشريعة، الورقات لإمام الحرمين، بشرح المحلي وابن قاسم، الورقات للحطاب، بنظم الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي وشرحه له، التحرير للكمال بن الهمام.²

وحسب الإحصائيات الخاصة بالمخطوطات في المكتبة، نجد أن أكبر عدد للمخطوطات هو: الفقه وأصوله، إذ وصل حوالي 294 مخطوطاً، وهو ما يمثل نسبة 52.36% من مخزون المخطوطات الموجودة³، لذا بلغت الزاوية في الاهتمام به، وأولته أهمية بالغة في برنامجها التعليمي.

علم اللغة العربية:

إنَّ اهتمام الزاوية باللغة العربية، وعلوم الشريعة هو من باب المحافظة على الهوية الوطنية ومقومات الأمة، لذا أولتها أهمية عظمى في برامجها التعليمية، وراح طلبتها يحفظون أشعار العرب من

¹ - محاضرة للأستاذ المأمون ألقاها بعنوان، التعليم في الزاوية القاسمية في ملتقى أعلام المسيلة 2017.

² - رسالة المكي القاسمي، حول برنامج التعليم في الزاوية، ملحق 1

³ - محمد فؤاد الخليل القاسمي، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية بزاوية الهامل العامرة، دار الخليل القاسمي، ط2000م.

المعلقات، فبدأوا بالدراسة المعجمية، مستعينين ببعض المعاجم المنظومة مثل مثلث قطرب، مثلث ابن مالك، والمقصور، والممدود لابن مالك، وبالمتون النثرية الحافلة بالمفردات؛ مثل مقامات الحريري ولامية العرب، إضافة إلى ألفية ابن مالك في النحو وشروحها، كالمكودي والأشموني، الجرومية، البلاغة بجوهرة الأخصري، وحاشية التفتازاني، ومنتنه وتلخيص المفتاح، قطر الندى في قواعد اللغة.¹

ومن جهة أخرى فقد أولت عناية بعلوم الآلة مثل:

علم المنطق:

لقد تولى محمد بن أبي القاسم تدريس المنطق بنفسه، ومن كتب المنطق التي كانت تدرس بالزاوية:

✓ التهذيب لسعد التفتازاني بشرح الحبيصي.

✓ الشمسية شرح قطب الدين الرازي.

✓ السلم المرونق الأخصري.²

علم التصوف:

أمّا عن التصوف، وعلوم اللدنية فقد درسه المؤسس بالاستعانة بالشيخ محمد بن الحاج محمد، والشيخ أحمد الأمين بن عزوز وغيرهم، وقد تم تدريسه على مستويات:

- المستوى الأول: تدرس فيه المنظومة الرحمانية، بشرحها لعبد الرحمان بن أحمد باش تارزي، وهي أصل الطريقة الرحمانية، وفي المستوى الثاني تدرس الحكم العطائية، إلى جانب كتاب إحياء علوم الدين؛ الذي احتل مكانة خاصة في قلوب أبناء الزاوية، شيوخاً وطلبة، إضافة إلى كتاب الإبريز لسيدي عبد العزيز، الأنوار القدسية لشعراني، بستان العارفين السمرقندي، تحفة الإخوان للدردير، قوت القلوب لأبي طالب المكي... إلخ.³

لقد عملت الزاوية على الحفاظ على المرجعية الثقافية، والدينية؛ من خلال تثبيت التصوف السني كمنهج صوفي، وسط معتدل، بل راحت إلى أكثر من هذا حيث ألفت فيه كتب ودافعت عنه، فكتب

¹ - رسالة المكي القاسمي، حول برنامج التعليم في الزاوية، ملحق 1.

² - رسالة المكي القاسمي، حول برنامج التعليم في الزاوية، ملحق 1.

³ - الشيخ المأمون في محاضراته عن التعليم في الزاوية.

الشيخ المؤسس، والشيخ الديسي رسائل في الأشعار للتصوف للذَّبِّ عنه؛ كإفحام المطاعن برد المطاعن للديسي.¹

إضافة إلى بعض العلوم العقلية، مثل الفلك والحساب.

الأسلوب المتبع في تدريس هذه المواد المقررة:

روعي التدرج في التعليم بالزاوية القاسمية؛ فمن السهل إلى الصعب، مراعين سن الطالب، وقدراته الفعلية، ومن البسيط إلى المعقد، عبر كل المراحل التي يقضيها الطالب، فمثلاً في دراسة الفقه يحفظ التلميذ الحبل المتين، أو ما يسمى بـ "بن عاشر" في المرحلة الأولى، ثم يدرس بعد ذلك متن رسالة زيد القيرواني.

وفي التعليم العالي يدرس مختصر خليل، ففي البداية كان يدرس على شرح الحرشي، ولصعوبته على الطلبة، أصبح يدرس بشرح الدردير بحاشية الدسوقي.

المكتبة:

إنَّ ما يميز الحواضر العلمية؛ هو مكتباتها الغنية بالمكنوزات، والمخطوطات، ليحق لها التباهي والتفاخر، فبغداد بدار الحكمة، وتفتخر الرباط بذخائر الخزانة العامة، وفاس بمكتبة القرويين،.... فحق للجزائر أن تفتخر بمكتبات زواياها، غير التراب الوطني التي تحوي أندر المخطوطات، ومكتبة زاوية الهامل إحدى هذه المكتبات العريقة؛ بما تحويه في رفوفها، تأسست المكتبة القاسمية على لينة من تركة جد الأسرة القاسمية؛ الشيخ عبد الرحيم بن سائب بن منصور الشريف الحسني، وبقية ما ترك ابنه الشيخ أبو القاسم، لتزدهر في عهد الشيخ محمد بن أبي القاسم الحسني، بعد أن أسس زاويته بالهامل.²

لقد كان مقر المكتبة في بادئ الأمر بمقر الأستاذ محمد بن أبي القاسم، داخل سكناه وكان يستقبل ضيوفه من العلماء بها، لتُنقل بعد ذلك إلى مكان يسمى بـ "العلي"، وهي قاعة واسعة الأرجاء بالطابق العلوي، وهي في مكان آمن يتوفر على الشروط الأساسية للحفاظ على المخطوط من الضياع والإتلاف.

¹ - عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل، المرجع السابق، ص193.

² - محمد فؤاد القاسمي، فهرست مخطوطات المكتبة القاسمية، ص05.

تولى الإشراف عليها في بداية الأمر الشيخ نفسه، ثم سلم مفاتيحها، والإشراف لابنته زينب، لتتولاها بعد وفاته، ليؤول أمر المكتبة إلى الشيخ محمد بن الحاج محمد، ليتولى أمرها بعد ذلك الأستاذ الخليل القاسمي؛ حوالي نصف قرن فمن بداي 1944 إلى غاية 1994، ومنذ ذلك الحين تولاها الأستاذ فؤاد القاسمي، والأستاذ محمد المأمون القاسمي، ليعود الآن أمر توليها إلى الأستاذ الفاضل أبو الأنوار داحية.¹

المطلب الخامس: وسائل التعليم:

لقد اعتمدت الزاوية القاسمية على عدة وسائل من أجل تحقيق الهدف المرجو من الدور التعليمي والنهوض بالتعليم والرفقي، ومن بين هذه الوسائل نذكر:

أولاً: الأساتذة والمعلمون:

إنّ أبرز عامل نجاح لزاوية القاسمية، وجعلها منارة علمية، وساهم في إشعاعها العلمي؛ هو اعتمادها على ثلة من العلماء، والمشايخ الذين تولوا التدريس بها، والإشراف على المنظومة التعليمية، ومن بين هؤلاء الأسماء اللامعة: الشيخ الديسي، عاشور الخنقي، المكّي بن عزوز، أحمد بن الأمين بن عزوز، محمد بن أبي القاسم،² ويمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف:

1- أساتذة دائمون: وهم الذين يقيمون بشكل دائم في الزاوية مثل: الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي، الشيخ عاشور، الشيخ عبد العزيز الفاطمي، الشيخ حسين البوزيدي، الشيخ محمد بن عزوز القاسمي...

2- أساتذة فصليون: وهم الذين يقضون شهراً مُعينة في التدريس، ثم يعودون إلى أوطانهم: محمد المكّي بن عزوز، أحمد الأمين بن عزوز، الطاهر العبيدي، العابد الجلاي، الونوغي، بومرزاق...

3- أساتذة زائدون: ويقصد بهم أولئك الذين يغدون إلى الزاوية في مدة قصيرة فقط، يلقون دروساً بها ومنهم: عبد الحي الكتاني، أحمد المأمون البلغيثي، ع الكريم التارزي بن عزوز، الشيخ الحجوي الفاسي.³

وحسب القائمة التي وصفها محمد المكّي القاسمي؛ للأساتذة الذين تولوا التدريس بالزاوية نجد:

- الشيخ محمد المكّي بن عزوز.

¹- لقاء مع أمين المكتبة أبو الأنوار داحية، 2017.

²- محمد المكّي، رسالة حول الزاوية، ملحق رقم 3-

³- الخليل القاسمي، منهج التعليم في الزاوية، ص 16-17. نقلا عن ابنه فؤاد القاسمي.

- عبد الحي الكتاني.
- أحمد بن الأمين بن عزوز.
- الشيخ مصطفى بن الشيخ المختار.
- الشيخ حسن بن الشيخ محمد.
- الشيخ محمد بن عزوز بن الشيخ المختار.
- الشيخ عبد القادر بن الشيخ بلقاسم.
- الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ بلقاسم.
- الشيخ الحاج بن عمر بن حرز الله.
- الشيخ أحمد بن الأخضر الشريف.
- عاشور الخنقي.¹

تحتوي المكتبة القاسمية على عدد كبير من نفائس المخطوطات، حيث تشمل حوالي 800 مخطوط، أو عنوان، نحو ألف ومائتي مجلد، وهي تشمل كل أنواع العلوم، والمعارف، حيث تشمل مخطوطات الفقه أكبر نسبة إذ تضم حوالي 294 عنوان، بنسبة 52.36%، ومخطوطات التفسير حوالي 90 كتاباً، موزعة بين المصاحف، والتفاسير، ناهيك عن مخطوطات الحديث، إذ لا تقل عن 70 كتاباً، وهي كذلك تحوي كتب التصوف، فهي تضم أندر المخطوطات يصل عددها ما يزيد من 90 كتاباً، وللغة هي الأخرى حظ في المخطوطات، إذ وصل العدد إلى 135 عنواناً، وهو الرقم الذي يأتي بعد الفقه مباشرة، ويبقى التاريخ ب38 عنواناً.

بالإضافة إلى توفير الأساتذة، والمكتبة، لا بد من توفير وسائل الدراسة الأخرى من أجل إكمال العملية التربوية.

3- الأدوات والوسائل التعليمية:

لا بد من توفر وسائل تعليمية تمكن الطالب من التعلم الجيد، ولكل مؤسسة تعليمية وسائل تعتمد عليها من أجل تقييد العلم، والزاوية القاسمية كغيرها من الزوايا العلمية بالجزائر، اعتمدت على اللوح، والقلم والدواة، كوسائل تعليمية.

¹- محمد المكي القاسمي، رسالة حول الزاوية، ملحق رقم 1-

فاللوح: عبارة عن قطعة خشبية منتظمة الشكل، يوجد في أعلاها ثقب يربط فيه خيط يساعد الطالب على الإمساك بها... ويميزه بها عن غيرها من الألواح.

كما يستعمل الصلصال؛ لتلميس سطحها وتسهيل الكتابة عليها.

أمّا الحبر، والأقلام فالطلية مجرون على تحضيرهم بأنفسهم.

هذه الأدوات البسيطة تستخدم في حفظ القرآن عادة، أمّا اليوم بالإضافة لهذه الأدوات هناك أدوات حديثة مثل: القلم، والكراس، والهاتف، من أجل التسجيل الملاحظات، والدروس.

ولنجاح العملية التربوية، وضمان السير الحسن لنشاط التعليمي بالزاوية؛ لا بد من توفر نظام يحكمها ويضبط سيرها هذا ما يعرف بالسفارة.

المطلب السادس: القانون الداخلي للزاوية (السفارة):

تملك زاوية الهامل كغيرها من الزوايا نظاماً داخلياً صارماً، تخضع له كل الأسرة التربوية، والتعليمية بالزاوية، من طلبة، ومقدمين، وأساتذة، وتترتب عن مخالفته مجموعة من الغرامات المالية التي تصرف في صالح الطلبة، ويطلق على هذا القانون: "السفارة"¹

1-أقسام السفارة: تنقسم إلى:

القسم الأول: الديباجة، وتشتمل على وصية الشيخ، لأبنائه، والطلبة، والأعراش، والقبائل، لتعمير المسجد، والحفاظ على هذه العوائد، المحافظ عليها بالفلاح في الدنيا والآخرة، ويجذر المخالف بدعوة السوء من الشيخ والمشايخ قبله.

القسم الثاني: ويشمل الغرامات المترتبة على مخالفة القانون الداخلي:

أ-مخالفة الطلبة: وتشتمل ترك صلاة الصف، أو الصلاة بالتيمم دون عذر شرعي، التأخر عن صلاة الجماعة، التكلم بالجمع دون إذن، الضحك في الجمع، الضحك في الصلاة، التأخر عن قراءة الحزب أو الذكر، الجلوس في موضع الغير في الدرس، أو الجمع، عدم استعمال الحياء والأدب مع المعلمين، التعدي على حاجة الغير دون إذن صاحبها، دخول مطعم الزاوية دون إذن(النوالة)، كسر حاجة من حوائج

¹-السفارة، ملحق رقم(3).

الزاوية(الأحباس)، الخروج من الزاوية بعد صلاة المغرب دون إذن، عدم الالتحاق بالغداء أو العشاء، بعد أن ينادي(القداش) ثلاث مرات، الغياب للحاجة دون إذن، تغيير الأرض بالبول أو الغائط، البدء بأكل الطعام قبل إذن القداش، فتح باب المراح(الساحة)، بعد المغرب وقبل طلوع الشمس، التخلف عن خدمة الربيع والصيف، البصاق في المسجد، أو بقرب الطلبة، تقريب النعال من الحصير، حلق الرأس في نواحي المسجد....¹

ب- مخالفات المقدمين والقداشين: ويشمل الغفلة، الأكل قبل الطلبة، الأكل خارج النواله (مطعم الزاوية)، غياب المقدم دون استخلاف أحد مكانه، رد الغرامة وعدم قبولها، قبض الغرامة خارج مجلس الطلبة.

ويستثنى من هذا النظام الطلبة الخارجيون.

2-العقوبات ما بين غرامات مالية وهي: الثمن، الربع، والدورو، والخمسة دورو.

والعقوبات التأديبية هي: الحرمان، أو الحذف من الغداء، أو العشاء؛ في حق المتأخر من الطلبة، والنفي من الزاوية في حق المقدم؛ الذي رد الغرامة، ولم يقبلها من باب المحاباة والتفرقة.

المبحث الثالث: نتائج المنظومة التعليمية:

المطلب الأول: الشهادة أو الإجازة

يقصد بالإجازة هي: الشهادة التي تبين المستوى الذي وصل إليه الطالب خلال مسيرته العلمية، أو هي عبارة عن شهادة تبين نوع الكتب التي أجازها شيخه فيها. أو نوع العلوم التي درسها وبرع فيها، ويمكن تقسيمها إلى:

1- إجازة انتقال:

وهي إجازة تعطى من أجل الانتقال من مستوى الحجار، إلى السباق، إلى النظر، ويكون ذلك دون الحاجة لكتابة الشهادة، فيسمح المعلم لتلميذه بالانتقال من مستوى إلى آخر، وذلك نظراً لنبوغه وخلقه.

2- إجازة خاصة في علم من العلوم وكتاب من الكتب:

¹ - السفارة، ملحق رقم(3).

وهي الشهادة التي يسندها شيوخ الزاوية، وعلمائها للطلبة، الذين أمموا دراسة كتابا معيناً، أو أمموا مقرراً كاملاً في علم من العلوم، فتكون هذه الشهادة اعتراف بجهودهم العلمية، وإيداناً لهم بالقدرة على تدريس ذلك العلم، وتتضمن الكتاب الذي درسه الطالب، وسند الشيخ، أي الشيوخ الذين درس عنهم مع التذكير بفضل العلم وأهله، وقد تمنح إجازة عامة لأحد طلبة في كتب، ومرويات أحد شيوخه، تكريماً له على حرصه واجتهاده.¹

3- إجازة العالمية:

وهي أعلى شهادة، وتمثل الشهادة الرسمية التي يصبح الطالب بموجبها زمرة العلماء، ولا تمنح إلا بعد إكمال المسار الدراسي من التحضيري إلى الجامعي.

المطلب الثاني: الطلبة المتخرجين من الزاوية:

ويقصد بهم الطلبة المتخرجين من الزاوية ونوعية الشهادة المتحصل عليها:

1- عدد الطلبة:

يدل عدد الطلبة عن أهمية الزاوية القاسمية، وعن دورها التعليمي ومساهمتها في تنشيط الحركة العلمية بالجزائر.

لقد تضاربت الأقوال حول إحصاء الطلبة في الزاوية القاسمية خلال سنة منذ نشأتها، حيث كانت الانطلاقة عند تأسيس المدرسة الأولى في 1848م حوالي 80 طالباً من خارج القرية، ومع مرور الزمن تطور هذا العدد، ليصل إلى 500 طالباً، نهاية القرن التاسع عشر، يزاولون دراستهم بمختلف المستويات بالزاوية.²

في حين التقارير الفرنسية في الفترة نفسها تقول أنه ما بين 200 إلى 300 طالب،³ بينما نجد الشيخ محمد المكي في رسالته حول الزاوية القاسمية: طلبة القرآن أثناء الحرب العالمية الثانية يبلغون مائتين في بعض الأزمنة، وطلبة الدرس من الستين حتى إلى المائة، وأما قبل ففي غالب السنين لا يقلون عن خمس مئة فأكثر، والنقص في الأمور الدينية مما عمت به البلوى.⁴

¹ - أنس القاسمي، إجازات الشيخ بن عزوز القاسمي، المرجع السابق ص 63.

² - محمد المكي القاسمي، رسالة حول الزاوية، ملحق رقم 1-

³ - عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، المرجع السابق، ص 203.

⁴ - محمد المكي القاسمي، ملحق رقم 1-

وبعد حوالي 30 سنة من وفاة المؤسس قلَّ العدد ليصل إلى النصف، حيث ورد عن أحمد توفيق المدني أن عدد الطلبة قد بلغ في 1925م، في عهد الشيخ أبو القاسم حوالي 250 طالباً.¹ والشيء الملاحظ أن عدد الطلبة في الزاوية ليس مستقراً، فهو يزداد في فصل الشتاء، ويقل في فصل الصيف والربيع. ومحاولة من الأستاذ فؤاد القاسمي في إحصاء الطلبة ما بين 1848 إلى 1962م والجدول يوضح ذلك:²

عدد الطلبة	الفترة الزمنية
80-200 طالب	1848-1863
200-450 طالب	1863-1927
300-600 طالب	1927-1945
200-250 طالب	1945-1955
50-100 طالب	1955-1962

قائمة الطلبة المتخرجين:

يمكن تقسيم الطلبة إلى:

- 1- حفظة القرآن الكريم وهؤلاء يمثلون الأغلبية من الطلبة.
- 2- الأئمة: وهؤلاء هم الذين تحصلوا على التعليم الديني بالجانب مع حفظ كتاب الله.
- 3- العلماء والقضاة والفتوى: وهؤلاء من أكملوا دراستهم، وتبحروا في العلوم، وأجازهم مشايخهم في العلوم.

قائمة الطلبة الذين تخرجوا من الزاوية قبل 1935:³

لأهمية القائمة المسجلة في أرشيف الزاوية، تبيّن أسماء الشيوخ، والوظائف التي مارسوها بعد تخرجهم من الزاوية داخل الوطن وخارجه منهم:

- 1- الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد مدرس.
- 2- الشيخ المكي بن الشيخ مختار.

¹ - أحمد توفيق المدني، حياة الكفاح، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، ط 1977 ج 1، ص 09.

² - عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، المرجع السابق، ص 8.

³ - نقلا عن أرشيف الزاوية القاسمية.

- 3- الشيخ حسن بن الشيخ محمد.
 - 4- الشيخ بنعزوز بن الشيخ المختار.
 - 5- الشيخ عبد القادر بن الشيخ بلقاسم.
 - 6- الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ بلقاسم مدرس بالحجاز.
 - 7- الشيخ حميد الإبراهيمي مدرس بالحجاز.
 - 8- الشيخ العابد بن محمد الجلاي مدرس بأولاد جلال.
 - 9- الشيخ الحاج بن عمر بن حرز الله مدرس بالزاوية القاسمية.
 - 10- الشيخ الزروق.
- والقائمة تطول.

من خلال العرض السالف للتعليم في الزاوية القاسمية، يمكن أن نقسم تطور التعليم فيها إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

المرحلة الأولى: التعليم قبل الثورة:

حيث تميز هذه الفترة بداية العهد العثماني حتى اندلاع الثورة، بالبساطة فكان عبارة عن ردة فعل لسياسة الفرنسية، الادماجية الفرنسية، التي تهدف إلى طمس الهوية الوطنية، والثقافة العربية، فكان التعليم مركزاً على الأصالة الجزائرية، الإسلامية والعربية، من خلال تحفيظ القرآن، واللغة العربية بالدرجة الأولى، معتمدة على أساليب بسيطة في التدريس، مكتفية بأساتذة الزاوية في التعليم، وقد كان الشيخ الزاوية الذي يتولى مهمة التدريس، وتحفيظ القرآن، والكتابة لوحده، مستعيناً ببعض الطلبة النجباء.

أما عدد الطلبة: فقد تراوحت أعدادهم حوالي 400 طالب إلى 500 طالب منذ عهد المؤسس وأغلبهم كانوا يدرسون في قسم القرآن الكريم.

• المقررات:

لقد ركزت على تحفيظ القرآن الكريم واللغة، وهو ما يسمى بالتعليم الديني، وبعض المتون وكتب في الفقه، والسيرة، والتصوف.¹

¹ - أرشيف الزاوية القاسمية.

ورغم بساطة المنهج والأسلوب والأدوات، وطرق التدريس، في هذه المرحلة كان الهدف من هذا التعليم حفظ القرآن الكريم في الصدور، واللغة العربية مقابل الفرنسية. وكان من نتائج هذا التعليم في هذه الفترة انتشاره بكثرة، ووفود الناس عليه، حتى وصل عدد الطلبة بين 400 طالب أو 500 طالب، في مجلس الشيخ أبو القاسم الهاملي، مؤسس الزاوية القاسمية، ورغم استمراره بصعوبة، إلا أنه حقق جزءاً مهماً كان مرجواً منه؛ حيث تخرج حفظة القرآن، والأئمة، وتعلم الناس، الكتابة، وأجازوا الكثير من الطلبة، في الكتب بتنوعها.¹

المرحلة الثانية: التعليم أثناء الثورة:

وكما هو معلوم فقد تعثر التعليم أثناء الثورة التحريرية، خاصة في فترة بعد الخمسينات نتيجة ضغوطات فرنسية إدارية فلم تبقى تلك البرامج، وتلك المنظومة سائرة في المعهد وأقسام الزاوية القاسمية، إضافة إلى أن الشيوخ، والأساتذة منهم من هجر المنطقة، ومنهم من اعتقل، ومنهم من انضم لصفوف الجيش التحرير، إلا أن طلابها فضلوا روح المقاومة في جيش التحرير، ونظام التدريس قد لخصته وثيقة لجيش التحرير الوطني الجزائري للولاية السادسة كما هو مبين في الجدول الآتي:²

الوقت الأيام	8	9	10	11	12	3	4	5	6-7
السبت	القرآن	القرآن	القرآن	مبادئ الدين	أناشيد	القرآن	القرآن	الحساب	مراجعة
الأحد	القرآن	القرآن	القرآن	مبادئ الدين	مطالعة	القرآن			
الاثنين	القرآن	القرآن	القرآن	مبادئ الدين	أناشيد	القرآن			
الثلاثاء	القرآن	القرآن	القرآن	مبادئ الدين	مطالعة	القرآن			
الأربعاء	القرآن	القرآن	القرآن	مبادئ الدين	أناشيد	القرآن			
الخميس	القرآن	قرآن	قرآن	مبادئ الدين	مطالعة	القرآن			

¹ - محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، سوريا 1989، ص 159. /تركي رايح، التعليم القومي، والشخصية الوطنية والتوزيع، ط1، ص 236.

² - أرشيف الزاوية القاسمية.

ومن خلال الوثيقة نستكشف أنّ هناك علاقة متابعة، وتنسيق من طرف الجيش أثناء الحرب مع إدارة الزاوية، ورفع التقارير الخاصة بهم ومتابعة المسار التعليمي بها، هو كالتالي:

. القرآن الكريم .

. مبادئ الدين الإسلامي (يضم ملخص قواعد الإسلام والإيمان).

. السيرة النبوية من الولادة إلى الوفاة.

. الحساب .

. المطالعة مختلف التخصصات المطابطة للمنهج ومواضع الدروس .

. الأناشيد الدينية والوطنية .

تكون الدراسة 10 ساعات يومياً، ما عدا يوم الجمعة، ومساء الاثنين، يتمتع التلاميذ بخمس دقائق راحة فقط، في كل ساعة، كما تخصص الساعتين 7-8 لطلبة الخارجيين عن مركز التعليم.

● العطل:

أما الراحة السنوية 15 أوت إلى أول سبتمبر أي حوالي 15 يوم فقط.

* راحة عيد الأضحى ثلاث أيام، وعيد الفطر 3 أيام، وكذا المولد النبوي.

* راحة نوفمبر يوم تكون لإحياء عيد الثورة.

* 8 ماي يوم واحد حداد عن مجازر 1945.

* 5 جويلية يوم واحد حداد عن دخول فرنسا للجزائر.

* 19 سبتمبر يوم واحد، ذكرى تأسيس أول حكومة جزائرية.¹

المرحلة الثالثة: التعليم بعد الاستقلال:

تميز بتأسيس المعهد القاسمي، حيث تعود فكرته، إلى زمن تواجد الزاوية، فخرج إلى النور من خلال رسالة موجهة من أحد قادة الثورة، إلى الشيخ الزاوية أنذاك مصطفى القاسمي، سنة 1957 تقديراً له عن دوره في الثورة، وتكريماً له للعمل المبذول أثناء الثورة، والعمل المنوط بها بعد الإستقلال.

¹ محمد الرؤوف قاسمي الحسني، مؤسسة زاوية الهامل العلمية، المسار التاريخي والتحولات الهيكلية، رسالة الدكتوراه الدولة في علم الاجتماع، إشراف الأستاذ سماتي محفوظ، 2006-2007، ص 228.

فبعد أن سطعت شمس الحرية على ربوع الوطن، حتى شهد المعهد القاسمي تطورات؛ تمثلت في استقلاله عن الزاوية، فعهد ضباط الولاية السادسة رئاسة إلى الأستاذ الخليل القاسمي، وتكوين معهد إسلامي عربي أصيل، يربط ثقافة الماضي بالمستقبل.

● تأسيس المعهد القاسمي:

لقد تم إنشاء المعهد يوم 1962/07/01، ليتم تدشينه من طرف ضباط المنطقة، والناحية العسكرية السادسة يوم 1962/07/09، منذ هذا الوقت وهو في تطور مستمر، ومتواصل، فقد بلغ درجة في التنظيم، والتسيير الحسن، الذي لم يسبق له مثيل، فاستقل عن الزاوية نظاماً، وأسلوباً، ومنهجاً، ليستطيع أن يؤدي الرسالة المنوطة به، فقد زود المدرسة الجزائرية بإطارات علمية وكفاءات تربوية.

إن بداياته عبارة عن إستجابة للظروف التي كانت الجزائر تمر بها، قبيل الاستقلال فهي في أمس الحاجة للنخب، والكفاءات العلمية للنهوض بالتعليم، وبالمدرسة الجزائرية، ومن ثمة كان تكوين الدفعة الأولى تكويناً علمياً وتربوياً، وفق برنامج خاص مكثف، يهدف إلى إعدادها لتخرج في نهاية السنة الدراسية.

وفي سنة 63 تقدمت هذه المجموعة لمسابقة توظيف لتلتحق بسد الشغور في سبتمبر 1963، فوجه أغلب طلبته للتدريس، والبعض منهم تقدموا للشهادة الابتدائية للكبار التي تسمح لحاملها بأن يمارس وظيفة إدارية. في حين بقي بعض الطلبة في مقاعد الدراسة، يزاولون تعليمهم ليرتقوا في مستوى التعليم. دامت هذه الحالة إلى غاية سنة 1968م والتي تميزت ب:

- طلبة يتدرجون للإلتحاق بالتعليم، أقل من ذلك لمناصب إدارية، ثم فئة الغالبة تتدرج في التعليم، وتقدم قوائم الكفاءات، والإطارات، والمسابقات
- الشهادة الابتدائية للكبار.
- مسابقة الإلتحاق بمدارس المعلمين.
- شهادة الأهلية.

ولالإشارة فإن الإدارة في كل سنة تقوم بإمتحان إنتقائي للطلبة الذين يأتون من جهات ومستويات، وأعمار مختلفة، وتقدم قوائم بشكل رسمي، لكن بطريقة حرة للمسابقات وهذا كله في إطار الشهادات التي أشرفت عليها وزارة التربية الوطنية.

وخلال السنة الدراسية 68-1969. حاولت وزارة التربية الوطنية إلحاق المعهد بالوزارة لكن دون جدوى. حيث أصر مديره على بقاءه على الوضعية التي هو عليها، وتميزت هذه الفترة برفع المستوى إلى التعليم المتوسط نهايته للحصول على الشهادة الأصلية، فبلغ عدد الطلبة حوالي 600 طالب، حيث فرض عليهم إشتراك يدفعه قدره 500 دج سنويا، مع بقاء الإعفاء للفقراء، والأيتام من الطلبة، وأبناء الشهداء وأبناء القرية، وحفظه كتاب الله.

فانقسم الطلبة إلى في هذه الفترة إلى جزء إلى أهلية التعليم العام، والبعض منهم إلى أهلية التعليم الأصلي وللإشارة فإنه قبل أن تنشأ بكالوريا التعليم الأصلي، كان كل الطلبة يتوجهون إلى بكالوريا التعليم العام.

إن تطور التعليم في هذه المرحلة عرف قفزة نوعية، وذلك بعد أن باشر المعهد القاسمي التعليم الأصلي، بأمر من وزارة الشؤون الدينية، بشرط أن يخضع لتفتيش من حيث المؤهلات العلمية والتربوية للمعلمين، مع تطبيق مناهج التعليم الأصلي، ومراقبة البناء والتدهيز. ليتم رفع المستوى أدبيا من التعليم الابتدائي، والمتوسط، إلى الثانوي.

ومنذ سنة 1970 أصبح التعليم في المعهد يراعي المقررات التي كان معمول بها في مؤسسات وزارة التربية الوطنية من الإعدادي إلى الثانوي، مع إضافة بعض المواد في العلوم العربية والدينية، حيث كانت اللغة العربية مكثفة بصفة أكبر، واختير مقرر تكثيف المناهج الموجود في الوزارة التربوية، وكذا المنهاج الموجود في مؤسسات التعليم الأصلي، مراعين في ذلك الطلبة المؤهلون إلى وزارة التربية، والذين هم مؤهلون إلى وزارة التعليم الأصلي، وكذا إرتفاع عدد الأساتذة، والمدرسين فأصبح حوالي 15 أستاذا و10 مدرسين.

إن الناظر إلى السيرة العلمية في المعهد يجدها تتحسن من الحسن إلى الأحسن سواء كان ذلك من ناحية.

الطلبة:

لقد بلغ عدد طلبة المعهد عددا كبيرا مقسمين الى أفواج، ويكون التدرج في السنوات وفق إجراء الامتحان فقد تختصر الإعدادية في سنتين، بدل أربع سنوات، والثانوية في سنتين.

المقررات:

لقد تطورت المقررات حسب مستوى التعليم ففي 1962-1964 الطلبة كانوا يأخذون مقررات مكثفة، وسريعة، لتخرج فئة من رجال التعليم، فكان البرنامج حسب الفترة الزمنية التي يعطى فيها المقرر بداية 1964 م، وتخرج الدفعة الأولى لحملة الأهلية لترى المقرر المناسب لهذه المرحلة. وبعد سنة 1970 أصبح المعهد يتماشى والمقرر المعمول به في وزارة التربية في المستوى الإعدادي والثانوي.

استمر المعهد في النجاح وإعطاء التميز، والتفوق عن غيره من المؤسسات التربوية في الكم والكيف، حيث شهد مشاركة باكالوريا عام، 1971 إذا حقق نجاح فيها مئة بالمئة وهو ثالث ثلاثة على الوطن. بالإضافة إلى قسنطينة، باتنة، المعهد القاسمي بالهامل.

تخرج من المعهد حوالي 2000 طالب هم اليوم إطارات.

إنّ نتائج امتحانات المعهد في 1974 م دليل على نجاحه في أداء مهمته حيث كان عدد الناجحين:

في شهادة الأهلية 120 ناجحا من 140 مترشحا.

في شهادة البكالوريا 20 ناجحا من 25 مترشحا.¹

الأساتذة: ففي سنة 1962-1965م، اعتمد في المعهد على نخبة رجال الزاوية أنفسهم، رغم استقلاليتها التامة عن الزاوية، وذلك كون المرحلة كانت من أصعب، وأخرج المرحل نذكر منهم: الأستاذ الخليل القاسمي مدير المعهد، الأستاذ أحمد القاسمي، والأستاذ الأمين القاسمي، عز الدين القاسمي الأستاذ محمد المأمون القاسمي.

ليتطور الأمر إلى الاستعانة بأساتذة مشاركة ومغاربة، ليلتحقوا بتدريس بالمعهد في إطار التبادل والزيارات العلمية ففي سنة 1964، تم الاتصال برئيس البعثة الأزهرية من الفلسطينيين والمصريين.

إلى أن أصبح التعاقد يتم مباشرة بين المعهد، وبين المشاركة خاصة المصريين، في جميع التخصصات؛ حتى العلوم العلمية الدقيقة الفيزيائية عندما دعت الحاجة لذلك. خاصة أنّها مواد جديدة في المقرر، ليصل عدد إلى 15 أستاذا، و10 مدرسين، وأغلب هؤلاء الأساتذة لهم الدرجة العلمية العالمية، والإجازة

¹ -موقع الصفحة الرئيسية لزاوية الهامل، المعهد القاسمي، 12-02-2022، على الساعة 10:32.

بالتدريس، قام المعهد القاسمي باستخدامهم، والتعاقد مع هؤلاء على العمل بصفة مستقلة، وبعيدا عن كل الضغوطات.¹

لقد عرف التعليم منذ الاستقلال في الزاوية القاسمية قفزة نوعية، وتطور ملحوظ، وذلك بعد أن انفصل المعهد عن الزاوية هيكلاً، وإدارة، ومقررات، ومناهج، فقد استعان بأساتذة من المشرق، والمغرب بالإضافة إلى تنوع في المقررات، والمناهج، وتكثيف الدراسة، فأصبحت تقام فيه إمتحانات رسمية مثل شهادة البكالوريا.

كما حقق المعهد القاسمي التدرج في المستوى وإجراء إمتحانات الإنتقال من مستوى لآخر، كما اعتمد فيه مقررات وزارة التربية الوطنية بعد أن انضم إليها، ودرست فيه كل العلوم واللغات الأجنبية، وأصبح عبارة عن مؤسسة علمية رسمية تقام فيها البكالوريا، ورغم هذا التطور الناجح في المعهد القاسمي، حافظت الزاوية القاسمية بالمقابل على التعليم الديني بها وعلى مقرراتها، ومنهجها في التعليم ومواصلة مسيرتها في العطاء العلمي، وخاصة الديني مع إضافة بعض اللمسات الجديدة، خاصة بعد أن أغلق المعهد القاسمي، وتوقف عن العطاء العلمي، أضافت الزاوية تعلم اللغات الأجنبية، والإعلام الآلي وبعض المقررات وهذا كله خدمة للعلم وطلابه.

لقد ظلت المشيخة الرحمانية للزاوية القاسمية الشيخ محمد المأمون القاسمي حريص على خدمة العلم رغم وجود مؤسسات علمية متعددة من طور الابتدائي، متوسط، وثانوي، والجامعة، ومخابر بحث إلى أنه ظل دؤوبا في العطاء، والدفاع عن المنظومة التعليمية والدفاع عنها، وعلى ما يخدم الهوية الوطنية ويحافظ عليها، ومقومات الوطنية، ولا يخرج عن تاريخنا، وعقائدنا، وهذا ما لمسناه في ورقة تعديل الدستور لسنة 2021-2022، حيث أبدت المشيخة رأيها وحرصها على ضرورة الإهتمام بالعلم، لأنه أساس بناء الأمم والحضارات من خلال الدعوة لتصحيح المنهج التربوي ككل، بقوله "إنّ المنهج التربوي الذي ندعو إليه هو المنهج الذي يخص الأجيال بركن الإسلام، ويؤهلنا للنهوض المنشود ويجعلنا قادرين على مراجعة تحديات الحاضر، والمستقبل إنّه المنهج الذي يعني ببناء الإنسان وتكوين المواطن الصالح، ويغرس في النشء حب الوطن، وحب الخير، وحب العمل".²

¹ -صفحة الرئيس لزاوية الهامل، لقاء مع الأستاذ فؤاد القاسمي، يوم 2022/01/16.

² - محمد المأمون القاسمي، ملاحظات السيد المأمون بشأن المشروع التمهيدي لتعديل الدستور 2020م، 2021م، ص4.

كما أكد على الإهتمام بالمراكز، والمؤسسات التربوية؛ باعتبارها محاضن الأجيال "إن المؤسسات التربوية التعليمية هي محاضن الأجيال، وهي لها الحصن الحصين، تكمن فيه حماية الأمة، والحفاظ على أصالتها، ومقومات شخصيتها.

لقد أكد الشيخ المأمون في عريضة على الحرص الدائم من المنظومة التعليمية والأسرة التربوية، وضرورة الانتقاء، والتنبيه على المسؤولية المرماة على عاتقهم والمؤسسة التربوية لها أدوار جلييلة منها تعزيز الشعور بالانتماء الحضاري لدى الأجيال، حتى لا يتغلب شباب الأمة خصما لدينه ووطنه أو يتنكر لهويته ومقومات أمته، وراح يلتمس التركيز على المرجعية والدعوة للوسطية والاعتدال في اختيار المناهج التربوية، بعيدا عن الدعوة للشذوذ والعصبية والتشدد مؤلي أولي الأمر، والقائمين على الوزارة الوصية وكل الأسرة التربوية المسؤولية وضرورة التحلي بالمسؤولية، والعمل الجاد في حدود تعاليم ديننا مؤكداً على أن الزاوية لطالما كان همها تربية النشء على منهج معتدل. يقول في هذا الصدد "لقد كان أكبر همنا العناية بتربية النشء، على منهج الوسطية، والاعتدال، وحماية الأجيال من تيارات الغلو والتشدد كما أن أكثر الأولويات إلحاحا حماية الأجيال من التيار التغريب؛ الذي يسعى دعائه إلى تميع شبابنا واغترابهم وإفساد أخلاقهم، والعمل الكليّ ينشأ في الأمة جيل لا يحفل بدينه ولا يقيم وزنا لقيمته وأخلاقه".¹

إن الجانب الروحي بمبني عن الدور العلمي للطريقة، فهما متربطان متكاملان، يكملان بعضهما البعض، فلن يكون صفاء إلاّ بالعلم، فالتربية تستلزم العلم، لذا ركزت المشيخة الرحمانية على التربية والعلم منذ البداية، واعتبرتهما اللبنة الأولى لتعاليمها لبناء وخدمة مجتمع متماسك.

¹ - محمد المأمون القاسمي الحسني، وملاحظات السيد المأمون المصدر نفسه، ص 8.

الفصل الخامس

الطريقة الرحمانية في خدمة المجتمع الجزائري

المبحث الأول: التعاون، والتضامن، والتكافل الاجتماعي، في الطريقة الرحمانية.

المبحث الثاني: العلاقات الأسرية.

المبحث الثالث: حلّ النزاعات وفك الخصومات والشفاعات.

المبحث الرابع: محاربة الآفات الاجتماعية، والدعوة للحفاظ على عادات، وتقاليد المجتمع الجزائري.

تمهيد

تعد الطريقة الرحمانية من الطرق الصوفية الباطنية، وخصوصاً، وسط المجتمع الجزائري، خلال القرن 19م، هذا يرجع للدورها، الذي تقوم به وسط المجتمع الجزائري؛ فهي بمثابة مراكز إشعاع تربوي، وعلمي، ومنبعاً للهداية، والفضيلة، والأخلاق، وأنها صاحبة الفضل، في الحفاظ على الإسلام واللغة العربية، والوطنية السمحاء. إلا أنّ دورها لم يقتصر على الجانب التربوي، أو العلمي، فحسب بل تعداه إلى مختلف الجوانب، خاصة خدمة المجتمع، فالزوايا الرحمانية كانت منذ البداية، ولا زالت إلى اليوم مؤسسات اجتماعية فريدة من نوعها، فهي ما تزال متغلغلة في المجتمع الجزائري، وعنصر فاعل فيها، فهي

كما يقال أصغر من دولة، وأكبر من حزب. فقد استطاعت أن تكسب ثقتهم، وذلك راجع للخدمات الجليلة، التي تقدمها للمجتمع الجزائري، فهي مركز الحلّ، والعقد، والتضامن، والتكافل الاجتماعي ومع مرور الزمن، تأكد الناس، أن شيخ الزاوية هو أقدر الناس على تلبية احتياجاتهم، وحلّ مشاكلهم وتقديم المساعدات للمحتاجين وغيرها من الأدوار.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا الدور الذي تقوم به الطريقة الرحمانية في خدمة المجتمع بشقيه النظري والعلمي، والذي سنحاول في هذا الفصل بيانه بكل معطياته، من خلال المباحث الآتية:

1/- التضامن والتكافل الاجتماعي داخل الطريقة الرحمانية.

2/- العلاقات الأسرية.

3/- حلّ التزاوغ والخصام بين المتخاصمين.

4/- محاربة الآفات الاجتماعية (التطرف العقدي، والغلو في الدين، المخدرات، والتدخين، السحر، والشعوذة)، والدعوة للحفاظ على عادات، وتقاليد المجتمع الجزائري، (الاحتفالات بالمولد النبوي، الحجاج، الدعوة للقيم السمحاء، والوطنية، والحفاظة على المرجعية الدينية والفقهيّة)

المبحث الأول: التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي في الطريقة الرحمانية:

يعد التضامن، والتعاون، سلوك إنساني حضاري، تدعو له جميع الأديان؛ وقد جاء في القرآن الكريم، ما يدعو له في قوله تعالى: "وتعاونوا على البرّ، والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب" المائدة 02 ، فالتعاون، والتضامن، قيمة شاملة، لكل الجوانب الحياة، فمن خصائصه هو الاندماج، والذوبان، والانضمام، تحت راية واحدة والتكافل في العمل الخيري، بتكميل النقص، على أساس المحبة، والترابط، والتلاحم، وتحقيق الخير، وتجديد الطاقة، وشحن الهمم، والتسابق نحو العمل المثمر، ونفي الفوارق بين الناس، وقد سعت الزاوية الرحمانية؛ باعتبارها مؤسسات اجتماعية

فاعلة في المجتمع الجزائري، سواء الحضري، أو الريفي، إلى التعاون وسط أفراد المجتمع الواحد، ونبذ الفوارق التي تفكك، وتقسّم المجتمع، إلى طوائف وطبقات.

فرغم تنوع التركيبة السكانية للطريقة الرحمانية، فهي تضم جميع شرائح المجتمع الجزائري وطبقاته وأعراشه، إلا أن روح التعاون، والتضامن، والمؤاخاة، لا تنعدم بحال بين أطيافه ويعتبر العمل؛ في إطار العمل الجماعي، من السمات المميزة للمجتمع الرحماني، ولعل الأمثلة الدالة على سيادة تلك القيم السامية كثيرة.

المطلب الأول: العمل التطوعي (التبوية)

لقد سعت المشيخة الرحمانية، عبر كامل التراب الوطني كل باسمه، ومقامه، للتضامن والتعاون، مع المجتمع الجزائري وتعزيز أواصره منذ البداية حتى اليوم، في كل الظروف والأزمات، وتلبية احتياجاته، من خلال الانخراط، في المجتمع المدني، ومناقشتهم لمعرفة حاجاتهم، وتلبيتها، وبذل الجهد في تنمية الروابط الأخوية، والمحبة بين أرباب الأموال والفقراء، فقد عملت منذ البداية، على تأهيل طلبة العلم، للحياة الجماعية، القائمة على التعاون، والتضامن، ونبذ الفوارق، بتدريب الطلبة على العمل التطوعي الجماعي خدمة لمصلحة عامة، أو منفعة اجتماعية، وهذه المبادئ الإسلامية، التي درسها الطالب وتدرّب عليها في الزاوية، ليطبّقها في مجتمعه من أجل إقامة مجتمع متعاون متكافل تسوده روح الأخوة والتضامن.

ومن شأن التربية والتعليم في حواضر الزوايا الرحمانية أن تُعيّن روادها وطلبتها على مقاومة الأنانية، وحب الذات، وتعزز في نفسه روح الإحسان، والتعاون مع إخوانه، وسدّ حاجاتهم.

وتحبب إليه فعل الخير، والتعاون عليه، لتتولد المحبة بين الجميع، وتتوثق صلاتهم، وتكون منهم الرعاية للصغير، والاحترام للكبير. وبفضل هذه التربية التي يأخذونها داخل الزاوية يستمر الكثير منهم على عهدهم طوال حياتهم، بل ويكرسون على اللقاء والاجتماع في الأعياد والمناسبات، داخل الزاوية التي درسوا في رحابها.

لقد تعددت وتنوعت أشكال العمل التطوعي؛ الذي دعت إليه الزوايا الرحمانية، ولعل أول هذه الأعمال التطوعية هي مدّ يد المساعدة في بناء جسر، أو منزل، أو قنطرة، أو إعادة هيكلة طريق عمومي وإقامة الأعراس الجماعية، والختان الجماعي داخل الزوايا وغيرها من الأعمال التطوعية؛ التي سعت الزوايا الرحمانية لغرسها في المجتمع الجزائري منذ البداية إلى اليوم، وفق نظام أخوي تسوده الرحمة

والحبة، وهو ما يعرف بنظام التوزيع⁽¹⁾ وهي عادة يقوم بها الجزائريون أيام الشدة، وقد تجلت صورتها في المجتمع الجزائري، وفي منطقة القبائل خاصة في بوم قطف ثمار الزيتون؛ حيث اتخذها القبائل كمظهر للتضامن فيما بينهم لجمع الزيتون من الجبال، وعصره في المعصرة. أو للحصاد جماعات، فيقيمون أياماً في الجبال حتى إنهاء العمل في جوّ يسوده الفرح، والتعاون، والتضامن، وإلتصقت التوزيعة بالعمل الفلاحي، في المناطق الريفية أكثر منها الحضرية.

كما حافظ المجتمع الهاملي على نظام التوزيع في إعادة بناء الزاوية القاسمية، والمعهد القاسمي وكذا خدمة الأراضي، وجني ثمارها خاصة أوقات الحصاد والدّرس. فقد كان طلبة الزاوية يخرجون أفواج أفواجا إلى الصّحاري من أجل جمع الحجارة، وإعادة بناء القنطرة والطريق لما تعاون طلاب الزاوية وسكان بلدية الهامل في إعادة بناء الزاوية القاسمية والمسكن الطلابي، وتزويد الزاوية بالغاز، والماء، وغيرها من الأعمال الخيرية التطوعية، فالتوزيعة التي حافظت عنها المشيخة الرحمانية في زواياها هي عادة جزائرية قديمة، وعملية إيمانية⁽²⁾ مبنية على التعاون، والإخاء، وإرضاء الله عزّ وجلّ، فأول ما ينادي إليها يكون في ساحة الزاوية، أو منبر مسجده، وذلك للبركة، وللإضفاء على العمل الخيري الجانب الروحي القدسي، والبركة من خلال الكلمات التي يرددّها الأفراد، أثناء ممارسة العمل، و التضامن فيما بينهم كقولهم: "باسم الله بديت وعلى ربي توكلت و نويت" لا إله إلاّ الله هو سبحانه" و بعض الأدعية والإبتهالات أثناء العمل التطوعي⁽³⁾.

لقد تعددت الأعمال التي استخدمت فيها التوزيعة كنظام إنساني، للتعاون، والتضامن، سواء الحصاد، أو الترميم، أو إعادة بناء السدود، أو المساجد، والزوايا، وكان الإعلان عنها في المسجد، أو الزاوية عقب الصلوات الخمس، ويجدر الإشارة أنّ الزاوية القاسمية بنت أغلب مرافقها بواسطة أعمال التوزيعة بين أبناء الهامل، وبوسعادة، وكلهم على نفس رجل واحد. ومن أمثلة تلك المشاريع نذكر: استصلاح الأراضي، وزراعتها، حيث استصلح عشرات الهكتارات بوادي الهامل والمناطق المجاورة، وبناء السدود، وشق السواقي ورفعها، وجعل كل ذلك وقفاً للزاوية.

1 - التوزيعة، تعرف في بلاد القبائل بـ "أنديل" وهي التعاون على العمل التطوعي الخيري.

2 - زيارة الهامل، 2019

1 - دوارة أحمد، دور التوزيعة كممارسة دينية ثقافية إقتصادية. دط، ص 14

إنّ الزوايا الرحمانية في القطر الجزائري حافظت على العمل التطوعي، المتمثل في التوزيع سواء في جانب الفلاحة، أو الزواج الجماعي، أو الختان الجماعي للأطفال. وبالنسبة للمرأة في نشاطها اليومي مثلاً: إعداد الكسكس، وتحضير بعض الأكلات لفصل الشتاء، مثل الفلفل المرقد، وتجفيف التين، والطماطم، وبعض التوابل، حيث يتطلب العمل التعاون فيما بين نساء الزاوية، ونساء المنطقة، فكانت النسوة يجتمعن معاً من أجل إعداد الأكل، والنسيج، و غزل الصوف، وغسلها. فالمرأة هي الأخرى كان لها الحظ الوفير في المحافظة على قيم وعادات المجتمع الجزائري، خاصة العمل الجماعي؛ التوزيع جنباً إلى الرجل، فلم تقتصر التوزيع على الرجل فقط.

وفي الختام إنّ العمل التطوعي الخيري؛ الذي نادى إليه الطريقة الرحمانية، وسعت من أجل تطبيقه وترسيخ قيم التعاون، والتضامن، من خلاله في مختلف زواياها، ما هو إلاّ تجسيد لصوت الجماعة والإرث الثقافي الجزائري. فالمجتمع الجزائري غنيّ بحكم، وأمثال التي تدعو للتعاون، والتضامن منها: "اليوم علينا، وغدوة عليك"، "عاونه بيد، يعاونك بزواج"، "المعاونة تمكك النصارى، ولا تعاد خسارة"، وهي كلها تدل على التعاون، والتضامن، داخل المجتمع الجزائري، ونبد الفرقة. وتخفف من معاناة الأفراد، من خلال التكفل بالفقراء والمحتاجين، وتنجز الأعمال التي فيها عسر، وجهد، وبأقل جهد ومال، ووقت، فتعم بذلك الفائدة، وهذه في الجانب المادي لها.

أمّا الجانب المعنوي الروحي؛ التي تسعى لها التوزيع، فهي أوسع، وأشمل، فأساسها التعاون الذي يخلق في نفسية الأفراد الشعور بالوحدة، وهذا الشعور يؤدي بهم إلى التكافل، والتكامل، فيما بينهم من خلال أداء أعمالهم، فيقسمون الأعمال فيما بينهم، فيأخذ كل واحد عمل ليقوم به، متكاملين في ذلك فيما بينهم، فيظهر العمل متناسق، ومتجانس، والتوزيع هي رابطة من روابط اللحمة في المجتمع الجزائري وتماسكه، وتضامنه، وقد تجسدت في عدة أنظمة، ففي منطقة القبائل مثلاً لمسناها في وقت جني الزيتون وعصره في المعصرة، وفي الصحراء نجده في وقت تلقيح النخيل، ويكون ذلك في شهر مارس، حتى غاية ماي، حيث يذهب أبناء الزوايا الرحمانية في جماعات إلى غابات النخيل لتأبينها، هذا ما لاحظناه في مدينة طولقة، حيث خرج الطلاب إلى غابات النخيل، من أجل تلقيحها، ويوم جمع التمر، كذلك يكونون متعاونين فيما بينهم⁽¹⁾.

¹ - زيارة لزاوية طولقة في 16 مارس 2017.

ومن أشكال التعاون، والتضامن داخل النسق الرحماني الذي تجسد في صور عديدة و متنوعة منها:

المطلب الثاني: كفالة الأيتام، والأرامل:

لقد خلف الاستعمار الفرنسي الكثير من الأرامل، والأيتام، ليس لهم مأوى غير بيوت الزوايا التي كانوا يقصدونها، لذا أولت الزوايا الرحمانية وفي مقدمتها زاوية الهامل، وزوايا منطقة القبائل "الصدوق" اهتماماً واسعاً بالأيتام من خلال إيوائهم، والتكفل بهم، وبجaciasهم، ومما ورد في الزهر الباسم أيضا في نفس الصدق: " كانت الزاوية محلا للفقراء، والأيتام، والغرباء والمساكين، والأرامل، والزوار، والطلبة وكان عدد الذين يُموئهم الشيخ المؤسس على الدوام وهو في حكم العائلة نحو الألف نفس،" وهو الكلام نفسه ورد في التقارير الأمنية الفرنسية حيث جاء فيها ... كريم إلى (1) أبعد الحدود و منزله مفتوح الأبواب دائما و قسم كبير من الهبات التي تصله يستغلها في أعمال البناء، الفلاحة، والتعليم، الثقافة، والقسم الآخر من الهبات كان يُخصصه للأعمال الخيرية والهبات، وقد تكفلت الزاوية القاسمية بالأيتام من كل الجوانب هذا ما قاله السيد محمد المأمون: (2)

- تتكفل الزاوية القاسمية كغيرها من الزوايا الطريقة الرحمانية بالأيتام من كلا الجنسين إناثا وذكورا والذين يفتقدون للرعاية الاجتماعية حيث تسعى المشيخة الرحمانية لتوفير كل من:
- الإيواء والحماية، والأمن لهم، بل حتى الجو، والدفئ العائلي، حيث يستفيد الأيتام من نفس الخدمات التي يستفيد منها الطلبة في مجال الإيواء، إلا أن الإناث؛ فهن يقمن في الجناح العائلي، ويعشن مكرمات، معززات، حتى يتزوجن، وتبقى الزاوية هي البيت الأبوي لهن، في كل ظرف وحين.
- أمّا عن التكفل المادي فقد وفرت الزاوية كل ما يحتاجه اليتيم، لتحفظ له كرامة، و حياة سعيدة فقد كان ينفق عليهم، من مال الزاوية، وأحيانا من مال الشيخ الخاص به، وفي بعض الأحيان، كان يهبه المال، وينسبه له حتى يبلغ سن الرشد، ويكفيه حاجته، وسؤال الناس، كما ساهمت الزاوية في زواج الأيتام، سواء الذكور، أم الإناث، وضمان لهم حياة كريمة، وأزواج صالحين. كما سعت الزاوية؛ فيما

² لقاء مع الشيخ محمد المأمون بزوايته.

³ - نقلا عن نسخة التقارير الفرنسية حول الزاوية الهامل، نسخة مصورة بالزاوية الهامل القاسمية بالهامل: يوم، 16 مارس 2018.

بعد ذلك إلى توفير مناصب عمل مستقرة للأيتام، سواء في مجال الإمامة، أو في مجالات أخرى، تكفل لهم حياة كريمة⁽¹⁾

إنَّ اهتمام الزوايا الرحمانية بالأرامل، والأيتام، لم يكن وليد صدفة، أو شفقة، بل هي التزام برسالة الزوايا الأولى، وأساس نشأتها الأولى، فقد قال مؤسس الزاوية القاسمية حين أسسها أنَّ الهدف من تأسيسها هو رعاية الأيتام ومساعدة المحتاجين: " فبنى بها زاوية للطلبة، والإخوان، والأرامل، والأيتام والمزمين والعميان⁽²⁾ " وكان الهدف أسمى من المساعدة المادية هو حفظ كرامة الإنسان، ولم يتركهن رهن النفوس المريضة، وقد حث الإسلام على رعايتهن، والقيام بحوائجهن، وأنَّ خدمة الأرامل، والأيتام في أعلى مرتبة، وذلك تحفيزاً لأفراد المجتمع المسلم، بأنَّ يسارعوا إلى هذا العمل الإنساني الحضاري؛ الذي يرضي الله عز وجلّ، ويحفظ بنية المجتمع، و تماسكه، ويربط بين أفراده، وأسرته، بروابط المحبة، والأخوة. إنَّ تعاون الزوايا الرحمانية مع المجتمع المدني، وأطيافه لم يقتصر على الأيتام، والأرامل فقط، بل تعداه إلى كل طبقات المجتمع الجزائري، المحتاج للمساعدة، سواء فقراء، أو مساكين أو عائلة معوزة، أو طلبة علم. فالزوايا الرحمانية على حد سواء لم تهمل الأسر الفقيرة، بل تكفلت بهم، وحاولت أنَّ تحيطهم بالرعاية والأمن الاجتماعي، ومن أمثلة الخدمات المقدمة لهم؛ توفير التعليم المجاني للأبناء الفقراء، وكذا توفير العمل، لمعيل الأسرة إن كان غير قادر، بالإضافة إلى توفير الدواء، والعلاج المرضى منهم، والأمراض المستعصية. التكفل بالنقل، والسفر، والتطبيب، وكل لوازم الطبيب؛ من النقل، والمال، والعلاج على عاتق الزاوية.

وأما بخصوص التكفل بالأرامل، والفقراء، والمساكين، فكان لهم كذلك حظ وفير من اهتمام المشيخة الرحمانية؛ لقد تبعنا دور الزاوية القاسمية؛ كمثال للزوايا الرحمانية في تقديم المساعدات للأرامل فكانت على وجهتين:

■ **الوجهة الأولى:** وهم الأرامل المتواجدين داخل الزاوية، تعولهن من ناحية الإيواء، وتمنحهن فرصة العمل، كإعداد الطعام، وتحضيره مقابل راتب يعيلهن، أمّا العاجزات عن العمل، وغير القادرات على

¹ - لقاء مع الشيخ المأمون في: 2019/01/02.

² - محمد بن أبي القاسم الهاملي، ترجمة لنفسه، وثيقة مخطوطة من وثائق المكتبة القاسمية.

العمل، فالزاوية متكفلة بكل خدماتهم، ورعايتهم اجتماعيا، وتعتبر الزاوية هي المأوى لهم، وهي الدفء العائلي.

■ **الوجهة الثانية:** وهو الأرامل المتواجدين خارج الزاوية، أي الذين لهم مأوى، و يقيمون خارج صرح الزاوية، سواء في منطقة الهامل، أو بوسعادة، أو المناطق المجاورة لها مثل: عين وسارة، وبلديات الجلفة المجاورة؛ وهن غير قادرات عن العمل، فالزاوية تقوم بإرسال المساعدات إلى بيوتهن، وتكون في شكل نفقات مادية، وبعض الهبات في المناسبات، والأعياد، حسب قدر الزاوية، مثلا: مرات تتكفل الزاوية بأصاحي الأعياد، لأزيد من عشرون عائلة، من الأرامل، والتكفل بشراء الأدوات المدرسية، عند الدخول المدرسي لأولادهم، وشراء كسوة العيد لأبناء هذه العائلات، بالإضافة إلى النفقة؛ على هؤلاء خلال السنة، وهذا حسب قدرة الزاوية⁽¹⁾.

وقد عمّمت هذه العادة الخلقية، على معظم زوايا الرحمانية، حيث ما نكاد نجد زاوية رحمانية تخلوا من الأرامل المتواجدين بها، سواء كعمّال بها، مقابل مبلغ مالي، أو تتكفل بهم الزاوية على عاتقها، من مأوى، ومأكل، ومشرب، وتعليم أبنائهم. والخارجيات توفر لهم الزاوية؛ إعانات مالية، وأخرى مادية متنوعة على قدر الحاجة، والإستطاعة، وهذا ما لاحظناه في زوايا الرحمانية التي تنقلنا لها خلال البحث سواء زاوية الحملاوي، وعلاقتها بالمجتمع القسنطيني، وأبناءه، أو زوايا منطقة القبائل، مثل زاوية عزازقة والصدوق؛ حيث تعتبر المرأة الأرملة؛ مصدر مهم في الزاوية، حيث تقوم بأشغال الزاوية، من طبخ وغزل صوف، وتربية للأيتام، مقابل العيش في الزاوية، وعلى رعايتها، ومن هنا تكون فاعلة إيجابية بها ولا تتكل على أحد في كسب الرزق، وتحفظ لها الزاوية الاحترام، والعيش، والإقامة الكريمة بالزاوية⁽²⁾

والزاوية السالمية الرحمانية بواد سوف هي الأخرى لها سبق في التكفل، والمساعدة حيث تتوفر المشيخة الرحمانية بها على سكن بالعاصمة، هو رهن الحاجة الضرورية الاستعجالية، لمثل هذه الحالات المرضية، أو التي تحتاج لإقامة بالعاصمة، من أجل عمل مستعجل، ولا تملك. كما تسعى بفتح زاوية تابعة لها بالعاصمة، تتكفل بأبناء الصحراء، الذين تتوقف مصالحتهم على التنقل للعاصمة، وتسهيل لهم

¹ - لقاء مع الشيخ المأمون.

¹ - زيارة لزاوية حملاوي: 2018/11/11 مع الأستاذ إبراهيم علالة

الخدمات، والمساعدة، وتسهر بنت المشيخة على تسيير هذا الفرع الرحماني بالعاصمة، فالفرع الرحماني يعد الوساطة بين أبناء الصحراء، وقضاء حوائجهم في العاصمة، سواء في الإدارة، أو العمل، أو مجال الطب، وكل الحاجات على عاتق رجالات الزاوية الأم، فالفرع يتكفل بالطلبة، أو أصحاب العائلات التي لها مريض بالعاصمة، وتسعى لتوفير الخدمات بسرعة، وإتقان، وثقة، وكلهم في تكتل، وتعاون فيما بينهم، من أجل خدمة، من لا مساعد له إلا الله، وهو في خدمة هذه الفئات الهشة من المجتمع والوقوف إلى جانبها في لحظات الفقر، والحاجة، والضعف⁽¹⁾ كما قدمت الزاوية الرحمانية خدمات متنوعة لعابري السبيل والضيوف، فقد خصصت كل زاوية بيتا خاصا بالضيوف، وعابري السبيل إن لم نقل بيوت للمبيت، وقاعات للطعام، وحمام ومصلى، وأماكن للوضوء، وزاوية الهامل وطولقة نموذج لذلك. ومن جهة أخرى فإن التعاون، والتضامن في الزاوية الرحمانية، مع المجتمع الجزائري شمل كل طبقات المجتمع، خاصة طبقة المشردين، والمعوقين، وأصحاب الاحتياجات الخاصة، والمتخلفين ذهنيا، فهي هي زاوية الهامل، تخصص لهم بيوت لرعايتهم، وإيوائهم، وخدمتهم، واستفادتهم من المأكل، والمشرب، والملبس، كما قدمت المساعدة للمكفوفين، من أبناء المنطقة من أجل إكمال دراستهم، ومساعدتهم في الزواج، والنفقة عليهم، كما تكفلت بهم من ناحية العلاج، و التداوي قدر المستطاع والقدرة.

المطلب الثالث: الإيواء والإطعام (إكرام الضيف):

وهذه الخصلة الإنسانية إكرام الضيف، التصقت بالزاوية منذ البداية، وارتبطت بشكل وثيق بوظيفة التعليم، والزوار الوافدون على أبوابها، حيث كان من اللازم توفير الشروط اللازمة، والملائمة للمتعلّم، من مبيت، ومأكل، ومشرب، وكذا المعلمين الذين كانوا يزورون الزوايا من خارج البلاد أو المنطقة، وهذا كله راجع لقداسة مهنة التعليم بالزاوية الرحمانية، وكما أنّ الزوايا الرحمانية قد اهتمت بالإطعام المجاني لعابري السبيل، والضيوف، والطلبة، وجعلت المطعم أحد الهياكل المادية المهمة، لكل زاوية رحمانية، فلا يمكن أن ترى زاوية تابعة للطريقة الرحمانية دون بيت ضيوف والطلبة، ومطعم للزاوية، يقوم على شؤون المطبخ مجموعة من الأشخاص يُعينهم شيخ الزاوية، وفيها يتم طهو الطعام

² - زيارة لزاوية سيدي سالم بواد سوف 2018م.

للمقيمين بالزاوية من الطلاب، والفقراء، والمرين، والأرامل، والمحتاجين، تقدم لهم أشهر أكلة بالزاوية المعروفة بـ: "العيّاد"، يومياً للطلبة، بالإضافة إلى بعض الزيت، والتين المجفف، والخبز المصنوع من القمح، أو الشعير. (1).

وإلى جوار المطعم مخزن كبير يحتوي على كميات القمح المخزنة؛ وعلى براميل زيت الزيتون، الذي يستخدم يومياً في الأكل، وقاعة كبيرة تقوم النسوة سواء الأرامل التابعين للزاوية، أو نسوة الزاوية بتحضير القمح فيها، وإعداده للطهو. يتناول الطلبة وجباتهم بالفناء المفتوح المعروف بـ: "حوش الكرمة"، لوجود شجرة كرم وسطه، وقد ورد في هذا العدد في رسالة الشيخ محمد المكي القاسمي: وبنى بيتا يسمى النواله، لطبخ الطعام، يخدمها أناس معينون، كما يوجد بها مطعم، والذي يدعى حوش الكرمة (2).

إنّ الإطعام الذي كانت توفره الزوايا الرحمانية لطلبتها، والقائمين بها لم يكن تلازم بالعلم فالإطعام، والإيواء تظهر قيمته جلياً في فترات الإستعمار، والتهجير، والمجاعات، والفقرة، والحاجة والقحط. حيث كانت الزاوية الرحمانية عبر ربوع الوطن هي المأوى، والمنفذ لهؤلاء الفارين، والجائعين، فكانت توفر لهم المأوى، وتتملأ بطونهم الخاوية أكلاً، فرغم محدودية مداخيلها، ومعاشها، إلا أنّ بركة شيوخها ما تزال قائمة.

مثلت الزوايا الرحمانية لفترات طويلة أماكن للراحة، والأمان، والعبور، بالنسبة للحجاج بيت الله أو المجاهدين أثناء الثورة، أو للتجار، والمسافرين، كما مثلت مصدر أمان، ومأوى لسكان الأرياف والجبال في العشرية السوداء.

المطلب الرابع: المساعدة في أوقات الأزمات، والأوبئة، والحروب

تعد الطريقة الرحمانية مؤسسة اجتماعية متميزة، في غرس القيم الإسلامية، القائمة على الكتاب والسنة بلا إفراط، ولا تفريط، ولا استخفاف، ولا تعسف، ولا شطط، فقد ساهمت ولا تزال تساهم في خدمة المجتمع الجزائري وتتعاون معه، من أجل التخفيف من آلامه ومعاناته، والتضامن معه، في أيام الشدة والقحط دون تمييز، أو تفریق، بين أبناء الجزائر على سبيل النسب، أو الجنس، ومن مظاهر

1 - العياد، عبارة عن كسكسي يحتوي على كميات من القمح الصلب، بالإضافة إلى المرق ويقدم اللحم مرة واحدة في الأسبوع.

2 - محمد المكي القاسمي، رسالة حول الزاوية مخطوطة ورقة 05.

التعاون، والتكافل الإجتماعي الذي سعت إليه الطريقة، من خلال زواياها عبر التراب الوطني، هو تقديم المساعدات للجزائريين؛ أيام الشدة والمجاعات، والقحط أيام الاستعمار الفرنسي، ففي عام 1865-1868 م كانت أعوام قحط وجفاف على الجزائر والجزائريين، مما أدى إلى انعدام المواد الغذائية، والحبوب، والعلف للحيوانات، وقد بلغ الأمر الذروة سنة 1869م، حيث عاشت الجزائر أكبر مجاعة في التاريخ، فمات من خلالها الآلاف من السكان⁽¹⁾. فاستغلت السلطات الفرنسية الظرف المأساوي، وحاولت طمس هوية الجزائريون، وتنصيرهم؛ حيث جاءت سياسة لافيغري الفرنسي التبشيرية؛ القائلة بـ "الرغيف" مقابل ترك الإسلام، ودخول المسيحية⁽²⁾، هنا تدخلت الزوايا الرحمانية خاصة في منطقة القبائل، وأنقذت الكثير ممن كانوا على وشك الهلاك. وأوت الكثير من العائلات المتضررة من هذا الجفاف، والقحط، وأمّنتهم من جوع حقيقي وهذا الانفتاح على المجتمع، واحتوائه أثناء المجاعة، والقحط، أكسب الزوايا الرحمانية قبولا وتوافقا، وشهرة واسعة في الأوساط الاجتماعية، وقد شاركت معظم الزوايا الرحمانية في هذه العملية الخيرية كل على قدرها وسعتها، ومن بينهم الزاوية القاسمية، زاوية الصدوق، زاوية طولقة، السالمية.

ومن أمثلة تلك المساعدات التي قدمت للجزائريين، نذكر ما قدمه شيخ زاوية الهامل القاسمية حيث ساهم بأموال طائلة في الفاقة التي أصابت سكان منطقة الشلف سنة 1893 م، وتلقى على ذلك شكر الحاكم العام، و يتكرر الموقف نفسه عام 1920 في عهد الشيخ أبو القاسم، حين حدثت مجاعة حادة أدّت أيضا إلى وفاة المئات، وتدخلت الزاوية كعادتها لإنقاذ الناس فتكفلت الزاوية بأفراد القبائل المجاورة وحتى البعيدة منها، حيث ألصقت صفة الكرم بالشيخ وأهل زاويته في عين الجميع، حتى أعداؤه فقد جاء في التقارير الفرنسية عنه: كريم جدا في المجاعة التي وقعت 1920 م، استقبل أكثر من 20 ألف من المشردين، والفقراء⁽³⁾.

ومن بين المناطق التي استفادت من هذه المساعدات يحددها الشيخ المكي القاسمي في رسالته بقوله " كفل الشيخ أبو القاسم القاسمي من منكوبي ناحية الجلفة، وبوسعادة، والشلالة، وعين يوسف

¹ - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، دار حلب، الجزائر، ص 110-111.

² - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 111

¹ - التقارير الفرنسية حول زاوية الهامل القاسمية سنة 1952 م.

أيام الاستعمار الغاشم، وكرسها الجهل عند أولياء الأمور، بحقيقة المرأة في الإسلام ومكانتها. فإذا كان الإسلام قد أولى أهمية بالغة للمرأة هي "إعطاء صورة نمطية عن المرأة"، وعالج وضعها بما يتناسب مع متطلبات العصر، من خلال إعطائها حقها في التعليم، والمشورة، وضمان حقوقها كزوجة، الأم، الأخت، البنت، فما هي جهود الطريقة الرحمانية في إعادة الاعتبار للمرأة في ظل الحملة الشرسة عليها؟ وتكريس الصورة النمطية لها، وهضم حقوقها، وجعلها جسد بلا روح ولا إرادة؟ وبيان دور الطريقة الرحمانية في رد الاعتبار للمرأة الجزائرية واهتمامها بالأسرة الجزائرية.

المطلب الأول: المرأة في الأنساق الصوفية الجزائرية "الطريقة الرحمانية أنموذجاً".

شكل موضوع المرأة أو إعادة بعث دورها في بناء المجتمع، كونها الطرف الأساسي في المنظومة الاجتماعية، وانخراطها في الحياة الصوفية الروحية، ولعبها دور محوري في الأنساق الصوفية؛ موضوع اهتمام لدى الكثير من المهتمين، والمفكرين، ومشيخة الطريقة الرحمانية من الذين أولوها أهمية بالغة، وإعادة بث الصورة الحقيقية لها، التي جاء بها الإسلام، إضافة إلى كونها مركز المجتمع، وأساس الأسرة فالحياة تتوقف عليها، صلاحها صلاح المجتمع.

لقد برز اهتمام المؤسس الشيخ الأزهري بالمرأة من خلال إعادة تبيان صورتها الحقيقية؛ التي جاء بها الإسلام، وأنها تبدأ منذ الولادة، فقد اتخذها زوجة، وأعطاهما كامل حقوقها بعد أن تزوج من بنت عمه التي بعثتها له عائلته في تيزي وزو. إضافة إلى حرصه على تعليم المرأة الجزائرية، وإعطائها حقها في الحياة الزوجية، وقد كانت ضمن حلقاته العلمية نساء كثر أخذوا عنه الورد، ولقنهم تعاليم الطريقة الرحمانية وبيّن طريقة أخذ التلقين منهن من خلال اشتراط وجود حائل بين المرأة والشيخ المرّبي، وفي طريقة العهد، وضع قماش تُمسك به المرأة من طرف، والشيخ المرّبي من طرف آخر ضمان لكرامتها⁽¹⁾.

وقد حذى حذوه الشيخ عبد القادر عثمان من خلال اهتمامه بالمرأة وتكريمها، انطلاقاً من قناعته وحساسيتها موضوع المرأة، وأهميته، وظلمها من المجتمع الذي تعيش فيه. يرى الشيخ عبد القادر عثمان أنه لا يوجد دين حرر المرأة مثل الإسلام؛ سواء كانت أمّاً، أو زوجة، أو بنت، أو أخت، ومن أجل صورة تعظيم المرأة في الشريعة الإسلامية أن جعل الله جنته تحت أقدامها، كما كفل لها حقوق وهي

¹ - محمد بن عبد الرحمان الأزهري، شرح قوت قولي، شرح على الريفاوي، تحقيق ماجدة القاسمي، ط 2001م، دار الخليل القاسمي، ص 30 (بتصرف).

زوجة كونها أساس البناء العام للأسرة، فصالح المجتمع من صلاح الأسرة، لذا ضمن لها حقوقها في الميراث والحياة، والتعليم، والاختيار، وهي بنت أو أخت، وهذا ليكفل لها حياة سعيدة في بيت الأبوة والزوجية⁽¹⁾. لقد كان الإهتمام بها منذ أول يوم لها بعد الولادة حتى تصبح بكرةً مؤهلة للزواج، وقيادة أسرة بكاملها. فالمرأة هي المجتمع؛ صلاحها صلاحه، فهي تلد نصفه، وتربي النصف الآخر.

لكن اهتمام الصوفية، ورجال الاصلاح لم يقتصر على المرأة الماكثة بالبيت فقط، بل تعدى إلى المرأة الصوفية، وركزوا على دورها داخل النسق الصوفي سواء كانت متصوفة، أو تابعة خويّة من الأحباب، وحقيقة الأسباب التي دفعت بها لذلك.

أسباب ولوج المرأة عالم التصوف:

رغم تعدد وتنوع أسباب، ودوافع ولوج المرأة عالم التصوف، واختراقها للطريق الصوفي، إلا أنّ هدفهن ورغبتهن واحدة، وهي تهذيب الروح، وطبائعها، وكبح هوى النفس، وأخذ قسط من باب الإحسان.

بالتصوف يعرف صلاح القلب، وسائر الحواس، واجتناب المنهيات، والاعتصار على الضروريات من المبيحات، وثمرته السعادة الروحية⁽²⁾. لذا كان حرص الصوفية عنه لنيل درجة العرفان، فلما علمت المرأة أنّ الصوفي الحق؛ هو من أقبل على الله، وترك مشاغل الدنيا عملت على مجاهدة نفسها، وأخذت تأخذها الرغبة في سلك الطريق الصوفي.

وسعت بكل جهدها، وقوتها مجاهدة نفسها، وكان ذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِيُذَكَّرَ بِكُمُ اللَّهُ أُولَئِكَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى اللَّهِ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُمْ كُنُوا سَاهُونَ﴾ [الفرقان: 63-65]، ويقول أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِيُذَكَّرَ بِكُمُ اللَّهُ أُولَئِكَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى اللَّهِ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُمْ كُنُوا سَاهُونَ﴾ [الفرقان: 63-65]، فالآية الأولى تفيد أنّ الهداية مخصصة لمن جاهدوا في الله بالعلم، والعمل، واليقين حق الجهاد، والآية الثانية قد دلت أنّ لله عباداً نسبهم إلى نفسه وهو الرحمان الرحيم، وقد وصفهم أيضا أنّهم يبيتون سُجداً، وقياماً مبالغة منهم في الطاعة، وبهذا فالأولون فهموا أنّ التصوف هو امتثال، واتباع النبي عليه السلام.

² - عبد القادر عثمان، الأسرة في الإسلام، محاضرة أُلقيت بالمركز الثقافي في بسكرة، ضمن كتاب عبد الحليم صيد، مجموع محاضرات ومقالات وفتاوى عبد القادر عثمان، ط1، 2005، باتنة، ص 124.

¹ - أحمد دردير، شرح الخريدة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط1، 1954، القاهرة ص 68.

فالمرأة تريد أن تضع قدم عظيم في العبادة، والنسك، والورع، والخشية، وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن الآثام، والتعمق في محبة الله، فأيمانها بوجود إله قادر، منعم، غفور رحيم، تولد لها المحبة والطمأنينة، لأن النفس بطبعها تحب، وتميل لمن يحن إليها، وطبيعة المرأة ميالة للحب، والوجد، والعطف وقد ارتبط اسمها به منذ القديم⁽¹⁾. كما يعتبر الواقع المعاصر للحضارة المادية اليوم من الأسباب الهامة والدافعة التي أدت إلى ظهور هذه الصحوّة النسويّة، وهذا الاتجاه الإسلامي الراشد، الذي يتحمل مسؤولية ترشيد الحضارة اليوم ووضعها في إطارها السليم الذي ينبغي أن تسير فيه.

فالإنسان ليس لحما، ودما فقط، بل روح تسري فيه، وضمير، وفصلنا بين المادة والروح بمثابة فصل الرأس عن الجسد⁽²⁾. ومما لا شك فيه أن إقبال النسوة على عالم التصوف، وبشكل ملحوظ؛ هو ما آلت الحياة إليه من طغيان المادة، وتعلق الإنسان بزخرفها وكثرة الفتن، والفواحش، والفتور الديني، والروحي الذي تعيشه المجتمعات برمتها، وما تعانيه من اضطراب نفسي، وقلق، وفوضى، ومما لا شك فيه نتيجة من نتائج عدم الاعتدال وفقدان الاستقرار، وبالأخص ما وردنا من الحضارة الغربية؛ التي ليس لها هدف سوى طغيان المادة على كل الجوانب، والاستيلاء على العالم الحسي، وامتلاك نواصيه والقبض على أزمته، واتباع تغيراته، والدعوة للإباحية والفجور⁽³⁾.

ومن هنا فإن دخول المرأة لعالم التصوف، وإقبالها على السلوك، واعتزال الدنيا، والاعتكاف كردة فعل على هذه الفوضى الأخلاقية؛ الضاربة في أعماق القيم، والروح الإنسانيّة، كما نؤكد على أن توجه المرأة للتصوف؛ هو ضرورة إجتماعية ملحة، واستجابة لنداء الفطرة والمجتمع؛ فتواجهها ضمن مجتمعات صوفية، أو عائلات صوفية، هو دافع ولزام عليها أن تتأقلم معهم، ضمن إطار ديني واحد، وكما أن السعادة الحقّة لا يمكن أن يصل لها الانسان إلا بالتعاون الفكري، والروحي معا، لذا كان لزاما على المرأة أن تدخل التصوف، وتتأقلم مع الحياة الروحية، لأننا في زمن طغى فيه التصوف على جميع مجالات الحياة، فهو نزعة إنسانية عامة.

² - عجيل النسمي، صحوّة التدين والواقع المعاصر، دار البعث، قسنطينة، ص 12.

³ - محمد غلاب، التصوف المقارن، مكتبة النهضة، مصر، د ط، ص 05.

¹ - حورية محجوب، المرأة بين التربية الروحية والتوجه السياسي، ملتقى وطني التصوف الفرنكفوني، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، سنة 2019م/ص 05.

رغم التنوع والتعدد بين الجانب الأخلاقي، والمادي، والديني، والاجتماعي، والنفسي الروحي إلا أن طبيعة الإسلام، وروحه، ومرونته هي السبب الرئيسي لولوج المرأة عالم التصوف ووضع قدم راسخة فيه.

فمن الأمور التي لا جدال فيها أن الواقع الاجتماعي، والثقافي؛ الذي تعيشه المرأة الجزائرية يختلف عن ما تعيشه باقي نساء الوطن العربي، من حيث التقاليد المعاشة، ومن حيث الإقرار بحقوق ما، أو عدم الإقرار بأخرى، فالملاحظ في الآونة الأخيرة، ميل لدى بعض النسوة في الأقطار العربية المحافظة على الجانب الصوفي، والجزائر إحدى هذه الأقطار التي تنتشر فيها ظاهرة زيارة النسوة للأضرحة، والتبرك بها ولأولياء؛ مُشكّلة ما يعرف بالفقيرات، أو الخونيات، وبعض الممارسات الفلكورية الاجتماعية، الدالة على التحول الاجتماعي الثقافي للمرأة الجزائرية، داخل النسق الصوفي وعلاقتها به.

وإعطاء الصورة الحقيقية للمرأة في النسق الصوفي في الجزائر، فقد حاولنا استجلاء مكانتهن في علاقتهم بالزوايا الرحمانية كنموذج، وإعطاء صورة للمرأة الجزائرية المتصوفة، والكشف عن مدى وعيها بواجباتها، وعلاقتها الاجتماعية، والتفاعل مع فضائها الأنثوي، وترحالها من عالم المرأة الزائرة إلى عالم المرأة الزاهدة العابدة، إلى المرأة الشيخة الرئيسة للنسق الصوفي والسيطرة على الذكورية المستندة.

المطلب الثاني: نماذج النسوة الجزائريات المتصوفات في النسق الرحماني

1 لالة زينب القاسمي: حين تضيء صفحات الموروث الثقافي الشفوي الجزائري، وكتب التاريخ وتروي لنا قصة العابدة الزاهدة لالة زينب وأخبارها؛ التي رُصّعت من ذهب في تاريخ الزاوية القاسمية بالهامل بالمسيلة، فمن هي لالة زينب؟

❖ **المولد و النشأة:** ولدت السيدة زينب القاسمي بقرية الهامل حوالي سنة 1268هـ-1852م، أمها خديجة بنت ضويم، ووالدها الشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي، وهي ابنته الوحيدة⁽¹⁾، نشأت السيدة زينب في حجر والدها بيت العز والشرف، تعلمت القرآن وعلومه على يديه، ثابرت على الدرس، والتحصيل بذكاء نادر، وقد توسّم فيها والدها أهلية روحية منذ الصغر فاعتنى بنشئها، فألى جانب حفظها للقرآن، قرأت التفاسير، وتفقهت في الدين وحفظت الأحاديث النبوية، وسمعت من والدها شروح الصحيحين، وغيرها من كتب التوحيد والفقه، والتصوف، فكوّن لها طموحها الشديد

¹ - الحاج محمد بن محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط 1 ص 25.

وحرصها على العلم، فكوّنت رصيد علمي في قضايا علوم الشريعة، حتى وصلت في العلم لدرجة طيبة (1).

كان الوالد يناقش ابنته في العلم ويطلعها على أعماله، وما يجري خارج الزاوية من أحداث وعلاقات، وبعد صفاء سريرتها، ويّان سداد رأيها، وقوام نفسها، ولمس فيها ملكة الشغف المتزايد بالعلم، منحها مفاتيح مكتبته الثريّة، فكانت تُقيم بها الأيام، والليالي الطوال قارئة مستفهمة. ظلت إلى جواره ترعاه، وتتم به لم تفارقه لحظة في حله وترحاله، تهم به وتوليه أهمية بالغة تسافر معه أينما ذهب في جولاته الكثيرة لنشر العلم، والطريقة، أو فك الخصومات والتراعات. ولأها والدها مهمة جرد أملاك الزاوية حيث كتبها عام 1888م وصيّة موثقة تضع كل أملاكه، وأملاك الزاوية وقف على ابنته ضمن الوقف العائلي، كما عهد إليها برعاية الأرامل، والمطلقات المقيمات بالزاوية (2).

كرست حياتها لالة زينب لخدمة العلم، والمحتاجين، وظلت عاكفة على رفض الزواج، رغم أنّه طلب يدها الكثير من الرجال، وعلى رأسهم بن عمها الشيخ محمد؛ في حياة والدها وأعاد طلب يدها بعد وفاته، ومع ذلك قوبل بالرفض منها. (3)

2- خديجة بنت بلكانون: لم تكن لالة زينب النموذج الوحيد من النسوة المتصوفات في النسق الصوفي الرحماني، إضافة لها نجد السيدة خديجة بنت بلكانون؛ وهي الأخرى المنحدرة من عائلة عريقة النسب والشرف، من سلاطين بني حمادة عائلة أوقاسي، والتي مالت للرحمانية، فربطت صلتها بأتباع الطريقة الرحمانية، وعيّنّها الشيخ الحداد مقدمة لأتباعه في المنطقة، فأصبحت تزوره بين الحين والآخر، كما كان يزورها مقدم زاوية أسحنون. لقد مثلت الطريقة الرحمانية خير تمثيل في منطقتها تيزي وزو (4).

² - أبو القاسم سعد الله، ت. ج. ث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1989م ج 4، ص 164.

² - عبد المنعم الحسيني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862م 1962م، دار الخليل لنشر والتوزيع، ط 2005م، ص 304.

³ - من الروايات الشعرية المتداولة عنها في محيط الزاوية، لقاء مع السيد المقدم شويحه، 2017/11/21، على الساعة 13:00 داخل مقر الزاوية.

⁴ - اسعيد علوان، الطريقة الرحمانية و دورها في الجهاد، مجلة المعيار، عدد 2003، ص 149 - 150.

3- لالة فاطمة نسومر: ونبقى في منطقة القبائل، ولكن هذه المرة في منطقة ورجة ولاية بجاية، أين ولدت لالة فاطمة نسومر بنت الشيخ محمد بن عيسى؛ مقدم الزاوية الرحمانية بقرية ورجة، كان والدها الخليفة الأول لمحمد بن عبد الرحمان زعيم الرحمانية⁽¹⁾، ولدت حوالي 1830 بقرية ورجة، مضت طفولتها في العمل المتري، والتعلم، فنشأت متعلمة متديّنة، ورعة ورع أخواتها، ويذكر المؤرخون أيضا كانت بارعة الجمال تمتاز بخصائص لا توجد إلا في النوادر، فهي تمتاز بالأدب والنسب، والجاء والذكاء الخارق فأحبها والدها كثيرا، وافتخر بها أمام الناس.

لقد وجدت لالة فاطمة حقيقة نفسها في التصوف، والزهد، وليس الأسرة، والركون⁽²⁾ للزوجية والأولاد لذا رفضت الزواج. فانضمت للتصوف، وعملت على رأس زاوية ورجة، عازمة أن تجعل منها مركزا

إشعاعيا، متفرغة للعبادة، والتبحر في علوم الدين والتنجيم، وقد شجعها على ذلك الشيخ حاج عمر لما لاحظ فيها من الشخصية البارزة والمؤثرة لمواقفها. وبعد وفاة والدها وجدت نفسها منعزلة عن الناس وتضايقت كثيرا من نظرتهم لها، لاسيما من جانب النسوة، لذا تركت مسقط رأسها قاصدة قرية سومر أين يقطن أخوها سي الطاهر⁽³⁾، والتي نسبت إليها فيما بعد.

عرف أخوها سي الطاهر بالعلم، والتقوى، فقد كان يُلم بكل مؤهلاته لقيادة الزاوية الرحمانية المنتشرة في المنطقة بشكل واسع، فتأثرت به لالة فاطمة، ولازمته طيلة حياتها، وحفظت عنه القرآن، وأخذت منه تعاليم الطريقة الرحمانية، ثم بدأت تدلي بنصائحها، ودعمها للأهالي حتى ذاعت شهرتها، وزاد زوارها من الجنسين خاصة النساء اللواتي جئن من قرية سومر، وخارجها للتبرك بها، وأخذ عنها تعاليم الدين والطريقة⁽⁴⁾.

إن إسهامها في الحياة الروحية الصوفية في الجزائر، لم يكن حاجزا أمامها لقيادة المقاومة ضد المستعمر والانضمام للمقاومات الشعبية.

1 - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن 19م، دار البصائر، الجزائر، ج4، ص 101.

2 - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 315.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار البصائر، ج1، ص 359.

4 - سيدي موسى محمد الشريف، مقاومة لالة فاطمة نسومر للاستعمار الفرنسي، كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، الطبعة 2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ص 34.

المطلب الثالث: دور المرأة داخل النسق الصوفي

إنّ الحضور الفعلي والفعال للمرأة وسط النسق الروحي الصوفي ثريّ، وفعال، لا يقتصر على ترجمة المرأة المتصوفة، وبعض أشعارها، وأقوالها التي تناولتها الكتب، بل لا بد من الإشادة بأبعاد المرأة الصوفية الاجتماعية، والسياسية، والعلمية في الوقت الراهن حيث أصبح التصوف اليوم ظاهرة اجتماعية الأمر الذي يستدعي الوقوف عنده والتساؤل عن دورها في المجتمع الجزائري.

فبعد البحث والتنقيب لم نجد الكتب التي تسجل دور المرأة المتصوفة الجزائرية، في الحياة الاجتماعية إلاّ في إطار توجه النساء عموماً للوقوف على المساجد، والزوايا والمكتبات، مما ساهم في تطور الظاهرة الطرقية بالجزائر، حيث قدموا رعاية، وخدمة كبرى للتصوف لفترات طويلة. إضافة إلى تجاهل البحث العلمي للمرأة الصوفية من مرحلة كانت تكفي فيها بالعلم الذي قد تُحقّقه لها الكتب إلى مرحلة سعت فيها لإكتساب العلم، وتعليمه للآخرين. فقد أكتفت الكتب والمقالات عن وصفها بالسيدة المتصوفة، وتجاهلتها كعبادة داخل النسق الصوفي، وخدمة للعلم، وشيخه أخذت العلم عن شيخ، وتفردت بإعطاء الورد، والتلقين ونرجع هذا إلى:

- تجاهل وتغافل المؤرخين عن هذه الأدوار.

- تفاعل الطلبة والمريدين اتجاه شيخاتهم، أو كوّن السبب يعود لطبيعة المرأة، ونظرة المجتمع لها نظرة قاصرة محففة في حقها، والتي تقصر دورها في الحياة على المكوث في المنزل، والإنجاب، والتربية والحفاظ على علاقتها الزوجية.

إلا أن هذا الزمن قد عاد وولّى، إذ نجد بروز نساء متصوفات للأفق لمن ذكر، وتاريخ ومجالس طلاب، وأثر في الحياة الروحية، والاجتماعية بمختلف جوانبها. لقد ورثت لالة زينب عن والدها العلم وحب الخير للناس، والبركة، وكان هذا ثمرة دعائه لها حين كتبه لها في رسالة تركها لها أيام مرضه " وأنت يا ابنتي السيدة زينب فكوني بنية طيبة من أمور الدار والعيال، لأنني جاعلك بدلا عن نفسي أسأل الله تعالى أن يجعل البركة فيك، وأن تكوني من النساء الصالحات (1)".

فهي نموذج للنساء اللواتي كان يقمن بإعداد الطعام، ومساعدة الناس، والقيام بأشغال المنزل إضافة إلى العبادة، والزهد، والخلوة، فجمعت بين كثير من العبادة، والزهد، والخلوة، والإحسان إلى المرضى والفقراء، والتواصل مع رموز المجتمع؛ كما فعلت مع مجتمعها في بوسعادة، والهمال، والجزائر، إضافة إلى كونها كانت النموذج للمرأة الوليّة التي ترأس النسق الصوفي.

المرأة الوليّة:

إن تيار التصوف تقبل حضور المرأة داخل النسق الصوفي، وذلك لتفوق النساء كما وكيفا ورغم قتلهن كوليّات صالحات وسط الرجال الأولياء، إلا أن هناك العديد من الأسماء التي خلدتهن الذاكرة الشعبية ومنهن: لالة زينب القاسمي، فاطمة نسومر، ولالة خديجة بنت بلكانون، وغيرهن، فدخول المرأة لباب الولاية لم يكن بالأمر اليسير، ولا السهل بل مرت بالعديد من المجاهدات، والرياضات، وكابدت فيه الحياة، وكل رموزها لتصل إلى درجة العبادة المرجوة، والصفاء الروحي الذي ترتقي به لمقام الولاية. وللإشارة إنّ الصلاح النسوي ظل متحكماً فيه من طرف الصلاح الذكوري، الذي إمتلك مفاتيح الدخول لنسق الولاية، والصلاح، ومنح رخصة الاعتراف والمشروعية لها، فلا يمكن للمرأة أن تحقق ولايتها سوى بالارتباط بولي؛ إمّا عن طريق الأبوة "لالة زينب"، أو عن طريق خدمته، أو الزواج منه، أو الأخذ عنه الورد والتلقين.

إنّ الاعتراف بولاية المرأة وإثباتها، وصلاحها كل مرهون بأدائها لأدوارها الأسرية، وارتباطها وعلاقتها وقربها من الرجل الولي.

¹ - عبد الرؤوف القاسمي الحسني، المرأة الصوفية الضغوطات والرهانات، مشيخة لالة زينب نموذجا، 1850م-1904م، محاضرة في الملتقى الدولي الخامس-تصوف، ثقافة، موسيقى-ديسمبر 2008م، تنظيم وزارة الثقافة، تيزي وزوا، الجزائر، ص 15.

إنّ زج المرأة داخل النسق الصوفي، وإعتلائها أعلى المراتب العرفانية، والروحية، والتدرج في الأحوال والمقامات، وصولاً إلى مقام الولاية، لم يكن وليد الصدفة، أو المحاباة. بل دليل واضح على مجاهدتها في طريق المعرفة، والعرفان، والتدرج في مسالك التربية، والتركية والتنقل بين المقامات وصولاً إلى مقام اليقين، والعرفان.

فقد جمعت المرأة الولاية بين علوم الشريعة، والحقيقة معاً، والذكاء، والحنكة هذا ما جعلها تنازع الرجل في رئاسة النسق الصوفي، والتربع على عرش الولاية. ولبيان أنّ الولاية ليست حكر على الرجل دون المرأة. وبهذا فالنساء المتصوفات يعطينا صورة نموذجية ذات خصوصية، ونوعية عن التصوف النسوي، والولاية للمرأة المربيّة خاصة الجزائرية فهي النموذج المثالي لولاية الصوفية، والقيادة الروحية وسط الأنساق الصوفية. ولنا في السيدة لالة زينب القاسمية نموذج النساء الجزائريات اللواتي تربعن على عرش النسق الهاملي القاسمي "زاوية الهامل القاسمية أنموذج"؛ في ظل تعتبر الزاوية القاسمية المرجع الأم لطريقة الرحمانية آنذاك.

إنّ دور المرأة الصوفية شمل كل مجالات الحياة، فهي استطاعت أن تقوم بدورها كاملاً، وزوجة لها مسؤوليات، وارتباطات أسرية، وزوجية، وتفاعلها مع المجتمع بأبعاده الاجتماعية والسياسية، والدينية الروحية الأخرى. فمن ناحية كونها أمّ، وزوجة تبرز خصوصية التصوف النسائي عن تصوف الرجال فالتصوف الذي يعين الخروج عن حدود الجسد، وعالم المحسوس، والتحليق في عالم الروح، قد يتعارض مع تصور التفاصيل الحياتية العادية للمرأة هذا ما يعكس صراع المرأة بين رغبتها في التفرغ للعبادة والتبتل، وبين أعباء، والمهام الزوجية، والأمومة، فكان هناك تنازع بين وجودها الاجتماعي ككيان فعّالة فيه، وبين وجودها الروحي العرفاني كعبادة زاهدة، الذي يتطلب ألوان، وأشكال إضافية من المجاهدات والرياضات، لا بد على المرأة من تكبدها ومعانقتها، فطبيعتها وتكوينها البيولوجي (الحيض والطهارة) ناهيك عن طبيعة التكوين العاطفي للمرأة تجعل تجربتها الصوفية أكثر عمقاً، وخصوصيةً وحساسيةً.

إنّ هذه التجربة الروحية للمرأة، وقدرتها على حسن إدارة الصراع، وعقد مُصالحة بين هذه الجوانب مما كان، ولا زال يستحق التبجيل، فرغم تشتت المرأة بين واجباتها الدنيوية وتطلعاتها الروحية العرفانية؛ لم تتخلى عن دورها الاجتماعي كاملاً، وأخت، وبنات، وزوجة، ومسؤوليتها تجاه الزوج، والأسرة

والمجتمع، وهذا كله راجع لكونها تفقه غاية وجودها، وحضورها الحضاري، والمعرفي للاستخلاف والعمارة في ذهنها، وواقعها، وأنها مأمورة مطالبة بالخلافة كغيرها من البشر.

ولبيان ذلك نستحضر نموذج لم تصوفات متزوجات يعدن الطعام، ويقمن بشؤون المنزل، والزوج والأبناء، في الوقت ذاته يعكفن على الصلاة، والعبادة، والاستغفار، والتسبيح والسيدة زينب⁽¹⁾ بقرية سليم، والسيدة نجوى القاسمي⁽²⁾ المتصوفة العابدة بزواية الهامل.

خلافة لالة زينب القاسمية لزواية والدها: لقد سبق القول أن السيدة لالة زينب، كرسّت حياتها لخدمة الزاوية القاسمية منذ الصغر، وملازمة والدها، إضافة كونها نذرت نفسها للعلم والعبادة، والزهد، وفعل الخير، وظلت دون زواج لوفاتها⁽³⁾. وبعد وفاة والدها محمد بن أبي القاسم، دخلت السيدة زينب في خلاف مع ابن عمها الشيخ محمد بن الحاج محمد، حول رئاسة الزاوية، ولم تعترف به شيخاً، ونصبت نفسها على رأس مشيخة الزاوية القاسمية، التي كانت ترأس الطريقة الرحمانية، وهي أكبر الطرق آنذاك من حيث الأتباع، والمريدين، والزوايا والطلبة، والمقاديم بالجزائر⁽⁴⁾.

إذ وقفت السيدة لالة زينب أمام ابن عمها وكل عرش الهامل، وأعلنت أنها الوحيدة التي تملك حق تسيير الزاوية بعد وفاة والدها، وأصرّت على التمسك بحقها في الولاية، وأنّ هذا حق منحه الله لها. وتمسكت بوضيعة والدها التي تركها لها في 1877، وقد أهلها الجانب الديني الذي تتمتع به وسط أقرانها هذا المنصب فهي شخصية فذة، قويّة الشخصية، لها تأثير على أتباع الطريقة الرحمانية عموماً، وعلى أتباع والدها خصوصاً، كما أنّها تملك روح قتالية شجاعة، وصراحة في القول، والعمل، إضافة إلى أملاكها فالسيدة زينب وريثة والدها الوحيدة لثروته؛ التي تركها لها وفقاً عينياً⁽⁵⁾.

ورثت السيدة زينب عن والدها مشيخة الزاوية القاسمية، ورئاسة الطريقة الرحمانية ككل، ولكن فقط بعد صراع، وكفاح طويل للدفاع عن حقوقها في الخلافة الروحية، لم ترضخ لتهديد أحد ولم تُسلم

¹ - زينب سيدة من سيدات الهامل تسكن في قرية سليم تبعد عن الهامل 30 كلم تقريبا، عمرها 70 سنة، وهي امرأة زاهدة عابدة لله متصوفة على الطريقة الرحمانية.

² - نجوى القاسمي من مواليد الستينات بالهامل، بنت الزاوية القاسمية.

¹ - حسب الروايات الشفوية المتداولة حولها، لقاء مع نجوى القاسمي، 2018/12/28 بزواية الهامل.

² - CLANCY P. cct.op.julia .Smith 235

³ - عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن، المرجع السابق، ص 306-307.

مفاتيح الزاوية إلى الشيخ محمد، والابتعاد كلياً عن مشيخة الزاوية، بل واصلت لالة زينب مسيرة والدها الرائدة، وسارت على نهجه، وحافظت على طريقته من تعليم العلم، وإرشاد الخلق، وفك التزاعات، وإطعام الطعام، والإحسان للفقراء⁽¹⁾.

لقد تولت رئاسة الزاوية القاسمية في فترة صعبة، ورغم ذلك استطاعت أن تحافظ على تماسك الطريقة الرحمانية، باعتبار أن زاويتها كانت تتولى مشيخة الطريقة، وأدارت بقية الزوايا التابعة لها بحكمة واقتدار، وهدوء⁽²⁾. ومن جهة أخرى واصلت مسيرة نشر الطريقة الرحمانية في ربوع الوطن حيث أقامت زوايا أخرى، كما كانت تنتقل وسط الأعراس من أجل الفض وفك التزاعات. داعية إلى الخير ومحبة الغير، والتعاون، ونبد الكراهية مرشدة ومعلمة ومربيّة، فكسبت التأييد، والمحبة الشعبيّة، لما لمسه الناس فيها من خُلق، وتواضع وكرم، وقوة شخصية.

وقد أكد الأستاذ عبد الرؤوف القاسمي أن الزاوية بلغت أوجه العطاء في زمنها؛ حيث ظل الطلبة يتوافدون على زاويتها من كل مكان؛ من متيجة، والقبائل الكبرى، والصغرى إلى عنابة من جهة الشمال، وأولاد جلال، وبسكرة، وتبسة إلى خط الجريد بتونس، نفطة، توزر، قفصة، ومن الغرب الجنوبي تلمسان، والمهدية، والسوقر، وتيهرت، ومعسكر، ووهران، حيث وصلت الطريقة الرحمانية⁽³⁾.

واصلت السيدة زينب عمل والدها بالإشراف على الزاوية القاسمية، والطريقة الرحمانية بالإضافة أنّها نهجت منهجه الديني؛ إذ واصلت الإشراف على أوقاف الزاوية بالحرمين الشريفين، وحافظت على وكيل الزاوية الشيخ أحمد أمين بن عزوز على منصبه في تسيير الأوقاف، كما واصلت دفع أجور علماء الحرم المدني التي قد سبق لوالدها أن رتبها لهم سعياً إلى عمارة المسجد النبوي، وقد جاءت رسالة علماء الحرم الشريف؛ يخاطبون السيدة زينب شاكرين بما سعيها، وفضلها: " نخبة الأشراف من آل هاشم بن عبد مناف، وصفوة السلالة النبوية، وخلاصة العشرة المصطفوية، وزهرة بني الزهراء البتول، وباكورة أبكار الحسن سيد المسلمين، وريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم، ذات المنصب الذي ملأ الأملاك والقدر الموروث ممن خاطبه الجليل بلولاك لولاك سيدتنا، ومولاتنا الدرّة المصونة، والجوهرة المكنونة

⁴ - من تقارير سلطات الاحتلال الفرنسي، نقلا عن نسخة من المكتبة القاسمية بالهامل.

⁵ - د. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص 164.

¹ - عبد الرؤوف القاسمي الحسني: المرأة الصوفية، ص 05.

السيدة زينب " (1) كما اعترف لها القاضي، بحسن إدارتها لشؤون الزاوية ونجاحها في السيطرة على جميع الأوضاع السائدة، فقد شهد لها بالتسيير الحسن، وبعد النظر، والقدرة على التحكم في مداخل الزاوية، فما بقي شاهد، وخالد على عملها، وشاهد لها هو مواصلة بناء مسجد والدها "المسجد القاسمي" الذي يعتبر تحفة معمارية فريدة من نوعها (2) وقد تم البناء سنة 1904 (3).

توفيت لالة زينب في 13 رمضان 1322هـ 18 نوفمبر 1904م، بعد معاناتها مع المرض وهي على رأس الزاوية القاسمية، وكوّن لالة زينب امرأة لم يجرمها هذا من حقها من الميراث، ولا العلم ولا تولي السلطة الروحية الدينيّة، بل كانت النموذج القوي للمرأة المسلمة القياديّة في جميع المجالات. حقوق المرأة الجزائرية داخل النسق الرحماني:

سبق الحديث عن مكانة المرأة الجزائرية داخل الأنساق الصوفية الرحمانية، وكيف تعاملت مع المشيخة الرحمانية، وإعادة الاعتبار لها، ولمكانتها السامية بعيدا عن السلطة الذكورية القاضية، لتعطي للمرأة حقوقها، وتضمن بها حياة كريمة، تساعد على أداء دورها بشكل طبيعي، وبناء، وتحافظ على تماسك الأسرة الجزائرية، فصلاحتها صلاح المجتمع ككل.

لذا حرصت المشيخة الرحمانية وعلى تعاقب السنين، وداخل كل الزوايا التابعة لها على الإقرار بحقوقها وكفالتها لها، ومن بين أهم الحقوق التي أعيد الاعتبار لها بعد أن طمست جهل الناس بها هي:

1/ حق الاختيار: يعد حق الاختيار، وإعطاء وجه النظر للمرأة، الحق الذي طمس وحرمت منه لسنين. في ظل السلطة الذكورية المحففة قاصرة النظر، فلم تكن المرأة لها حق في إعطاء رأي، ولا قرار سيادي حتى فيما يتعلق بحياتها، ومصيرها، وذلك للجهل الذي خلفه الإستعمار الفرنسي، وخاصة في المناطق الريفية، والجلبية، وهما ما جعل المجتمع الجزائري يعيش حالة تدهور، وإقصاء للمرأة رغم تكريم الإسلام لها، وإعطائها المكانة المرموقة.

2 - مراسلة علماء الحرم المدني إلى السيدة زينب بتاريخ 29 شعبان 1319م، من وثائق المكتبة القاسمية.

3 - تذكر الرواية الشفوية المتواترة أنّ الشيخ محمد أبو القاسم ترك البناء على مستوى النوافذ الموجودة في واجهة المسجد الآن، وأن السيدة زينب واصلت المشروع و بنت ضريحا لوالدها، و توجد في وثائق المكتبة القاسمية على الجرد اليومي للرواتب التي كانت تصرف للنايبيّن و العمال، بخط السيدة زينب في تاريخ مختلفة من سنة 1899م إلى 1903 نقلا عن الأستاذ بولنوار رئيس مكتبة القاسمية يوم: 2019/01/18 بالمكتبة.

4 - كما هو مدون في النصب التذكري للمسجد القاسمي بالزاوية.

إلا أن جهل الناس بتعاليمه جعلها تعاني من الإقصاء، والحرمان، والسكوت عن الدفاع عن حقوقها واختياراتها، لتبرز المشيخة الرحمانية وتعيد القطار للسكة من جديد. فقد دعا كل مشايخ الرحمانية إلى تحرير المرأة من قيود الجهل، والاستغلال، وإعطائها كل الحق في تقرير مصير حياتها، واختيار قراراتها السيادية بنفسها في إطار ما حلله الشرع، وبيان للناس أن المرأة روح، وجسد، وكيان، فهي ليست سلعة تباع، وتشتري في الأسواق، خاصة فيما تعلق بالزواج؛ فلم تكن المرأة الجزائرية لها حق في اختيار الزوج، فكل ذلك كان يعود لقرار الوالد، أو وليها؛ فما هي إلا أيام وتجد نفسها في بيت الزوجية مع رجل لا تعرفه، ولا يعرفها إلا أن الطريقة الرحمانية، وقراراتها الحازمة أكسرت طابور الأبوة المتسلطة؛ القاضي بإقصاء حق المرأة في الإختيار، من خلال قراراتها، وموافقها؛ التي خلدها التاريخ لتكون قدوة للناس داخل المجتمع الجزائري؛ خاصة الريفي الذي أقصى المرأة ككل.

من أمثلة هؤلاء المشايخ الذين أعطوا للمرأة حقها في حسن اختيار الزوج، والتزول عند طلبها، ما روته الروايات الشفوية عن الشيخ أبو القاسم القاسمي مؤسس الزاوية القاسمية ببوسعادة مع ابنته لالة زينب حيث رفضت لالة زينب الزواج من بن عمها محمد بن الحاج محمد؛ الذي تقدم لخطبتها في حين والدها قد أبدى موافقة أولية، ولكن بعد مشاورته لابنته أظهرت عدم موافقتها على الزواج من ابن عمها. فما كان من الشيخ أبو القاسم إلا أن نزل عند رغبتها، واختيارها، وأخبر ابن أخيه بالأمر، وبقرار ابنته، في الوقت نفسه طمئنه بأن تكون زوجته في الجنة جبرا لخاطره⁽¹⁾ وهو الأمر تكرر مع فاطمة نسومر حين تقدم لخطبتها ابن عمها، ورفضت، وعزفت عنه، رغم كونها محط أنظار أعيان المجتمع منذ الصغر لجمالها فقد تقدم لخطبتها الكثيرون من الأشراف القبائل، وأعيانها، ومن ذوي الجاه و النفوذ، لكنّها واصلت رفضها للزواج و تفضيل العيش حياة الزهد، والجهاد⁽²⁾ و بعد ما رآه أخوها سي الطاهر منها من عزوف عن الزواج رغم محاولته بزواجها من السيد يحي آيت يخولاف الذي بقيت على عصمته دون الدخول بها، رضخ لقرارها، وأبقاها على المدرسة القرآنية، ورغم الظروف التي مرت بها السيدة فاطمة نسومر، إلا أنّها وجدت عزائها في التصوف، والعمل على رأس زاوية ورجة عازمة أن تجعل منها مركزا

¹ - لقاء مع شيخ المأمون، 2019م

² - رابع لونيس وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دار المعرفة، ط 2010، ج 2، ص 78.

إشعاعياً. لم تكن السلطة الأبوية هنا، ولا العشائرية حاجز أمام لالة فاطمة نسومر، واختياراتها بل داعمة لها وإقرار لرغبتها، وبحق كفلها لها الاسلام و هو العيش بكرامة.

ميراث المرأة في ظل الطريقة الرحمانية:

لقد عرفت الجزائر، وبالتحديد منطقة القبائل فترة عصيبة تميزت بالحروب، والفتن، والتراعات بين الأعراش، والقرى، مما جعل شيوخ الأعراش يجتمعون، ويتخذوا قرار حاسم، وخطير يتمثل في منع المرأة من الميراث، بعدما كانت تأخذ حقها وفق الشريعة الإسلامية، إلا أن ظهور نزعات حادة، أرغمت عدة قبائل على تحضير مداوات للنظر في حقوق المرأة من الميراث، وذلك راجع إلى العداوة، والتناحر بين الأعراش، بالإضافة إلى فكرة الثأر في المجتمع، ناهيك عن طابع الفقر إلى الأملاك، والتراب، والأموال⁽¹⁾ وقد فسّر عدم توريث المرأة في منطقة القبائل، بالرغبة في المحافظة على التركة، ومنع تبديد الثروة⁽²⁾. إلا أن رجال، ومشايخ منطقة القبائل، قد أجمعوا في وثيقة عام 1748م⁽³⁾ تقضي بحرمان المرأة من الميراث؛ حتى لا يذهب نصيبها إلى زوجها، خاصة الأتراك لأنّ العثمانيين الذين دخلوا الجزائر مطلع القرن 16 م، واجهوا تمثُّع الأمازيغ عن بيع أراضيهم، فاهتدوا إلى حيلة الزواج من نساء القبائليات ورغم أنّ المبادرة واجهت معارضة من بعض الأعيان، والعلماء خاصة مشايخ الرحمانية بالمنطقة، منهم الشيخ المهدي السكلاوي؛ الذي هاجر للشام رفقة 900 عائلة كون الوثيقة تعارض الدين الاسلامي

¹ - بن الشيخ علي، أسباب وظروف منع المرأة من الميراث في منطقة القبائل، الحوار المتوسطي، المجلد 9، العدد 3، ديسمبر 2018، 297-298.

² - أبو علي الزواوي، تاريخ زواوة، م.ت، بوراي اسماعيل، دار الطبع، ص 66.

³ - لقد اجتمع الأعيان، وحفظ القرآن، وعدول المنطقة، والشيوخ والحجاج بتاريخ 1749م، وهم يمثلون عرش آوسيف، وآث بني وعددهم 80 نفرا، كان ذلك بقيادة أمام مسجد تحامت، وكان هذا الجامع معروفا بإقبال الزوار إليه، وفي هذا الاجتماع تم من قانون وعرف بمبادرة وقيادة قرية ثيقوتين، وثيروال، وزكنون، وآث عباس، وآث بوعكاش، والسويقا من اتحادية آث بترون ومن اتصل بهم. انضمت إليهم قبيلة آث صدقي، وقرى آث بومهدي، وبوشبلة، وقبيلة آث أوغضال بقرية آيت عمران، وقبيلة آيت ايرقن بقرية بني عدلون، وقرية آث علي، وآخرون. وسجل في المداولة حضور ممثلين عن آثيني، و وقع الاتفاق بحضور المرابطين، والعملاء، وإمام مسجد تحامت و بعض القرى منها : - قرية تيمونين مثلها: الحسين بن بلقاسم وعلي بن عباس ، - قرية زاكنون محمد بن التواقي، وأحمد بن الأندلسي ، - قرية تيقسورين، سعيد بن القاضي محمد بن محمد سعيد، شعبان بن يوسف ، - وكانت الجلسة و الوثيقة عمر بن سيدي أحمد بن يحيى ، - قرية ثقيوانت، ع.القادر بن علي ، أحمد بن شلال....، - قرية بوعبد الرحمان: محمد ابيتر....، و غيرها من القرى والأشراف، وبأمر منهم تم إلغاء الإرث للمرأة وأن من أراد إحداث هذا الأمر، أو تغييره، فهو جور منهي عنه، وفسروا ذلك بأنه من المصالح، وعرف وعادة لا يجوز الخروج عنها، وأن | الخروج عن نص الوثيقة هو دعوة للفتنة، و يتسبب في هموم الناس (أنظر ابن الشيخ علي ، المرجع السابق ص 300).

ورغم أن السياق التاريخي الذي أفرز هذه الوثيقة، وهذا القرار قد انتفى تماماً، وأن المنظومة الدينية والاجتماعية في مناطق القبائل قد بادرن إلى إلغاءه، والعودة إلى العمل بتعاليم الدين الإسلامي، والدعوة إلى رفع العُبن عن المرأة الأمازيغية، إلا أنه مازال في بعض المناطق، والعائلات استمرار العمل بالوثيقة رغم انتفاء دواعيها الاستراتيجية، والاجتماعية، وهذا يعد نوع من التعسف الذكوري على حقوق المرأة الأمازيغية.

لكن المجتمع الجزائري حاول التخلص من هذا الإرث التاريخي؛ الذي قدس البشري، وأسقط المقدس وأبطل شرع الله بكل جهد، وقد دعت المشيخة الرحمانية في منطقة القبائل لإعطاء المرأة حقها في الميراث، وأثبتت ذلك كل مشايخ الرحمانية، ومنهم الشيخ أبو القاسم القاسمي الذي كان يولي المرأة عناية خاصة؛ وهو الذي درس، وتنقل إلى منطقة القبائل كثيراً، وكان له فيها مجالس علم، وفتوى، ولعل توريثه لابنته زينب القاسمية رد فعل على إخوانه في منطقة القبائل، ويّان لهم لحق المرأة في الميراث، فقد كتب كل أملاكه وقفاً عليها، وتركها كلها باسمها وقفاً خاصاً على ابنته، ونسله للحفاظ على أمواله وتركته من المصادرة والإحتيال.

تركة لالة زينب القاسمية:

وحسب وثيقة حصر تركة السيدة زينب، وبمقتضى الأمر الصادر من حاكم مدينة بوسعادة لحصر تركتها، انتقل قاضي بوسعادة إلى الهامل، وقام بحصر تركة السيدة زينب وبعد الفحص على الموجود هناك بقرية الهامل وجد مايلي:

- الأموال: 37 ألف فرنك ذهب، 12 ألف فرنك فضة، 500 فرنك، متاع 260 فرنك.
- مواد غذائية للزاوية: 300 فرنك، الكتب ألف وأربعمائة سفر قومت بـ 13000 فرنك
- القمح: 330 قنطار: 12 ألف فرنك، الشعير 80 قنطار: 1100 فرنك.
- الديار الموجودة بالهامل: دار الشيخ محمد بن أبي القاسم قومت بـ 15000 فرنك، 14 متزلا يسكنها آل مقران قيمة الجميع 18000 فرنك، عشرين بيت يسكنها الطلبة، ست منازل سكن الزوار، ونحو 16 بيتا أوقفها أصحابها على الزاوية.
- عدد البساتين الموجودة بالهامل: قيمة الجميع 152000 فرنك.
- المنازل ببوسعادة ثلاثة قيمتها عشرة آلاف فرنك.

- البساتين ببوسعادة قيمتها 30000 فرنك.

- البساتين بتقرت عشرون غابة نخيل، ودار، تسمى زاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم، قيمة الجميع 600 ألف فرنك.

وبساتين طولقة، وبرج بن عزوز قومت بحوالي 20 ألف فرنك.

-الأغنام 20000 رأس مزرعة على عين وسارة، الجلفة، قصر الشلالة، عين الملح. وقيمة رأس الضأن 15 فرنك، وقيمة رأس الماعز 10 فرنك، قيمة الخيل 150 فرنك، قيمة رأس من الإبل 100 فرنك، قيمة رأس من البقر 50 فرنك، الإبل 450 رأسا موزعة على المناطق نفسها.

ومجمل ديون السيدة زينب على الآخرين 534 فرنك⁽¹⁾. هذه التركة المسجلة بمحكمة بوسعادة فقط أمّا ما هو موجود بمحكمة التيطري، ومحكمة عين وسارة، فلم نحصل عليه في إطار بحثنا.

لقد عمل شيخ الزاوية القاسمية على توريث ابنته لالة زينب، لضمان حقها في الميراث وحفاظا على تركتها، كما حافظ على حقها في الحياة الكريمة، وساندها في إختيارها وقراراتها وكفل لها حقها في الميراث لم يتوان في تعليمها، وحرصه عليها، وعلى تكوينها للمهمة التي تنتظرها مستقبلا.

تعليم المرأة ضمن تعاليم الطريقة الرحمانية:

إنّ المرأة في الطريقة الرحمانية كان لها حظ من مجالس العلم، والتعليم، وحلقات الذكر بين أقرانها المريرين، والمشايخ سواء في الجنوب، أو منطقة القبائل؛ التي كانت تشكل النسبة الكبرى في احتواء وانتشار الطريقة بها، ومثال ذلك لالة فاطمة نسومر؛ التي حفظت جزء من القرآن الكريم، وكانت تقوم على مدرسة القرآنية جنباً لأخيها؛ الذي كان يشرف عليها بعد أن تأثرت به؛ الذي كان مُلمّاً بجميع العلوم الدينيّة، والدينيّة مما أهّله لأن يكون مقدما للزاوية الرحمانية، وفي هذه الأثناء تفرغت للعبادة، والعلم، ومساعدة الناس في التعليم، والنسك.⁽²⁾ فصغر سنّها لم يمنعها من التعلم، ومجالسة العلماء واتخاذ خلوة، والتعليم، و م تكن الوحيدة في منطقة القبائل؛ بل كانت محط زيارة نساء قرية سومر وخارجها للتعلم، والتبرك فيها، وأمّا عن النشاط الدينيّ، والتعليمي لنساء في كنف الطريقة الرحمانية فيلّي جانب

¹ - مخطوطة لوثيقة حصر تركة السيدة لالة زينب صادرة عن محكمة بوسعادة حكم رقم 05 بتاريخ 24 ماي 1904 الموافق لـ 19 ربيع الأول 1323 هـ ، من وثائق المكتبة القاسمية .

² - محند الطيب سي الحاج محند: لالة فاطمة نسومر ودورها في المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي، دور الطريقة الرحمانية في تعبئة وقيادة المقاومة الشعبية في منطقة القبائل، فرع المركز الثقافي الاسلامي لولاية تيزي وزو، 2004، ص 3.

فاطمة نسومر يوجد نسوة كثر كن بارعات بهذا الجانب، ومن بينهم السيدة ذهبية بنت محمد بن يحيى أحد شيوخ زاوية اليلولي، حيث كانت ذهبية بنت العربي بن أبي داود معروفة بالعلم والصلاح، والحكمة حتى أن الناس يشاورونها في أمور الدين، والدنيا، وهي إحدى شعراء اللغة القبائلية كما ذكر الشيخ عاشور الخنقي أن زوجته باية بنت أحمد حسان كانت قارئة للقرآن، وعالمة بعدة علوم على غاية الإتقان، فقد أخذت الطريقة الرحمانية على الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي⁽¹⁾ ناهيك عن السيدة لالة زينب التي أخذت القرآن على يديه المباركة و العلوم، فقد تابرت التحصيل بذكاء نادر و خارق⁽²⁾ وقد دفعها إلى ذلك طموح شديد، إضافة إلى إعتناء والدها بها. فبعد حفظها لكتاب الله عز وجل، توجهت إلى العلوم الشرعية من فقه وتفسير، وحديث، فاطلعت على كتب التفسير، وسمعت من والدها شروح الصحيحين؛ وكتاب الشفا للقاضي عياض، ودرست التوحيد، والفقه لتتمكن من علوم الشريعة، وتنتقل إلى علوم الحقيقة، باطلاعها على أمهات كتب الصوفية كالرسالة القشيرية، إحياء علوم الدين، الحكم العطائية، فتكون لها بذلك رصيد معرفي في قضايا علوم الشريعة، حتى وصلت في العلم درجة عليا. لما لمس فيها والدها شغف القراءة، والعلم ورأى فيها⁽³⁾ ملامح النبوغ، والنضج منحها مفاتيح مكتبته الثرية، فكانت تقيم فيها الأيام، والليالي الطوال قارئة، ومستفهمة، كما أنه يصحبها معه في حله وترحاله، سواء في مجالسه للصلح، أو الفتوى، أو الدروس العلمية⁽⁴⁾.

لقد كرّست حياتها للعلم، والتعليم، والعبادة، والزهد، والطاعة منذ الصغر، ليتولى فيما بعد قيادة الزاوية القاسمية، والإشراف على الطريقة الرحمانية في أصعب الظروف الاستعمارية، وتعمل على نشر الإسلام في المناطق النائية، وتعليم القرآن للنساء، والرجال، وفتحت المدارس للطلاب، وحفظ القرآن.⁽⁵⁾ فقد كانت لالة زينب من بين النساء اللواتي حظين بالدراسات، وأوصاف قلما حظيت بها امرأة معاصرة في الجزائر، فأبوها شيخ زاوية الهامل، وهي وريثته الوحيدة.

³ - د. أبو القاسم سعد الله، ت.ج.ث. 1830-1954، المجلد 3 (6.5) المرجع السابق، ص 341-341.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 164.

² - ع المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 304.

³ - ع المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 304.

⁴ - عبد الحميد خالدي، وفتات من جهاد المرأة الجزائرية، كفاح المرأة الجزائرية، ط 2، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007، ص 187.

- 3/ خطبة المرأة ألا تكون إلا من وليها، وهي المعتبرة التي تنمر آثارها العرفية والشرعية.
- 4/ تمكين الخاطب من رؤية مخطوبته بوجود محرم شرعي إذا تبين منه الجسد، والعزم.
- 5/ الزواج بيني على الرضا، والاختيار، فتمنع جميع أساليب الإكراه للابن، أو البنت على الزواج.
- 6/ لا ينبغي للأولياء الاعتراض على تزويج بناتهم من الكفاء الصالح.
- 7/ منع إطالة فترة الخطبة، إلا على تفاهم مسبق، ومبرر، ومعتبر.
- 8/ الخطبة وعد بالزواج لا تبيح شيئا من المحرمات كالحلوة، والسفر، وتبقى في حكم الأجنبية.
- 9/ الخاتم الوحيد الملزم عرفا هو خاتم الحناء، وما عداه فهو من قبيل الهدايا غير الملزمة.
- 10/ العقد الشرعي - عقد الجماعة - لا يتم إلا بعد العقد المدني.
- 11/ ألا يكون العقد صحيحا وتامًا إلا إذا حضر في مجلس العقد الولي، والزوج، أو وكيل كل منهما بشاهدين، ويتم بالصيغة الشرعية.
- 12/ اجتناب كل المحرمات في الأعراس كالاختلاط، وظهور النساء بزيتتهن على الأجانب خاصة في موكب العرس، ومنع التصوير بجميع أنواعها، وخاصة الكاميرا في أوساط النساء عدا المحارم، لما ينجر عليها من إفساد للبيوت، ومنع الفاحش من الغناء، واستبداله بالغناء الطيب الحسن.
- 13/ اجتناب كل العادات السيئة مثل إلباس الخاطب الخاتم لمخطوبته.
- 14/ اجتناب المؤذيات، والمزعجات للجيران مثل استعمال مكبرات الصوت، والبارود احتراماً لمشاعر الناس ففيهم المريض، والكبير، والصغير، والمصاب.
- 15/ ما يحدث بين العروسين ليلة الزفاف شأن خاص؛ لا ينبغي التحدث به للناس، فينبغي تحاشي ما يقع بين الجهال، من إظهار قميص الزوجة وعليه الدم، أو إخراج الزوجة، وكشفها ليلة البناء بها، بحجة عدم العذرية، كما لا ينبغي لها كشف الزوج، إذا كان منه العيب.
- 16/ عدم المبالغة في تكاليف القصة، والعودة بها إلى عادة الأجداد.
- 17/ الحد من الإسراف في ولائم عقد الزواج، والأعراس.
- 18/ حث الجميع على جعل عقود الزواج في المساجد لشرف المكان، وتجنب الإسراف.
- 19/ وجوب ستر العروس أثناء خروجها ودخولها.
- 20/ منع الإسراف في المأدبة.

21/ منع استعمال مكبرات الصوت.

22/ منع إغلاق الطريق أثناء تنقل الموكب وتقليله وتنظيمه.

23/ إلغاء هدية الهاتف أثناء الخطوبة.¹

إنّ جملة هذه البنود، ترسم للمسلم الطريق الصحيح لمعنى الزواج، وأنه ميثاق غليظ، وركن وموثق وليس بمرجة، وفسق، وفجور.

البداية كانت من زاوية طولقة، لتحذوا حذوها زاوية الهامل هي الأخرى، ولكن بلفتة استثنائية حيث دعت المشيخة في إحدى دروسها إلى تخفيض المهر، وتبعاته، والدعوة إلى جمع التبرعات من المحسنين، والتكفل بزواج الفقراء، ومساعدتهم ضمن حفل زواج جماعي، وقد جرت العادة في منطقة الهامل وبوسعادة، وأصبحت الزاوية تشرف كل سنة على زواج أزيد من 20 شاب وشابة، وتتكفل بكل تجهيزات العرس للطرفين من خلال شقها العمليّ المتمثل في جمعية المقاصد الخيرية برئاسة الشيخ المهدي القاسمي أخ الشيخ المأمون. وقد كانت لنا زيارة وحضور لعرس جماعي ببوسعادة من تنظيم الجمعية والزاوية معا⁽²⁾.

لقد كانت الزوايا الرحمانية عبارة عن مجالس عقد قران، وفتحة خير على الشباب، بالإرشاد والتوجيه والدروس للمقبلين على الزواج؛ فيما يتعلق بأساسيات الأسرة من حقوق، وواجبات بين الزوجين وتوجيهات تحل المشاكل التي قد تواجه الزوجين في بداية الحياة الزوجية، وكيف يتعاملون معها.

نعم لقد كانت المشيخة الرحمانية، ومقادم الطريقة عبارة عن موجّه ودليل للشباب المقبل على الزواج ومعين لهم من خلال الخطب، والدروس، واللقاءات، وجلسات العلم بينهم، ودرء الصدع والقضاء على أسباب الشقاق، والطلاق بأكمله، والموعظة ولكلمة الطيبة⁽³⁾.

¹ أئمة ولاية بسكرة برعاية الشيخ عبد القادر عثمان، وثيقة إصلاح ذات البين ويلي ميثاق أعراف الزواج، وثيقة عرفية لإصلاح ذات البين ولا تعتبر بديلا عن القانون، ط2016م، ص 15 16 17.

² - زيارة إلى الهامل في 17 جوان 2017. لحضور حفل زواج جماعي بجمعية المقاصد الخيرية.

³ - نجوى القاسمي، محاضرة عن الزواج والأسرة المسلمة، في زاوية الهامل، مع بنات الهامل تحت إشراف الشيخ المأمون القاسمي في 2018.

المبحث الثالث: حل النزاعات وفك الخصوم والشفاعات

أدت الطريقة الرحمانية دورا مهما في الجانب الاجتماعي في الجزائر ساهمت من خلاله في المحافظة على بنية المجتمع، وتماسكه. ومن جملة الأدوار التي قامت بها الاهتمام بالإطعام، والإيواء والتعاون، والتضامن مع المجتمع، والتركيز على المرأة لتكوين أسرة صالحة، ليستمر الدور الاجتماعي ويشمل حتى جانب القضاء، وفك الخصوم والنزاعات، والشفاعات بين الناس، والصلح ودفع الديّة، وإصلاح ذات البين.

ولنا أن نسلط الضوء على دورها في إصلاح ذات البين وسط المجتمع الجزائري، وذلك بعد أن أصبحت المرجعية الأولى، والقاعدة الأساسية له.

المطلب الأول: الزاوية الرحمانية مركز وحدة المجتمع الجزائري

تسعى الطريقة الرحمانية من خلال منهجها المتبع في الجانب الاجتماعي إلى مساعدة المريدين على المشاركة في الحياة العامة، والاندماج والتكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه، ورعاية مصالحهم، وحلّ مشاكلهم، فقد كانت الزوايا الرحمانية توفر الحاجات، والمتطلبات الروحية الدينية، والاجتماعية التي يحتاجها الفرد الجزائري، وساهم في تكوين شخصيته، فهي بمثابة محور الحياة الاجتماعية، فمنها يكون منطلق العلاقات، والمعاملات بين الناس، وذلك راجع لحنكة مشيختها التي تعمل على تقوية الروابط بين مختلف أطياف، وأجناس المجتمع الواحد.

لقد استطاعت الطريقة الرحمانية أن تتوغل داخل المجتمع الجزائري، وأن تحقق التقدم الأخلاقي، والديني الروحي، لتساهم بدورها في تقويم السلوك الإنساني، والبناء الحضاري الاجتماعي.

وبفضل مساعي مشيختها، وجهودها البناءة استطاعت أن تحتل مركز وحدة المجتمع وترسخ وجودها فيه، فأبينا وجدت زاوية رحمانية إلا وقامت بدور عظيم من الناحية الاجتماعية بالنسبة لذلك المجتمع الذي تتوسطه، وتحظى بقبول، وقداسة وسط أبنائه، فهي تعد مركز المرجع الأول في الناحية الدينية ومركز الوحدة له، والمرجعية الأولى لذلك المجتمع أو العرش المتواجدة فيه، وهذا يعود إلى النسب الشريف الذي أعطى للزاوية ومشيختها مكانة هامة وسط المجتمع الجزائري، ووطد علاقتها بالزوار

والأحباب، وأكسبها القبول، والقداسة فيها هم أشرف المهامل هم الذين استقدموا الشيخ محمد بن أبي القاسم من زاوية بن أبي داود و طلبوا منه القيام بمهمة التعليم، والإرشاد بمسجد حجاج المهامل⁽¹⁾. لتصبح الزاوية القاسمية بعد مرور من الوقت معلماً يلتف حوله أشرف القرية، وتدور عليه حياتهم السياسية والاجتماعية، والروحية العلمية، ورمزاً اكتسب قوته من قوة شخصية المؤسس، والتفاف أفراد عرشه حوله، لأنهم وجدوا فيه واجهة ومظهراً يعبر عن تشوقهم لمركز الريادة، والقيادة في المنطقة. وما زاد الزاوية تعظيماً هو المعاملة الخاصة التي حظيت بها من طرف الفرنسيون وكذا الأتراك، وإسقاط الضرائب، والجبايات عنهم لكونهم آل البيت⁽²⁾. هذا ما بسط نفوذ المشيخة على مختلف الزوايا الرحمانية، وإشرافها على الرابطة للزوايا الرحمانية في الجزائر والقبول وسط القبائل، والأعراش المجاورة منذ التأسيس إلى اليوم.

إنَّ المكانة التي احتلتها الطريقة الرحمانية وسط المجتمع الجزائري؛ أهلها لأن تكون مصدر ثقة تُؤهلها لأن تكون بمثابة الحاكم الذي يرتد الناس على أبوابها من أجل حل مشكلاتهم، وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين.

المطلب الثاني: فك الخصومات وحلّ النزاعات أو الصلح بين الخصوم

إنَّ مبدأ الصلح من بين الأدوار الأساسية التي أدتها الطريقة الرحمانية، في شقها العملي للزوايا منذ نشأتها الأولى، وذلك كونه مبدئاً إسلامياً بحتاً، فقد رغبت الشريعة الإسلامية في جمع القلوب، والإصلاح بين الناس ولم شملهم، ومن بين الإجراءات التي دعت إليها الشريعة في الحفاظ على العلاقات و قداستها؛ هي فكّ الخصوم وإصلاح ذات البين سواء بين الأفراد، أو الشعوب، أو القبائل.

لقد كان شيوخ الرحمانية في الجزائر هم الذين يقومون بدور القاضي في ظل غياب شبه تام للمحكمة، والسلطة الرادعة في ظل تزايد الخلافات، والنزاعات بين الأفراد والقبائل، فكانوا يحكمون بين الناس ويفصلون بين خلافاتهم على جميع المستويات الاجتماعية، وكانت القداسة، والهبة التي يعتقدها الناس في شيخ الزاوية هي قانون القوة، وقوة البركة التي يسيطرون بها على ذهن الناس، وعقولهم، وهذا راجع لكون الزاوية سلطة دينية تتموقع خارج الصراعات، والخلافات القائمة يلجأ الناس إليها للاحتماء،

1 - محمد أبي القاسم، الزهر الباسم، في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط 1، ص 22.

2 - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 266.

وطلب المساعدة. كثيرا ما تحدث الخصومات بسبب الاختلاف على الماء، أو الأرض، أو ثأر بين القبائل المتنازعة، أو فتنة بين طائفتين متنازعتين، فلا تجد لها حلاً إلا اللجوء إلى شيخ ثقة، وأهل علم، وتقوى لفض النزاع وفك الخصام، وهو موقف نابع من حاجة الإنسان الريفي البسيط لرجل الدين خاصة من اشتهر بالصلاح، والتقوى، وهذا بعد إلغاء فرنسا للمحاكم الإسلامية، والإبقاء على القوانين الفرنسية ليصبح القضاء الإسلامي متعلق بالأمور الشخصية فقط، وبعيدا عن الأمور الجزائية⁽¹⁾، وأمام هذا الوضع السائد برزت مشيخة الزوايا الرحمانية في الخصام من خلال العودة لأحكام الشريعة، فأصبحت ملجأ للمتخاصمين من أجل فك نزاعاتهم سواء تعلق الأمر بالأفراد، أو القبائل، أو الشعوب، فالزوايا الرحمانية بمنطقة القبائل كانت السبّاقة لفك الخصوم يقول الشيخ آيت علجت شيخ زاوية يحي العيدلي بتمقرت ببجاية: " أن الزوايا كانت عبارة عن محاكم؛ تسعى للصلح بين الناس، وتقوم مقام دولة بأكملها، وهي تتميز بتطبيق النام لتعاليم الدين الإسلامي، ولا تكتفي بالجانب النظري فقط، بل تلتزم طلبتها بالتطبيق"⁽²⁾.

ومن جهة أخرى يرى الشيخ المأمون أن الإصلاح في الزوايا يتشابه لدى كل زوايا العلم عبر الوطن حيث تتدخل الزاوية في فك مختلف النزاعات العقارية، وغيرها من مشاكل الميراث أو بين الأزواج؛ سواء تعلق الأمر بالخيانة الزوجية، أو الطلاق، وهدر أموال الأيتام، مُعرباً بدوره عن بعض مساعي الزاوية القاسمية المتعلقة في فك الخصوم ولم الشمل، ودرء الفتنة بين الجماعات المتنازعة لسنوات³.

كما ذكر الشيخ المأمون القاسمي أن الجزائر في عزّ أزمتها، لم تنقطع الوفود عن تلك الزاوية التي كان يأتيها مُريدوها من كل حدب، وصوب، وعلى غير موعد لقضاء حوائجهم، وانشغالهم، وفك خصوماتهم كلّهم ثقة في الله، أن يجري الصلح على يد شيخها الفاضل⁴.

وقد كانت الزاوية القاسمية سبّاقة لدرء نار الفتنة بين الأعراس، والأفراد، فقد ورد في كتاب وثائق تاريخية من المكتبة القاسمية؛ رسالة إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم من بني ميزاب القاطنين بمدينة قصر

¹ عبد الله سليمان، شرح قانون العقوبات، دار الهدى، الجزائر، د ط، ج1، ص 43.

² محمد طاهر علجت، دور زوايا منطقة القبائل في إصلاح ذات البين، زاوية تمقرت، 2020/10/22.

³ لقاء مع الشيخ محمد المأمون القاسمي، 2019م بالزاوية القاسمية.

⁴ لقاء مع الشيخ محمد المأمون القاسمي، 2019م، بالزاوية القاسمية.

الشلالة، ولاية تيارت، فحواها شكوى وترم أصحابها، واستيائهم مما يسمعونه من إفك، وافتراء وطعن، ويعترضون كل الاعتراض على ذلك، ويطلب صاحبها وإخوانه من الشيخ أن يكتب رسالة في الموضوع، وقد تكرر الطلب في أربع مواضع:

الموضع الأول: " نطلب من الله، ثم منك سيدنا تكف علينا إخوانك، وإخواننا فإناهم سبونا بغير موجب شرعي، لأن علمائهم في العرب، وفي المدن قالوا بني ميزاب أمواهم حلال".

الموضع الثاني: "واليوم كي خرجوا لنا فتاوى كذاب، مذابيك تكتب لنا رسالة من الكتب، ومن بحر عنانك وتكونوا عندنا باش تكف علينا السنة الجهال، الذي هنا عندنا، وغيرهم إذا كنا إخوانك وأولادك".

الموضع الثالث: "عن إذن الحاج قاسم بن سيدي عيسى المزابي الساكن في الشلالة، وإخوانه كافة مسلمين عليك، وقالوا لك توقف مع هذا الجواب، وتكتب لنا رسالة من بحر علمك في بعض إخواننا الذي كرهونا فيه. لأنهم قالوا الكتب متاعنا حللوا في رزق بني ميزاب، وترسل لنا نسخة منسوخة بخط العلماء، وخط يدك إذا كنا أولادك".

الموضع الرابع: " تكتب لنا رسالة من الكتب باش يكفوا علينا هذي الناس، وتكلنا على الله " (1) .

إن هذه الشكوى لا تصدر إلا عن نفس ألمها الكلام الذي حلل أمواهم، واستباح أعراضهم ودمائهم من بني جلدتهم، وإخوانهم بتهمهم، وفتاوى باطلة، وبهتان تحت مسمى الحق، وهي آية حق أريد بها باطل والشيء الأكيد أن هذه الشكوى المكتوبة قد سبقتها شكاوي، ورسائل شفوية، ومكتوبة للشيخ واليقين الثابت أنه كان في جميع الحالات كلام في حينه، ومجلسه ووعظ، ونصح، ونهي، وزجر، ورد إلى جادة الطريق.

ورغم أن الشيخ كان صارماً حازماً في الرد، والجواب، وإيقاف نار الفتنة وإخمادها، بين المسلمين في قصر الشلالة بتيارت، إلا أن هذه المرة ليست كسابقاتها، وليست كلاماً تلوثه الألسن، وتلفظه الشفاه بل بلغ الكلام مبلغ الفظاظة، والبشاعة، وبدأ يأخذ منحني خطيراً يتعلق بفتوى مكتوبة، تكاد تفعل الأفاعيل، وظهرت الفتنة للأفق، وبانت برأسها، قد لا تبقى ولا تذر، وربما تأتي على الأخضر، واليابس وتبيح الأموال، والأعراض، والدماء، وتشق بين الإخوة.

1 - محمد فؤاد القاسمي الحسني، وثائق تاريخية من المكتبة القاسمية، دار الخليل، ط1، 2013، ص 326.

فكان لزاما قطع دابرها واستئصالها منذ البداية، هذا ما دفع بالشيخ إلى أن يقف موقف صارم ويجب هذه المرة برسالة بخط يده بني ميزاب، بقصر البخاري خاصة، ومن خلّاهم جواب لبني ميزاب الجزائر كافة، جواباً مانعاً قاطعاً كاف، رادع، ومخرس لألسنة المتقولين عليه بهتان، وزور، فيه إطمئنان، وأمان وسلام لإخوته الميزابية مبرئاً نفسه، والعلماء الأتقياء من أن يستغل اسمهم، أو مركزهم في زرع المحن والفتن.

إنّ الشيخ أمام رسالتين من بني ميزاب موضوعهما واحد شكوى، واستغاثة، الأولى من قصر الشلالة، والثانية من قصر البخاري، رغم أنّ الأولى لم يتم الحصول عليها، إلاّ أنّنا استنتجنا موضوعها بيسر من رد الشيخ، وبالمقارنة بينهما يتضح أنّ رسالة أهل قصر البخاري قد ورد فيها اسم الشيخ صريحاً محمد بن أبي القاسم رضي الله عنه، في حين الأولى رسالة قصر الشلالة فلم تنسب لأحد بعينه، إضافة أنّها ليست مؤرخة، وأرسلها شخص واحد هو: "الحاج قاسم بن عومر بن سيدي عيسى الميزابي"، أمّا رسالة قصر البخاري؛ فكانت عبارة عن بلاغ ورد إلى الشيخ سواء كانت مشافهة، أو كتابية، أرسلها مجموعة من المشايخ ورد ذكرهم تبعاً في بداية رسالته الجوابية لأهل البخاري، وهم: الحاج داود، عمر العجال وبالحاج ورغم عدم تأريخها إلاّ أنّ تاريخها قريب من رسالة قصر الشلالة، ويكون ذلك حسب تقدير الأستاذ أحمد ناصر القاسمي الحسيني حوالي شهر محرم الحرام 1310هـ، الموافق لـ أوت 1892م لقول الشيخ: "قد بلغنا في هذه الأيام" وورد تاريخ رسالته بـ: 24 محرم 1310هـ : 1892/08/08⁽¹⁾

¹ - محمد بن أبي القاسم الحسيني الهاملي، الرسالة الميزابية، تح و تعليق أحمد ناصر القاسمي الحسيني، دار الخليل، ط1، 2020، ص

نص الرسالة الميزابية:

« بسم الله الرحمن الرحيم

ونصه: بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: من محمد بن أبي القاسم الشريف، خديم الطريقة الرحمانية وكافة خلق الله، وفقه الله إلى كافة إخواننا من وادي ميزاب القاطنين في قصر البخاري وكافة البلدان.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته و بعد:

فقد أخبرنا الإخوان: السيد الحاج داود، و السيد عمر العجال، و السيد بالحاج، أنه بلغهم عني أنني أفيتت باستباحة أموالكم.....» (1).

مناسبة الرسالة: " إن سبب كتابة هذه الرسالة المستفيضة، والمعقدة لأهل قصر البخاري هو أن الشيخ قدم إلى مدينة قصر البخاري يوم 24 شوال عام 1309 هـ ، فتلقاه الناس بحفاوة كبيرة، وحسن استقبال، وجاءوا إليه من كل مكان، بقصد السلام عليه، والتماس دعواته، وبركاته، وكان ممن قصد زيارته الإخوة الإباضية حفظهم الله عز وجل فسلموا عليه، وقبلوا يده الشريفة، فرفع مقامهم بين الملأ، وعظم شأنهم، وفرح بمقدمهم فرحاً شديداً، وأشاد بفضائلهم، وأثنى على سيرتهم، ونوّه بقيامهم على الدين وانتهاجهم الطريق المستقيم فحسددهم على ذلك بعض الحاضرين". و مازال ذلك الحاسد في حرقه حتى راح يحرر كتاباً نسهه إلى الشيخ زورا، زعم فيه أنه أفيتت بإباحة أموال الإباضيين باعتبارهم فرقة خارجة من الدين فلما بلغ الشيخ خبر هذا المفترى الكذاب، بادر إلى كتابة جواره الشريف إلى إخواننا الإباضيين؛ ولما بلغهم كتابه، طلبوا منه معرفة المزور فأجابهم: أتركوا الأمر لصاحب الأمر، فقد عرفنا الظالم، والله ينتقم منه، وهو العزيز ذو انتقام (2).

قراءة في الرسالة الميزابية:

بعد البسملة والسلام جاءت رسالة الشيخ إلى بني ميزاب قاطبة و خص بها بني ميزاب قصر البخاري لقد ابتدأ الشيخ رسالته بالبسملة، ليختص في رسالته الجواب لبني ميزاب بقصر البخاري، وعامة للإباضية في الجزائر قاطبة، وقد كانت الرسالة كرد سريع عن شكوى وبلاغ وصله من الإباضية

1 - نص الرسالة منقول عن أصله المخطوط الموجود بمكتبة الزاوية القاسمية.

2 - الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، رسالة الميزابية، مخطوطة بزواية الهامل.

مصالح الأمة، وشملها، ولم ينتصر لنفسه، وهذا دليل واضح على بصيرته وسعة نظره. تعد رسالة الشيخ إلى الإخوة الإباضية هي أولى جلسات الصلح التي أحرقتها الزاوية.

أمّا الحالة الثانية؛ التي كان لمشيخه الزاوية الحالية الشيخ محمد المأمون القاسمي، يدُ في إطفاء نارها، هي الفتنة بين الإباضية والمالكية بغرداية؛ التي وقعت في ديسمبر 2013م. حيث كانت له عدة زيارات فقد تنقل إلى مدينة القرارة خلال الأسبوع، فكانت له لقاءات مع أعيان المدينة من مختلف الفئات، بهدف إصلاح ذات البين، وذلك في مسعى شخصي توج بالدعوة إلى ميثاق الأخوة المالكية الإباضية، لقد كانت لنا زيارة للشيخ المأمون في زاويته حيث أكد أن الصلح بين الإخوة الإباضية والمالكية⁽¹⁾ من رسالة الزاوية، وأنّ الباعث لهذه الزيارة هو ما يشغل بالنا من الأحداث المؤلمة؛ التي وقعت بمنطقة القرارة خلال الأيام الماضية، والهدف تهدئة النفوس، وإطفاء نار الفتنة، والعمل على ترميم العلاقات بين سكان المدينة، وإعادة الألفة، والمحبة بينهم، والتعايش، ويوثق التعاون بين المالكية والإباضية.

كما أكد لنا أن زيارته ومساعيه هي شخصية، وفردية تدرج ضمن مساعي، ورسالة الزاوية القاسمية منذ تأسيسها؛ فمن أهدافها إصلاح ذات البين، والمحافظة على وحدة المجتمع وتماسكه، مؤكداً على أنّه استغل علاقته الطيبة، والجيدة برجال وعلماء منطقة القرارة في جمع الشمل، إذ تحدث لنا عن روابط المحبة التي تربط بين الأسلاف والأجداد بالمنطقة مع الزاوية القاسمية².

لقد تعددت اللقاءات يوم الجمعة التالي للأحداث، وبدأت في ساعة مبكرة، واستمرت حتى آخر الليل لقد كان النقاش هادئاً وصادقاً، والجميع يتحلى بسمة الحكمة، أمّا الفئة التي أظهرت تشدداً في الموقف وكانت ترفض الذهاب إلى جلسات الحوار من أجل الصلح قد اقتنعوا بفضل الله، وتوفيق منه للجنوح للصلح والتفاهم⁽³⁾.

إذ أهم ما توجت به هذه اللقاءات؛ هي الدعوة إلى إيجاد إطار كفيل بضمان التعايش بين المالكية والإباضية، والتعاون فيما بينهم مع حسن الجوار، وتحقيقاً لهذا المسعى النبيل اقترح الشيخ المأمون أن يتوافق الجميع، ويتعاهدوا على ميثاق للأخوة المالكية والإباضية، ويحترمه الجميع ويستند إلى قواعد

¹ - ملحق ميثاق الأخوة المالكية والإباضية، رقم 4.

² لقاء مع الشيخ المأمون بالزاوية القاسمية 2019م.

³ - لقاء مع الأستاذ المأمون شيخ الزاوية القاسمية 2019.

شرعية، ومعايير أخلاقية، كما ينبثق منه مجلس استشاري مشترك يضم ممثلين عن الفئتين من أهل الرأي والشورى، والمكانة الاجتماعية، والقبول لدى الجميع. ليكون الإطار الدائم للتشاور، كما يكون الضمان الحسن للتعايش، والتعاون، وقد لقي هذا الإقتراح ترحيب لدى الجميع بفضل الله.

وفي سنة 2015م أرسل الشيخ⁽¹⁾ دعوته لميثاق الأخوة المالكية الإباضية إلى القائمين على الهيئات الدينية، والعلمية، والمؤسسات الاجتماعية، والجمعيات الخيرية بولاية غرداية، ومما جاء فيه، يسعدني أن أعلمكم أن رحاب الزاوية القاسمية مفتوحة لاحتضان أي لقاء ترونه يخدم هذا المسعى، وهي على استعداد لإستضافة اللجنة التي تفوضون لها صياغة المشروع المقترح.

إن مسعانا نرجوا به وجه الله الكريم، وأن يكون لنا معكم حظاً وافراً من فضل الله الذي يؤتاه من يصل بين المؤمنين، ويصلح ذات البين لقوله تعالى: [لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نأتيه أجراً عظيماً (النساء 114)]⁽²⁾.

لقد عملت الزاوية القاسمية على إطفاء نار الفتنة، والعمل على الإصلاح، والجمع بين المتخاصمين منذ البداية، فلم تكن حالة الصلح بين الإباضية هي الأولى فحسب، بل تعددت حالات الصلح بين الأعراس والعائلات، والأزواج، فلم يهدأ بال المشيخة ولا يوم، فكل يوم مشغول بحالات صلح، وتسوية بين المتخاصمين.

ولالإشارة فإن نظام تاجماعت الذي يقوم عليه المجتمع القبائلي؛ يعتبر المؤسسة الأولى التقليدية التي يحتكم إليها أهل منطقة القبائل في فض الخصومات، والتراعات تقوم على مبادئ إسلامية محضة، ويقود هذه المؤسسة الاجتماعية شيخ الزاوية، وأعيان المنطقة وفق نهج إسلامي بحت، عكس ما يروج له أن منطقة القبائل بعيدة عن مبادئ الإسلام.

ومن مظاهر الصلح التي قامت بها الطريقة الرحمانية ما بينه الأستاذ كتنو ومسير زاوية تيفرقت الرحمانية بتيزي وزو؛ أن الإصلاح المطلوب من الزوايا حالياً، هو فك الخصومات التي ظهرت مع التعددية الحزبية، والصراع الفكري، الذي ترك بصمته على تناسق المجتمع ووحده، إذ يرى أن هذا النوع من

1 - حوار مع الشيخ محمد المأمون القاسمي، بالزاوية القاسمية، 2019، وسلمني نسخة منه.

2 - نقلا عن نص الميثاق الملحق، رقم 4.

التراعات يخلق التصدع في مجتمعنا، ولا يمكن إصلاحه إلا بالتوغل فيها، ودراستها لذا وجب على شيوخ الزوايا لعب دورهم في هذا المجال، وإعادة لحمة المجتمع، وقد ضرب الأستاذ كتبو مثال بالصلح الذي كان في منطقة القبائل قبل سنوات الاستقلال؛ والذي جرى في منطقة "واضية" والتي دارت أحداثها بين أتباع مصالي الحاج، وبعض عناصر جبهة التحرير الوطني، وعلى الرغم أن المسألة دارت بين الثوار إلا أن الزاوية تمكنت من إيقاف الخلاف بينهما على يد الشيخ مصطفىاوي أرزقي؛ الذي ذكر الحضور بمعاني الوحدة، وحرمة الدماء وقيمة الصلح.

لقد أكد الأستاذ كتبو على ضرورة الصلح في الوقت الراهن، لا بد أن تكون على هذا المستوى وأن لا يقتصر فقط على الخلافات البسيطة، والتراعات الفردية، والصلح بين الأعراش، والمتزوجين⁽¹⁾.
إننا بحاجة إلى تفعيل دور الزوايا من جديد، وإبراز دورها القيمي، وتوريث القيم، والمبادئ للأجيال القادمة، والصاعدة من أجل إعادة المجتمع إلى منابعه الأصلية؛ المتمثلة في القيم والأصالة في ظل الهجمات الغربية؛ التي تتعرض لها الجزائر، وهو الأمر الذي دعى إليه الأستاذ محمد المأمون القاسمي خلال حوارنا معه، لا بد من إعادة إعطاء الصورة الحقيقية للزوايا، وإعادة الاعتبار لها في ظل الهجمات التي تتعرض لها من طرف أشباه الباحثين.

المطلب الثالث: الشفاعات

من أهم مميزات المشيخة الرحمانية هي سعيها في الخير، وقضاء مصالح الناس وقد عُرف عن الشيخ أبو القاسم الهاملي أنه ما قام لأحد من العظماء، والأعيان، ولا ألم بباب وزير، ولا سلطان إلا للحاجة من حوائج المسلمين.⁽²⁾ فقد عُرف بسعيه لقضاء حوائج الناس لدى السلطة الحاكمة، ويستغل مكانته في هذا الباب، وكثيراً ما تجاب رغبته وطلباته من طرف السلطات حفاظاً على الهدوء، ولكي لا تثير غضب الشعب عليها، فوجب أن يكون هناك واسطة بينها، وبين الأهالي، فقد كان يقوم بدور حيوي في المجتمع، الذي فتكت به الأزمات فهو بمثابة الصوفي، الذي يحاول حلّ الأزمة، وتعويض المأزومين بمعوضات مادية وروحية تحقيقاً لتوازن مجتمعه.⁽³⁾ لم يكن حلّ الأزمات بعيداً عن الوساطة، والشفاعة

¹ - الأستاذ الشريف كتبو، دور الزوايا في منطقة القبائل ودورها في إصلاح ذات البني | ن، 2010/10/22، بتيزي وزو، ندوة علمية (تسجيل صوتي).

² - محمد الحاج محمد، الزهر الباسم، المصدر السابق، ص 52.

³ - عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، المرجع السابق، ص 269.

لدى أهل العزم و الحلّ والعقد. فلم يكتف شيوخ الزوايا بمهنة التوسط لدى الغير من أجل الشفاعة لهم عند الله كي يرفع عنهم كارثة مثل: مجاعة، قحط، غيث، وباء... بل تعدى مجال تدخلهم هذا المستوى الروحي إلى مستويات سياسية، وواقعية، ليكتسب مفهوم الشفاعة مدلوله الواقعي مثل تدخل لدى السلطان، أو الرئيس، أو الحاكم بهدف إصدار عفوه، أو عطفه على جهة أو الطرف المعني بالشفاعة سواء كان فردياً أو جماعة.

لقد كان شيوخ الزوايا الرحمانية من أكثر الشيوخ المقبولين في هذه الوظيفة، وممارسة للشفاعة، وللإشارة فإن تدخل الزاوية كان من أجل استصدار من السلطة لقرار العفو، أو تخفيض للضريبة أو شفاعة لدى مجالس الأعراش من أجل خدمة الناس، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على مدى النفوذ الاجتماعي، والسياسي الذي تتمتع به بعض شيوخ الزوايا في المجتمع الجزائري.

والشيخ الهاملي نموذج تلك المشيخة الرحمانية التي كانت تسعى لشفاعة وسط الناس من أجل قضاء حوائجهم، وفك كرباتهم؛ حيث نجد الشيخ الحفناوي يصف الجانب الاجتماعي عند المؤسس فيقول: " ويقصده الناس من جميع الجهات لتفريج كربهم، وقضاء ديونهم فما يذهبون من عنده إلاّ بالشيء الكثير فوق مرادهم، والخلق في الإحسان عنده على حد سواء ويقول الخلق عيال الله (1). وهو الشيء نفسه قام به مشيخة الزوايا الرحمانية بمنطقة القبائل حيث توسطت بين الناس والدولة والجماعات المؤثرة. ومثال ذلك تدخل زوايا بلاد القبائل الرحمانية لوقف التمرد الذي خاضته الزاويتين التجانية والقادرية ضد الدولة العثمانية، وقد أكد ذلك الأستاذ آيت سكوكي محمد أكلي أنّ طريقة الصلح والشفاعة في الزوايا تختلف حسب الحالات، وقال أنّ الزوايا كانت لا تدخر أيّ جهد من أجل تقريب وجهات النظر بين المتخاصمين، والتوسط لدى أطراف النزاع، والوصول إلى ما يرضي الطرفين معاً. والخروج لجلسة الصلح، ويضمن عدم العودة إلى الخلاف بعد زمن، كما دعى إلى ضرورة تفعيل دور عمل الزوايا بمنطقة القبائل كونها مستهدفة من حملات التنصير (2).

كما يؤكد الأستاذ العماري الطيب أنّ عملية الشفاعة كانت تتطلب مجموعة من الطقوس والمراسيم التي تنظم هذه العملية، وهو ما يعرف لدى شيوخ الزوايا بواجبات الشفاعة، والتي نذكر منها:

1 - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلق برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م، ج 2، ص 123.

1 - آيت سكوكي محمد أكلي، الزوايا في منطقة القبائل، ندوة عن دور الزوايا في منطقة القبائل، بتيزي وزو، ص 10.

1/ طقس رمي العار: الذي يتم تفعيله من خلال تقديم الذبيحة، كأن يذبح خروف، أو ثور حسب

قيمة، وحجم الطلب على نية الصلح، ومساعدة الناس، وقبول شفاعته المرجوة لزيارته.

2/ التسليم: بموجبه يتقدم الطالب، أو الطالبون لشفاعة الشريف، فروض ولائمتهم، وطاعتهم لهذا الشيخ

طلبا لبركته.

3/ التعهد: بأداء مجموعة من الخدمات للزوايا، هذا علاوة على تقديم الزيارات، والوعودات وهدايا

أخرى غالبا ما تكون هبة أراضي زراعية، وأموا (1).

لقد شمل الصلح والشفاعة في الزوايا الرحمانية عدة مجالات أهمها:

- الشفاعة، والصلح شمل حقوق البشر فقط دون الله عز وجل كالحدود، والزكاة والكفارات.

- الصلح كان بين القبائل والطوائف والشفاعة لدى أهل العزم والحل.

- الصلح كان بين المسلمين وأهل الحرب بعقد الذمة أو الهدنة.

- الصلح بين الزوجين كما أجازوا الشفاعة بينهما من أجل الصلح، والحفاظ على الأسرة من

التفكك.

- الصلح في الجنائيات، ومسائل الميراث، والوقف هذه المسائل سمحت بالشفاعة فيها لكن دون

المساس بالحقوق العامة، والخاصة بالأفراد.

ولالإشارة فإن لجوء الناس للصلح، وحل النزاعات بطرق سلمية بعيدا عن القضاء، والاستعانة بالوساطة

في ذلك لما يتميز الصلح العرفي الذي تبنته الزوايا ومشيختها بـ:

- السرعة، والبساطة، والمجانية.

- السرية، والحميمية.

- البعد الاجتماعي الذي يتركه الصلح حيث يقرب الفرقاء، لأن فصل القضاء يورث بينهم

الضغائن، ويورث الحقد، والكرهية.

² - العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، دراسة أنثر بيولوجية مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 15 جوان 2014، ص 133.

- ضمان التنفيذ، وفعاليته إذ أن الوسطاء العرفيين من ممثلي الجماعات، ورجال الدين يضمنون تنفيذ بنود الصلح تنفيذاً سريعاً، وفعالاً، وذلك بفضل السمعة، والتأثير المعنوي الذي يتمتعون به لدى الأطراف المتنازعة، ووسط المجتمع الواحد.

وهذا كله من باب التخفيف عن الخصوم بعيداً عن إجراءات المحكمة، وسير الدعوة، ودفع الرسوم وأجور المحامين، والتخفيف عن العدالة، والقضاء، وتحقيق العدل بين الناس دون الانحياز لطرف دون الآخر، ونشر السلم، والأمن، والأمان.

آثار الصلح والوساطة في المجتمع:

- وقد يترك الصلح الذي يدعوا إليه رجال الزوايا آثاراً في المجتمع على جميع الأصعدة أهمها:
- الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه.
 - الحفاظ على وحدة الأسر، وعلى ترابط العلاقات.
 - إزالة بذور الطائفية، والعنف.
 - الحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، والقيم الدينية، والاجتماعية.
 - حفظ الأرواح والممتلكات.

المطلب الرابع: محاربة الآفات الاجتماعية (المخدرات، التدخين) التعصب والعنف النفرات الطائفية

لقد كان للطريقة الرحمانية مكانة هامة لا يستهان بها، من خلال دورها الفعال في معظم الأحداث الثقافية، والعلمية، والدينية من أجل إبراز مكانتها كعقيدة، بقدر ما هو إبراز لدورها الثقافي، والديني والتعليمي، وأنّ وظيفتها لم تقتصر على الإطعام، والإيواء، ومنح الأمان للأتباع. فقد أحدثت موازنة بفضل منهاجها التعليمية بين الأرياف والمدن من ناحية التعليم لينعكس على أبناء المجتمع بالتوعية والنضج والارتقاء.

1- محاربة المخدرات:

استطاعت الطريقة الرحمانية بفضل جهود مشيختها عبر كامل زواياها أن تساهم في محاربة الآفات الاجتماعية بكل أنواعها، وتجريم الجريمة، والتعصب، والعنف، والعنصرية الطائفية، التي تدعوا لها بعض الأطراف الدخيلة، بالإضافة إلى محاربة، وقطع الطريق أمام مروجي المخدرات، وفك شبكاتهما في المناطق الريفيّة المحاذية للزوايا، وهو الأمر الذي حدث في زاوية الهامل؛ حيث كان الشيخ محمد المأمون القاسمي

دور بارز في محاربة بارونات المخدرات، والتدخين في منطقة الهامل، وذلك بالتكاتف مع الأمن والشرطة والإطاحة بهم في منطقة الهامل. التي انتشرت بها عصابات التدخين، والمخدرات كثيراً، وقد تم رفع الشكوى لشيخ الزاوية من أبناء المنطقة للنصح، والإرشاد، لأبنائهم وتوجيههم، فلم يكن أمام الزاوية إلا أن مدت يد القوة لهؤلاء من خلال جلسات الرشد، والنصح، والتوجيه. بالإضافة إلى تكاتفها مع سلك الأمن من أجل محاربة المخدرات، وبيان ضررها، وخطرها على أبناء المجتمع، وقد حققت نجاح في هذه الحملة ضد مروجي المخدرات، إذ أطاحت بالمروجين بالمنطقة بفضل التكاتف بين أبناء الزاوية والقرية الهامل، والشرطة، حيث عملت الأستاذ نحوى القاسمي عريضة تدين فيها عصابات المخدرات والتدخين بالمنطقة، ونشرت في صحيفة العالمية في فرنسا سنة 2012م.

فالزاوية الرحمانية القاسمية في خدمة الشعب دوما كما قال الأستاذ محمد المأمون القاسمي.¹

2- محاربة التعصب والطائفية:

لقد سعت الطريقة الرحمانية، وعلى رأسها مشيخة زاوية الهامل القاسمية الشيخ محمد المأمون القاسمي إلى رد الصدع الذي حلّ بالجزائر، وكاد يؤدي بالانقسام عرقياً وطائفيًا، هذا أمازيغي، والآخر قبائلي، والآخر عربي، تارقي، وغيرها من النعرات، التي هزت المجتمع الجزائري في العشرية السوداء، التي تمهد إلى تمزق الأمة، وتشردمها، والتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة.

إن أكثر المناطق الجزائرية التي عانت الإرهاب، وويلاته هي منطقة القبائل، وذلك لطبيعة التضاريس الجبلية، وخصوصية الشعب، ومنطقة الأوراس، فما كان من الشيخ المأمون إلا أن كتب كتاب إلى القائمين على المنارات القرآنية من مساجد، وزوايا، وإلى الإخوان، ليكون وثيقة مرجعية في الدعوة إلى التعاون على ردع الصدع، وجمع الكلمة. والعمل لنشر السلام، والوثام بين أفراد المجتمع والمحافظة على وحدته، وتماسكه، عملاً بسنة الأنبياء، ومما جاء في كتابه: "نتوجه إليكم بكتابنا هذا، في مرحلة تاريخية يتطلع فيها شعبنا المسلم إلى غد مشرق، وفجر قريب، يؤذن بانفراج أزمئتنا، والتنام شملنا...".²

¹ - لقاء مع الأستاذ نحوى القاسمي، 2017.

² - خطاب الشيخ المأمون إلى القائمين على المنارات القرآنية وإخوان الطريقة الرحمانية الموافق 1999 م.

إنّ التغيير المنشود تبدأ خطواته الأولى بتصحيح الانحرافات، والتصالح مع الذات والعمل لبناء المستقبل على أسس متينة، وقواعد صحيحة، تركز على القيم الروحية والوطنية التي كان التحامها سرّاً تماسك شعبنا عبر الأجيال، ولا سيما في أوقات المحن، والشدائد في عهد الاحتلال مؤكداً على أنّ التفرقة وباء جسيم، والأمة التي يقع بأسها بيّنها، وتغشوا الخصومات، والتراعات في كيانها، هي أمة تنتحر قبل أن ينال منها غيرها، والاختلاف الذي يولد الضغائن، وينشر في أبناء الأمة الواحدة حب الانتقام إنّما هو وباء.

كما أشاد في كتابه لكيفية الخروج من هذا المأزق، الذي حال بين أمن، واستقرار الوطن؛ من خلال تقديم المصلحة العامة، على المصلحة الخاصة، وضرب من التضحية والفداء من أجل الوطن مذكراً بسنة الحبيب، حيث أقام مجتمع مسلم متأخي، متراحم مجتمع يقول عنه المسلم أنا مع غيري أشاركه الحياة نعماءها، وبأساءها، سعادتها، وشقاوتها.

لقد دعا إلى القيم الإسلامية؛ التي توطن الوحدة، والأخوة، والتسامح، والحوار ونبذ العنصرية، والتفرقة، مشيداً أنّ أكثر الأولويات إلحاحاً هي المحافظة على وحدتها الدينيّة والعقدية، الأمنية، التي أنعم الله بها علينا، وحماية مجتمعنا من أضرار التشرذم المذهبي والتفرق الطائفي، وضرورة التصدي للتيارات المصدرة لفكر التطرف، والفلق، والتكفير، ودرء الخطر الذي تشكله ظاهرة الشذوذ، وتجاوز الإعتدال ولا يكون ذلك إلاّ بالتمسك بمرجعيتنا الدينيّة، وخصوصاً المذهبية في العقيدة، والفقه، والسلوك، فهي الحصانة لنا من الغلو والتطرف في الدين فهي تشكل مرجعية موحدة، وصمام أمان عبر العصور والأجيال.

إنّ هذا ما نريده للزوايا، والمنارات العلميّة أنّ تساهم في ترسيخه، وإنجازته في إسهام وتعاون وتعامل مع كل القطاعات المعنية، فرسانتنا جامعة لا مفرقة، تقرب ولا تباعد، نشر قيم التعاون والتضامن، وتشيع روح الأخوة، والتسامح، وتدعوا إلى نبذ العنف، والتفرقة والإرهاب، والتعصب فرسانتنا راسخة، ودعوة مستمرة، تنتهج فيها كل السبل المتاحة والممكنة لتجعل من الزوايا مصابيح مضيئة، وهادية للسعادة في الدارين.¹

¹ - خطاب الشيخ المأمون، المرجع نفسه، ص4

إنّ الزاوية الرحمانية لم تكن مجرد رمز ديني، للعبادة والانطواء في قراءة القرآن أو حلقات التصوف، بل إنّها عملت على بناء الخلق الاجتماعي، والسلم والأمن، وكان هذا من بين أهم أدوارها الاجتماعية.

فالطريقة الرحمانية منذ نشأتها عملت على إعداد، وتكوين الفرد الصالح لبناء مجتمع صالح، وكان لها تأثير بعيد جداً في هذا المجال، بحيث سعت إلى تكوين أتباعها، ومريديها تكويناً أخلاقياً، عالياً، وتلبّية حاجاتهم الروحية، والدينية، والاجتماعية، ليكونوا على مستوى عال من الأخلاق، ليتمكنوا من التأثير في المجتمع، والتعايش فيه.

إنّ المنهج المشع في الطريقة الرحمانية، هو منهج تخلّيه النفس من الصفات الذميمة وتخليتها بالصفات المحمودة، لتكوّن فرد صالح، ومعالج في آن واحد، يستطيع التعايش والمشاركة في الحياة العامة، والتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، ورعاية شؤونه، وحلّ مشاكله، وتوفير متطلباته من أجل حياة كريمة.

إنّ الاحترام المتبادل بين الأتباع، والأحباب، والشيخ، والمريدين، وهذا التواصل، والحب يعد من أهم الأسباب التي جعلت الطريقة الرحمانية تستمر، ويضل لها حضوراً لحد الساعة في معترك الحياة، بكل جوانبها الدينية، والتعليمية، والاجتماعية، فهي عملت على خلق مجتمع خال من الأمراض الاجتماعية مجتمع يسوده التعاون، والتعامل الاجتماعي، والترابط والتماسك، وهو الشيء الذي تميزت به الزوايا الرحمانية عن بقية الزوايا الأخرى، خاصة في حضورها الديني، ومع الجمعيات فنجد أبناء الزاوية متسامحون متعاونون فيما بينهم، ومع غيرهم، تربطهم أواصر المحبة العميقة، لا يمكن أن تُقطع أو تشوبها شائبة، وكان لهم قلب واحد، فمن خلال زيارتي لعدة زوايا رحمانية وجدت القائمون عليها متعاونون متماسكون، يشكلون أسرة واحدة، وإنه ليحق القول أنّه لا توجد مؤسسة إجتماعية توفر لك الأمن والاستقرار الروحي، والنفسي، والتماسك الاجتماعي، وتسعى لبناء الفرد، والمجتمع على مرجعية دينية وأخلاقية من الزاوية، مهما كانت مهينة بالجانب المادي، والمعنوي.

المطلب الخامس: الحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري

ساهمت الطريقة الرحمانية عبر كل زواياها بالحفاظ على عادات المجتمع الجزائري من خلال إحياء الأعياد الدينية، والمناسبات، والاحتفال بها في جوّ تتجلى فيه روح التآزر والتضامن، والتذاكر، وقراءة

القرآن الكريم، والذكر، وبعض الدروس الوعظية في المدائح الدّينية، وتواشيح من شأنها إضفاء طابع خاص لهذه المناسبات، واللحظات السعيدة.

1- شهر رمضان:

إنّ شهر رمضان له خصوصية عن باقي الأشهر، وذلك لعظمته ونزول القرآن فيه وليلة القدر فعند قدومه من كل سنة يقوم المكلفين على الزاوية الرحمانية، وبعض المحسنين بتنظيف ساحة الزاوية والمناطق المجاورة لها، من خلال دهن، وطلاء الجدران الخارجية لفناء الزاوية، وشراء أثاث، وزرابي للزاوية لاستقبال الشهر المبارك بوجه جديد، لإقامة صلاة التراويح، وتصبح الحركة الدّينية نشطة، وجو روحي على غير العادة، وتظل ليلة القدر الليلة التي تقام فيها الصلاة إلى غاية طلوع الفجر.

ويختتم القرآن كم من ختمة في هذا الشهر، ويجلس الطلبة يرتلون القرآن ليلا نهارا، دون انقطاع.

2- عيد الفطر والأضحى:

وبعد هذه الليلة المباركة وبأيام قليلة فقط، تأتي مناسبة جديدة دينية أخرى ألا هي مناسبة عيد الفطر، فيحتفل بها على جهاد النفس بالصوم، والصلاة، وهو يوم إفتار بعد صوم شهر، من العبادة، ويوم تحتفل به بالعزيمة، والقوة، فيكون هذا اليوم فيه من التهليل، والتحميد والتسبيح، والتعبير بعد صلاة الفجر، إلى غاية صلاة العيد، وبعد الصلاة يكون هناك درس يوم العيد عادة ما يكون عن الأخوة، والتسامح، والمواظبة على العادات، والطاعات.¹

أمّا بالنسبة لمناسبة عيد الأضحى فهو الآخر يستقبل بالتهليل، والتكبير، والتسبيح حيث كان الجو العائلي يسود في الزاوية، إذ تشتري الزاوية القاسمية عددا من الأضاحي في حدود إمكاناتها، وهذا لتضمن مساعدة الفقراء، وإدخال البهجة عليهم.

وتعمل الأمهات بخضب يد الأطفال بالحناء عشية العيد، وتوزع المشيخة على أبناء المنطقة لباس جديد وبعض الأضاحي، لإدخال الفرحة على الأيتام، وتعمل على جمع الصدقات وإعادة توزيع لحم الأضاحي على الفئة المستحقة لها في جو فرحة وسعادة.

¹ - حضور عيد الفطر في زاوية الهامل.

بالإضافة إلى المناسبات الدينية، تحتفل زاوية الهامل القاسمية كغيرها من الزوايا الرحمانية بمناسبة عاشوراء، احتفالاً دينياً يشارك فيه أبناء الزاوية الفرحة، والصيام، أهل بلدة الهامل كما توزع فيه الصدقات على الفقراء من مواد غذائية، ولباس، وأغطية، بالإضافة إلى بعض الأكلات التقليدية التي تطبخ في الزاوية وتوزع على عائلات منطقة الهامل، والمناطق المجاورة، حيث توزع على أزيد من 300 عائلة. حسب الطباخة عائشة لزاوية الهامل.¹

إنّ الاحتفال بالأعياد الدينية من شأنه أن يوقظ الوعي بالروابط التي بين الأفراد من حب، وأخوة وترايط، وتواصل بين الأرحام، والفقراء، والأغنياء، والكل في جو موحد.

3- الإحتفال بالمولد النبوي الشريف:

رغم أنّ كل زاوية لها طابع خاص، وجو خاص في الاحتفال بالأعياد الدينية، إلا أنّ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف له طابع خاص، وجو إيماني روحي مميز، فإذا كانت الأعياد الدينية فيها يكون بعد الإفطار من شهر رمضان، فإنّ فرحة المولد هي فرحة لقاء الحبيب، وشفيع البشرية، ففي هذه الليلة اكتمل القمر.

فلاحتفال به في زاوية الهامل له جو خاص بطبعه جو إيماني، حيث يجمع عدد لا بأس به من سكان منطقة الهامل، والطلبة، الزوار بمسجد الزاوية لإحياء هذه المناسبة بقراءة القرآن الكريم إلى غاية صبيحة المولد النبوي الشريف.

وفي صباح يوم الثاني عشر من ربيع الأول يتمون المذبح التي بقيت، والتي جمعت في الليل، ولم يسمح الوقت للسماع إليها، وربما يتطلب ذلك ساعة متأخرة من الليل ليجتمع العشاق لصلاة النافلة وبعدها للصلاة على الحبيب بمدحه وذكره، وللإشارة فإنّ الحاضرين يصل عددهم إلى الآلاف، يأتون في وفود، وحجيج إلى زاوية الهامل، التي تستقبل الجميع من أجل إحياء الفرض الروحي من كل سنة لإحياء مولد الحبيب.²

¹ - لقاء مع السيدة عائشة في 2018.

² - حضور للمولد النبوي الشريف 2019م بالزاوية القاسمية.

بالنسبة لنساء، فقد كان لها حظ في هذه المناسبات الدينية خصوصا في تحضير مختلف الأكلات الشعبية، وكذا الحلويات فهن كذلك لهن حظ من الجانب الروحي، والصلاة على المصطفى، ومن محاضراته حول سيرته، ومناقبه، وجهاده حيث يجتمعن في صالون خاص بالنسوة في الزاوية للاستماع لخطبة الشيخ، وقد يصل عددهم إلى 200 امرأة يأتون من قرية الهامل، وبوسعادة، ومجدل، والقرى المجاورة.¹

لقد كانت هذه المناسبات مواسم للخير والبر، وفيها منافع للناس، حيث شكلت تجمعات للنقاش والتعاون، ومساحات للذكر، والعبادة، كما أنها أماكن للتضامن، والأخوة، وربط الروابط الأخوية بين الأعراش، والفقراء، ورجال الأعمال، وأرباب الأموال.

4- الاحتفال بموسم الحج:

هي عادة حميدة تسهر الزاوية القاسمية على ترسيخها في الأجيال المعاصرة والمحافظة عليها لما لها من فضل في ربط الروابط الأخوية بين الناس، والزاوية ومشيختها، إذ تسهر الزاوية على توفير المال لبعض الحجاج، وقد كلفت الزاوية القاسمية الشيخ الحاج عبد العزيز الفاطمي كدليل سياحي للبقاع المقدسة بعد توديع شيخ الزاوية، وطلب الدعاء، والتيسير لهم وعند عودتهم يتزلون بمقر الزاوية للبركة، ثم يسافرون لأهلهم، وهي عادة لا تزال قائمة ليوم الناس هذا.²

المبحث الرابع: الطريقة الرحمانية والجمعيات

إن انضمام الطريقة الرحمانية تحت لواء الجمعيات، هو أحد أشغال التماسك، والتكافل الاجتماعي، والدعوة لفعل العمل الخيري، وتوطيد الروابط، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية وغرس القيم الإسلامية، داخل المجتمع الجزائري، وبهذا تبين قدرتها على استيعاب متطلبات وحاجيات المجتمع ومدى تكيفها مع المتغيرات، فالجمعيات تعتبر الشق التطبيقي للجانب النظري من الطريقة.

المطلب الأول: الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية

¹ - حضور للمولد النبوي الشريف، 2019م، بالزاوية القاسمية

² - لقاء مع المقدم شويحة بزاوية الهامل، 2019.

تأسست الرابطة بموجب قرار اعتماد وزارة الداخلية بتاريخ 27 فبراير 1993م، وهي أول جمعية تم اعتمادها بعد اجتماع أعضائها المؤسسون وانتخاب الرئيس، ومكتبها الإداري بزواوية الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان في 03/08/1989م، واختير شيخ زواوية الهامل رئيسا لها. تضمنت مقاصد وأهداف رسالتها على خمس محددات: المجال الروحي، العلمي، التربوي، الثقافي والإجتماعي.

حددت الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية خطوطها العريضة وفي طليعتها توحيد جهود الزوايا وتنسيق تعارفها في مجالات التربية الروحية، وتعليم القرآن، والعلوم الشرعية، والعمل المتواصل، للحفاظ على الوحدة الدينية، وحماية الجزائريون من التطرف الديني، والتشردم المذهبي، وشرور التعصب، والفتن الطائفية، والسعي للإصلاح المجتمع، وتطهير بيئة من مظاهر الفساد بما يضمن لشعبنا مناعته، وتماسكه، ويحفظ له صبغته الأساسية، وشخصيته الإسلامية.

ركزت الرابطة الرحمانية على بند رئيسي وما أحوج المجتمع إليه وهو إصلاح مناهج التربية الروحية في الزوايا لتحفظ لها قوتها، وتجنب مواطن الضعف، وتستأنف رسالتها في إرشاد العباد وتخليصهم من ربة الجهل، وتصفيّة بواطنهم، وتزكية نفوسهم، وتعليمهم ما يصلح دينهم، وديانهم وهذا ما بينه الشيخ الخليل القاسمي في خطبته بمناسبة الاجتماع التأسيسي بعد أن حدد رسالة الزاوية والدور المنوط لها، وذكر أنّها ليست للزوايا مهمة واحدة ولا جهة عمل محددة، بل هي مجموعة أعمال وعدة مهام تتناول المجتمع من جميع النواحي الروحية، والعلمية، والعملية، والسلوكية، وما عمل الزوايا العلمية إلاّ مرآة مجلوة تبرز في وضوح تام ما كان على عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، باعتبار أنّ شريعة الإسلام والرسالة الخاتمة كانت تشريعا للدين، والدنيا، والآخرة، والأولى ولل فرد، والمجتمع، والحاكم، والمحكوم، كما حدد الشيخ الخليل في مداخلته أهمية، ومكانة ودور الزوايا في:

1. إنّ الزوايا مصحات علاج للنفوس العاتية الطاغية، تشخص دوائها فهي مستشفيات لأعراض القلوب، وأدواء الهوى الغلاب، وقائمة أمراض القلوب، والنفوس عندهم طويلة متفرعة ومتنوعة، حصروها وجعلوا لكل داء دواء.

2. الزوايا مدارس أخلاق مبنية على طراز الشمائل الحمديّة، والأخلاق النبوية "وانك لعلی خلق عظیم".

3. الزوايا قلاع جهاد، وجامعات للقرآن الكريم، تعلمًا، وتعليمًا، وفهمًا، وتلقيًا، وإحكامًا وترتيبًا.
 4. الزوايا حصون مبنية لحماية القيم الإسلامية، والتقاليد والعادات السامية لمجتمعنا.
 5. الزوايا أسوار أمنية، والتصوف عقيدة عالية، واقية، حصينة للمرجعية الدينية، والعقدية والفقهية والنصوص عقيدة الأشعري، وفقه مالك، وتصوف على طريقة الجنيد السالك.
 6. الزوايا مجالس للقضاء، وحلّ الخصومات، وبث روح التسامح، والتصالح بين المسلمين والمؤمنين ففيها يتم الصلح، وحسم النزاع على كلمة الله وتطبيقًا لشرعه.
 7. الزوايا هي ملجأ للفقراء، والأيتام، والعجزة، والأرامل، وهي جامعات شعبية تعلم الطفل والكهل، والشيخ، والرجل، والمرأة، فالكل يجد من التعليم ما ينفعه، ويفيده.
 8. الزوايا مبحث وجدان وإذكاء شعور لذوي الحس المرهف، الذوق السليم فهي مواطن تعاون وتآلف، وتصادق، وترافق، وتواد، وتراحم، وتعاون، وتضامن، تجمعهم كلمة الإسلام ليظهر الجميع في معنى الحب، حب الله، والحب في الله، والحب لله.
- وغيرها من الأهداف التي تسعى الرابطة لتحقيقها على أرض الوطن؛ التي نصّ عليها بيانها في وثيقة التأسيس، وقانونها الأساسي، مفادها أنّ الجمعية وطنية ذات طابع علمي ثقافي، تربوي، اجتماعي تهدف إلى النهوض بهذه المؤسسات الدينية لتعود إلى سالف مجدها وتظل معاهد للتعليم العربي الإسلامي ومعقل للدعوة، والتربية الروحية، ومنارات للإرشاد والإصلاح، ومصادر للإشعاع على الوطن كله ويرتكز عمل الرابطة على:¹
- تمكين العقيدة الصحيحة في النفوس، أو غرس القيم الروحية فيها.
 - العمل لفهم حقيقة الحياة الروحية وإدراكها للجانب الصوفي.
 - إصلاح مناهج التربية الروحية في الزوايا، لتحفظ لها قوتها، وتتجنب مواطن الضعف أو تستأنف رسالتها في الإرشاد، والصلح، ونشر المزيد من الوعي في الطلبة والأتباع.

¹ - خطبة الشيخ الخليل في إفتتاح الجمعية التأسيسية للرابطة الرحمانية يوم الخميس في أوت 1989 في الجزيرة، نسخة من الخطة بالزاوية القاسمية بالهامل.

- إصلاح مسار التعليم في الزوايا؛ لكي يكون القدر الأدنى من التعليم فيها يقوم على تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم أحكامه، وعلوم الشرعية المتعلقة به.
 - العمل على إحداث شهادات علمية تتوج نهاية السنة الدراسية بالزوايا في مختلف مراحلها.
 - المساهمة في الجهود المبذولة للعناية باللغة العربية.
 - العناية بتعليم المرأة وتربيتها تربية إسلامية صحيحة، لإعدادها لرسالتها الأساسية في تكوين الأسرة وتوجيهها في تربية النشء ومن أمثلتهن: فاطمة نسومر، خديجة بنت بلكانون، زينب الهاملية القاسمية، أم صفية البكرية العزوزية... الخ.
 - تنشيط الرسالة الاجتماعية للزوايا، ودعت إلى تشجيع الحوار الفكري، والعلمي البناء الذي يهدف إلى تصحيح المفاهيم الإسلامية، ويساعد على بناء الشخصية الإسلامية العلمية حيث بينت التعليم الصادر بتاريخ 2001/06/23 رابطة الزوايا الرحمانية تدعو لتظافر الجهود من أجل استيعاب الأمن، وعودة الاستقرار، فدعت إلى جبر الصدع، وجمع الشمل، وإصلاح النفوس، والقلوب الحائرة والعمل على غرس القيم الوطنية، والروحية، وغرسها في نفوس النشء.
 - التصدي لمحاربة الآفات الاجتماعية، وحماية الشباب من مظاهر التمزق، والتشذرم نتيجة أدوات الإعلام الحديث، والتيارات الدينية المتطرفة.
 - العمل لإبراز السمات الأساسية للنموذج الإسلامي كالتوسطية والاعتدال.
 - العمل على المحافظة على الصفة الأساسية للأمة، والاحتفاظ بشخصيتها الإسلامية المتميزة.
- وجاء في البيان من أجل تحقيق هذه الأهداف المنشودة تسعى الرابطة إلى ما يلي:
- ✓ توحيد جهود الزوايا، والطرق الصوفية في الجزائر، وتحقيق تعاونها في مجالات التربية الروحية والعلمية والإصلاح الاجتماعي.
 - ✓ بعث نشاط الزوايا التي تعطلت عن العمل، وبناء المزيد من الزوايا العلمية عبر الوطن، والعمل على استرجاع أوقاف الزوايا، والدفاع عن مصالحها واسترجاع مكانتها.
 - ✓ التعاون، والتنسيق مع الجمعيات، والهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية من أجل حماية المجتمع الإسلامي من كل ما يسيء بوحدته.
 - ✓ تنشيط الرسالة الاجتماعية للزوايا لتستأنف دورها في رعاية الخدمة الاجتماعية.

✓ إنشاء مركز توحيد جهود الزوايا للطرق الصوفية في الجزائر، وذلك بإنشاء جامعة تضم جميع الزوايا، والطرق الصوفية.¹

المطلب الثاني: جمعية قدماء طلبة الزاوية القاسمية والمعهد القاسمي

وهي من بين أهم الجمعيات التي عرفتها الطريقة الرحمانية، حيث عن الشيخ الخليل القاسمي إلى اجتماع عام لكل طلبة الزاوية، والمعهد القاسمي، وانعقد ذلك بتاريخ 26-27 يوليو 1990، وحضر مئات منهم من كل المستويات، وأشرف الشيخ المأمون، والشيخ محمد المهدي على إدارة المنتدى وتسييره فألقيت المحاضرات التاريخية، والفكرية حول مساهمة هذه المؤسسة العلمية في تاريخ الجزائر وتطلعات رجالها وأتباعها إلى النهوض بها في سائر المجالات التي سبقت إليها دينية روحية، وعلمية إجتماعية، وبإدراك الحاضرون إلى إنشاء جمعية قدماء طلبة زاوية الهامل، والمعهد القاسمي، وأسندوا رئاستها إلى أحد طلبة الزاوية، وهو الأمين العام للمكتبة القاسمية الشيخ: أبو الأنوار داحية.

تعمل الجمعية على ربط أواصر التواصل، والتعاون بين أبناء الزاوية وربط الجيل القديم بالمعاصر.²

المطلب الثالث: جمعية المقاصد الخيرية:

إنّ انفتاح الزوايا على المجتمع المدني، من خلال تشكيل جمعيات، ونواد رياضية في المجتمع من أجل المساهمة في مساعدته، والتكافل مع أبنائه. وجمعية المقاصد الخيرية لزاوية الهامل خير مثال لتلك الجمعيات الإنسانية. التي أسستها الطريقة الرحمانية فهي تشكل الجانب الواقعي الخيري لتعاليم الطريقة بزاوية الهامل، يترأسها الأستاذ مهدي الحسيني القاسمي، تم اعتمادها رسمياً بقرار المؤرخ في 26 أوت 2008م إلى غاية 31 ديسمبر 2009م، ليكون بداية النشاط الرسمي في 2010م، حيث نشطت داخل المجتمع المدني مع بقية الجمعيات الأخرى هدفها خدمة الفئات الهشة من أبناء الهامل، وبوسعادة والمسيلة.

¹ - نقلا عن مقال بجريدة الشعب 14/05/1990، مكتبة الأستاذ عبد القادر شعبية

² - محمد الرؤوف القاسمي، مؤسسة زاوية الهامل العلمية، المنار التاريخي والتحولات الهيكلية، دراسة سوسولوجية سونغرافية، رسالة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، قسم الاجتماع، جامعة الجزائر، إشراف الأستاذ سمانّي محفوظ، السنة الجامعية 2006/2007، ص 470.

وقد تمثلت نشاطاتها الخيرية في الزواج الجماعي، وقفة رمضان، وختان الأطفال، ومساعدة الأيتام والأرامل، وقد ظهر نشاطها جلياً في جائحة كورونا؛ حيث اشترت حوالي أربعين مكثف أو كسجين وغيرها من الأعمال منذ البداية إلى اليوم، ولنا في تقرير أعمالها حوصلة مجملة على نشاطها طيلة عملها¹.

الجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ الملاحق رقم 5، تقرير أدبي حول جمعية مقاصد الخيرية

خاتمة

خاتمة:

من خلال معالجتنا لموضوع البحث الموسوم ب: "الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر" توصلنا لمجموعة من النتائج أهمها:

❖ تركت الرحمانية صورة مشرقة في تاريخ الطرق الصوفية بالجزائر؛ من خلال اتباعها لكتاب الله، وسنة نبيه عليه السلام، كما أبقى صورة خالدة للتاريخ من خلال حملها للواء الجهاد عبر أغلب زواياها سواء بانضمامها للثورات الشعبية مثل: ثورة المقراني، والحداد، ولالة فاطمة نسومر، أو باحتواء الثورة التحريرية وجعل زواياها معقل للثوار.

❖ لقد عرفت الطريقة الرحمانية انتشارا واسعا منذ عهد المؤسس، لتكون الانطلاقة من مدينة آيت إسماعيل، ليشمل نفوذها منطقة القبائل، والأوراس، وقسنطينة، والجنوب الشرقي، والغرب الجزائري، أما عن سبب انتشارها الواسع، راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة تعاليمها السمحاء الملتزمة بالكتاب والسنة، إضافة إلى طبيعة المؤسس، وعزيمة مقاديمه، وطلبته ومؤلفاته، ودور الزاوية الأم في التوعية والإرشاد.

❖ اهتمت الطريقة الرحمانية بالتربية الروحية تنشئة للفرد المسلم، والسعي للارتقاء الروحي في مدارج السلوك، والمعارف بفضل المجاهدات، والرياضات، لترتقي النفس البشرية في معارج الكمال، وذلك الارتقاء يكون عن طريق الذكر والخلوة، وينظم هذه العملية التربوية الشيخ والمريد والآداب التي لا بد من الالتزام بها.

❖ تقوم العملية التربوية الروحية على عملية التخليّة، والتّحلية، التي تسعى الطريقة الرحمانية من خلالها من تصفية النفس من أكارها، ورعوناتها، وتحليتها بالفضائل، والأخلاق الحسنة، لإعطائنا فردا صالحا، ومرتزا سلوكا، وخلقا.

❖ يشكل الدور العلمي للطريقة الرحمانية ردة فعل على السياسة الفرنسية التبشيرية؛ التي تهدف للقضاء على الإسلام واللغة العربية، فركزت في منظومتها التعليمية عبر كل زواياها على تدريس اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، فرغم بساطة وسهولة البرامج والمناهج المعتمدة، استطاعت المحافظة على الهوية الوطنية من: قيم ومبادئ، وتراث، وعادات وتقاليد، والحرص على عدم الانحراف، والانخراط في الثقافة الفرنسية والحفاظ على أصالة المجتمع الجزائري.

❖ تعد الطريقة الرحمانية من أكثر الطرق الصوفية السنية، اتباعا، وحضورا في المجتمع الجزائري خلال القرن 19.

❖ سعت المشيخة الرحمانية عبر مناهجها إلى ترسيخ المرجعية العقديّة، والفقهية، والهوية الوطنية في فترة الاحتلال؛ خاصة من خلال حماية منطقة القبائل من التنصير، والجنوب من عمل رجال البيض.

❖ رسخت الزوايا الرحمانية باعتبارها مؤسسات اجتماعية فاعلة في المجتمع المدني سواء الحضري، أو الريفي إلى تنشيط رسالتها الاجتماعية؛ القائمة على ترسيخ قيم التعاون والتضامن، والتآزر والتآخي.

- ❖ الحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، الداعمة لرابطة الأخوة والإنسانية؛ مثل إحياء وتفعيل القيمة الإنسانية، والخليّة لفعل التوزيع.
- ❖ إنَّ العمل التطوعي الخيري؛ الذي نادى إليه الطريقة الرحمانية، وسعت من أجل تطبيقه وترسيخ قيم التعاون، والتضامن من خلاله، ما هو إلاّ تجسيد لصوت الجماعة، والإرث الثقافي الجزائري الغني بالحكم والأمثال الداعية لذلك مثل: "عاونه بيدك يعاونك بزواج، ليوم عليا وغدوة عليك..."
- ❖ تكفّل الطريقة الرحمانية بالأيتام، والأرامل، والفقراء، وكل أطراف المجتمع الهشة، وتوفير لهم كل الخدمات الاجتماعية والإنسانية؛ التي تكفل لهم حياة كريمة مثل: الإيواء، الإطعام، الملابس، الرعاية الصحية الحماية، الأمن.
- ❖ ساهمت الطريقة الرحمانية في تخفيف معاناة وآلام المجتمع في أوقات الأزمات، والأوبئة والحروب وأيام الشدة والقحط، والمجاعات، والكوارث الطبيعية، من خلال تقديم مساعدات مالية، وغذائية، وتوفير السكن للمنكوبين والمتضررين.
- ❖ اهتمام الطريقة الرحمانية بالمرأة من خلال التعليم، وكفلت لها حقوقها مثل: حق الاختيار والميراث وحياة زوجية كريمة؛ فنجد الطريقة الرحمانية تتفرد عن بقية الطرق الصوفية بتولي المرأة للنسق الصوفي، وإعطاء الورد "الزعامة الروحية للاله زينب القاسمي".
- ❖ إعطاء المرأة الجزائرية المتصوفة صورة للتصوف ذات خصوصية، ونوعيّة عن التصوف النسوي، وتميزه عن التصوف الذكوري؛ فهو الذي يعينها عن الخروج عن حدود الجسد، وعالم المحسوس، والتحليق في عالم الروح، هذا ما يعكس رغبتها في التفرغ للعبادة رغم الأعباء والمهام الزوجية والأمومة، والمهام الاجتماعية كأمّ، وأخت، و بنت.
- ❖ بروز نساء جزائريات متصوفات في الطريقة الرحمانية أمثال: لاله زينب القاسمي فاطمة نسومر، خديجة بنت بلكانون، وتفوقهن في مدارج السلوك، والمعرفة، وصولاً لمقام الولاية.
- ❖ الدعوة إلى اجتناب كل العادات السيئة، والمكلفة، للحفاظ على استمرارية وشرعية الزواج من خلال تيسير المهوور للمساهمة في القضاء على العنوسة، وغلق الباب أمام الزنا والفجور الأخلاقي.
- ❖ الدعوة إلى تفعيل قيمة الشفاعة في الصلح؛ من أجل حفظ الأنفس والممتلكات.

- ❖ تعدّ الزوايا الرحمانية عبارة عن مجالس القضاء، وحلّ للخصومات، والصلح بين المسلمين ورد المظالم لأهلها، والتقريب بين الفرقاء.
- ❖ الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسك أسرهم.
- ❖ حفظ الأرواح والممتلكات.
- ❖ إنّ رسالة الطريقة الرحمانية الاجتماعية تقوم على بناء فرد مسلم صالح، يسعى للإصلاح.
- ❖ لقد استطاعت الطريقة الرحمانية أن تتوغل داخل المجتمع الجزائري، وأن تحقق التقدم الأخلاقي والديني والروحي، لتساهم بدورها في تقديم السلوك الإنساني، والبناء الحضاري الاجتماعي.
- ❖ إنّ الرسالة التي تهدف لها الطريقة الرحمانية بفضل مشيختها الحكيمة هي رسم ومساهمة في تثبيت معالم المجتمع الجزائري وفق مرجعيته، ومقوماته، خاصة المرجعية المذهبية، والعقدية، والفقهية، والسلوكية، فهي الحصانة له من الغلو والتطرف في الدين، فهي تشكل المرجعية الموحدة، وصمام أمان عبر العصور والأجيال فرسالتها جامعة لا مفرقة، تقرب لا تباعد، تنشر قيم التسامح، والتعاون، والتضامن، وتُشيع روح الأخوة والتسامح، وتدعوا إلى نبد العنف، والتفرقة، والإرهاب، والتعصب، والسعي لمحاربة المخدرات، فرسالتها راسخة، ودعوة مستمرة، تنتهج فيها كل السبل، والطرق المتاحة لتجعل من زواياها ومشايخها، ومقاديمها مرجعية.
- ❖ سعت الطريقة لتنشيط رسالتها الاجتماعية من خلال بث نشاطه، وإعادة بناء زوايا أخرى عبر الوطن واسترجاع أوقافها، والتعاون، والتنسيق مع مختلف الجمعيات العاملة، والنشطة في المجتمع المدني.
- ❖ تشكيل جمعيات خيرية تنشط تحت لوائها، وتمثل الشق التطبيقي لتعاليمها، جمعية المقاصد الخيرية لزواوية الهامل القاسمية أمموزجا.
- ❖ تتلخص رسالتها الاجتماعية في الدعوة لتغيير المنشود، تبدأ خطواته الأولى بتصحيح الانحرافات والتصالح مع الذات، والدعوة للحفاظ على عاداتنا وتقاليدنا، والعمل من أجل نهوض حضاري منشود مبني على قواعد صحيحة، تركز على القيم الروحية، والعلمية، والوطنية، يجمع بين الأصالة والتراث فرسالتها جامعة لا مفرقة، ومرتبطة لشتات الأمة، تقرب ولا تباعد، فهي صمام أمان لسلم، ودفعة قوية للبناء الحضاري، فيدها مفتوحة للجميع من أجل بناء جزائر مزدهرة، وآمنة، وقوية، وموحدة.

• الآفاق والتوصيات

ومن جملة التوصيات التي تفتح بها باب البحث والاجتهاد لنا ولغيرنا من الباحثين نذكر:

✓ لقد حاولنا في هذه الأطروحة أن نسلط الضوء على النواحي الاجتماعية للطريقة الرحمانية في الجزائر، في حين نرى أن الكثير من الأدوار لم تطرقها أقلام الباحثين بعد، كما نرى أنها أجدر ما تكون للدراسة والإثراء، ومن جملة ذلك: تحقيق كتب المشايخ، ودواوينهم ودراساتهم من جانب الفقه والحديث، وهي دعوة منا للباحثين للاهتمام بمثل هذه الدراسات والإقبال عنها مستقبلا.

✓ الدعوة إلى إنشاء فرق بحث، ومراكز علمية مختصة في إحياء التراث الصوفي الجزائري عامة، والرحماني خاصة وغربلته، وعقد مؤتمرات حوله.

✓ الدعوة إلى ضرورة العودة إلى فتاوى مشايخنا وعلمائنا خاصة في بعض المسائل العقديّة مثل: حكم الدعاء، وقراءة القرآن على الميت، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فقد كان لعلمائنا الكرام الفضل فيها رغم أننا كل مرة نجد فتاوى غريبة.

✓ الدعوة إلى إدراج فكر الشخصيات الجزائرية في جامعاتنا ومعاهدنا، ومحاولة إزالة اللبس عنها وعن إنتاجها العلمي، واعتمادها ضمن المنظومة التعليمية في مختلف التخصصات خاصة الأدبية، فعلماء الرحمانية لهم سجلات شعرية وأدبية في وصف ومدح العطرة الزكية للنبي صلى الله عليه وسلم، وبعض الأشعار التي تعد مجال دراسة، وبحث خصب للدراسات الأكاديمية المعمقة.

✓ ضرورة تفعيل الجانب الروحي، خاصة تعاليم الرحمانية التي تدعو إلى التسامح والأخوة والتعاون، ونبذ الكراهية، والحقد.

✓ المساهمة في إحياء دور الروايات العلمية، وترسيخ ثقافة السياحة الدينية لمعلمنا الروحية، وبيان أدوارها المشرقة الضاربة في عمق التاريخ.

وفي الأخير فدراستنا ما هي إلا إنصاف للرجال، وإحياء لعلمهم، وتقديرا لجهدهم، وبيان لحقيقة الطريقة الرحمانية، وفعاليتها في المجتمع الجزائري، وهذا مبلغ جهدنا ومنتهى علمنا.

فإنَّ وُفقنا فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى فمننا ومن الشيطان، ولا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها.

والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأميرة
عبد القادر للعطوم الإسلامية

الملاحق

الملحق رقم (1): رسالة محمد القاسمي حول التعليم

الفيرداني بشرح الحسنة الصغرى افراب المسالك للدردير مختصر خليل بشرح
 الوردية وحاشية الدوسوق بشرح الخرس والزرقاتي والمطاب والشراطين
 المجموع للشيخ الامير المعالي التبره الابي برحون (مكتب اصول الفقه)
 جمع الحوامع للسكنى شرح الجلال المحلى شرح الحاجب بشرح العفة من الانوار للشيخ
 بشرح ابرم ملك التنقيح لصدور الشريعة تنقيح البصول للفراهم الورقة لانا الحرفي
 بشرح المحلى و ارفاص الورقات للمطاب بنظم استاذنا اليه مير محمد عبد الرحمان
 الديس رحمة الله وشرحه له التحرير للمكارم السماع بصول البداية للشيخ
 المسودا (كتب اللغوي) الفاموس للشيخ زيار بشرح السمرقندي الصفا
 للجوهري مختار الصحاح للرازي المصباح المنير للشيخ من بعد اللغة للشيخ
 انفا للشيخ فخرى النزه للشيخ طرس لسان العرب بحال الدرر الانوار
 (كتب على النحو) الاجر ودية للصفا بشرح المحقق ابي بكر بن محمد بن
 وحاشية ابي النجاشي التوفيق لابر هشتاد وشرح الشيخ خاندان لاهوتية بشرح ابر
 نفسه في الندي لعبد الله برهشاد سفور الذهب لابر هشتاد العيش ابر فاك
 معقل والاشمون وحاشية ابر محمد و معنى اللبيب لابر هشتاد الكافية لابر
 التمهيد لابي مالك (كتب الحرف) ابراج لاهوتية بحاشية سعد التوفيق
 الحاجب بشرح شيخ الاصلاح والرضي التصريف للعرض بشرح السعد التوفيق
 التصريف للاخلاق لطنج العفود للمطاب بشرح الشيخ علي بن ابي طالب الامل لابر
 رسالة الجوهرة في الاستفا (كتب المعاني والاماني والبدعي) الاستفا
 للتطبيب الغزويني بشرح السعد المبتاح للسكاكي بشرح السعد السمرقندي
 الجوهري المكنون للاخلاق بشرح الوصفون عفو و الجاه للشيخ طرس بشرح المزلو
 منظومة ابر التكميل الرسالة البيانية للصبا السمرقندي (كتب العروض)
 والقوافي الكافي للقناد الخنزرجية منظومة الصبا (كتب الوض)
 الرسالة العصرية بشرح السمرقندي عفو و الزواجر (كتب المنطق)
 السلم للاخلاق بشرح المؤلف والموسى والملوك والباجر اساعوجي للابهر
 بشرح شيخ الاسكع التهذيب للسعد التفتازاني بشرح الجنيصي التعمير للابهر
 بشرح قطب الدر الرازي المختص للسنة المطالع للامير بشرح الرازي (كتب اداب
 المحي) الرسالة العصرية لعقد الدر و اداب الكلتيم بشرح حسيه باشا زار
 و اداب السمرقندي بشرح الفيرداني و شيخ الاسكع و اداب الجرجاني (كتب التارخ)

ان دأب من يعبه حوار الانتغال من الكتب الصغرى
الى ما هو ارفى منها

(كتاب الحساب) التبعة السنية للسبط منظوم في الحساب لعبد الرحمن الاخفش الدرة البيضاء
لاخره الخليفة لنها الدرة العالمى للمصنف في الحساب لابراهيم (كتب الميفات)
نظم السوسى في البلد بشرح الوريزين رساله في العمل بالربح وكان به حياة الاستاذ
حدر من العلامة الشيخ ميرزا محمد عزوز في الدرع المحيبي ولفلة العمل به لم يتمخج به الطلبة
(كتب الحكمة) مقولات السجاني مقولات البليد

كيفية التدريس

اذا اراد الشيخ المدرس فراءة الدرر ليس بالما فبدا احد اعمدة الجامع واستقبل العليل
ثم يحلس الطلبة بحسب كسرتهم وقلتهم حول الشيخ على شكل حلقة متربعين على
الارض وكل طالب محل لا يتعدى الى بيته من الشيخ الشيخ بالنسبة والمحللة الصلاة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يشرع في شرح الدرر وان اخل
احد الطلبة ببعض الابواب وجبه الشيخ بطريق التعريف لا بطريق التصريح
والتوبيخ رحمة به ولشغفه عليه وفي مخرج الاستاذ من فراءة دروسه ختمها
بفراءة العاجلة والدعاء لطائفه بالعبارة والتشوير وفي الثالثة يتقل الى

(تدريس التلميذ في التعليم) كتاب من عامر ما هو على الخ
يكون شروع التلميذ اوله في الدرر من الابدية كالعصمانية في العفة في السنة
الدولى وفي الثانية يتقل منه الى العثمانيه في كمال الرساله في المختصر وفي الثم
الاجرومية ثم الفخر ومنها الى ما على من ذلك الرساله والمختصر في العفة
والانجليزية في الثم

ويبقى الطالب هكذا منتقلا سنة باخرى حتى يتعم ما يدرسه عادة في الزاوية

(مدة الفرائض)

مدتها بحسب جد التلميذ واجتهاده في الطلب وذلك انه يحصله وهي
بافله سنة نسبي والكثرة عشر سنين
ارفاة الدرر وعددها في اليوم
جرت العادة عنده فاذ بها وحدثا بان تعطى الدرر هكذا
من قبل الشروق الى الطلوع
التعبير والحدوث
العفة حتى الى الساعة الحادية عشر
بعده

والاعتقادي والتمري والاحكامي وان لا يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه
وان يتعلم بالعمل الذي هو رتبة العلم وتكرره وعمليته تفصيلا ومكثرة عنده
الغربة وكلية (الاستراحة السنوية المعبر عنها بالمساحات)
كلية في اراحة المشتغلين بالتعليم والتعلم جري العمل عندنا بتعطيل الدرس
في ايام معلومة لاراحة المشتغلين بالتعليم والتعلم لان العقل المستريح
يستعيد استعادة لا تضار بها ثقلها استعادة العقل المكثور والفكر
المتعب وذلك تعطيل الدروس في المواسم الميمنة وعلى عهد البطر تعطل
لاجله ثلاثة ايام عيد الاضحي عشرة ايام يوم عاشوراء مولد النبي صل الله
عليه وسلم ويوم الخميس والجمعة من كل الاسبوع
(كيف ينتظ الطالب في صدك الطلبة)
اذ اراد الطالب الانتظام في صدك الطلبة اول ما يانه يد مع لعم خمسة وعشرين
مراة تدفع في كل طبع الخاص بجاهم العام وبعد ذلك ان تغد قد له فزادة الفزادة
يندرج في صدك طلبة العلم والبرائة يعط الفزاد حيا متفانم يشغل بحضور
الدرسي (معدو الطلبة)
طلبة الفزاد الا ان يبلغون ما ينبغي في بعض اللزفة وطلبة الدرس من السنين
حتى الى الماسية واما قبل ذلك فغالبا السنين لا يقلون عن خمس سنين
باكثر والنقص في الامور الدينية مما عمت به البلوى

بعض عوائد الطلبة
لما كان الطلبة من نواحي متفارية ووطى متباعدة كما نت عوايدهم غير مختلفة
ايضا ونذكر منها طر فباطلبة الدرس يفرحوا بالعلم وافدمع بكالعة الدرس ومراجعة
لعم قبل المحضور عند الشيخ ليكنوا على بينة ودرابن فما سألني عليه ومن عاد اشهر
اشهر عند ختم حرم الطلبة الكتاب او احدى ليلة من ليالي الاسبوع
كوليلة الخميس يجتمعون ببيتا من بيوت سكنهم وبعضهم ياتن بشي كالقهوة او الفاكه
الحر او الفم ويفزه بعض الماضري شيئا من الفزاد بالترتيب وفصا لذي المربي
السنوي تبركا بعاثم يعترقونه بسلام وتدور بينهم في مجلسه انجان علمية
بطريق السؤال والجواب ~~والجواب~~ ومن عاد اشهر اشهر في كل يوم خميس
ينذ هبون اني خارج الزاوية للعبحة وغسل ثيابهم ويخرجون طواريف طواريف
وان كان لجل الدبيع فيلعبون هناك الكرة او نحوها

امنية الختام
 ولما تقدم من البيانات لاسلوب التعليم فهو ما عليه حريصا نسلطنا وحلينا
 وهو محمد الله تعالى فرب وسببه باسلوب الكليات العلمية العامة والمعاهد
 الدينية الزاهرة واننا على العزم بزيادة التمهينات الجمعة التي تراها حال
 النظامات الجديدة التي معهدنا وسيزيد بذلك عدد الطالبين ونتموا
 جمع البراعم في السن المستقلة ان ساعدنا المفاهيم وربنا يوفقنا الى
 مايم ترقية البلاد وسعادة العباد والهدى في البعد والختم

ورد سنة ٣٩ وشعبان ١٢٤٦ رجعنا الفراء ١٢٤٦ رجعنا الفراء ١٢٤٦ رجعنا
 اذ في سنة ٣٩ سنة ١٢٤٦ رجعنا الفراء ١٢٤٦ رجعنا الفراء ١٢٤٦ رجعنا
 بئذ بها في طلب العلم خمس سنوات ثم رجع ١٢٤٦ الى فريته بمكة سنة
 وشعبان ١٢٤٦ رجعنا الفراء ١٢٤٦ رجعنا الفراء ١٢٤٦ رجعنا
 الكه في المختار ١٢٧٧ رجعنا الفراء ١٢٧٧ رجعنا الفراء ١٢٧٧ رجعنا
 بمكة سنة ١٢٧٧ رجعنا الفراء ١٢٧٧ رجعنا الفراء ١٢٧٧ رجعنا
 نسق سنوات لتطهيرها ورجع الى بلده ١٢٧٧ رجعنا الفراء ١٢٧٧ رجعنا
 صاحبها احمد بن عمرو ١٢٧٨ رجعنا الفراء ١٢٧٨ رجعنا الفراء ١٢٧٨ رجعنا
 في سنة ٧٩ رجعنا الفراء ١٢٧٩ رجعنا الفراء ١٢٧٩ رجعنا
 في شعبان ١٢٧٩ رجعنا الفراء ١٢٧٩ رجعنا الفراء ١٢٧٩ رجعنا
 خرج الحرام ليلة الاثنين دخل داره بالعاين والطلوع والاشواق

الملحق رقم (2): رسالة في التعليم بخط الشيخ بنعزوز القاسمي

و بعد فالحمد لله في الآخرة و الأولى.إني غذيت لبان العلم من الأستاذ الكبير العلم الشهير، منة الله على القاسميين الثانية، الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان قدس الله سره ونور ضريحه، فكان أول ما سمعت منه الآجرومية متنا بعد العشاءين في المسجد القادري من المعهد القاسمي ثم شرحا ثم الأزهرية فالألفية والجوهرة ومن التفسير الجلالين عم وسبح، و من الحديث كتاب الشمائل من الجامع الصغير، وهذه كلها دروس في المسجد القاسمي مع الطلبة. وأخذت مع ذلك في منزله مرة ومكتبه أخرى غير هذا. فقرأت عليه نصيبا من تفسير الطبري ومن الجامع الصغير وسيرة ابن هشام.وهي خاتمة ما قرأت عليه ثم لقي ربه.

كما أن آخر ما كتبت عنه من تأليفه "إفحام الطاعن برد المطاعن" وحضرت درسه في المختصر كتاب الصلاة. وأخذت عنه أيضا علم القراءات فسمعت منه سوراً فوقانية بالسبع مرة وبقالون وورش أخرى.إلى غير ذلك مما أخذت عنه مما لم أستحضره. إذ كان من عادته أن يسرد له الطالب من كل كتلب طرفا حتى يمر فب اليوم الواحد على ثلاثين أو أربعين حسب الظروف ويميل القارئ ولا يمل هو لرضي الله عنه.

وفي فصل الشتاء كل عام أسمع من الشيخين سيدي بلقاسم وسيدي أحمد فقه مالك بالمختصر فأخذته عنهما أعواما بمشاركة الشيخ الأول لهما طوال حياته حتى حصلته فهما منطوقا ومفهوما ببركاتهم ولم يشد علي منه كلمة و لله الحمد و الشكر و الله يجازيهم عنا خيرا و رضي عنهم و أرضاهم

ومن أخذت عمه بالمعهد القاسمي شقيقنا الشيخ سيدي محمد المكي العلامة الشهير وهو ولي نعمتي في كل ما علمت

المصدر: عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص394.

الحق القاسم بن أبي القاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

هذا كتاب الإمام العارف بالله الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى الإخوان الإباضيين (نقل عن أصله المخطوط)

ونصه: بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم:

من محمد بن أبي القاسم الشريف، حلتم الطريقة الرحمانية وكافة خلق الله، وفقه الله إلى كافة إخواننا من وادي ميزاب، القاطنين في قصر البخاري وكافة البلدان .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد؛

فقد أخرجنا الإخوان: السيد الحاج داود، والسيد عمر العجال، والسيد الحاج، أنه بلغهم عني أنني أفتيت باستباحة أموالكم. ومعاذ الله أن يصدر هذا عني؛ فإن استباحة السرقة والغصب من الظلم المحرم، في جميع الملل والنحل، ومن الفساد في الأرض؛ والله لا يحب الفساد؛ ولا يصلح عمل المفسدين. فبأي سبب، وعلى أي وجه تحل أموالكم، وأنتم إخواننا مسلمون مقيمون لأركان الإسلام، محافظون على شعائر الدين. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات. 10 وقال جل ذكره: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران 103. وقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ النساء 29. وقال جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوْا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/188. وقال صاحب الرسالة، عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». رواه البخاري وغيره. فمن كان معصوم الدم، بنص الشارع، صلى الله عليه وسلم؛ وهو الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى؛ فكيف يسوغ القول باستباحة ماله. وفي صحيح البخاري، عن أبي بكر، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره؛ وأمسك إنسان بخطامه، أو بزمامه، فقال: أي يوم هذا؟ فسكتنا، حتى ظننا أنه سيسمي به غير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فأبي شهر هذا؟ فسكتنا، حتى ظننا أنه سيسمي به غير اسمه. فقال: أليس بذي الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا فليبلغ الشاهد الغائب». انتهى.

وكذا قاله صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع، في السنة العاشرة من الهجرة. ومعناه أن انتهاك دماءكم وأعراضكم، وانتهاك أموالكم عليكم حرام. ويعني أن مال بعضكم حرام على بعض، لا أن مال الشخص حرام عليه؛ كما يدل على ذلك العقل. والانتهاك تناول الشيء بغير حق. وقد شبه الدماء والأموال والأعراض في الحرمة باليوم والشهر والبلد الحرام، لاشتهار الحرمة فيها، عندهم؛ وإلا فالمشته إنما يكون دون المشبه به؛ ولهذا قدم السؤال عنها، مع شهرتها، لأن تحريمها أثبت في نفوسهم؛

إذ هي عادة سلفهم؛ وتحريم الشرع مطرد؛ وحينئذ، فإنما شبه الشيء بما هو أعلى منه، باعتبار ما هو مقرّر عندهم. وأخرج الترمذي. في باب البر والصلة، من جامعه، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا؛ وكونوا عباد الله إخوانا. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». حديث حسن صحيح. وفيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يخنونه ولا يكذبه ولا يخذله. كلّ المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه. التقوى هاهنا. بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم». وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا». وعن أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، ثلاث مرات. قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم». والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على وجوب احترام المسلم ووجوب النصح للأمة المحمدية لا يمكننا استقصاؤها؛ وإنما نيتنا ومرادنا دعوة الخلق إلى الله، وجمعهم عليه بالطاعة؛ وأمرهم بالمعروف؛ ونهيهم عن المنكر؛ وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم، في الدنيا والآخرة؛ وحثهم على مكارم الأخلاق، وجميل العادات، وتحليلهم بالفضائل، وتخليهم عن الرذائل. والله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران/104. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/90.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة». وعن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة... ».

فإذا تقرر هذا، فكيف نرضى بالظلم، وهو محرم في جميع الشرائع، مذموم على السنة كافة العقلاء، وكيف يوجد من يفتي بالظلم عامة الناس الذين أكبر همهم التهب والغضب وجمع الأموال؛ ولا يباليون من أين أخذوا ولا من أين اكتسبوا؛ إذ لا ورع لهم يحجزهم عن المحارم، ولا وازع من دين يكفهم عن المآثم؛ خصوصا في هذا الزمان الذي قلّ خيره وكثر شره، إلا من حفظه الله تعالى. ألا فليعلم كل من يميز أكل أموال الناس بالباطل أنّ من أتلف شيئا بفتواه فكأنما أتلفه بيده. وقد أجمعت الأمة على أنه لا يحل مال المسلم، إلا عن طيب نفس، أو هبة، أو صدقة، أو ضيافة. وأنا، بحمد الله تعالى، محب لجميع الأمة المحمدية، مشفق عليها؛ أحب لها الخير؛ وأنظر إليها كأمة واحدة، على اختلاف مذاهبها؛ ولا أرضى ضرا لأحد من أهل لا إله إلا الله، كائنا من كان. بل إن في طبعي وسجيتي الشفقة على جميع خلق الله، حتى البهائم، من حيث إنهما مخلوقة لله تعالى، وقد خلق الله الجميع لحكمة، ولقوله صلى الله عليه وسلم: « الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله ». فدلّ الحديث، بعمومه، على طلب الإحسان لجميع أصناف العباد، من المسلمين والنصارى واليهود؛ وغيرهم، كالمشركين من كفار قريش، الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى شجّوا وجهه الشريف، يوم أحد، وكسروا رباعيته، وقتلوا عمّه حمزة رضي الله عنه؛ فقال له أصحابه، أدع عليهم؛ فدعا لهم بالهداية، وقال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

فكذلك أنا أدعو لجميع عباد الله بالرشاد والهداية إلى مافيه صلاح معاشهم ومعادهم، ودوام أمنهم وعافيتهم. وأسأل الله أن يسود بينهم الإحسان والعدل الذي تصلح به البلاد والعباد. والأبرار هم الذين لا يضمرون الشر، ولا يؤذون أحدا من خلق الله. ومن أخلاق العارفين بالله تعالى بذل الندى، وكف الأذى، واحتجاب المحارم، واستعمال المكارم، والإحسان لكل أحد، والتحمل والتحمل، والحلم والصبر. ولذا قالوا: «العارف كالأرض ترمى بكل قبيح ولا يخرج منها إلا أكل مريح». والله درّ من قال، وأجاد في المقال:

عظّم بـي عبادة الله كلّهم
وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وقرّب كبيرهم وارحم صغيرهم
وراع في كلّ خلقٍ حقّ من خلقه

ألا فلتعلموا، وتحققوا أنّ ما أحرركم به عني هذا المفترى الكذاب لا أصل له؛ وأنا أبرأ إلى الله تعالى منه. فإذا سمعتم بعد هذا من يتقول عليّ، ويخترق مثل هذا عني، أو عن أحد من أئمة المسلمين، فاطردوه واشتموه؛ فإنه فاجر متهور متلاعب بدينه، لا يبالي بما يقول، ولا بما يفعل؛ فإني أكره التعصّب للمذاهب، وقولهم: فلان على الحق، وفلان على الباطل. وعندني أنّ الحقّ من أتبع الكتاب والسنة، وعمل بما فيهما؛ فقد تقرّرت القواعد؛ وتأصلت المذاهب؛ وقَدَدَ كلّ فريق إمام مذهبه؛ وانقطع النزاع؛ ومرجع الخلق كلّهم إلى الله؛ وحسابهم عليه؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة. فالاشتغال بهذا الشأن ضرب من الهديان، ونوع من الهوس والحمق والطيش؛ والخوض فيه حوض فيما لا يعني. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». ومذاهب أهل الحق قاطبة دائرة على الكتاب والسنة؛ وقد ثبت عن إمامنا مالك، رضي عنه، أنه قال: «إذا صحّ الحديث، فذلك مذهبي». وعن الشافعي، رضي الله عنه، قال: «إذا صحّ الحديث، فاضربوا بمذهبي عرض هذا الحائط».

ونحن نعلم عنكم أنّكم مستقيمون على الدين، منصفون للمخالفين؛ تحبّون العدل، وتكرهون الظلم. ومذهبا أنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة؛ كما قاله العارف الرباني أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، في رسالته. وقال شيخ المالكية خليل بن إسحق في مختصره: «الردة كفر المسلم بصريح، أو لفظ يقتضيه، أو فعل يتضمّن كإلقاء مصحف بقدر، وشدّ زنار، و سحر، و قول يقدم العالم أو بقائه، أو شك في ذلك، أو بتناسخ الأرواح، أو في كل جنس نذير، أو ادعى شركا مع نبوته عليه الصلاة والسلام، أو بمحاربة نبي، أو جوّز اكتساب النبوة، أو ادعى أنه يصعد للسماء، أو يعانق الحور. أو استحلّ: كالشرب». فلا يكفر المسلم بغير هذه الأسباب؛ وأنتم برآء من هذا كله؛ تعظّمون حرّمات الإسلام، وتحتاطون في الدين. فمن أين تحلّ أموالكم. وقال شهاب الدين الشيخ أحمد زروق في قواعده، نقلا عن ابن فورك رحمه الله: «الغلط في إدخال الكافر في الإسلام بشبهة إسلامية ولا الغلط في إخراج المؤمن الواحد بشبهة ظهرت منه».

فإطلاق اللسان في انتقاص المسلمين، وتضليلهم، وتكفيرهم، جرأة عظيمة على الله تعالى؛ وخروج عن جادة الاستقامة؛ وخرق سياج يتعمّر رتقه؛ وفتح باب فتنة يتعدّر غلقه؛ ومضادة لغرض الشارع في تكثير الأمة المحمدية، زادها الله تعالى شرفاً. فقد ورد أنّها ثلثا أهل الجنة؛ وورد أيضاً أنّ أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم. فله الحمد والمنة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا». والخيانة والسرقة والاختلاس والتسلط على الخلق بغير الحق من أخسّ الرذائل؛ بل من أقبح الفواحش؛ شأن السباع العادية، وعادة الكلاب الضارية. ودين الهمة من يتوصّب إلى أكل أموال الناس بالباطل بهذه الأعراض الفاسدة؛ ويتعلق بسفاسف الأمور، أعاذنا الله من ذلك، بمنه وكرمه. وهذا الذي أخبرناكم به هو الذي نعتقده، وندين الله تعالى به. فمن بلغكم عني غير هذا، فقد أعظم علينا الفرية، ويوشك أن يهلكه الله تعالى. وهل رأيتم أنّ أحداً أضمر الشر لخلق الله أو ظلمهم، أو رضي بظلمهم، أو سعى في شيء من الفساد في الأرض، أفلح قطّ. وقد قال شيخ مشايخنا العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي، رضي الله عنه: «من كذب علينا أو قال علينا ما لم نقله ابتلاه الله بالعلّة والقلة». وأنا أرجو من فضل الله تعالى أن لا يظالي أحد بمظلمة، في مال ولا عرض؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب. وفيه كفاية لمن تذكّر، وتبصرة لمن تبصّر؛ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. وكتبناه لكم عن استعجال، وكثرة أشغال. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه، خير صحب وآل؛ والتابعين لهم بإحسان، في كل زمان ومكان. إلى يوم الدين.

حرر يوم 24 محرم الحرام سنة 1310 هـ وتمّ الجواب بعون الله الملك الوهاب، وهو ولي التوفيق، نسأله خير الدارين، إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين.

أيها الإخوة الأحبة؛

يسعدني أن أعلمكم أن رحاب الزاوية القاسمية مفتوحة لاحتضان أي لقاء ترونه يخدم هذا المسعى. وهي على استعداد لاستضافة اللجنة التي تفوضون إليها صياغة المشروع المقترح؛ وتكبلون إليها، بإرادتكم وتوافقكم، إنجاز هذا العمل التاريخي الجليل، الذي يرضى الله عنه، ويفرح به المؤمنون. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ يُخْلِفْ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الروم. 6.5.4

إن أكبر همنا أن يعود مجتمعنا المسلم إلى وضعه الصحيح، أسرة واحدة، تسوده روح الأخوة والتعايش والتسامح. ومسعانا هذا يكتسي طابعا خاصا؛ فهو يندرج ضمن الرسالة التي تنهض بها الزاوية القاسمية، منذ تأسيسها؛ ومن أهم شعبها العمل لإشاعة روح الأخوة والتسامح، ونشر قيم التعاون والتضامن؛ والسعي لتحقيق السلام والوثام بين أفراد المجتمع، والمحافظة على وحدته وتماسكه وانسجامه.

لقد كانت رسالتها وستبقى، إن شاء الله، رسالة جامعة، تقرب وتوفق، وتصلح ذات البين؛ وهي في ذلك تعمل بمبادئ الإسلام الذي تقوم دعوته على أساسين متينين، وركنيتين قويتين هما: الأخوة والسلام. وكل دعوة إلى الإصلاح، وتحقيق الأخوة والوثام هي من صميم دعوة الإسلام.

ومن هذا المنطلق، كان لمؤسس الزاوية القاسمية فضل السبق في هذا المجال؛ حيث أصدر رسالته المشهورة «برسالة الإباضية»، ونشرها بين الأهالي، قبل قرن وربع؛ فقطع بها دابر الفتنة، قبل انتشارها؛ داعيا إلى نبذ التعصب والتنازع، والتحلي بروح الأخوة والتسامح بين طوائف الأمة ومكونات المجتمع. وهذه الرسالة التي كان لها أثرها تكتسي أهميتها من موضوعها، وتستمد قيمتها من مقام صاحبها، الذي أحيا الله به البلاد، وأصلح بهدية أحوال العباد؛ وامتد نفوذه الروحي عبر أنحاء الوطن، وانتشر ذكره خارج حدود الوطن.

ومن المعاني التي نستلهمها من أقوال الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، قدس الله سره، أن إشاعة السلام، إذا كانت مدعاة للتحابب والتعاون، فلا شيء محل الكراهية محل المحبة، والشقاق محل الوفاق، كأمراض القلب واللسان، وإيقاد الفتنة التي تقضي على المحبة والوثام؛ بل هي معاول تهدم المجتمع من الأساس؛ وهذا ما يريده أعداؤنا المتربصون بأمتنا؛ حيث يسعون، دون هوادة، لتفريقها وتمزيقها، مما يميمت الشعور العام فيها، ويمنع تيار الإحساس الواحد أن يأخذ دورته في شتى أجزائها. هذا إذا بعد عن الجسد بعض أعضائه، فكيف إذا تربص بعض الأعضاء ببعض الآخر، وأراد به السوء، وتمنى له المكاره؟

إن الفرقة وبال جسيم. والأمة التي يقع بأسها بينها، وتفشو الخصومات والنزاعات في كيانها، هي أمة تنتحر، قبل أن ينال منها غيرها. والاختلاف الذي يولد الضغائن، وينشر في أبناء الأمة الواحدة حب الانتقام صفة من صفات الأمم التي أخذها الله أخذ عزيز مقتدر.

يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت؛ يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه؛ وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت؛ يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه». رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

أيها الإخوة الأحبة:

إنّ مسعانا نبتغي به وجه الله؛ ونرتجي أن يكون لنا معكم حظ وافر من فضل الله، الذي يوتي به من يصل بين المؤمنين، ويصلح ذات البين. وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّحْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 114. كما أخبر الصادق المصدوق أنّ الله سبحانه أعدّ ثوابا جزيلًا، يزيد على ثواب الصلاة والصدقة والصيام، للباذلين جهدهم في رَأب الصدع، وجمع الشتات، وإصلاح فساد القلوب، وإزالة الضغائن من النفوس، وإطفاء نار العداوة والفتن، وإحكام روابط الألفة والأخوة بين المسلمين. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين. فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة. لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين». رواه أحمد وأبو داود وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم. إنّها الخصلة الذميمة الماحية لكل ثواب. القاطعة لكل صلة، الداهية بخيري الدنيا والآخرة. إنّها حالقة الدين، لأنّها تحلق الإيمان والأخوة والفضيلة، وتريل كل خير وهداية، وتجعل المتنافرين بعيدين عن آداب الإسلام وقيمه، جاحدين فضله، منكبين تعاليمه.

إنّ الأمل جزء من عقيدة المسلم، لأنه ثمرة حسن الظنّ بالله، والثقة بوعده، واليقين بما عنده. وهذا شأن الدعاة إلى الحقّ، يحدهم دائماً الأمل، ويعمر جوانحهم الرجاء، ولا يعرف ظلام اليأس إلى صدورهم سبيلاً. ﴿وَمَن يَقْنَطْ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الحج: 56. فكلمّا ادلّهم الظلام من حول المؤمنين، ازداد إيمانهم بحاجة الناس إلى النور.

ونحن أملنا في الله وطيد؛ أن يحقّق مسعانا الذي نرجوه، ويُقرّر أعيننا بما ندعوه. إنّنا نبتغي رضوانه، ونسأله عفوه وغفرانه؛ وندعوه سبحانه أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، وأن يجمع قلوبنا على التّقى، ونفوسنا على الهدى، وعزائمنا على الرشد وعلى حبّ الخير وخير العمل، ويرزقنا الصدق والإخلاص في القول والعمل. إنّهُ وليّ ذلك والقادر عليه.

هذا؛ وفي انتظار ردّكم المأمول، تفضّلوا بقبول أطيب التّحيات، مشفوعة بصالح الدعوات. والله نسأل أن يمتّن عليكم بدوام التوفيق والسداد، ويسلك بنا جميعاً سبيل الهداية والرشاد.

والله وليّ الإعانة والتوفيق.

خادم العلم الشريف في المقام القاسمي
محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسيني

03 صفر 1437 هـ
15 نوفمبر 2015 م



التقرير الأدبي لعام 2009

حصيلة نشاط الجمعية من 2009/08/26 إلى غاية 2009/12/31

لم تقم الجمعية بأي نشاط خلال هذه الفترة الممتدة من تاريخ حصولها على الاعتماد الرسمي المؤرخ في 2009/08/26 إلى غاية 2009/12/31، على أمل الانطلاق في النشاط الرسمي والفعلي مع بداية سنة 2010 لتحقيق الأهداف المنصوص عليها في القانون الأساسي للجمعية.

الهامل يوم: 2009/12/31

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2010

حصيلة نشاط الجمعية من 2010/01/01 إلى غاية 2010/12/31

يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية. خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:

- 1- تهيئة مقر للجمعية والكائن بالمبنى القديم للبلدية، مع تكفل أحد المحسنين بتجهيزه وتأثيثه.
- 2- توزيع 250 مساعدة مالية على العائلات المعوزة مستهل شهر رمضان يوم 2010/08/21. بقيمة 3.000 دج لكل عائلة، بمبلغ مالي إجمالي قدره: سبعة مئة وخمسون ألف دينار جزائري (750.000,00 دج).
- 3- التكفل التام بختان 40 طفلا ليلة النصف من رمضان (بدلة الختان، الجراح، الدواء، هدية). بالتنسيق مع العيادة المتعددة الخدمات بالهامل، والعيادة الطبية سيدي ثامر ببوسعادة.
- 4- المساهمة في تمويل مطعم عابر السبيل بمدينة الهامل خلال شهر رمضان الكريم، بالتعاون مع فوج الإحسان للكشافة الإسلامية الجزائرية بالهامل بقيمة 42.000 دج.
- 5- المساهمة في تكريم حفظة القرآن الكريم خلال شهر رمضان الكريم، بالتعاون مع شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالهامل بقيمة 60.000 دج.
- 6- تقديم إعانة مالية شهرية بقيمة 3.000 دج طيلة العام لفائدة والدة الطفلة "ربيحة منصوري/بلعباس" لكونها تحتاج حمية غذائية خاصة نتيجة المرض.
- 7- التكفل الدوري بنفقات الحياة المعيشية لعائلتين معوزتين تحوي أفرادا معاقين (أيتام الطيب بن عفو، أيتام بوطيبة عمر).
- 8- التكفل ببناء مسكن لعائلة معوزة (السيد محمد طرشي) بتقديم كيات معتبرة من مواد البناء.
- 9- التكفل بتركيب 3 عدادات غاز وعداد كهرباء لأربع عائلات معوزة.
- 10- التكفل التام بترميم المدرسة القرآنية سيدي عبد الرحيم بعي عين التوتة بالهامل بتخصيص غلاف مالي لها قدر بمئتي ألف دينار جزائري (200.000,00 دج).
- 11- تقديم كميات معتبرة من مواد البناء للمدرسة القرآنية "عبد الله بن المبارك" الكائنة بعي القطع بالهامل تمثلت في: - 65 قضيب حديد رقم 14 - 100 قضيب حديد رقم 12 - 3 شبكة حديدية بمساحة 100م² - 12 لفائف حديد رقم 6 - 140 كيس إسمنت وزن 50 كغ - 50 قضيب حديد رقم 08
- 12- تقديم قرض مالي بقيمة 85.000 دج لفائدة شاب من الهامل لمساعدته على إقامة مشروع نفعي.
- 13- التكفل بإطعام الطلبة المترشحين للبيكالوريا على مستوى مركز الامتحان بثانوية الهامل.
- 14- تقديم 59 إعانة مالية مختلفة القيمة للمعوزين لأسباب متعددة (سداد غرامات أو ديون أو إيجار، مساعدة على الزواج، إجراء فحوص أو أشعة أو عمليات جراحية، شراء أدوية، نفقات الحياة المختلفة).



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- 15- تقديم إعانات مادية مختلفة للفقراء (أفرشة، ألبسة، بطانيات، مواد غذائية مختلفة).
- 16- التكفل التام بنفقات علاج أبناء أحد المعوزين.
- 17- تقديم إعانات مالية لعدد من اللجان الدينية للمساجد لمساعدتها على تشييد بيوت الله، بمبلغ إجمالي قدره واحد مليون وخمسمئة وواحد وأربعون ألفا وخمسمئة وخمسون دينارا (1.541.550 دج)، وهي:

قيمة الإعانة	اللجنة الدينية
300.000 دج	اللجنة الدينية لمسجد الصلاح بالهامل
200.000 دج	اللجنة الدينية لمسجد الهدى حي سيدي سليمان بوسعادة
300.000 دج	اللجنة الدينية لمسجد عبد الله بن جعفر بالهامل
500.000 دج	اللجنة الدينية لمسجد بدر الكبرى بالهامل
مواد بناء مختلفة بقيمة 241.550 دج	مسجد عبد الله بن المبارك بالهامل

- 18- تقديم إعانات مالية وأخرى مادية لبعض الجمعيات النشطة، وهي:

قيمة الإعانة	الجمعية
50.000 دج	فوج الاحسان للكشافة الإسلامية بالهامل
آلة خياطة بقيمة 61.360 دج	جمعية أصالة للحرف النسوية بوسعادة
50.000 دج	مديرية النشاط الثقافي والاجتماعي والرياضي بوزارة التربية

- 19- وفي سابقة بالمنطقة، نجحت الجمعية - رغم حداثة تأسيسها الذي لم يتجاوز العام - في إقامة حفل زفاف جماعي لفائدة 36 زوجا من 9 بلديات من جنوب ولاية المسيلة، جرت فعالياته بالملاعب البلدي بالهامل بالنسبة للرجال، وبالمدرسة الابتدائية "الشهيد عبد اللطيف الهاشي" - المجاورة للملاعب - بالنسبة للنساء يوم 2010/06/03 بحضور شعبي ورسامي مكثف، يتقدمهم السيد محمد الصالح مانع والي ولاية المسيلة وشيخ زاوية الهامل، وقد صنعت طلقات البارود والاستعراضات الفلكلورية صورا أمتعت الجمهور الذي ملأ مدرجات الملعب وكذا 06 خيم بدوية من الحجم الكبير، تم نصبها احتفالا بالحدث، الذي أحيتته فرق إنشادية وشعراء من المنطقة.

وقد سبق ذلك إجراء حفل العقد الشرعي بمقر الزاوية بعد صلاة العصر يوم الاثنين 31 ماي 2010.

- 20- وقد قدمت الجمعية لكل زوج من الأزواج المقبولين في إطار حفل الزفاف الجماعي ما يلي:
- التكفل بتسديد قيمة الصداق والتي حددت بستين ألف دينار جزائري (60.000,00 دج). تم توزيعه على العرسان بحضور أوليائهم في حفل بهيج أقيم يوم الجمعة 2010/04/02 بحضور شيخ زاوية الهامل، والسيد مدير الشؤون الدينية لولاية المسيلة، وبعض المحسنين المساهمين في العملية..



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- غرفة نوم من 5 قطع بكل لوازمها، وُزعت على العرسان ابتداء من يوم 2010/04/23 على ثلاث دفعات.
 - تقديم إعانة مالية قدرها أربعون ألف دينار جزائري (40.000,00 دج) لاقتناء كل لوازم وليمة العرس، تم توزيعها على العرسان يومي 23 و 25 ماي 2010.
 - التكفل باقتناء لباس تقليدي مكون من عباءة وسروال لكل عريس لازتدائه يوم العقد الشرعي.
 - تقديم إعانة مالية قدرها ثلاثون ألف دينار جزائري (30.000,00 دج) لاقتناء مستلزمات يوم العرس (بدلة العريس - فستان الزفاف للعروس..)، تم توزيعها على العرسان يوم 2010/05/31.
 - تقديم مجموعة هدايا تتمثل في: جهاز تلفاز، ثلاجة، غسالة، مجموعة أواني منزلية وزعت يوم الحفل.
 - التكفل بمصاريف الإكراميات يوم العقد بمقر الزاوية، ويوم حفل الزفاف بالملاعب والمدرسة المجاورة.
 - استقدام فرقة للخيالة وأخرى للرحابة لإحياء ليلة ويوم الزفاف الجماعي.
- وقد قدرت التكلفة المالية الإجمالية لحفل الزفاف الجماعي بسبعة ملايين وستمئة وثمان وسبعين ألفا وستمئة دينار جزائري (7.678.600.00 دج).

إنّ هذه الأعمال الكبيرة التي قدّمتها الجمعية خلال عام، رغم حداثة نشأتها، تعبّر بكل صدق عن عزيمة أعضائها ومؤسسيها، والفضل في ذلك، بعد الله عزّ وجل، يعود للمحسنين الذين مولّوا الجمعية ودعّموها. كما لا يفوتني أن أوّكد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة مالية من الدولة.

الهامل يوم: 2010/12/31

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2011

حصيلة نشاط الجمعية من 2011/01/01 إلى غاية 2011/12/31

- يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية، خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:
- 1- تقديم إعانة مالية شهرية بقيمة 3.000 دج طيلة العام لفائدة والدة الطفلة "ربحة منصوري/بلعباس" لكونها تحتاج حمية غذائية خاصة نتيجة المرض.
 - 2- توزيع 150 مساعدة مالية على العائلات المعوزة بمناسبة عاشوراء يوم 2011/02/12، بقيمة 10.000 دج لكل عائلة، بمبلغ مالي إجمالي قدره: واحد مليون وخمسمئة ألف دينار جزائري (1.500.000,00 دج).
 - 3- توزيع 300 مساعدة مالية على المعوزين بمناسبة شهر رمضان يوم 2011/08/11، بقيمة 3.000 دج لكل معوز، بمبلغ مالي إجمالي قدره: تسعمئة ألف دينار جزائري (900.000,00 دج).
 - 4- توزيع 700 مساعدة مالية على المعوزين بمناسبة عيد الفطر يوم 2011/08/27، بقيمة 1.500 دج لكل معوز، بمبلغ مالي إجمالي قدره: واحد مليون وخمسون ألف دينار جزائري (1.050.000,00 دج).
 - 5- توزيع 220 مساعدة مالية على المعوزين بمناسبة عيد الأضحى يوم 2011/11/07، بقيمة 1.500 دج لكل معوز، بمبلغ مالي إجمالي قدره: ثلاثمئة وثلاثون ألف دينار جزائري (330.000,00 دج).
 - 6- تكريم 14 حافظا لكتاب الله من المتطوعين لإمامة الناس في صلاة التراويح بمسجد الهامل، بتقديم مبلغ 10.000 دج لكل حافظ، في حفل رمزي أقيم يوم 2011/09/09 بمسجد الزاوية..
 - 7- المساهمة المالية في تكريم حفظة القرآن الكريم على مستوى المدرسة القرآنية بمسجد الحجاج بالهامل.
 - 8- التكفل بترميم وتهيئة غرفة بمنزل السيدة "بن عفو يمينه أرملة عبد الحميد لجدل"، وربطها بشبكة الغاز، بعد تعهدها بكفالة أخيها المعاق ذهنيا "محمد بن عفو" وإيوائه في هذه الغرفة.
 - 9- التكفل بترميم وتهيئة غرفة بمنزل السيد "برحمة محمد" (معاق ذهنيا).
 - 10- التكفل الدوري بنفقات الحياة المعيشية لعائلتين معوزتين تحوي أفرادا معاقين (أيتام الطيب بن عفو، أيتام بوطينة عمر).
 - 11- اقتناء كميات كبيرة من مواد البناء (550 قنطار من الإسمنت)، فضلا عن ما تبرع به المحسنون، وتوزيعها على 24 مستفيدا من الفئات الهشة وذوي الدخل المحدود، لمساعدتهم على ترميم بيوتهم.
 - 12- التكفل بتركيب 15 عداد غاز و 05عدادات كهرباء لخمسة عشر (15) عائلة معوزة.
 - 13- توزيع 10 مدافئ غاز طبيعي على عشر (10) عائلات معوزة.
 - 14- تقديم 149 إعانة مالية مختلفة القيمة للمعوزين لأسباب متعددة (سداد غرامات أو ديون أو إيجار، مساعدة على الزواج، إجراء فحوص أو أشعة أو عمليات جراحية، شراء أدوية، نفقات الحياة المختلفة).



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

15- تقديم إعانتين ماليتين لجمعيتين هما:

الجمعية	قيمة الإعانة
فوج نشاطات المركب الجوّاري جبل أمساعد	6.000,00 دج
جمعية قدما الكشافة الإسلامية المسيلة	20.000,00 دج

- 16- نحر 14 شاة وتوزيع لحومها على المعوزين بمناسبة عيد الأضحى المبارك .
- 17- تقديم إعانات مادية مختلفة للمعوزين (أفرشة، ألبسة، بطانيات، مواد غذائية مختلفة).
- 18- مساهمة الجمعية في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في مناسبات مختلفة.
- 19- إقامة حفل الزفاف الجماعي الثاني لفائدة 55 زوجا من 11 بلدية من ولاية المسيلة، وبلدية من ولاية الجلفة (عين وسارة)، وبلديتين من ولاية بسكرة (الغروس، أولاد جلال)، جرت فعالياته بساحة ثانوية جمال عبد الناصر بالهامل يوم 2011/06/30 بحضور شعبي ورسامي مكثف، يتقدمهم السيد بن منصور عبد الله والي ولاية المسيلة وشيخ زاوية الهامل، وقد سبقه إجراء حفل العقد الشرعي بمقر الزاوية.
- 20- وقد قدّمت الجمعية لكل زوج من الأزواج المقبولين في إطار حفل الزفاف الجماعي الثاني ما يلي:
- التكفل بتسديد قيمة الصداق والتي حددت بستين ألف دينار جزائري (60.000,00 دج). تم توزيعه على العرسان بحضور أوليائهم في حفل بهيج أقيم يوم 2011/05/06 بمسجد الزاوية، بحضور شيخ زاوية الهامل، وبعض المحسنين المساهمين في العملية.
 - غرفة نوم من 5 قطع بكل لوازمها، وُرُعت على العرسان ابتداء من يوم 2010/05/20 على دفعات متوالية.
 - تقديم إعانة مالية قدرها عشرون ألف دينار جزائري (20.000,00 دج) لاقتناء كل لوازم وليمة العرس، تم توزيعها على العرسان يوم 2011/06/27.
 - بدلة العرس لكل عريس.
 - التكفل بمصاريف الغداء والإكراميات يوم حفل الزفاف.
- إنّ هذه الأعمال التي قدّمتها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مؤلّوا الجمعية ودعّموها.
- كما لا يفوتني أن أوّكد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2011/12/31

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2012

حصيلة نشاط الجمعية من 2012/01/01 إلى غاية 2012/12/31

- يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية، خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:
- 1- تقديم إعانة مالية شهرية بقيمة 3.000 دج طيلة العام لفائدة والدة الطفلة "ربيحة منصور/بلعباس" لكونها تحتاج حمية غذائية خاصة نتيجة المرض.
 - 2- توزيع 360 مساعدة مالية على العائلات المعوزة بمناسبة رمضان يوم 2012/08/13، بقيمة 4.000 دج لكل عائلة، بمبلغ مالي إجمالي قدره: واحد مليون وأربعمئة وأربعون ألف دينار جزائري (1.440.000,00 دج).
 - 3- تقديم قرض مالي بقيمة 50.000 دج لفائدة شاب من الهامل لمساعدته على إقامة مشروع نفعي بدعم من الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب.
 - 4- التكفل الدوري بنفقات الحياة المعيشية لعائلتين معوزتين تحوي أفرادا معاقين (أيتام الطيب بن عفو، أيتام بوطيبة عمر).
 - 5- التكفل بتركيب عداد غاز لعائلتين معوزتين.
 - 6- توزيع 07 مدافئ غاز طبيعي على سبع (07) عائلات معوزة.
 - 7- تقديم 160 إعانة مالية مختلفة القيمة للمعوزين لأسباب متعددة (سداد غرامات أو ديون أو إيجار، مساعدة على الزواج، إجراء فحوص أو أشعة أو عمليات جراحية، شراء أدوية، نفقات الحياة المختلفة).
 - 8- تقديم إعانات مالية لجمعيات نشطة هي:

الجمعية	قيمة الإعانة
جمعية الأمل للحج العتيق بالهامل	20.000 دج
الفرقة الإنشادية لإكمال محمد يكن الغسيري بالهامل	40.000 دج
مكتب أكاديمية المجتمع المدني لدائرة بوسعادة	120.000 دج

- 9- نحر 10 شياه وتوزيع لحومها على 80 عائلة معوزة بمناسبة عيد الأضحى المبارك.
- 10- تقديم إعانات مادية مختلفة للمعوزين (أفرشة، ألبسة، بطانيات، مواد غذائية مختلفة).
- 11- مساهمة الجمعية في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في مناسبات مختلفة.
- 12- التكفل بترميم غرفتين بمنزل أحد المعوزين.
- 13- حصول أحد المعوزين المعاقين بالهامل على سكن اجتماعي بسعي من رئيس الجمعية مع السيد والي الولاية.



جَمْعِيَّةُ الْمُقَاوِصِ الْخَيْرِيَّةِ

هذا، وقد سعت الجمعية لتنظيم الطبعة الثالثة للزفاف الجماعي خلال هذا العام، لكن حال دون ذلك قلّة الموارد المالية، وعدم تيسّر الظروف الملائمة لإقامته.

إنّ هذه الأعمال التي قدّمتها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مؤلّوا الجمعية ودعّموها. كما لا يفوتني أن أوّكد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2012/12/31

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2013

حصيلة نشاط الجمعية من 2013/01/01 إلى غاية 2013/12/31

يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية. خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:

- 1- توزيع 324 مساعدة مالية على العائلات المعوزة بمناسبة رمضان يوم 2013/08/05، بقيمة 5.000 دج لكل عائلة، بمبلغ مالي إجمالي قدره: واحد مليون وستمئة وعشرون ألف دينار جزائري (1.620.000,00 دج).
- 2- التكفل الدوري بنفقات الحياة المعيشية لعائلتين معوزتين تحوي أفرادا معاقين (أيتام الطيب بن عفو، أيتام بوطيبة عمر).
- 3- التكفل بتكيب عداداي غاز وعداداي كهرباء لأربع عائلات معوزة.
- 4- توزيع 05 مدافئ غاز طبيعي على خمس (05) عائلات معوزة.
- 5- تقديم 118 إعانة مالية مختلفة القيمة للمعوزين لأسباب متعددة (سداد غرامات أو ديون أو إيجار، مساعدة على الزواج، إجراء فحوص أو أشعة أو عمليات جراحية، شراء أدوية، نفقات الحياة المختلفة).
- 6- نحر 12 شاة وتوزيع لحومها على 100 عائلة معوزة بمناسبة عيد الأضحى المبارك .
- 7- تقديم إعانات مادية مختلفة للمعوزين (أفرشة، ألبسة، بطانيات، مواد غذائية مختلفة).
- 8- مساهمة الجمعية في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في مناسبات مختلفة.
- 9- مساهمة رئيس الجمعية في جمع التبرعات لإحدى المريضات للعلاج بخارج الوطن.

هذا، وقد سعت الجمعية لتنظيم الطبعة الثالثة للزفاف الجماعي خلال هذا العام، لكن حال دون ذلك قلة الموارد المالية، وعدم تيسر الظروف الملائمة لإقامته.

إنّ هذه الأعمال التي قدّمها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مَوَّلوا الجمعية ودَعَموها. كما لا يفوتني أن أوّكّد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2013/12/31

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2014

حصيلة نشاط الجمعية من 2014/01/01 إلى غاية 2014/12/31

لم تقم الجمعية بأيّ نشاط خلال هذه الفترة، بسبب عدم حصولها على التصريح بالنشاط من طرف سلطات بلدية الهامل لغاية هذا التاريخ، بعد إيداع ملف المطابقة القانونية لها مع أحكام القانون رقم 06/12 المؤرخ في 18 صفر 1433 هـ الموافق 12 جانفي 2012م المتعلق بالجمعيات منذ تاريخ 2013/12/31.

الهامل يوم: 2014/12/31

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2015

حصيلة نشاط الجمعية من 2015/04/27 إلى غاية 2015/12/31

يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية، ابتداء من تاريخ 2015/04/27 تاريخ حصولها على الاعتماد الرسمي بعد إيداع ملف المطابقة القانونية لها مع أحكام القانون رقم 06/12 المؤرخ في 18 صفر 1433هـ الموافق 12 جانفي 2012م المتعلق بالجمعيات، والتي تتمثل في ما يلي:

- 1- حصول الجمعية على هبة كريمة تتمثل في سيارة إسعاف مجهزة بكل اللوازم الطبية، تكفل أحد المحسنين بكل نفقات اقتنائها وتأمينها وتجهيزها.
- 2- انطلقت سيارة الإسعاف في النشاط بتاريخ 2015/07/07، وقد نقلت خلال الفترة المذكورة أعلاه 38 حالة مرضية إلى مختلف المستشفيات داخل الولاية وخارجها.
- 3- تكفلت الجمعية بجميع نفقات الرحلات التي قامت بها السيارة (أجرة السائق، الوقود، الصيانة، التأمين، المراقبة التقنية) مع التأكيد على مجانية نقل المرضى بدون أي مقابل مالي.
- 4- توزيع 250 مساعدة مالية على العائلات المعوزة مستهل شهر رمضان يوم 2015/06/17. بقيمة 10.000 دج لكل عائلة، بمبلغ مالي إجمالي قدره: مليونان وخمسمئة ألف دينار جزائري (2.500.000,00 دج).
- 5- توزيع 160 مساعدة مالية على العائلات المعوزة بمناسبة ليلة القدر يوم 2015/07/14. بقيمة 10.000 دج لكل عائلة، بمبلغ مالي إجمالي قدره: مليون وستمئة ألف دينار جزائري (1.600.000,00 دج).
- 6- نحر 08 أضحى بمناسبة عيد الأضحى، وتوزيع لحومها على 80 عائلة معوزة.
- 7- توزيع 25 حقيبة مدرسية على الأطفال المتدرسين من العائلات المعوزة بمناسبة الدخول المدرسي.
- 8- توزيع 50 طردا غذائيا على العائلات المعوزة بمناسبة المولد النبوي الشريف.
- 9- تقديم 14 إعانة مالية للمعوزين لأسباب مختلفة (سداد غرامات، كراء منزل، مساعدة على الزواج، نفقات الحياة المعيشية المختلفة).
- 10- إغارة مكبر الصوت للجناز والمناسبات المختلفة.
- 11- تقديم واجب العزاء لأهالي المتوفين داخل الهامل والتضامن المادي والمعنوي معهم.
- 12- توزيع كميات من الألبسة والأفرشة والأغطية على بعض العائلات المعوزة.
- 13- في المجال الصحي كان للجمعية النشاط التالي:
 - تكفلت الجمعية بإجراء فحوص وأشعة طبية لعدد من المرضى.
 - التكفل بشراء أدوية لبعض المرضى بناء على وصفات طبية.
 - التوسط لبعض المرضى لإجراء عمليات جراحية بالمستشفيات الجامعية أو المؤسسات الاستشفائية.



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاوِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- التكفل بنقل المرضى بسيارة الإسعاف التابعة للجمعية.
- 14- استقبال الكثير من الضيوف والمهتمين، بمقر الجمعية.
- 15- مساهمة الجمعية في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في مناسبات مختلفة.

إنّ هذه الأعمال التي قدّمتها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائماً للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مولوا الجمعية ودعّموها. كما لا يفوتني أن أوّكد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2016/01/07

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2016

حصيلة نشاط الجمعية من 2016/01/01 إلى غاية 2016/12/31

يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:

- 1- انعقاد فعاليات الجمعية العامة، يوم 2016/01/07، بمقر الجمعية، بحضور أعضاء الجمعية والمنتسبين إليها، والسلطات المحلية، عرضت فيها حصيلة نشاط الجمعية وإنجازاتها لعام 2015.
- 2- تقديم إعانة مالية شهرية قدرها عشرة آلاف دينار جزائري (10.000,00 دج) للسيدة "فتيحة لجدل أرملة علي خضراوي" طيلة عام (2016) لمساعدتها على نفقات الحياة المعيشية، ورعاية أبنائها الأيتام والمعاقين.
- 3- التكفل بربط منزل هذه الأرملة بشبكة الغاز وتوفير مدفأة غاز طبيعي لها.
- 4- إعادة تهيئة وترميم مقر الجمعية بمبادرة من بعض أعضاء الجمعية وعلى نفقتهم الخاصة.
- 5- فتح (مطعم إفطار الصائم) الموجه لفائدة العجزة والمعوزين وعابري السبيل، والذي انطلق مع أول يوم من شهر رمضان المعظم، وكانت له الحصيلة التالية:

عدد الوجبات المحضرة طيلة الشهر	عدد الوجبات المحمولة الموزعة يوميا	عدد العائلات المستفيدة من المطعم	عدد عابري السبيل المستفيدين من المطعم
6250 وجبة	170 وجبة	43 عائلة	420 عابري سبيل

- 6- إقامة الجمعية لختان جماعي لفائدة 26 طفلا من أبناء البلدة، بالتنسيق مع المؤسسة العمومية الاستشفائية ببوسعادة، يومي 28 و 29 جوان 2016.
- 7- نحر 10 أضاحي بمناسبة عيد الأضحى، وتوزيع لحومها على 100 عائلة معوزة.
- 8- توزيع 20 حقيبة مدرسية على الأطفال المتمدرسين من العائلات المعوزة بمناسبة الدخول المدرسي.
- 9- توزيع 50 طردا غذائيا على العائلات المعوزة بمناسبة المولد النبوي الشريف.
- 10- تقديم إعانات مالية مختلفة لطالبي المساعدة.
- 11- إغارة مكبر الصوت للجناز والمناسبات المختلفة.
- 12- تقديم واجب العزاء لأهالي المتوفين داخل الهامل والتضامن المادي والمعنوي معهم.
- 13- توزيع كميات من الألبسة والأفرشة على بعض العائلات المعوزة.
- 14- أما في المجال الصحي فكان للجمعية النشاط التالي:
 - تكفلت الجمعية بإجراء فحوص طبية لعدد من المرضى عند الأساتذة الأطباء في المستشفيات الجامعية.
 - التكفل بشراء أدوية لبعض المرضى بناء على وصفات طبية.



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاوِدِ الْحَيْرِيَّةِ

- التوسط لبعض المرضى لإجراء عمليات جراحية بالمستشفيات الجامعية أو المؤسسات الاستشفائية.
- التكفل بنقل المرضى بسيارة الإسعاف التابعة للجمعية، والتي كان لها الحصيلة التالية خلال هذا العام:

أماكن إقامة المرضى المسعفين	عدد الرحلات بحسب الولايات	مجموع رحلات السيارة خلال عام 2016
أغلبية المرضى من الهامل سيدي عيسى: 01 مريض	ولاية سطيف 23 ولاية ورقلة 01 ولاية المدية 01 ولاية البويرة 01 ولاية البليلة 01	ولاية الجزائر 40 ولاية برج بوعريريج 06 ولاية الجلفة 01 ولاية المسيلة 50
		124 رحلة

- 15- التكفل بكل نفقات سيارة الإسعاف المختلفة (أجرة السائق، الوقود، الصيانة، التأمين، المراقبة التقنية).
- 16- استقبال الكثير من الضيوف والمهتمين، بمقر الجمعية.

إنّ هذه الأعمال التي قدّمتها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مَوَّلوا الجمعية ودَعَموها.
كما لا يفوتني أن أؤكد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2017/01/07

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2017

حصيلة نشاط الجمعية من 2017/01/01 إلى غاية 2017/12/31

يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:

- 1- انعقاد فعاليات الجمعية العامة، يوم 2017/01/07، بمقرّ الجمعية، بحضور أعضاء الجمعية والمنتسبين إليها، والسلطات المحلية، عرضت فيها حصيلة نشاط الجمعية وإنجازاتها لعام 2016.
- 2- توزيع 10 مدافئ غاز طبيعي على بعض العائلات المعوزة في البلدة خلال شهري جانفي و فيفري، وتكفل الجمعية بتركيب شبكة الغاز الداخلية لخمس عائلات أخرى.
- 3- تنظيم عمرة جماعية لفائدة 14 فردا من كبار السن، أعلن عنها يوم الثلاثاء 07 فيفري 2017 ليرتفع العدد إلى 21 فردا بعد انضمام بعض أقارب المستفيدين، حيث تكفلت الجمعية بجميع إجراءات استخراج الجوازات واستصدار التأشيرة والحجز في وكالة سفر تضمن خدمات راقية لهؤلاء المعتمرين، لتنطلق رحلتهم الميمونة يوم 2017/04/15.
- 4- تنظيم استقبال شعبي حاشد لهؤلاء المعتمرين عقب العودة إلى أرض الوطن يوم 2017/04/29، انطلاقا من مطار عين الديس وصولا إلى مقر الجمعية على وقع طلاقات البارود.
- 5- إقامة (مطعم إفطار الصائم) الموجه لفائدة العجزة والمعوزين وعابري السبيل، والذي انطلق مع أول يوم من شهر رمضان المعظم المصادف ليوم 2017/05/25 إلى غاية انتهاء الشهر، وكانت له الحصيلة التالية:

عدد الوجبات المحضرة طيلة الشهر	عدد الوجبات المحمولة الموزعة يوميا	عدد العائلات المستفيدة من المطعم	عدد عابري السبيل المستفيدين من المطعم
7250 وجبة	180 وجبة	45 عائلة	431 عابر سبيل

- 6- وجدير بالذكر أنّ نشاط هذا المطعم كان محل تغطية خاصة من قناة الجزيرة القطرية على هامش إعدادها لتقرير خاص عن زاوية الهامل القاسمية،
- 7- تكريم المتطوعين المؤطرين لمطعم إفطار الصائم في حفل رمزي أقيم بقاعة المحاضرات بمتحف الجهاد بحضور بعض الضيوف أمسية يوم 2017/07/19.
- 8- إقامة المخيم الصيفي الأول لأشبال المقاصد الخيرية، لمدة 10 أيام بالجزائر العاصمة.
- 9- توزيع 05 أضحاي على خمس عائلات معوزة بمناسبة عيد الأضحى، كما تمّ بالمناسبة نحر 05 أضحاي وتوزيع لحومها على 50 عائلة.
- 10- توزيع 40 حقيبة مدرسية على الأطفال المتمدرسين من العائلات المعوزة بمناسبة الدخول المدرسي.



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاوِصِ الْحَيْرِيَّةِ

- 11- توزيع 180 طردا غذائيا على العائلات المعوزة بمناسبة المولد النبوي الشريف.
- 12- إقامة فعاليات برنامج الكويزيتو، الموجه لتحفيز الأطفال على المطالعة باستخدام التكنولوجيا، بقاعة الاجتماعات بمقر الجمعية في يوم 2017/12/28، حيث استقطب قرابة 40 طفلا، تنافسوا طيلة يومين على قراءة واستيعاب محتوى الكتب، في أجواء مميزة جمعت بين براءة الصغار وحماسهم على التنافس.
- 13- هذا، وللجمعية أنشطة أخرى مختلفة قامت بها على مدار العام تمثلت في:
- تقديم إعانات مالية مختلفة لطالبي المساعدة.
 - التكفل بنفقات زواج شابين من مدينة الهامل، وشاب من مدينة بوسعادة.
 - إعارة مكبر الصوت للجناز والمناسبات المختلفة.
 - تقديم واجب العزاء لأهالي المتوفين داخل الهامل والتضامن المادي والمعنوي معهم.
- 14- أما في المجال الصحي فكان للجمعية النشاط التالي:
- تكفلت الجمعية بإجراء فحوص طبية لعدد من المرضى عند الأساتذة الأطباء في المستشفيات الجامعية.
 - التكفل بشراء أدوية لبعض المرضى بناء على وصفات طبية.
 - التوسط لبعض المرضى لإجراء عمليات جراحية بالمستشفيات الجامعية أو المؤسسات الاستشفائية.
 - التكفل بنقل المرضى بسيارة الإسعاف التابعة للجمعية، والتي كان لها الحصيلة التالية خلال هذا العام:

أماكن إقامة المرضى المسعفين	عدد الرحلات بحسب الولايات	مجموع رحلات السيارة خلال عام 2017
أغلبية المرضى من الهامل بوسعادة: 08 مرضى خرمام: 02 مريض أمجدل: 02 مرضى جبل أمساعد: 02 مرضى	ولاية سطيف 10 ولاية باتنة 05 ولاية المدية 01 ولاية البويرة 01 ولاية البليدة 01	ولاية الجزائر 36 ولاية برج بوعريج 01 ولاية الجلفة 03 ولاية المسيلة 21
		78 رحلة

- 15 - استقبال الكثير من الضيوف والمهتمين، بمقر الجمعية. إنَّ هذه الأعمال التي قدّمتها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزَّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مَوَّلوا الجمعية ودَعَموها. كما لا يفوتني أن أؤكد لكم أنَّ الجمعية لم تتحصل على أيِّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2018/01/28

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2018

حصيلة نشاط الجمعية من 2018/01/01 إلى غاية 2018/12/31

يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:

- 1- انعقاد فعاليات الجمعية العامة، يوم 2018/01/28، بمقر الجمعية، بحضور أعضاء الجمعية والمنتسبين إليها، والسلطات المحلية، عرضت فيها حصيلة نشاط الجمعية وإنجازاتها لعام 2017.
- 2- توزيع 10 مدافع غاز طبيعي و 05 مدافع غاز البوتان على بعض العائلات المعوزة في البلدة خلال شهر جانفي، وتكفل الجمعية بتركيب شبكة الغاز الداخلية لإحداها.
- 3- المشاركة في إقامة دورة رياضية في كرة القدم، سميت بدورة المرحوم لخضر خياط، وذلك بالتعاون مع المجلس الشعبي لبلدية الهامل، والنادي الهاوي شباب شرفاء الهامل، والتي أقيمت مباراتها الختامية يوم 2018/03/29 بحضور الكثير من الضيوف.
- 4- المشاركة في تظاهرة (الطفل المبدع) بالتنسيق مع جمعية أحباب بوسعادة وجمعية الإرشاد والإصلاح ببوسعادة، والتي تولى فيها الأستاذ ياسين بوراس تقديم دروس الحساب الذهني لمجموعة من أبناء الهامل ابتداء من يوم 2018/02/03، والمشاركة بهم في مسابقة خاصة لهذا الغرض، أقيم حفلها الختامي يوم 2018/06/30 بالمعهد الوطني للفندقة والسياحة ببوسعادة.
- 5- توزيع 350 مساعدة مالية على العائلات المعوزة بمناسبة حلول شهر رمضان، بقيمة 10.000 دج لكل عائلة، تم توزيعها ابتداء من تاريخ 2018/05/11 إلى غاية 2018/05/16، وصلت القيمة المالية الإجمالية لهذه العملية 350 مليون سنتيم.
- 6- إقامة (مطعم إفطار الصائم) الموجه لفائدة العجزة والمعوزين وعابري السبيل، والذي انطلق مع أول يوم من شهر رمضان المعظم المصادف ليوم 2018/05/17 إلى غاية انتهاء الشهر، وكانت له الحصيلة التالية:

عدد الوجبات المحضرة طيلة الشهر	عدد الوجبات المحمولة الموزعة يوميا	عدد العائلات المستفيدة من المطعم	عدد عابري السبيل المستفيدين من المطعم
7690 وجبة	250 وجبة	50 عائلة	641 عابري سبيل

- 7- مشاركة الجمعية في حفل الختان الذي أقامته جمعية أحباب مدينة بوسعادة يوم 17 رمضان الموافق 2018/06/02 بقاعة الحفلات قيرش ببوسعادة .



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- 8- إقامة الجمعية لختان جماعي لفائدة 19 طفلا من أبناء البلدة، بالتنسيق مع المؤسسة العمومية الاستشفائية ببوسعادة، أقيم لهم حفل الحناء يوم 21 رمضان الموافق 2018/06/06 وأجريت لهم عمليات الختان في اليوم الموالي.
- 9- مشاركة الجمعية في حفل الختان الذي أقامته محافظة حزب جهة التحرير الوطني ببوسعادة يوم 23 رمضان الموافق 2018/06/08 بمقر المحافظة.
- 10- تنظيم استقبال شعبي لابنة الهامل (سهيلة سحيم) العائدة من الجزائر العاصمة، والمتوجة بتاج القرآن، من منطقة أولاد سيدي إبراهيم إلى مقر الزاوية، يوم 25 رمضان الموافق 2018/06/10.
- 11- تنظيم إفطار جماعي بمناسبة ليلة 27 من رمضان الموافق 2018/06/12 شارك فيه السيد رئيس الجمعية والسيد رئيس البلدية وبعض أعضاء الجمعية رفقة أشبال المقاصد عابري السبيل إفطارهم.
- 12- مشاركة الجمعية في استقبال مترشيحي البكالوريا الأحرار الوافدين على مدينة بوسعادة المنظم من طرف جمعية أحباب بوسعادة وجمعية الإرشاد والإصلاح ببوسعادة، من 20/06/2018 إلى 25/06/2018.
- 13- تكريم الجمعية للفاضلة (سهيلة سحيم) المتوجة بتاج القرآن أمسية يوم 2018/06/30 بقاعة المحاضرات بمتحف الجهاد بالهامل بحضور نخبة من الضيوف الأكارم، حيث تم إهداء وسام خاص لها، وتعهدها رئيس الجمعية بالتكفل بنفقات عمرة مهداة لها.
- 14- المشاركة في إقامة دورة رياضية في كرة القدم، سميت بدورة شهداء الطائرة العسكرية، وذلك بالتعاون مع المجلس الشعبي لبلدية الهامل، والنادي الهاوي شباب شرفاء الهامل، والتي أقيمت مبارياتها الختامية يوم 2018/07/03 بحضور الكثير من الضيوف.
- 15- تكريم المتطوعين المؤطرين لمطعم إفطار الصائم في حفل رمزي أقيم بقاعة المحاضرات بمتحف الجهاد بالهامل بحضور فضيلة شيخ الزاوية، أمسية يوم 2017/07/14.
- 16- إقامة المخيم الصيفي الثاني لأشبال المقاصد الخيرية، لمدة 10 أيام بالجزائر العاصمة.
- 17- توزيع 50 مساعدة عينية على العائلات المعوزة بمناسبة المولد النبوي المصادف ليوم 2017/11/19.
- 18- هذا، وللجمعية أنشطة أخرى مختلفة قامت بها على مدار العام تمثلت في:
 - تقديم إعانات مالية مختلفة لطالبي المساعدة.
 - توزيع 06 أضيحي بمناسبة عيد الأضحى على ست عائلات معوزة.
 - مساعدة أحد المعوزين على بناء غرفتين بتقديم كميات معتبرة من مواد البناء المختلفة.
 - توزيع كميات معتبرة من الألبسة المستعملة على العائلات المعوزة.
 - التكفل بالكسوة الصيفية لأربعة عشر طالبا من الطلبة الأفارقة المتمدرسين بالزاوية.
 - إعارة مكبر الصوت للجناز والمنااسبات المختلفة.
 - مساهمة رئيس الجمعية في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في بعض المناسبات.
 - مساهمة رئيس الجمعية في جمع التبرعات لبعض العمليات الجراحية المكلفة.



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- تقديم إعانات مادية لبعض الجمعيات حديثة النشأة.
- احتضان قاعة الاجتماعات بالجمعية لاجتماع النادي الرياضي شباب شرفاء الهامل بالمجلس البلدي.
- احتضان قاعة الاجتماعات بالجمعية لعملية القرعة الخاصة بتوزيع 40 مسكن عمومي إيجاري بالهامل.
- تقديم واجب العزاء لأهالي المتوفين داخل الهامل والتضامن المادي والمعنوي معهم.
- 19- أما في المجال الصحي فكان للجمعية النشاط التالي:
 - تكفلت الجمعية بإجراء فحوص طبية لعدد المرضى عند الأساتذة الأطباء في المستشفيات الجامعية.
 - التكفل بإجراء تحاليل طبية لبعض المرضى المعوزين بالتنسيق مع المؤسسات الاستشفائية.
 - التكفل بشراء أدوية لبعض المرضى بناء على وصفات طبية.
 - التكفل بإجراء فحوصات الأشعة الطبية IRM لخمسة عشر (15) مريضا.
 - التوسط لبعض المرضى لإجراء عمليات جراحية بالمستشفيات الجامعية أو المؤسسات الاستشفائية.
 - تقديم كميات معتبرة من الحفظات كبيرة الحجم للمرضى كبار السن والمقعدين.
 - إعارة وسائل طبية مختلفة (كراسي متحركة، عصي طبية، قارورة أوكسجين..) للمرضى المحتاجين لها.
 - التكفل بنقل المرضى بسيارة الإسعاف التابعة للجمعية، والتي كان لها الحصيلة التالية خلال هذا العام:

أماكن إقامة المرضى المسعفين	عدد الرحلات بحسب الولايات	مجموع رحلات السيارة خلال عام 2018
أغلبية المرضى من الهامل بوسعادة: 06 مرضى أولاد سيدي إبراهيم: 01 مريض أمجدل: 02 مرضى	ولاية سطيف 09 ولاية باتنة 23 ولاية البليدة 01 ولاية الأغواط 01	ولاية الجزائر 70 ولاية برج بوعريريج 02 ولاية الجلفة 03 ولاية المسيلة 53

- هذا، وقد كان مقرّ الجمعية مزارا للكثير من الضيوف والمهتمين، لتقديم الدعم المادي والمعنوي، أو للاستفادة من تجربة الجمعية في ميدان العمل الخيري والتضامني.
إنّ هذه الأعمال التي قدّمتها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مؤلّوا الجمعية ودعموها.
كما لا يفوتني أن أوّكد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2019/01/12

رئيس الجمعية



التقرير الأدبي لعام 2019

حصيلة نشاط الجمعية من 2019/01/01 إلى غاية 2019/12/31

- يشرفني أن أتقدم إليكم بتقرير حول حصيلة النشاطات التي قامت بها الجمعية خلال الفترة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في ما يلي:
- 2019/01/01: أداء واجب العزاء والتضامن لعائلة الفقيد عياش محجوبي بقرية أمّ الشمل بعد الفاجعة التي حلت بهم، بوفد ترأسه السيد رئيس الجمعية.
 - 2019/01/12: انعقاد فعاليات الجمعية العامة، بقاعة المحاضرات بمتحف الجهاد بالهامل، بحضور أعضاء الجمعية والمنتسبين إليها، والسلطات المحلية، ونخبة من الضيوف الأكارم، عرضت فيها حصيلة نشاط الجمعية لعام 2018.
 - 2019/01/17: عيادة الأطفال أبناء الهامل ضحايا الكلب المسعور، بالمؤسسة العمومية الاستشفائية ببوسعادة، والتضامن مع أهاليهم ماديا ومعنويا.
 - 2019/02/08: توزيع 50 حصة من الألبسة الشتوية على الأطفال اليتامى والمعوزين.
 - 2019/03/26: تكفل رئيس الجمعية بسداد مبلغ العمرة المهداة للمتوجة بتاج القرآن سهيلة سحيم.
 - 2019/04/04: تنظيم رحلة ربيعية لفائدة أشبال الجمعية لغاية جبل أمساعد.
 - 2019/05/05: توزيع 50 طردا غذائيا على العائلات المعوزة بمناسبة حلول شهر رمضان.
 - إقامة مطعم إفطار الصائم الموجه لفائدة العجزة والمعوزين وعابري السبيل طيلة شهر رمضان، وكانت له الحصيلة التالية:

عدد الوجبات المحضرة طيلة الشهر	عدد الوجبات المحمولة الموزعة يوميا	عدد العائلات المستفيدة من المطعم	عدد عابري السبيل المستفيدين من المطعم
8160 وجبة	250 وجبة	50 عائلة	581 عابر سبيل

- 2019/06/02: إقامة إفطار جماعي على شرف المتطوعين المؤطرين لمطعم إفطار الصائم رفقة عابري السبيل.
- 2019/05/26: المساهمة في كسوة 30 يتيما بالتعاون مع جمعية كافل لرعاية الأيتام والأرامل ببوسعادة.
- 2019/08/01: تكريم المتطوعين المؤطرين لمطعم إفطار الصائم في حفل رمزي أقيم بقاعة المحاضرات بمتحف الجهاد ببلدية الهامل، وعلى هامشه تم إهداء وسام تكريبي خاص للمجاهد الحاج عبد الدائم عبد الدائم.
- 2019/08/22: إقامة المخيم الصيفي لأشبال الجمعية لمدة 10 أيام بولاية بومرداس.
- 2019/11/08: توزيع 50 مساعدة عينية على العائلات المعوزة بمناسبة المولد النبوي الشريف.



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- هذا، وللجمعية أنشطة أخرى مختلفة قامت بها على مدار العام تمثلت في:
- تقديم إعانات مالية مختلفة لطالبي المساعدة.
 - التبرع بخمسة (5) مدافئ غاز طبيعي لخمس عائلات معوزة.
 - توزيع 06 أضاحي بمناسبة عيد الأضحى على ست عائلات معوزة.
 - التبرع بكميات معتبرة من مواد البناء لفائدتين عائلتين معوزتين.
 - توزيع كميات معتبرة من الألبسة المستعملة على العائلات المعوزة.
 - إعارة مكبر الصوت للجناز والمناسبات المختلفة.
 - مساهمة رئيس الجمعية في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في كثير من المناسبات.
 - التبرع بسخان مائي سعة 100ل مع مستلزمات شبكة المياه لفائدة بيت الضوء لمسجد أبي بن كعب بحي البناء الريفي بالهامل
- أما في المجال الصحي فكان للجمعية النشاط التالي:
- التكفل بإجراء فحوص طبية لعدد كبير من المرضى عند الأطباء المختصين.
 - التكفل بإجراء تحاليل طبية لبعض المرضى.
 - التكفل بشراء أدوية لبعض المرضى بناء على وصفات طبية.
 - التكفل بإجراء أشعة طبية مختلفة لعدد كبير من المرضى.
 - التوسط لبعض المرضى لإجراء عمليات جراحية بالمستشفيات الجامعية.
 - إعارة وسائل طبية مختلفة (كراسي متحركة، عصي طبية، قارورة أوكسجين..) للمرضى المحتاجين لها.
 - التكفل بنقل المرضى بسيارة الإسعاف التابعة للجمعية، والتي كان لها الحصيلة التالية خلال هذا العام:

مجموع رحلات السيارة خلال عام 2019	عدد الرحلات بحسب الولايات	أماكن إقامة المرضى المسعفين
154 رحلة	ولاية الجزائر 75	جل المرضى من الهامل
	ولاية برج بوعريريج 05	بوسعادة: 14 مريض
	ولاية البلدية 01	أولاد سيدي إبراهيم: 02 مريض
	ولاية تيبازة 01	بن زوه: 03 مريض
	ولاية المسيلة 49	سليم: 01 مريض
	ولاية سطيف 10	
	ولاية باتنة 10	
	ولاية المدية 01	
	ولاية البلدية 01	
	ولاية الأغواط 01	

- هذا، وقد أطلقت الجمعية هذا العام فرعا لها، يُعنى بخدمة مساجد المنطقة بتنظيفها وتطهيرها، سُمي (المقاصد لخدمة المساجد)، وقد تلقت الجمعية هبة عينية لفائدة هذا الفرع من طرف أحد المحسنين والمتمثلة في: شاحنة صغيرة من نوع شيري، ثلاث (3) مكائس كهربائية، أربعة (4) سلالم بأحجام مختلفة، كمية من مواد التنظيف.



جَمْعِيَّةُ الْمَقَاصِدِ الْخَيْرِيَّةِ

- وقد كان الانطلاق الرسمي لعمل (المقاصد لخدمة المساجد) يوم الثلاثاء 02 جويلية 2019 مساء بعد صلاة العصر من مسجد زاوية الهامل العامر.
- وقد كانت لشباب المقاصد لخدمة المساجد الحصيلة التالية:

المساجد التي تمت خدمتها	البلدية
كل مساجد البلدية المنتشرة عبر أحيائها وعددها 13 مسجدا.	الهامل
مسجد عثمان بن عفان	جيل أمساعد
مسجد محمد الغزالي - جامع الصحابة.	تامسة
مسجد زيد بن ثابت - مسجد الرحمة - مسجد المجاهد	بوسعادة
مسجد الفتح (عين الحنش) - المسجد العتيق - مسجد الصحابة	أولاد سيدي إبراهيم
مسجد الهدى (عين خرمام) - مسجد سلمان الفارسي - مسجد سعد بن معاذ	بلدية بن زوه
مسجد علي بن أبي طالب (الدحادحية) - مسجد التقوى - مسجد عمر بن الخطاب (بانيو)	بلدية المعاريف

- وفي الختام، جدير بالإشارة أن مقرّ الجمعية كان مزارا للكثير من الضيوف والمهتمين، لتقديم الدعم المادي والمعنوي، أو للاستفادة من تجربة الجمعية في ميدان العمل الخيري والتضامني.
- إنّ هذه الأعمال التي قدّمها الجمعية خلال هذا العام، يعود الفضل فيها - بعد الله عزّ وجل - دائما للمحسنين والخيرين من أهل البر والإحسان، الذين مؤلّوا الجمعية ودعموها.
- كما لا يفوتني أن أوّكّد لكم أنّ الجمعية لم تتحصل على أيّ إعانة من الدولة مهما كان حجمها أو شكلها.

الهامل يوم: 2020/02/29

رئيس الجمعية

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
48	لم يصافح رسول الله ﷺ امرأة قط، وإنما كان يُبايعهن بالكلام
135	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع، والعطش»
137	((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، وتكفير لسيئات ومطرده لداء عن الجسد)).
138	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))
139	((من أكثر كلامه أكثر سقطه، ومن أكثر سقطه، قل حياؤه، ومن قل حياؤه، قل ورعه،.....))
139	((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))
145	((قال ربكم عز وجل، عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك.....
149	((أوائل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الشكر الحمد لله))

156	((مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، كمثل الحيّ والميت))
165	((...وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))
167	((إنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))

عبد القادر للعطوم الإسلامية

الحداد, 45, 65, 66, 67, 68, 69,
 70, 73, 75, 76, 108, 111, 158,
 160, 162, 254, 351, 352, 359
 الحسين بن اعراب الزواوي, 28, 31
 الخليل القاسمي, 28, 35, 38, 43, 52,
 53, 110, 131, 135, 136, 143,
 157, 218, 221, 222, 230, 233,
 250, 289, 292, 353, 354, 356,
 357, 358, 359
 الداوي محمد عثمان, 13
 الشريف بن الاحرش, 65, 117
 الشيخ البشير, 37, 116
 الشيخ الجميلي, 77
 الشيخ الحفني, 29, 31
 الشيخ العربي بن ابي داود, 108, 360
 الشيخ المختار بن عبد الرحمان الخالدي, 84
 الشيخ المنور التلمساني, 30
 الشيخ محمد التاودي بن سورة المغربي, 34
 الشيخ محمد أمزيان بن الحداد, 39, 66
 الشيخ محمد بن الحاج محمد, 108, 215,
 216, 221, 259, 360
 الشيخ محمد بن عبد الرحمان, 71, 75, 81,
 107, 115, 215, 218, 221
 الصالح العيساوي الرحموني, 36
 العمروسي, 25, 30
 المختار بن الحاج محمد, 109

فهرس الاعلام

أبو القاسم, 14, 15, 16, 17, 18, 21,
 22, 23, 24, 25, 26, 27, 37, 39,
 44, 45, 46, 58, 62, 65, 67, 68,
 69, 70, 71, 73, 82, 86, 89, 90,
 92, 95, 97, 100, 107, 108,
 109, 113, 115, 135, 140, 201,
 213, 220, 226, 228, 247, 253,
 255, 259, 260, 262, 264, 265,
 266, 279, 280, 355, 356
 أحمد القاسمي, 233
 احمد بن بدره, 126
 أحمد بن عياض, 36, 37
 أحمد بن محمد الواغلي الهجرسي, 89
 أعمارة بديار بني صالح, 76
 الاخضري, 204, 219
 الآفات الاجتماعية, 237, 282, 291
 الأمير عبد القادر, 1, ج, 13, 15, 41,
 57, 58, 59, 68, 83, 101, 104,
 115, 117, 252, 351, 361, 362
 البشير الويسي, 36, 37
 الحاج احمد باش تارزي, 72
 الحاج الطاهر سعدان, 77
 الحاج بن عمر بن حرز الله, 222, 227
 الحاج بن فاطمة, 127
 الحاج محمد بن بلقاسم, 108

فاطمة نسومر, 58, 254, 255, 257,	المختار بن عبد الرحمان بن خليفة, 106
262, 265, 291, 295, 297, 362,	المقامات, 32, 38, 141, 143, 149,
363	154, 167, 173, 191, 195, 257
فؤاد القاسمي, د, 35, 105, 143, 201,	بلخير النفطي, 122
205, 211, 220, 221, 222, 226,	بولرباح بن المحفوظ, 117
233, 273, 357, 359, 360, 365	تركي رابح, 228
قدور بلمكي, 126	حمودة المقاييسي, 36, 37
ليندة, 124	خديجة بنت بلكانون, 254, 257, 291,
محفوظ الشريف الحسيني الدّلسي, 40	297
محمد الحاج محمد, 100, 101, 102,	سي بوزيان, 125
103, 105, 106, 107, 109, 279	عاشور الخنقي, 113, 221, 222, 265
محمد السعيد السحنوني, 68	عائشة بنت مازوز, 100
محمد الصادق بن رمضان, 84	عبد الحفيظ الخنقي, 59, 84, 90, 91,
محمد الصغير, 41, 59, 92, 99, 111,	168, 169, 170, 353
116, 147, 190, 351, 354	عبد الحفيظ بن الشيخ بلقاسم, 222, 227
محمد العربي بن مصباح, 96	عبد الرحمان باش تارزي, 65, 71, 77,
محمد العمالي, 66	78, 83, 155, 156, 157, 169,
محمد المأمون القاسمي, ج, د, 43, 45,	353
110, 111, 221, 233, 234, 235, 248,	عبد القادر بن الشيخ بلقاسم, 222, 227
272, 277, 278, 279, 283, 313,	عبد القادر بن علي بن عثمان, 87
362, 364, 365	عز الدين القاسمي, 233
محمد المنور, 37, 123, 124, 125,	علي الريفايوي الازهري, 35
126	علي بلحملاوي, 73
محمد بن أبي القاسم التاجدوي, 37	علي بن عمر الطولقي, 65, 92, 94, 95
محمد بن أبي القاسم الحسيني البوجليلي, 69	علي بن عيسى المغربي, 36, 39, 65, 75
محمد بن أبي القاسم الهاملي, 27, 53, 101,	عمرو الشريف, 68
107, 111, 112, 113, 242, 275,	فاطمة الزهراء, 94
360, 363	

مصطفى بن الشيخ محمد, 227	محمد بن سالم الحفني, 31, 42
مصطفى بن عزوز, 53, 65, 86, 90,	محمد بن عبد الرحمان الازهري, 59, 65,
103, 95	66, 71, 75, 81, 83, 107, 116,
مصطفى بن محمد بن رمضان, 93	250, 295, 357
هواري بومدين, 59	مصطفى القاسمي, د, ز, 43, 53, 54, 55,
	66, 111, 112, 230, 358, 359,
	360, 363, 365

عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: الكتب

- أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مج10.
- أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة بيروت، مج10.
- أحمد بن أحمد، الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسات الشعبية " مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تلمسان، ع2، 2001.
- أحمد بن مبارك السجلماسي، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، تح عبد العظيم فتحي خليل، دار جوامع الكلم، 2006م، مصر.
- أحمد بن محمد بن عياد، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، مكتبة العلم والإيمان، ط1996م، مصر.
- أحمد بن مصطفى العلاوي، الحكم الفوتية ضمن المواد الغيثية، ط2، 1997م، ج1.
- أحمد توفيق المدني، حياة الكفاح، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، ط1977 ج1.
- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م سيرته حروبه أعماله نظامه الدولة والحياة العامة في عهده، ط1، 1986م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1980.
- أحمد دردير، شرح الخريدة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط1، 1954، القاهرة .
- اسعيد علوان، الطريقة الرحمانية و دورها في الجهاد، مجلة المعيار، عدد 2003.
- إسماعيل بن عبّاد، المحيط في اللغة، تح محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، ط1، 1994م.
- إسماعيل بن محمد أمين بن سليم الياباني البغدادي، هدية العارفين، ط 1951، وكالة المعارف إسطنبول، ج1.
- الأمير عبد القادر، مذكرات، تح محمد الصغير بناني، محفوظ السماتي وأخرون، شركة دار الأمة، ط2، 1995م.

- أنس محمد القاسمي، عبد المنعم الحسيني، إجازات الشيخ محمد بن عزوز، دار الخليل للنشر والتوزيع، ط الأولى، 2005م.
- البخاري الجعفي: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله صحيح البخاري، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:1؛ لا.م، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- التليبي العجيلي، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب، جامعة تونس1، تونس1992.
- التهانوي محمد بن علي، كشاف إصطلاحات الفنون، دار صادر، لبنان، ط1963م، ج2.
- جمال بن سليمان قنفود، سلسلة مشايخ ومقاديم الخلوئية الرحمانية وأعلامها، دط، ص10.
- الحاج محمد بن محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط1.
- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ج3.
- الحداد، التقييد المحلّ للتعقيد في التصوف، تح تع عمار طالبي، فريد زيداني، براهيم وعلي، البصائر ط2014م.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، لبنان 1996، ج4.
- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، دار حلب، الجزائر.
- دو نوقو إدوارد، الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، تر وتح كمال فيلاي، ط2003م، دار الهدى عين مليلة الجزائر.
- دوارة أحمد، دور التوزيع ك ممارسة دينية ثقافية إقتصادية. دط.
- رابح لونيس وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دار المعرفة، ط 2010، ج 2.
- رشيد سامي، منارة سيدي سالم بوادي سوف معلم وتراث المواصفات المعمارية والخصائص الإنشائية. مطبعة مزوار، ط2، 2009م.
- زين الدين قاسمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل في عهد العثماني بداية الإحتلال الفرنسي، دار الأمل، الجزائر، ط1، سنة 2009م.

- سليمان العيد، تاريخ علي بن عمر، دار هومة، ط1998.
- السهرودي أبو حفص شهاب الدين عوارف المعارف، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، مصر.
- شجرة العائلة في عبد الرحمان بن الحاج، الدرّ المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز، دار النجاح، الجزائر، د.ت.
- الشيخ الحداد، التقييد المحل لتعقيد في التصوف، تح وتع، عمار طالبي، فريد زيداني، إبراهيم علي، البصائر لنشر والتوزيع، د.ط.
- الشيخ المهدي بوعبدلي، الأعمال الكاملة، ثورة الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، جمع وإعداد عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.
- الشيخ حداد، التقييد المحل لتعقيد في التصوف، تح تع عمار الطالبي، فريد زيداني، البصائر، ط2004.
- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، دار البراق، ط1995م، لبنان، ج2.
- أبو طالب محمد بن علي المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دار الفكر دمشق، ج1.
- طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال ق6، 7هـ، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي.
- الطوسي، أبو السراج، اللمع، تح طه عبد الباقيسرور، عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ط1960.
- ع الرحمن نعاس، مختصر الأذكار ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية، جمع وتح علي نعاس بن عبد الله، ط1، 2015، مطبعة رويفي، الأغواط، الجزائر.
- عامر محفوظي، تحفة السائل بباقة عن تاريخ سيدي نائل، مطبعة النعمان، الجزائر، ط1، 2002
- عبد الباقي مفتاح، نظرات حول الطريقة الخلوتية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
- عبد الباقي مفتاح، نظرات حول الطريقة الرحمانية الخلوتية، ط1، 2016، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- عبد الحفيظ الخنقي(ت1266م)، الجواهر المكنونة والعلوم المصونة، المطبعة التونسية، ط1. تونس.

- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1999.
- عبد الحميد خالدي، وقفات من جهاد المرأة الجزائرية، كفاح المرأة الجزائرية، ط 2، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م ، الجزائر، 2007، ص 187.
- عبد الرحمان الغلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة، دار الفكر، ط2007م.
- عبد الرحمان باش تارزي، غنية المرید في شرح تعلم مسائل كلمتي التوحيد، مطبعة الرسمية، ط1، تونس، 1904م.
- عبد الرحمان محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، 2007، الجزائر، ج1.
- عبد الرحمن الفاس، مختصر الأذكار ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية، جمع علي نعاس بن عبد الله، ط1، مطبعة دار الخليل القاسمي بوسعادة، الجزائر، 2015.
- عبد الرحمن باشا تارزي، شهد الكلام من قصائد الولي الإمام عبد الرحمن باش تارزي، جمع الزاوية الرحمانية عائلة باش تارزي الشيخ الحاج محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي جزاه الله خيراص، ط1، 2002.
- عبد القادر أحمد عطا، التصوف بين الأصالة والإقتباس في عصر النابلسي، دار الجيل الإسلامية، بيروت لبنان، ط1، 1987م.
- عبد الكريم القشيري، لطائف الإشارات، تح، إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط3، ج3.
- عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، الوصايا، تح وتبع عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1986م، بيروت، لبنان.
- عبد الله سليمان، شرح قانون العقوبات، دار الهدى، الجزائر، د ط، ج1.
- عبد الله غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط1992م.
- عبد المنعم الحسيني، إجازات الشيخ محمد بن عزوز، دار الخليل، مسيلة، دط.
- عبد المنعم الحسيني، الطريقة الرحمانية الأصول والأثار منذ البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل لنشر والتوزيع، ط2013م.

- عبد المنعم الحسني، زاوية المهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل، ط1، 2010م.
- عبد المنعم الحسني، زاوية المهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل، ط1، 2010م.
- عبد المنعم الحسني، زاوية المهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل لنشر التوزيع، 2009م.
- عبد المنعم الحسني، زاوية المهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862م 1962م، دار الخليل لنشر والتوزيع، ط2005م.
- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، 2005، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، المسيلة، الجزائر.
- عبد المنعم القاسمي، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، ط2013، دار الخليل لنشر والتوزيع، وزارة الثقافة الجزائرية.
- عبد الوهاب الشعراي، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تح طه عبد الباقي سرور، محمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، لبنان، ط1985، ج1.
- عبد الوهاب بن أحمد الشعراي، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، قدم له عاصم إبراهيم الكيالي الدرقاوي، دار الكتب العلمية، د ط، ج1.
- أبي عبد محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرندي، مقدمة غيث المواهب العلية لشرح الخكم العطائية، تر تح عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، د ط، ج1.
- عبدة بن محمد الصغير بن أنبوجة الشنقيطي التيشيبي، ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، مصر مكتبة القاهرة، ط1995.
- ابن عجيبة أحمد، إيقاظ المهمم في شرح الحكم، مصر مكتبة زهران، 1995م، ص70 / مصطفى باش تارزي، المنح الربانية.
- عجيل النسمي، صحوة التدين والواقع المعاصر، دار البعث، قسنطينة.
- ابن عربي محي الدين، نفائس العرفان، ضمن مجموعة رسائل ابن عربي، دار المحجة البيضاء، مج1.
- عرجون-محمد الصادق، التصوف في الإسلام منابعه وأطواره، دار القارئ العربي، ط493، مصر.
- ابن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، باب تدريج السالك بالأذكار وكيفية تنقله في الأطوار، مطبعة مكتبة الحمودية .

- عطية شطة، البعد التربوي والروحي للزوايا "لزاوية بولرباح نموذج لزوايا العلمية للطريقة الرحمانية، رسالة ماجستير، غ م سنة 2007.
- أبو علي الزواوي، تاريخ زواوة، م.ت، بوراي اسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تح ض، مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1983.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997.
- عيسى بن القبي، زاوية الهامل ودورها الثقافي والإجتماعي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001م.
- الغزالي، جواهر القرآن، تح محمد رشيد رضا، دار الإحياء، ط1، بيروت 1986م.
- الغزالي، روضة الطالبين، نسخة مع رسالة أبيها الولد المحب، دار الفكر، بيروت، ط2000م.
- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلق برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م
- ج 2.
- أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ج1.
- أبو القاسم سعد الله، ت ج ث، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ط 1998،
- ج 2
- أبو القاسم سعد الله، ت.ج.ث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م ج4.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2007، دار البصائر لنشر والتوزيع الجزائر، ج1، ص198، 197.
- أبو القاسم سعد، ت ج ث، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2007م، ج1
- أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1.
- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد روؤف القاسمي الحسيني، موقع النشر 1991، ج2

- أبو القاسم يعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، م، و ك، الجزائر، 1992، ج 1.
- قطب الدين مصطفى البكري الخلوقي الحنفي، الوصية الجليلة للسالكين طريق الخلوتية، دار الخليل القاسمي، ط 1، 2005، المسيلة.
- ابن القيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تح محبة إحياء التراث العربي، دار ابن كثير، بيروت، ط 3.
- الكلاباذي أبو بكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح محمد أمين النواوي، المكتبة الأزهرية لتراث، مصر ط 3، 1992م، ص 103.
- لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الفوائد في مشكل القرآن، دار الشروق جدة لنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 1967.
- ماجدة القاسمي، الذكر وآثاره التربوية في طرق الصوفية الجزائرية، دار الخليل القاسمي، ط 1-2020.
- مبارك بن محمد الهلالي الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.
- محمد أبي القاسم، الزهر الباسم، في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط 1.
- محمد أحمد درنيقة، التصوف الإسلامي، الطريقة النقشبندية وأعلامها (دكتوراه دولة في الفلسفة)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان.
- محمد الجزولي (870)، كتاب دلائل الخيرات، مكتبة ومطبعة الفجر الجديد، ط 2006، مصر.
- محمد الصغير الجلاي، تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط 1916م.
- محمد بن أبي القاسم الحسيني الهاملي، الرسالة الميزابية، تح و تعليق أحمد ناصر القاسمي الحسيني، دار الخليل، ط 1، 2020 .
- محمد بن عبد الرحمان الأزهرري، شرح قوت قولي، شرح على الريفراوي، تحقيق ماجدة القاسمي، ط 2001م، دار الخليل القاسمي.

- محمد بن عبد الرحمن الأزهرى القحطولي الجرجري، شرح قوت قولي شرح على الريفاوي، تح وتعد، ماجدة القاسمي الحسني، ط2015، دار الخليل القاسمي لنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر.
- محمد بن علي الحسني الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1969م.
- محمد بن محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط1.
- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح، علي عمر، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، ج1.
- محمد شرقي، الزوايا والثورة الجزائرية 1954-1962، الرحمانية نموذج، جامعة 08 ماي، قلمة، 1995.
- محمد طاهر علاوي، العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني، ط1، 2011م، شركة دار الأمة للطباعة، النشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر.
- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1965، ج1.
- محمد غلاب، التصوف المقارن، مكتبة النهضة، مصر، د ط.
- محمد فؤاد القاسمي الحسني، وثائق تاريخية من المكتبة القاسمية، دار الخليل، ط1، 2013.
- محمد فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية الهامل قبل الإستقلال، دار الخليل، د-ط.
- محمد فؤاد القاسمي، فهرست المخطوطات المكتبية القاسمية، دار الخليل القاسمي. ط2000.
- محمد فؤاد بن الخليل القاسمي الحسني، ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية، تقديم محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، رويقي، الأغواط
- محمد مفلح، من تاريخ الطريقة الرحمانية في منطقة غليزان وضواحيها، دار القدس العربية، ط1، 2014.
- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط1، 2005، ج1
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، سوريا1989.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، ط1988م، دار الفكر الجزائر.

- محي الدين العطي، طبقات الخلوتية الكبرى، تق محمد زكي إبراهيم، مكتبة الجندي، القاهرة.
- مصطفى باش تارزي، المنظومة الرحمانية، في بيان المنظومة الرحمانية، المصدر نفسه، دار كنوز الحكمة، ط1، 2004.
- مصطفى البكري الخلوتي الحنفي، الوصية الجليلة للسالكين طريق الخلوتية، دار الخليل القاسمي، بوسعادة-المسيلة، ط1، 2005.
- مصطفى باش تارزي، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، تح عبد المنعم الحسني، دار الخليل، بوسعادة، المسيلة، ط2016.
- مصطفى باش تارزي، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، مطبعة الرسمية، تونس 1307هـ.
- مصطفى باش تارزي، المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية، تقديم محمد سي يوسف، دار الأمل، تلمسان، ط2011.
- مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، تح عبد المنعم الحسني، دار الخليل القاسمي، ط1، 2016.
- ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، دار الجيل، 1988م، ج14.
- المؤلف مجهول، سلسلة مشايخ ومخاديم الطريقة الرحمانية الخلواتية وأعلامها، تحقيق جمال بن سليمان قنود، دط.
- مولود نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيمنتها العالمية قبل 1830م، دط، الجزائر.
- ناصر الدين سعدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ (العهد العثماني)، ط1، 1984، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- ناصر الدين سعدوني، المهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني وط وزارة الثقافة والسياحة، م و ك، الجزائر 1984.
- ناصر الدين سعدوني، النظام المالي للجزائر في العهد العثماني، ط1، سنة 1986م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
- أبو نجيب ضياء الدين السهرودي(ت563): آداب المريدين، تح طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

- أبو النجيب ضياء الدين السهرودي، آداب المريدين، تح طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية لتراث، دط.
- أبو نصر إسماعيل بن عماد الجوهري الفارابي(ت393): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1987م، بيروت، ج4.
- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دط، دار الغرب الإسلامي، ج1.
- يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن 19م، ثورة 1871، دار البصائر الجزائر ج4.
- يحيى بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز. تح الخليل بن مصطفى القاسمي الحسي المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1989.
- يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة في العلاقات الإجتماعية،، دار العلمية، القاهرة، مصر، دط.
- يوسف عبيدش، الأوراد الطريقة الرحمانية الخلوتية، دار الخليل القاسمي، 2016 م.

ثانيا: المخطوطات

- أحمد بن غانم المقدسي، حل الرموز لمفاتيح الكنوز، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية.
- الأزهرى، المقدمة الوثيقة لمعرفة بعض أحكام الطريقة، مخطوط مطبوع، تعليق محمد فؤاد القاسمي، الحسني، دار الخليل القاسمي، ط2005
- الأزهرى، دفتر الدفاتر، مخطوط خاص، ورقة49.
- الأزهرى، رسائل الأزهرى له في مكتبة العثمانية بطولقة، مخطوط
- الأزهرى، شرح علي الريفاوي بمخطوط،
- الأزهرى، شرح قوت قولي على الريفاوي، مخطوط خاص.
- الأزهرى، طي الأنفاس رسائل مخطوط بالمكتبة بطولقة
- برنامج الشيخ المكي القاسمي، وثيقة بالزاوية القاسمية
- التقارير الفرنسية حول زاوية الهامل القاسمية سنة 1952 م.
- تقرير أدبي حول جمعية مقاصد الخيرية

- خطاب الشيخ المأمون إلى القائمين على المنارات القرآنية وإخوان الطريقة الرحمانية الموافق 1999م.
- رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، من وثائق المكتبة القاسمية بزواوية الهامل.
- رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى ابن أخيه الشيخ محمد بن الحاج محمد من الجزائر العاصمة، بتاريخ 28 رجب 1303هـ وثائق المكتبة القاسمية
- رسالة المكي القاسمي، حول برنامج التعليم في الزاوية
- رسالة جاك بيرك للشيخ زاوية القاسمية الشيخ مصطفى القاسمي، عام 17-09-1965 ، مخطوطة بزواوية الهامل.
- الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، رسالة المزابية، مخطوطة بزواوية الهامل.
- عبد الرحمن باش تارزي، رسالة مخطوطة في الدفاع عن الطريقة الرحمانية من وثائق زاوية الهامل.
- عن مراسلة الشيخ العربي بن أبي داود إلى المؤسس عام 1312 مخطوطة بزواوية هامل.
- لطفي البعطوشي التباني، رسالة إلى شيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي، رسالة مخطوطة، خاصة.
- محمد المكي القاسمي، ترجمة الشيخ محمد بن الحاج محمد، مخطوط بالزاوية القاسمية.
- محمد المكي القاسمي، رسالة عن زاوية الهامل بمكتبة زاوية الهامل
- محمد بن أبي القاسم الهاملي، ترجمة لنفسه مخطوطة ضمن وثائق المكتبة القاسمية.
- محمد بن ع الرحمن، رسائل الأزهرية مخطوط،
- محمد فؤاد القاسمي، فهرست مخطوطات المكتبة القاسمية.
- مخطوطة لوثيقة حصر تركة السيدة لالة زينب صادرة عن محكمة بوسعادة حكم رقم 05 بتاريخ 24 ماي 1904 الموافق لـ 19 ربيع الأول 1323 هـ ، من وثائق المكتبة القاسمية
- مراسلة الشيخ أحمد الأمين، لسيدة زينب في 1890م، من وثائق المكتبة القاسمية.
- مراسلة علماء الحرم المدني إلى السيدة زينب بتاريخ 29 شعبان 1319م ، من وثائق المكتبة القاسمية.
- مصطفى البكري، السير والسلوك، مخطوط.
- المكي القاسمي، رسالة التعليم مخطوطة.

- ملحق ميثاق الأخوة المالكية والاباضية
- من تقارير سلطات الاحتلال الفرنسي، نقلا عن نسخة من المكتبة القاسمية بالهامل.
- نجم الدين البكري، رسالة في علم السلوك، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة.
- نص لإجازة لعبد الرحمن باش تارزي، في صفحتين بزواية الهامل.
- مراسلة الشيخ أحمد الأمين وكيل الأوقاف، الزاوية القاسمية بالحرمين الشريفين، إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم، بتاريخ 1893، من وثائق المكتبة القاسمية بالهامل.
- نسخة التقارير الفرنسية حول الزاوية الهامل، نسخة مصورة بالزاوية الهامل القاسمية بالهامل: يوم، 16 مارس 2018.
- يحي بوعزيز، مقال عن الأوراس، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والاعلام الجزائري، ع80، 1984م.
- وثيقة مخطوطة بخط المؤسس موجودة في المكتبة القاسمية.
- وثيقة مخطوطة من وثائق المكتبة القاسمية.
- وثيقة من وثائق الشيخ محمد بن أبي القاسم، مخطوطة في زاوية الهامل.

ثالثا: الدوريات (اطروحات ، مقالات، مجلات، جرائد ، محاضرات، ملتقيات)

- اسعيد علوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في العقيدة) غ م، إشراف الأستاذ عبد الرحمن عمر الماحي، والأستاذ محمد زرمان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، سنة 2000، ج1.
- آيت سكوكي محمد آكلي، الزوايا في منطقة القبائل، ندوة عن دور الزوايا في منطقة القبائل، بتيزي وزو.
- مجهول، زاوية الهامل مركز اشعاع علمي نافع الزيتونة والقرويين، جريدة الخبر، 11-22-2003.
- محمد المأمون القاسمي، في سنة 2018 على هامش ملتقى أعلام المسيلة في متحف بوسعادة.
- محمد المأمون القاسمي، ملاحظات السيد المأمون بشأن المشروع التمهيدي لتعديل الدستور 2020م، 2021م.

- أئمة ولاية بسكرة برعاية الشيخ عبد القادر عثمانى، وثيقة إصلاح ذات البين و يليه ميثاق أعراف الزواج، وثيقة عرفية لإصلاح ذات البين ولا تعتبر بديلا عن القانون، ط2016م.
- بن الشيخ علي، أسباب وظروف منع المرأة من الميراث في منطقة القبائل، الحوار المتوسطي، المجلد 9، العدد 3، ديسمبر 2018، 297-298.
- تقييد أحمد مفتاح القماري في مكتبة ابنه الأستاذ عبد الباقي مفتاح بقمار بالوادي
- حورية محبوب، المرأة بين التربية الروحية والتوجه السياسي، ملتقى وطني التصوف الفرنكفوني، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، سنة 2019م.
- درام الشيخ، النظم التعليمية في الزاوية زاوية المهمل أمودجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، إشراف الطاهر سعود السنة الدراسية 2012م، 2013م.
- سيدي موسى محمد الشريف، مقاومة لالة فاطمة نسومر للاستعمار الفرنسي، كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، الطبعة 2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث.
- الشريف كتو، دور الزوايا في منطقة القبائل ودورها في إصلاح ذات البين، 2010/10/22 ، بتيزي وزو، ندوة علمية (تسجيل صوتي).
- عبد الحق مليزي، معلم قرآن سابقاً في المهمل في بيته 2019 .
- عبد الرحمن مصطفىاوي، كلمة تنسيقية زوايا ولاية تيزي وزوا، في 10 مارس 2015
- عبد الرؤوف القاسمي الحسني، المرأة الصوفية الضغوطات والرهانات، مشيخة لالة زينب نموذجاً، 1850م-1904م، محاضرة في الملتقى الدولي الخامس-تصوف، ثقافة، موسيقى-ديسمبر 2008م، تنظيم وزارة الثقافة، تيزي وزوا، الجزائر.
- عبد القادر عثمانى يوم 2017/11/08، على الساعة 11:05، بمقر الزاوية، طولقة، بسكرة.
- عبد القادر عثمانى، الأسرة في الإسلام، محاضرة أقيمت بالمركز الثقافي في بسكرة، ضمن كتاب عبد الحليم صيد، مجموع محاضرات ومقالات وفتاوى عبد القادر عثمانى، ط1، 2005، باتنة.
- عبد الملك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، ع8

- العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، دراسة أنثر بيولوجية مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، العدد 15 جوان 2014 .
- عيسى بن قبي، محمد بن أبي القاسم الهاملي، تكوينه ودوره في نشر العلم والمعرفة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 09، سبتمبر، 2018م، ص:155.
- محاضرة للأستاذ المأمون ألقاها بعنوان، التعليم في الزاوية القاسمية في ملتقى أعلام المسيلة 2017.
- محمد الرؤوف القاسمي، مؤسسة زاوية الهامل العلمية، المنار التاريخي والتحويلات الهيكلية، دراسة سوسيوولوجية سونغرافية، رسالة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، قسم الاجتماع، جامعة الجزائر، إشراف الأستاذ سماتي محفوظ، السنة الجامعية 2006/2007.
- محمد الرؤوف قاسمي الحسني، مؤسسة زاوية الهامل العلمية، المسار التاريخي والتحويلات الهيكلية، رسالة الدكتوراه الدولة في علم الاجتماع، إشراف الأستاذ سماتي محفوظ، 2006-2007، ص228.
- محمود بوكيبة، المنظومة التعليمية بزوايا الطريقة الرحمانية زاوية الهامل أممؤذجا(1914-1930)، جامعة المسيلة، الجزائر.
- محمد الطيب سي الحاج محند: لالة فاطمة نسومر ودورها في المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي، دور الطريقة الرحمانية في تعبئة و قيادة المقاومة الشعبية في منطقة القبائل، فرع المركز الثقافي الاسلامي لولاية تيزي وزو، 2004.
- مصطفى القاسمي، محاضرة عن طريقة الرحمانية أقيمت بمناسبة الإحتفال بذكرى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري زاوية الحامة، الجزائر العاصمة 1937م (مخطوطة بالمكتبة القاسمية).
- مقال بجريدة الشعب 1990/05/14، مكتبة الأستاذ عبد القادر شعبية.
- الملتقى الوطني 19 للقرآن الكريم، التربية الروحية في القرآن الكريم بعناية من 18.20 ديسمبر 2018 - ديباجة.
- نفيسة دويدة، لحة عن آل بن عزوز البرجي، زيارة علمية وجهاد متواصل، مجلة دراسات تراثية، 2007.

اللقاءات والمقابلات:

- إبراهيم علاله حملاوي زيارة لزواية: 2018/11/11.
- محمد المأمون القاسمي مشيخة الزوايا الرحمانية بزواية الهامل 2019/01/02 على الساعة 11:10 بمقر الزواية.
- أبو الأنوار أمين المكتبة داحية، 2017.
- بولنوار داحية أمين مكتبة القاسمية، 2018.
- حضور عيد الفطر في زاوية الهامل.
- حضور للمولد النبوي الشريف، 2019م، بالزاوية القاسمية
- زاوية سيدي سالم بواد سوف 2018م.
- زيارة لزواية طولقة في 16 مارس 2017.
- زيارتي لمدينة واد سوف 14-01-2018 مع الباحثة يوسف خيرة.
- شويحة بمقر الزواية/ 22-01-2019 بمقر الزواية على الساعة 10:19 صباحا.
- شويحه، 2017/11/21، على الساعة 13:00 داخل مقر الزواية.
- الشيخ المأمون في الزواية 2018.
- الشيخ المأمون في: 01-01-2019 على الساعة 18:16 بمقر الزواية.
- الشيخ بولنوار عبد الرحمان 20-01-2021 بعين أغلال بالزاوية على الساعة 10:00.
- طريقة حفطي على شويحي عبد القادر بالزاوية.
- المأمون في حلقة الدرس بالزاوية 2019.
- محمد المأمون القاسمي، 2019م بالزاوية القاسمية.
- محمد المأمون بزوايته.
- محمد المأمون في: 2019/01/02.
- محمد الهادي الحسيني الحملاوي، يوم 06-06-2016، على الساعة 18:00 داخل الزواية.
- محمد طاهر علجت، دور زوايا منطقة القبائل في إصلاح ذات البين، زاوية تمقرت، 2020/10/22.

- نبيل سحيم، 11-03-2019، بعين أغلال بالجلفة على الساعة 11:40 صباحا.
- نجوى القاسمي، 2017.
- نجوى القاسمي، 2018/12/28 بزاوية الهامل.
- الهامل في 17 جوان 2017. لحضور حفل زواج جماعي بجمعية المقاصد الخيرية.

مواقع الكترونية:

- محمد باز، موقع الأمان، 2017/11/8، 9:51، زمن الدخول: 2020/03/28، 12:57.
- لقاء مع محمد مأمون مصطفى القاسمي الحسني: 2019/01/02 على الساعة 17:00 بمقر الزاوية الهامل.
- موقع الطريقة الرحمانية قسنطينة www.rahmania.constantine.dz يوم 2021/02/20 على الساعة 18:31.
- موقع الصفحة الرئيسية لزاوية الهامل، المعهد القاسمي، 2022-02-12، على الساعة 10:32.
- صفحة الرئيس لزاوية الهامل، لقاء مع الأستاذ فؤاد القاسمي، يوم 2022/01/16.

ب	شكر وتقدير
ج	إهداء
أ	مقدمة:

الفصل الأول: مؤسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن الأزهرى عصره وحياته

10	تمهيد:
11	المبحث الأول: ظروف عصر المؤسس محمد بن عبد الرحمن الأزهرى.
11	المطلب الأول: الظروف السياسية.
15	المطلب الثاني: الظروف الاجتماعية.
19	المطلب الثالث: الظروف الإقتصادية.
20	المطلب الرابع: الظروف الثقافية.
22	المبحث الثاني: حياة محمد بن عبد الرحمن الأزهرى.
22	المطلب الأول: اسمه وكنيته.
23	المطلب الثاني: مولده ونشأته.
24	المطلب الثالث: حياته العلمية.
33	المبحث الثالث: آثار الشيخ الأزهرى وأقوال العلماء فيه.
33	المطلب الأول: مؤلفاته.
34	المطلب الثاني: أعلام الطريقة الرحمانية (تلاميذ الشيخ الأزهرى).
39	المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه.
40	المبحث الرابع: الطريقة الرحمانية جذورها ومقاصدها.
41	المطلب الأول: الطريقة الرحمانية مفهومها، مراتبها، هيكلتها، وإحصاء حولها.
45	المطلب الثاني: أخذ العهد في الطريقة الخلوتية الرحمانية.
50	المطلب الثالث: أورد الطريقة الرحمانية.

53.....المطلب الرابع: مصادر التمويل في الطريقة الرحمانية.

55.....المطلب السادس: جهاد الطريقة الرحمانية.

الفصل الثاني: خريطة الطريقة الرحمانية في الجزائر

59.....المبحث الأول: عوامل انتشار الزوايا الرحمانية في الجزائر.

59.....المطلب الأول: مفهوم الزاوية.

61.....المطلب الثاني: عوامل انتشار الزوايا الرحمانية في الجزائر.

62.....المبحث الثاني: الزوايا الرحمانية في منطقة القبائل.

63.....المطلب الأول: الزاوية الأم.

64.....المطلب الثاني: زاوية الصدوق.

66.....المطلب الثالث: زاوية بن سحنون بتاغراست.

67.....المطلب الرابع: زاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي.

68.....المبحث الثاني: الزوايا الرحمانية بقسنطينة وضواحيها (قلمة- ع مليلة).

69.....المطلب الأول: زاوية الشيخ عبد الرحمان باش تارزي بقسنطينة.

70.....المطلب الثاني: الزاوية الحملاوية.

73.....المطلب الثالث: زوايا قلمة الرحمانية.

75.....المبحث الرابع: الزوايا الرحمانية بمنطقة الأوراس (تبسة خنشلة-باتنة).

75.....المطلب الأول: زاوية بني عبد الصمد.

76.....المطلب الثاني: زاوية الصادق بلحاج.

76.....المطلب الثالث: زاوية الشيخ علي دردور.

77.....المطلب الرابع: زاوية أولاد سيدي يحيى بن زروق.

78.....المبحث الخامس: الزوايا الرحمانية بالجنوب الجزائري.

78.....المطلب الأول: زاوية محمد بن عزوز البرجي.

82.....المطلب الثاني: الزاوية العثمانية بطولقة (العزوزية الرحمانية لعلي بن عمر بطولقة).

85	المطلب الثالث: زاوية خنقة سيدي ناجي
90	المطلب الخامس: زاوية سالم العزوزية الرحمانية بواد سوف:
95	المطلب السادس: زاوية القاسمية بالهامل:
111	المبحث السادس: الطريقة الرحمانية في نواحي الجلفة ووسط القطر الجزائري
111	المطلب الأول: زاوية عين أغلال
112	المطلب الثاني: زاوية الشيخ بن عرعار
113	المطلب الثالث: زاوية الشيخ الشريف بن الأحرش:
113	المطلب الرابع: زاوية الشيخ بولرباح
118	المطلب الخامس: زاوية بلخير النفطية في بلدية عمورة بولاية الجلفة
118	المطلب السادس: الزاوية الأزهرية بمدينة الجلفة
119	المبحث السابع: الزوايا الرحمانية في الغرب الجزائري منطقة غليزان وضواحيها
119	المطلب الأول: زاوية المنور بغليزان
121	المطلب الثاني: زاوية المازونية:
122	المطلب الثالث: زاوية الفضائية
122	المطلب الرابع: زاوية المكايك:
122	المطلب الخامس: زاوية سيدي عومر

الفصل الثالث: الدور التربوي الروحي للطريقة الرحمانية

125	المبحث الأول: مفهوم التربية الروحية
125	المطلب الأول: مفهوم التربية
126	المطلب الثاني: التربية الروحية
129	المبحث الثاني: الأركان التهذيبية في طريقة الرحمانية:
131	المطلب الأول: أركان التهذيب الذات
134	المطلب الثاني: أركان التهذيب للغير "الصمت والعزلة":

137	المبحث الثالث: الأصول التربوية في الطريقة الرحمانية:
137	المطلب الأول: أصول المعتمدة في التخلية (أصول الوصول للتخلية).....
149	المبحث الرابع: التربية الروحية بالذكر، حقيقته صورها الآثار:
150	المطلب الأول: حقيقة الذكر ودليله وأنواعه
154	المطلب الثاني: آداب الذكر وخصائصه في الطريقة الرحمانية
158	المطلب الثالث: صور وكيفيات الذكر في الطريقة الرحمانية" الوظيفة أمودج":
161	المبحث الخامس: التربية بالذكر صورتها وآثارها في الطريقة الرحمانية.....
161	المطلب الأول: التربية في الطريقة الرحمانية
163	المطلب الثاني: ميدان التربية بالذكر في الطريقة الرحمانية
166	المطلب الثالث: أدوات التربية بالذكر والسلوك عند السادة الرحمانية.....
174	المطلب الرابع: الصورة التطبيقية لتربية بالذكر في الخلوة عن الرحمانية:

الفصل الرابع: الدور التعليمي للطريقة الرحمانية في الجزائر

190	تمهيد:
192	المبحث الأول: تأسيس المنظومة التعليمية
192	المطلب الأول: المنظومة التعليمية في الطريقة الرحمانية
193	المطلب الثاني: الأهداف والغايات للدور التعليمي في الطريقة الرحمانية
195	المطلب الثالث: تطورها وانتشارها
196	المبحث الثاني النظام البيداغوجي وخصائصه
197	المطلب الأول: مراحل التعليم
201	المطلب الثاني: المدة الزمنية والبرنامج اليومي للطلبة
202	المطلب الثالث: أقسام التعليم في الزاوية القاسمية:
210	المطلب الرابع: المواد المقررة للتدريس
217	المطلب الخامس: وسائل التعليم

219.....	المطلب السادس: القانون الداخلي للزاوية (السفارة):
220.....	المبحث الثالث: نتائج المنظومة التعليمية:
220.....	المطلب الأول: الشهادة أو الاجازة.....
221.....	المطلب الثاني: الطلبة المتخرجين من الزاوية:
الفصل الخامس: الطريقة الرحمانية في خدمة المجتمع الجزائري	
232.....	تمهيد:
233.....	المبحث الأول: التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي في الطريقة الرحمانية:
234.....	المطلب الأول: العمل التطوعي (التبوية).....
237.....	المطلب الثاني: كفالة الأيتام، والأرامل:
240.....	المطلب الثالث: الإيواء والإطعام (إكرام الضيف):
241.....	المطلب الرابع: المساعدة في أوقات الأزمات، والأوبئة، والحروب.....
244.....	المبحث الثاني: العلاقات الأسرية.....
245.....	المطلب الأول: المرأة في الأنساق الصوفية الجزائرية "الطريقة الرحمانية أمودجا".....
248.....	المطلب الثاني: نماذج النسوة الجزائريات المتصوفات في النسق الرحماني.....
251.....	المطلب الثالث: دور المرأة داخل النسق الصوفي.....
262.....	المطلب الرابع: الزواج.....
265.....	المبحث الثالث: حل النزاعات وفك الخصوم والشفاعات.....
265.....	المطلب الأول: الزاوية الرحمانية مركز وحدة المجتمع الجزائري.....
267.....	المطلب الثاني: فك الخصومات وحل النزاعات أو الصلح بين الخصوم.....
275.....	المطلب الثالث: الشفاعات.....
278.....	المطلب الرابع: محاربة الآفات الاجتماعية (المخدرات، التدخين) التعصب والعنف النفرات الطائفية
281.....	المطلب الخامس: الحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري.....
284.....	المبحث الرابع: الطريقة الرحمانية والجمعيات.....

- المطلب الأول: الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية 284
- المطلب الثاني: جمعية قدماء طلبة الزاوية القاسمية والمعهد القاسمي 287
- المطلب الثالث: جمعية المقاصد الخيرية: 288
- خاتمة: 289
- الملاحق 295
- فهرس الآيات 332
- فهرس الأحاديث النبوية 335
- فهرس الاعلام 344
- قائمة المصادر والمراجع 340
- فهرس المحتويات 355

الملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الإسلامية الصوفية المتعلقة بالطرق الصوفية السنية المعتدلة "الرحمانية أنموذجاً"؛ التي تعتبر إحدى المفاخر الشاخصة المشكّلة لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، لذا ركزنا على دراستها من منظور اجتماعي وثقافي في دراسة موسومة بـ: "الدور الاجتماعي للطريقة الرحمانية في الجزائر". حيث تناولنا في القسم الأول: التعريف بمؤسس الطريقة محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وطريقته؛ من تعاليم وأوراد، وجهاد، وخريطة زواياها وانتشارها في الجزائر. أمّا القسم الثاني: فركزنا فيه على الجانب العملي للطريقة المتمثل في الدور التربوي الروحي، والدور التعليمي، ودورها في خدمة المجتمع الجزائري؛ من خلال ترسيخ جملة من المبادئ والقيم منها: التعاون، الدعوة للحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع، الصلح بين المتخاصمين، محاربة الآفات الاجتماعية، والحرص على ترسيخ المرجعية الدينية العقدية، والاجتماعية للمجتمع، والأمة الجزائرية، أصالة وحضارة، والانفتاح على المجتمع المدني من خلال الجمعيات الخيرية "جمعية المقاصد الخيرية كنموذج" والنوادي الرياضية.

الكلمات المفتاحية:

التصوف، الزاوية، الطريقة الرحمانية، التربية الروحية، محمد بن عبد الرحمن الأزهري، التعاون، الصلح بين المتخاصمين، ميثاق المالكية والاباضية، محاربة الآفات الاجتماعية، التطرف الديني، المخدرات، جمعية المقاصد الخيرية

Résumé :

Cette étude s'inscrit dans les études islamiques soufies relatives aux confréries soufies sunnites modérées « le cas de la Rahmania » ; qui est l'une des confréries prestigieuses dans l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie, nous nous sommes donc attachés à l'étudier d'un point de vue social et culturel dans le cadre d'une étude intitulée : "Le rôle social de la confrérie Rahmania en Algérie". Nous avons abordé dans la première section : l'identification de Mohammed bin Abdelrahmane Al-Azhari qui est le fondateur de la confrérie, sa méthode, ses préceptes, son jihad et la carte de la dissémination de ses Zaouias en Algérie. Quant à la deuxième section, nous avons mis l'accent sur l'aspect pratique de la confrérie qui réside dans ses rôles éducatif, spirituel, pédagogique ainsi que son rôle au service de la société algérienne ; par la consolidation d'un certain nombre de principes et de valeurs : l'entraide, l'appel en faveur de la préservation des coutumes et des traditions de la société, la réconciliation entre les adversaires, la lutte contre les fléaux sociaux, la consolidation de la base de la croyance religieuse, et sociale pour la société, la nation algérienne, l'authenticité et la civilisation, et l'ouverture à la société civile à travers les associations caritatives "le cas de l'association des desseins caritatifs." et des clubs sportifs.

Mots clés:

Mysticisme, Zaouia, Confrérie de la Rahmania, Éducation spirituelle, Mohammed bin Abdelrahmane Al-Azhari, Entraide, Réconciliation entre les adversaires, Charte des Mâlikites et des Ibâdites, Lutte contre les fléaux sociaux, Extrémisme religieux, Drogues, Association des desseins caritatifs.

Abstract:

This study is part of the Sufi Islamic studies relating to the moderate Sunni Sufi brotherhoods, «the case of the Rahmania»; which is one of the prestigious brotherhoods in the modern and contemporary history of Algeria, we have therefore endeavoured to study it from a social and cultural point of view within the framework of a study entitled: "The social role of the Rahmania brotherhood in Algeria". We discussed in the first section: the identification of Mohammed bin Abdelrahmane Al-Azhari who was the brotherhood's founder, his method; his precepts, his jihad and the map of the dissemination of his Zaouias in Algeria. As for the second section, we have emphasized the practical aspect of the brotherhood which resides in its educational, spiritual and pedagogical roles as well as its role at the service of Algerian society; by consolidating a number of principles and values: mutual aid, advocacy for the preservation of the customs and traditions of society, reconciliation between adversaries, the fight against social scourges, the consolidation of the basis of religious and social beliefs for society, the Algerian nation, authenticity and civilization, and openness to civil society through charitable associations "the case of the of charitable purposes' association" and sports clubs.

Keywords:

Mysticism, Zaouia, Brotherhood of the Rahmania, Spiritual Education, Mohammed bin Abdul Rahman Al-Azhari, Mutual aid, Reconciliation between adversaries, Charter of Mâlikites and Ibâdites, Fight against social plagues, Religious extremism, Drugs, Association of Charitable Purposes.